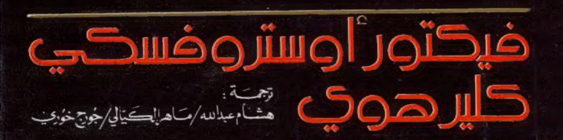




عن طريق الخداع

صورة مروعة للموساد من الداخل



فيكتور أوستروفسكي
كلير هوي

ترجمة:
هشام عبدالله / ماهر الكيالي / جورج خوري

المؤسسة العربية للدراسات والنشر



عن طريق الخداع

صورة مروعة للموساد من الداخل

فيكتور أوستروفسكي
كلير هوي

ترجمة: هشام عبدالله/ماهر الكيالي/جورج خوري

First published in 1990 by
Stoddart Publishing Co. Limited
34 Lesmill Road
Toronto, Ontario
M3B 2T6

ISBN 0-7737-2460-S

Printed in Beirut - Lebanon 1990



المركز الرئيسي:

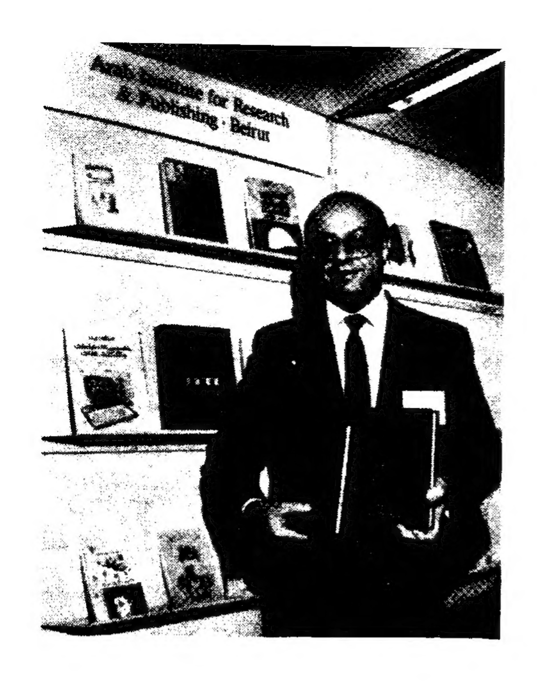
بيروت، ساقية الجنزير، بناية
برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٠/١
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

التوزيع في الأردن:

دار الفارس للنشر والتوزيع: عمان
ص.ب: ٩١٥٧، هاتف: ٦٠٥٤٣٢، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة الأولى

١٩٩٠



مقدمــة الناشر

يعتبر جهاز الموساد احد اكثر اجهزة الاستخبارات غموضاً في العـالم ، وتحيطه السلطات الاسرائيلية ـ او بالاحرى هو يحيط نفسه ـ بكتمان شديد ، لدرجة ان اسم رئيس هذا الجهاز لا يعلن إلاّ بعد أن يصبح « الـرئيس السابق للمـوساد » . وهـذا الجهاز اشبه بجبل الثلج لا يظهر منه سـوى بعض النشاطـات التي ليس في الامكان اخفاؤها ، مثل عمليات الاغتيال والنسف والتخريب والتي تصل الى الصحف بسبب اثارها المادية الواضحة ، او لأن الموساد نفسه قد سرب اخبارهـا استكمالاً للهـدف منها ، ونقصد الاثار الدعائية والنفسية .

ويكشف الكتاب الجزء الأعظم الخفي من جبل الثلج هذا ، فعدا عن اقسام الجهاز ، وطرق تدريب عناصره ، ونوعية هذه العنـاصر ، وكافـة النواحي المتعلقـة ببنيته ، وتقنياته ، فقد كشف الاستراتيجية الحقيقية له ، والتأثير الكبير الذي يمارسه في توجيه السياسة الاسرائيلية . وكيف يمارس ، من خلال مهمتـه التقليديـة كجهاز يزود متخذي القرار بالمعلومات الضرورية ، دوره الخطر وسلطته المطلقـة بالتـلاعب بهذه السياسة عن طريق تقديم معلومات انتقائية وحجب معلومـات هامـة اخرى . ويظهر كيف يتآمر على اسقاط من لا يتفقون مع اكثر الخطوط الصهيونية تعصباً وتطرفاً اضافة الى كشف الدور اللاأخلاقي الذي يلعبـه على المستـوى الدولي ، عن طـريق تقديم « الخدمات » لمن يدفع ، والقيام بالادوار المشبوهة نيابـة عن الاخرين مقـابل الثمن المناسب . مستفيداً في ذلك من امتداداته وتشعباته غير العادية في مختلف انحاء العـالم من خلال اليهـود الذين يجنـدهم بشكل او بـآخر ، او عن طـريق استغـلال التعاطف الغربي مع اسرائيل .

ويجدر الانتباه عند قراءة هذا الكتاب الى ان واضعه صهيوني لا شك في صهيونيته ، وانه لم يدع فرصة تمر دون الطعن في العرب بطريقة او بأخرى . فقد حاول اوستروفسكي في اكثر من مناسبة النيل من الأنظمة العربية وذلك لاظهار القدرات المتفوقة لجهاز الموساد ولاسرائيل كي يخرج القارىء بانطباعات مغلوطة في كثير من الاحيان لاسيما وان الكتاب موجه بالدرجة الأولى للقارىء الغربي الذي تضلله على الدوام وسائل اعلامه التي تخضع للمؤثرات الصهيونية في توجهاتها العامة . وفي الوقت الذي يحاول اوستروفسكي ابراز انجازات الموساد وبخاصة في بعض العمليات الا انه يضطر ان يعترف في اكثر من حادثة عن عجز الموساد او فشله في تحقيق بعض اهدافه وهو بالطبع يتجاهل معظم العمليات المضادة التي قامت بها اجهزة الاستخبارات العربية ، ولهذا السبب يجدر بنا ألا نأخذ ما يرويه على عواهنه ، بل ان نمحص ونزن مدى الصدق فيما يقول من خلال سرده للأحداث ، او من خلال تقييمنا الخاص لمعقولية ما يورده . وهو اذ يسرد الوقائع فمن منطلق الحرص على اسرائيل والخوف عليها من التجاوزات الفظيعة والسلطات المطلقة المتحررة من اية قيود او رقابة يتمتع بها رؤساء الموساد .

على اية حال ، ليست القصص التي يسردها إلا الاطار « المشوق » الذي تتطلبه الصناعة الأدبية ، والمهم هو المعلومات الخاصة بالموساد كجهاز وتقنيات واستراتيجية ، التي لا ضير في أن يطلع عليها القارىء العربي ، زيادة في حيطته وحذره ، فهو المستهدف اولاً واخراً .

لقد حاولنا ان ننقل للقارىء العربي الصورة كاملة كما اوردها الكاتب وفي حالات استثنائية جداً ، عندما كان يشط قلمه ببعض الالفاظ المشبوهة او العبارات النابية لم نتردد في حذف هذه الالفاظ او العبارات . في خاتمة الكتاب تظهر بدون ادنى مجال للشك اثر الانتفاضة الفلسطينية على فكر الكاتب يبرز فيها الكاتب الهدف من نشر الكتاب بالقول :

« الانتفاضة وما تمخض عنها من انحلال الضوابط الاخلاقية والانسانية هي نتيجة مباشرة لذلك النوع من جنون العظمة التي تميزت بها عمليات الموساد . ومن هنا يبدأ كل شيء . من الشعور ان في وسعك ان تفعل ما تريد ، فيمن تريد وبالقدر الذي تريده ، لأنك تملك القوة على القيام به » .

ان اسرائيل تواجه اليوم اعظم تهديد في تاريخها . وهـو امر لا يمكن السيـطرة عليه ، وفي اسرائيل يواصلون ضرب الفلسطينيين، ويقول شامير بهذا الصدد « انهم يجعلون منا قساة ، وهم يجبروننا على ضرب الاطفال ، أليسوا فظيعيين ؟ » هذا هو ما يحدث بعد سنوات وسنوات من السرية ، وبعد سنوات من سياسة « نحن على حق ، فلنكن عـلى حق ، مهما كلف الأمـر » ، وتعمّد تضليـل المسؤولين ، وتبـرير العنف والوحشية عن طريق الغش ، او كما يقول شعار الموساد : « عن طريق الخداع » .

ماهر الكيالي

تمهيد

عملية «أبو الهول»

من الممكن مسامحة بطرس ابن حليم لاهتمامه بالمرأة فقد كانت شقراء مثيرة مولعة بلبس بنطلون ضيق وبلوزة مفتوحة تكشف من جسمها ما فيه الكفاية لاثارة رغبة اي رجل بالمزيد.

كانت تتردد على موقف الباصات الذي يتردد عليه في حي اليهود في الضواحي الجنوبية من باريس كل يوم من أيام الاسبوع السابق، وبما ان باصين فقط يستعملان ذلك الموقف ـ احدهما محلي والآخر من خارج باريس ـ وبما ان عددا قليلا من الركاب النظاميين كانوا يقفون عادة في الموقف، فقد كان من المستحيل الا يلاحظها، ورغم ان حليم لم يعرف ذلك، الا ان ذلك كان لب الموضوع.

كان ذلك في اغسطس (آب) من عام ١٩٧٨ وظهر ان روتينها وروتينه كانا ثابتين، فقد كانت توجد هناك عند وصول حليم لأخذ «نافلته، وبعد بضع لحظات كان رجل اشقر ازرق العينين، رشيق وانيق يسرع بسيارته الفراري BB512 ذات المقعدين ويقف لالتقاط الشقراء ثم يسرع بها الى مكان لا يعرفه الا الله.

كان حليم العراقي الجنسية، والذي كانت زوجته سميرة قد اصبحت غير قادرة على تحمله او تحمل حياتها الموحشة في باريس، يقضي الكثير من وقت رحلته المنفردة الى العمل وهو يفكر بتلك المرأة، وكان لديه الوقت الكافي لذلك، اذ لم يكن يرغب في التحدث الى اي انسان في الطريق؛ وكانت سلطات الأمن العراقي قد أصدرت اليه تعليمات بأن يذهب بطريق دائرية الى العمل، وان يغيّرها مرات كثيرة، وكان الشيئان الثابتان بالنسبة له هما موقف الباص قرب منزله في حي اليهود ومحطة سان لازار للمترو، التي كان يأخذ القطار منها الى سارسيل شمال المدينة تماما، حيث كان يعمل في مشروع سري تماما يتعلق ببناء مفاعل نووي للعراق.

في أحد الأيام وصل الباص الثاني قبل سيارة الفراري، ألقت المرأة اولا نظرة سريعة على الشارع حيث كانت تتوقع قدوم السيارة باحثة عنها، ثم هزت كتفيها لامبالاةً وصعدت الى الباص، وكان باص حليم قد تأخر مؤقتا بسبب «حادث» بسيط على بعد مجمعي بناء عندما وقفت سيارة بيجو امامه.

بعد لحظات وصلت سيارة الفراري، وبحث السائق عن المرأة، وبما ان حليم كان مدركا لما كان قد حدث فانه صاح اليه بالفرنسية قائلا انها قد اخذت الباص، ظهر الرجل محتارا واجاب بالانكليزية، وعندها اعاد حليم القصة له بالانكليزية.

أبدى الرجل امتنانه وسأل حليم الى اين كان متجها، فأخبره حليم انه ذاهب الى محطة مادلين، على مقربة من محطة سان لازار، فقال السائق ران اس. ـ الذي كان حليم سيعرفه فقط بأنه جاك دونافان البريطاني ـ بأنه ذاهب في نفس الاتجاه وعرض ان يوصله.

رأى حليم ان لا مانع في ذلك، فوثب الى داخل السيارة. لقد ابتلعت السمكة الخطاف، واثبت الحظ فيما بعد ان ذلك سيكون غنيمة ممتازة للموساد.

انتهت «عملية ابو الهول» بصورة مثيرة في السابع من حزيران (يونيو) ١٩٨١ عندما قامت القاذفات الاسرائيلية المقاتلة الامريكية الصنع بتدمير مجمّع السابع عشر من تموز (او اوزيراك) النووي خارج بغداد بغارة جريئة فوق منطقة معادية، ولكن ذلك لم يتم الا بعد ان اخرت سنوات من الدساس والدبلوماسية الدولية واعمال التخريب والاغتيال التي نسقتها الموساد انشاء المجمع، رغم فشلها في ايقاف الانشاء نهائيا.

كان قلق اسرائيل بشأن المشروع عميقا منذ ان وقعت فرنسا اتفاقية لتزويد العراق، الذي كان آنذاك ثاني اكبر مزوديها بالنفط، بمركز ابحاث نووية في اعقاب ازمة الطاقة عام ١٩٧٣، التي صعّدت الاهتمام بالطاقة النووية كمصدر بديل للطاقة، وكانت الاقطار التي تصنع منظومات توليد الطاقة النووية تروّج كثيرا عمليات بيعها؛ وفي ذلك الوقت كانت فرنسا راغبة في بيع العراق مفاعلاً نوويا تجاريا بقوة ٧٠٠ ميغاواط.

كان العراق يصر دائما على ان مركز الابحاث النووية مصمم لاغراض سلمية، ولتزويد الطاقة لبغداد اساسا، اما اسرائيل ولاسباب جديرة بالاعتبار، فقد خشيت ان يستخدم لصنع قنابل نووية تستعمل ضدها.

وافق الفرنسيون على تزويد العراق بعنصر اليورانيوم المخصب بنسبة ٩٣ بالمئة لمفاعلين، من مصنع التخصيب العسكري في بييرلات، كما وافقوا على بيع العراق اربع شحنات من الوقود: ما مجموعه ١٥٠ رطلا انكليزيا من اليورانيوم المخصب، اي ما يكفي لصنع حوالي اربعة اسلحة نووية.وكان الرئيس الامريكي جيمي كارتر قد جعل معارضة الانتشار النووي المجهود الرئيسي لسياسته الخارجية، كما كان الدبلوماسيون الامريكيون يضغطون بنشاط على كل من الفرنسيين والعراقيين لتغيير خططهم.

حتى الفرنسيون اصبحوا حذرين من نوايا العراق عندما رفض بصراحة عرضهم باستبدال

اليورانيوم المخصب بنوع آخر من الوقود اقل قوة يدعى «كراميل» وهو مادة يمكنها انتاج الطاقة النووية، وليس القنابل النووية.

كان العراق متصلبا في رأيه، فالصفقة صفقة، وفي مؤتمر صحفي عقده الزعيم العراقي صدام حسين في تموز (يوليو) ١٩٨٠ في بغداد سخر من القلق الاسرائيلي قائلا: «ان الدوائر الصهيونية في اوروبا كانت قبل بضعة اعوام تسخر من العرب قائلة انهم شعب متخلف وغير متمدن ولا يصلح الا لركوب الجمال في الصحراء ـ انظروا كيف ان نفس الدوائر تقول الآن، دون ان تطرف عيونها، بأن العراق على وشك انتاج قنبلة ذرية».

ان حقيقة اقتراب العراق بسرعة من تلك النقطة في اواخر السبعينات حفزت وحدة الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية على ارسال مذكرة (موسومة بكلمة «سوداء» ـ أي بالغة السرية) الى تسفي زامير، الجنرال السابق الطويل، الرفيع والخفيف الشعر الذي كان آنذاك رئيسا للموساد. كانت تلك الوحدة تريد معلومات داخلية اكثر دقة عن مراحل تطور المشروع العراقي، لهذا استدعي ديفيد بيران، رئيس دائرة الاستوظاف في الموساد، وهو رجل شديد التأنق وسميك ومستدير الوجه من رجال الموساد المحترفين، لمقابلة زامير، وقام بعدها بيران بالاجتماع برؤساء اقسام ادارته وطلب منهم ان يجدوا فورا وسيلة اتصال عراقية بالمصنع في فرنسا.

لم يؤد بحث دقيق استغرق يومين للملفات المنتسبين الى اية نتيجة، لهذا اتصل بيران بديفيد آربل رئيس محطة باريس، وهو ضابط اشيب محترف في الموساد يتقن عدة لغات، واعطاه المعلومات الضرورية للمهمة، وكما هو الحال في جميع الحالات المماثلة فان محطة باريس واقعة في الطابق المحصّن تحصينا ثقيلا والواقع تحت الارض في مبنى السفارة الاسرائيلية، وبصفته رئيسا للمحطة فقد كان اربل اعلى رتبة حتى من السفير، اذ ان منتسبي الموساد يفحصون الحقيبة الدبلوماسية كما ان جميع المراسلات الواردة الى السفارة والصادرة عنها تمر عن طريقهم، وهم مسؤولون كذلك عن الاحتفاظ ببيوت مأمونة تعرف بعبارة «الشقق الجاهزة للعمليات» ومحطة لندن وحدها على سبيل المثال تمتلك اكثر من مئة شقة كهذه وتستأجر خمسين شقة اخرى.

كما ان باريس كانت لها حصتها من «السايانيم»، المساعدين المتطوعين اليهود من جميع طبقات المجتمع، وكان احدهم، واسمه الحركي جاك مارسيل، يعمل في قسم الموظفين في مصنع سارسيل النووي. ولو ان المشروع كان اقل الحاحا لما كان سيطلب منه ان يحصل على وثيقة فعلية، اذ كان في العادة سينقل المعلومات شفهيا او حتى ينسخها، وأخذ وثيقة ينطوي على مخاطرة اكتشاف امره وتعرضه للخطر، ويعود ذلك أساسا الى ان الاسماء العربية مربكة في حالات عديدة (اذ يستعملون على ما يبدو اسماء مختلفة في مواقف مختلفة) وهكذا، ومن أجل التأكد، طُلب من مارسيل احضار قائمة بجميع العراقيين العاملين هناك.

وبما انه كان من المقرر ان يأتي مارسيل الى باريس لحضور اجتماع يعقد في الاسبوع التالي على اي حال، فقد طلب منه ان يضع تلك القائمة في صندوق سيارته مع قوائم اخرى كان سيحضرها للاجتماع بصورة قانونية؛ وفي الليلة السابقة قابله ضابط «جمع» من الموساد وحصل على نسخة من مفتاح الصندوق واعطاه تعليماته. كان على مارسيل ان يمر بشارع جانبي قرب الكلية العسكرية في الوقت المحدد وهناك سيرى سيارة بيجو حمراء على نافذتها ملصقة معينة، وكانت تلك السيارة ستكون قد استؤجرت وتركت طول الليل امام احد المقاهي لضمان موقف، وهذا شيء اساسي في باريس؛ كما طلب من مارسيل ان يدور حول مجمع الابنية وعندما يعود ستكون البيجو على وشك المغادرة مما يسمح له بأن يأخذ مكانها؛ ثم عليه ان يذهب الى الاجتماع تاركا ملف الاشخاص العراقيين في الصندوق.

وبما ان العاملين في الصناعات الحساسة معرضون لتدقيق امني عشوائي، قامت الموساد بتعقب مارسيل دون علمه وهو في طريقه الى الاجتماع، وبعد التأكد ثانية من عدم وجود مراقبة قام شخصان من الموساد بأخذ الملف من السيارة ودخلا المقهى، وفي حين اوصي احدهما على المشروب دخل الآخر الى المرحاض، حيث اخرج آلة تصوير بها اربع سيقان صغيرة من الالمنيوم قابلة للطيّ تدعى «الملزمة» وهذا الجهاز يوفر وقت النصب اذ ان الكاميرا تكون جاهزة للاستعمال وتستعمل امشاط تصوير خاصة تصنعها ادارة التصوير في الموساد وتأخذ حوالي ٥٠٠ صورة على الفيلم الواحد. وبمجرد انزال السيقان يستطيع المصور ان يدس المستندات تحتها ويسحبها بسرعة مستعملا قطعة ملحقة يمسكها بين اسنانه لكي يطبق بها مصراع الكاميرا كل مرة، وبعد تصوير الصفحات الثلاث بهذه الطريقة اعاد الرجلان الملف الى صندوق السيارة وغادرا المكان.

ارسلت الاسماء بالكمبيوتر على الفور الى شعبة باريس في تل ابيب، باستعمال نظام الموساد للترميز النمطي المزدوج، وكل صوت لفظي له رقم فاذا كان الاسم من مقطعين لفظيين فقد يخصص للمقطع الاول الرقم ٧ وللثاني الرقم ٢١، ولتعقيد الامور اكثر فان لكل رقم رمز منتظم ـ حرف او رمز آخر ـ وهذا الترميز المزدوج يغير مرة كل اسبوع وحتى مع ذلك ان كل رسالة لا تقول الا نصف القصة وبهذا يحصل الانسان على رمز لرمز المقطع الأول، بينما يحصل آخر على رمز لرمز المقطع الثاني، وحتى لو اعترض البث فانه لا يعني شيئا لمن يحاول فك رموزه، وبهذه الطريقة ارسلت قائمة الافراد جميعها الى الرئاسة عن طريق بثين منفصلين بالكمبيوتر.

حالما فكت رموز الاسماء والمراكز في تل ابيب ارسلت الى ادارة الابحاث في الموساد، والى وحدة الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية، ولكن لأن الموظفين العراقيين في سارسيل كانوا علماء فانهم لم يعتبروا خطرين، ولم تكن لدى الموساد الا معلومات قليلة عنهم.

جاء الرد من رئيس ادارة الاستوظاف بالموساد بأن «يضربوا حسب المصلحة»، اي ان يجدوا الهدف الاسهل، وبسرعة. وهكذا صدف ان عثروا على بطرس ابن حليم، مما كان سيثبت انه ضربه حظ سعيد، لكنه في ذلك الوقت اختير لأنه كان العالم العراقي الوحيد الذي اعطى عنوان مسكنه؛ وكان معنى ذلك ان الآخرين كانوا إما اكثر وعيا من ناحية امنية او انهم كانوا يقيمون في ثكنة عسكرية قرب المصنع. كما كان حليم متزوجا ـ وكان نصفهم متزوجين كذلك، ولكن لم يكن له ابناء، ووجود عراقي عمره ٤٢ عاما وليس له ابناء امر غير اعتيادي ولا يشير الى زواج عادي سعيد.

اما وقد حصلوا على هدفهم فقد كانت المشكلة التالية هي كيفية «استخدامه»، خاصة وان تل ابيب ارسلت تعليمات بأن هذا الامر يجب ان يعتبر عملية مضمونة النجاح.

ولاتمام هذه المهمة استدعيت مجموعتان:

اولاهما: مجموعة مسؤولة عن الامن الاوروبي، وسيكون عليها ان تتعرف على برنامج حليم وزوجته، وان تجد فيما اذا كان تحت المراقبة العراقية او الفرنسية، وان تعمل على ايجاد شقة قريبة من شقته عن طريق متطوع «عقاري» (احد المساعدين في النشاطات العقارية، يعهد اليه ايجاد شقة في المنطقة المطلوبة ـ دون ان يوجه اية اسئلة).

اما المجموعة الثانية فهي التي تقوم بعمليات الاقتحام الضرورية وتراقب الشقة مراقبة دقيقة وتركب فيها اجهزة تنصيت ـ «خشب» ان كانت ستركب في طاولة او في الطوق الخشبي المحيط بالجدران، او «زجاج» ان كانت ستركب في الهاتف.

يتكون فرع الامن الدولي في ادارة الامن من ثلاث مجموعات تضم كل منها من سبعة الى تسعة اشخاص، تعمل مجموعتان في الخارج والثالثة تعمل كمجموعة دعم في اسرائيل، واستدعاء احدى المجموعات لعملية ما يتطلب مماحكة كبيرة اذ ان كل شخص يعتبر عمليته حيوية.

كما ان فرع الاقتحام في ادارة الأمن يتكون من ثلاث مجموعات من الخبراء المدربين في فن الحصول على المعلومات من «الاشياء الساكنة»، مما يعني الاقتحام وتصوير الوثائق ودخول الغرف والابنية ومغادرتها لتركيب اجهزة مراقبة دون ترك اي اثر او الاتصال بأي شخص، وتضم جملة الاشياء التي بحوزة هذه المجموعات مفاتيح عمومية لمعظم الفنادق الرئيسية في اوروبا، كما تُبتكر باستمرار طرق جديدة لفتح الابواب المزودة بأقفال تفتح بمفاتيح بطاقات او بمفاتيح مرمّزة أو بوسائل اخرى، كما ان بعض الفنادق مثلا بها اقفال تفتح باستعمال بصمات نزلاء الغرف.

وبمجرد وضع وسائل التنصت في شقة حليم وجعلها جاهزة للعمل، يقوم موظف في ادارة

التنصت بالاستماع الى المحادثات وتسجيلها، وسيرسل شريط اليوم الاول الى مقر الرئاسة في تل ابيب حيث تحلل اللهجة الخاصة ويرسل مستمع يفهم تلك اللهجة افضل من غيره من اسرائيل بأسرع ما يمكن لمتابعة المراقبة الالكترونية ويقدم ترجمة فورية لمحطة باريس.

في هذه النقطة من العملية كان كل ما لديهم اسم وعنوان فقط، ولم يكن لديهم حتى صورة للعراقي او حتى اي ضمان بأنه سيكون مفيدا. بدأت المجموعة بمراقبة مبنى شقته من الشارع وبالتجسس من الشقة المجاورة لمعرفة شكل حليم وزوجته.

جرى اول اتصال بعد ذلك بيومين عندما قامت شابة جذابة قصيرة الشعر ذكرت ان اسمها جاكلين بقرع باب شقة حليم. كان اسمها الحقيقي دينا وهي من افراد مجموعة الامن الاوروبي، وكانت مهمتها ان تتفحص الزوجة وتصفها للمجموعة بدقة لكي تبدأ المراقبة جديا. ادعت انها بائعة عطور، وكانت قد حصلت على كمية كبيرة منها، كما كانت تحمل حقيبة يدوية للاوراق ونماذج مطبوعة لطلبات الشراء وتنقلت من شقة الى اخرى تعرض بضاعتها على سكان جميع الشقق الاخرى في المنزل الثلاثي الطبقات الذي لم يكن فيه مصعد، وذلك لتجنب ارتياب العائلة العراقية بها، وتأكدت من الوصول الى شقة حليم قبل عودته من العمل.

سرت سميرة كثيرا بعرض العطور، كما فعلت بقية السيدات في المبنى، ولا عجب في ذلك اذ ان الاسعار كانت اقل بكثير مما كانت عليه في متاجر البيع بالمفرق، وطلب من الزبونات ان يدفعن نصف الثمن مقدما والنصف الآخر عند تسليم البضاعة، مع وعد بهدية «مجانية» عند التسليم.

والافضل من ذلك هو ان سميرة دعت «جاكلين» للدخول وصارحتها بتعاستها وذكرت ان زوجها لم يكن لديه دافع للنجاح، وانها من عائلة غنية ومضطرة للعيش من اموالها الخاصة، كما ذكرت انها ستعود للعراق خلال اسبوعين لأن عملية جراحية خطيرة كانت ستجرى لوالدتها، مما سيترك زوجها وحيدا ـ وبهذا سيكون اقل مناعة.

تظاهرت «جاكلين» بأنها طالبة من عائلة محترمة من جنوب فرنسا، وادعت بأنها تبيع العطور للحصول على نقود اضافية لمصروفها، كما اظهرت عطفها الشديد تجاه بلوى سميرة، ورغم ان مهمتها الأولية كانت مجرد التعرف على المرأة الا ان هذا النجاح بعينه كان رائعاً. ففي عملية المراقبة يرفع لمنزل الأمن تقرير عن كل التفاصيل الدقيقة بعد كل مرحلة، وتقوم المجموعة بهضم المعلومات وتخطيط الخطوة التالية، مما يعني عادة ساعات من الاستجواب للتدقيق في كل نقطة من التفاصيل، كما تثور العواطف في حالات عديدة عندما يقوم عدة اشخاص بمناقشة اهمية تصرف خاص او عبارة معينة، يدخن الاعضاء ويشربون القهوة باستمرار ويصبح الجو اكثر توترا بمرور كل ساعة.

وهكذا تقرر بأنه طالما ان دينا (جاكلين) قد انسجمت مع سميرة، فان هـذه التطورات السعيدة يمكن استغلالها لتعجيل الامور، لذلك اصبحت مهمة دينا التالية ان تخرج المرأة من الشقة مرتين ـ الاولى لكي تحدد المجموعة افضل مكان لوضع جهاز التنصت، والثانية لتركيبه. وكان معنى ذلك دخول الشقة وأخذ صور وقياسات ورقائق دهان وكل ما هو ضروري لضمان انتاج نسخة دقيقة لأي بند ينزع، وتركيبها في نفس المكان بعد ان يوضع فيها جهاز تنصت؛ وكما هو الحال في كل ما تفعله الموساد، فان المعيار هو تقليل المخاطر دائماً.

اثناء الزيارة الاولى كانت سميرة قد تذمرت بشأن مشاكلها بالعثور على صالون محلي جيد يقوم بمعالجة لون شعرها، وعندما عادت جاكلين بالبضاعة بعد ذلك بيومين (هذه المرة قُبيل الموعد المنتظر لعودة حليم، لكي تتعرف على شكله) اخبرت سميرة عن صالونها الانيق، قائلة:

«لقد اخبرت اندريه عنك فأجاب بأنه يجب ان يعالج شعرك، ان الامر يحتاج الى زيارتين اذ انه متشدد في اتقان عمله، ولكنني احب ان آخذك معي».

بادرت سميرة بمنتهى السرور لاغتنام الفرصة، اذ لم يكن لها ولزوجها اصدقاء حقيقيون في المنطقة، كما ان حياتها الاجتماعية كانت محدودة جدا، ولهذا رحبت بفرصة الخروج مرتين بعد الظهر لترتاح من كد شقتها.

وكهدية سميرة الخاصة لشرائها العطر، احضرت جاكلين علاّقة مفاتيح مبهرجة بها مقبض صغير لكل مفتاح وقالت: «اعطني مفتاح شقتك لأريك كيف تعمل هذه العلاّقة».

على ان ما لم تره سميرة عندما ناولتها المفتاح هو قيام جاكلين بدسّه في صندوق قياسه بوصتان له مفصلة وملفوف ليبدو وكأنه هدية اخرى لكنه مليء بمادة لدائنية مرشوشة بمسحوق الطلق لمنعها من الالتصاق بالمفتاح، وعند دس المفتاح واغلاق الصندوق ترك طبعة كاملة على المادة اللدائنية يمكن عمل نسخة منها.

كان بامكان الجماعة الدخول دون مفتاح ولكن لماذا يعرضون انفسهم لخطر الانكشاف اذا كان في الامكان الدخول من الباب الامامي كما لو كانوا يعيشون في الشقة؟ وعندما يكونون في الداخل يمكنهم دائما اقفال الباب ثم يضعون قضيبا بين قبضة الباب الداخلية والارضية، وبهذه الطريقة اذا استطاع شخص ما تجاوز المراقبة الخارجية وحاول فتح الباب فان من المرجح ان يعتقد بان القفل مكسور ويذهب لطلب المساعدة على فتح الباب، مما يُعطي من في الداخل وقتا اطول للمغادرة دون ان يلاحظهم احد.

بمجردِ ان تم التعرف على حليم بدأت المجموعة بتعقبه عن طريق التعقب الساكن وهي طريقة لتحديد برنامج الشخص مع تجنب اية فرصة لانكشاف امر المتعقبين، ومعناها مراقبته على

مراحل وليس تتبعه بالفعل ويتم ذلك بوضع شخص في مكان قريب ليراقب مكان ذهابه. وبعد بضعة أيام يقوم رجل اخر متمركز عند مجمع الابنية التالي بمراقبته، وهكذا. وفي حالة حليم كان الامر سهلا للغاية لأنه كان يذهب لنفس موقف الباصات يوميا.

عن طريق جهاز التنصت عرف افراد المجموعة موعد عودة سميرة الى العراق بالضبط، كما سمعوه يقول لها ان عليه ان يذهب الى السفارة العراقية لتدقيق امني، مما نبّه الموساد لأن يكونوا اكثر حرصا، لكنهم لم يتوصلوا الى قرار بشأن كيفية استخدامه، ونظرا للاولوية القصوى لهذه القضية، لم يكن لديهم الوقت الكافي لتقرير ما اذا كان حليم سيتعاون معهم ام لا.

رفضت ادارة الامن التشغيلي فكرة استخدام عربي للاتصال بعرب آخرين قائلة ان ذلك امر فيه الكثير من المجازفة في هذه القضية البالغة الاهمية ولم يريدوا ان يعبثوا بها وسرعان ما تم نبذ الآمال بأن تستطيع دينا بصفتها جاكلين ان تصل الى حليم عن طريق زوجته. فبعد الزيارة الثانية للصالون لم تعد سميرة تريد أية علاقة بجاكلين وقالت لحليم مرة اثناء احدى جلسات تسقط العيوب: «لقد رأيت كيف تنظر الى تلك الفتاة، لا تكن لك افكار لمجرد انني مسافرة، انني اعرفك جيدا».

وهذا ما دعاهم الى تبني فكرة الفتاة التي على موقف الباصات، بحيث يدّعي رآن اس.. بأنه الانكليزي المزخرف جاك دونوفان، وسيسمحون لسيارة «الفراري» التي توهم بالثروة بأن تقوم بالباقي.

في اول رُكبة في «الفراري» لم يبح حليم بان شيء عن عمله مدعيا انه طالب ـ قال ران لنفسه بان رفيقه طالب كبير في السن الى حد ما ـ وذكر ان زوجته مسافرة وانه يريد ان يأكل جيدا، لكنه لا يستطيع الشرب.

أبقى دونوفان مهنته غامضة للسماح باكبر قدر من المرونة، وقال انه يتعاطى التجارة الدولية وأومأ الى ان حليم قد يرغب بزيارته في دارته في الريف او ينضم اليه في عشاء اثناء غياب زوجته، على ان حليم لم يلزم نفسه بأي شيء عند ذلك الحد..

في صباح اليوم التالي عادت الشقراء والتقطها دونوفان وبعد ذلك بيوم حضر دونوفان لكن الفتاة لم تحضر، ومرة ثانية عرض على حليم ان يرافقه الى مركز المدينة التجاري مقترحا ان يتوقفا اولا لتناول القهوة في احد المقاهي. اما بشأن الرفيقة الجميلة فقد قال دونوفان: «آه.. انها ليست إلا امرأة لعوبة، وقد اخذت تزيد من طلباتها لذلك قطعت صلتي بها. انه لأمر مؤسف نوعا ما ـ لقد كانت جيدة جدا، اذ فهمت ما اقول، ولكن لا توجد قلة في هذا النوع، يا شيخ».

لم يذكر حليم شيئا عن صديقه الجديد لسميرة، اذ كان هذا امرا اراد ان يبقيه لنفسه.

بعد سفر سميرة الى العراق قال دونوفان، الذي كان يصطحب حليم بانتظام ويصبح اكثر

مودة، بانه مضطر للذهاب الى هولندا في رحلة عمل لمدة حوالي عشرة ايام، واعطى حليم بطاقته الشخصية، التي لم تكن الا واجهة خداعة، لكنها تشير الى مكتب فعلي كامل بلافتة وسكرتيرة لئلا يكتشف حليم الامر اذا ما حضر او اتصل هاتفيا، في موقع مهيب بمبنى مجلد قرب شارع الشانزليزيه.

طوال هذا الوقت كان ران (دونوفان) مقيما بالفعل في منزل الامن حيث كان يجتمع بعد كل مقابلة مع حليم برئيس المحطة او بالمسؤول الثاني فيها لتخطيط التحرك التالي، ويكتب التقارير ويقرأ نسخ تسجيلات اجهزة التنصت ويراجع كل سيناريو ممكن.

كان ران يستكشف الطرق الموصلة الى منزل الامن للتأكد من ان لا احد يتعقبه، وفي المنزل كان يبادل وثائقه تاركا فيه جواز سفره البريطاني، ومن التقريرين اللذين كان يكتبهما كل مرة، كان الاول تقرير معلومات يضم تفاصيل محددة عما قيل في الاجتماع.

أما التقرير الثاني، وهو تقرير العمليات، فكان يحتوي على تفاصيل تجيب على اسئلة تبدأ بالكلمات التالية: مَن، ماذا، متى، اين ولماذا؛ ويذكر كل ما كان قد جرى في الاجتماع، ثم يوضع في ملف ويسلم لرسول ينقل الرسائل بين المنازل الامنية والسفارة.

يرسل كل من تقارير المعلومات وتقاريرالعمليات الى اسرائيل على حدة؛ أمّا عن طريق الكمبيوتر او بالطرق الدبلوماسية، كما ان تقارير العمليات يقسم الى مدى ابعد لتجنب انكشاف محتوياته. وقد يقول احد الاقسام: «قابلت المذكور في (انظر المعلومات المذكورة على انفصال)» كما ان قسما آخر قد يحتوي على اسم الموقع، وهكذا. ولكل شخص اسمان رمزيان، رغم انه لا يعرفهما: احدهما للمعلومات والآخر للعمليات.

يهتم رجال الموساد دائما بالاتصالات اكثر من اهتمامهم بأي شيء اخر، ولانهم يعرفون ما يستطيعون عمله، فانهم يعتبرون ان استخبارات الاقطار الاخرى يمكنها عمله كذلك.

بعد ذهاب سميرة غيّر حليم روتينه فأخذ يتوقف في الحي التجاري بعد العمل ليتناول طعامه وحيدا في مطعم او ليحضر فليما سينمائيا؛ وفي احد الايام اتصل هاتفيا بمكتب دونوفان وترك رسالة، وبعد ثلاثة ايام اتصل دونوفان به. كان حليم يود الخروج، فاخذه دونوفان الى ملهى غالٍ حيث حضرا استعراضا مسرحيا، واصر على دفع جميع التكاليف.

كان حليم يشرب الآن واثناء ذلك المساء الطويل تكلم دونوفان باختصار عن صفقة كان يحاول عقدها لبيع حاويات شحن قديمة لاقطار افريقية لتستعمل كوحدات سكنية.

قال دونوفان: «إنهم شديدوا الحاجة للحاويات في بعض هذه الاماكن، فيفتحون فيها فتحات لتكون بمثابة ابواب ونوافذ، ويعيشون فيها. لدي رسالة عن بعضها في طولون استطيع ان اشتريها بابخس الاثمان، وانني ذاهب الى هناك في عطلة نهاية الاسبوع، لماذا لا تأتي معي».

رد حليم قائلا: «من الارجح ان اعيق امورك، فانني لا اعرف شيئا عن التجارة».

-«كلام فارغ، انها رحلة طويلة للذهاب والرجوع واحب ان يكون معي رفيق. سنبيت هناك ونعود يوم الاحد، وعلى اي حال، ما الذي ستفعله في نهاية هذا الاسبوع؟»

كادت خطة المتطوع المحلي ان تفشل لولا ان احد ضباط الموساد اخذ دور «رجل الاعمال» الذي يبيع الحاويات لدونوفان.

بينما كان الرجلان يتماحكان بشأن السعر لاحظ حليم ان احدى الحاويات، التي كانت قد رفعت على رافعة، صدئة في اسفلها (كانت جميع الحاويات صدئة وكانا يرغبان بان يلاحظ حليم ذلك) فأخذ دونوفان جانبا مما مكنه من التفاوض على خصم على حوالي ١٢٠٠ حاوية.

في تلك الليلة على العشاء قام دونوفان باعطاء حليم ١٠٠٠ دولار امريكي نقدا قائلا: «خذ هذه النقود اذ انك وفرت علينا اكثر من هذا المبلغ بملاحظة الصدأ، ان هذا لا يهم الطرف الآخر بالطبع، ولكن بائعها لم يكن يعرف انها صدئة».

لأول مرة بدأ حليم يدرك ان صداقته الجديدة، عدا عن توفيرها الوقت الممتع له، يمكنها ان تكون مربحة، وبالنسبة للموسادالتي تعرفان المال والجنس وشيئا من الحفز النفسي - على انفراد او مع بعضها البعض - يمكن ان تشتري اي شيء تقريبا، فان رجلهم قد وقع في الشرك، وبهذا فقد حان الوقت للبدء بعمل حقيقي مع حليم.

والآن بعد ان عرف دونوفان ان حليم يثق تماما بالقصة التي يتستر وراءها، دعا العراقي لشقته الفاخرة في فندق سوفيتل بوربون في ٣٢ شارع سان دومينيك؛ كما دعا «صيادة» شابة اسمها ماري كلود ماغال. وبعد التوصية على العشاء، اخبر ضيفه بانه مضطر للخروج لمهمة مستعجلة، وترك رسالة تلكسية مزورة على طاولة ليقرأها حليم كتأكيد لقول. قال له: «استمع اليّ، انني آسف لذلك، ولكن تمتع بوقتك، وسأكون على اتصال بك».

وهكذا تمتع حليم «والصيادة» فعلا بوقتهما، وتم تصويرهما ليس بالضرورة لاغراض الابتزاز ولكن لمجرد رؤية ما كان يجري وما سيقوله حليم ويفعله، وكان عالم نفسي اسرائيلي يدقق باستمرار كل نقطة تفصيلية من التقارير التي تكتب عن حليم للعثور على دلالة على اكثر الطرق فعالية للتعامل معه كما كان عالم نووي اسرائيلي جاهزا فيما لو استدعت الضرورة ان يقدم خدماته. وقبل وقت ليس طويلا كانت تلك الضرورة ستستدعيها.

بعد يومين عاد دونوفان واتصل بحليم، وفيما كانا يتناولان القهوة لاحظ حليم بوضوح ان صديقه منزعج من شيء ما.

قال دونوفان: «لدي فرصة لصفقة رائعة من شركة المانية بخصوص بعض الانابيب الخاصة

التي تعمل بالهواء المضغوط وتستعمل لشحن مواد مشعة لاغراض طبية، ان الامر كله تقني جدا، ويتعلق بمبالغ كبيرة من المال، لكنني لا اعرف شيئا عنه، لقد حوّلوني الى عالم انكليزي وافق على فحص الانابيب، والمشكلة انه يريد مبلغا كبيرا جدا، ولست متأكدا من انني اثق به على اي حال، اذ اعتقد انه متواطىء مع الالمان.».

قال حليم: «ربما استطيع ان اساعدك».

-«شكراً ولكنني بحاجة الى عالم لفحص هذه الانابيب».

-«انني عالم».

تظاهر دونوفان بالدهشة وقال: «ماذا تقصد؟ اعتقد انك طالب».

-«كنت مضطرا لأن اخبرك ذلك في اول الامر، لكنني عالم وقد ارسلتني العراق لمشروع خاص، وانا متأكد من ان بإمكاني المساعدة».

كان ران سيقول فيما بعد انه عندما اقر حليم نهائيا بمهنته شعر كما لو كان شخص ما قد نزح جميع الدم من جسمه وضخ جليدا مكانه ثم نزح الجليد وضخ ماء تغلي، فقد اصطادوه، لكن ران لم يستطع ان يسمح لانفعاله بأن يظهر، وكان عليه ان يظل هادئا، وقال:

«استمع اليّ، من المفروض ان اقابل الجماعة في امستردام في عطلة نهاية الاسبوع، وعليّ ان اذهب قبل الموعد بيوم أو يومين، فما رأيك في ان ارسل لك طائرتي النفاثة صباح السبت؟».

وافق حليم على ذلك.

تابع ران كلامه قائلا: «لن تأسف على ذلك وستكسب مبلغا كبيرا اذا كانت هذه الاشياء قانونية».

كانت الطائرة النفاثة، التي دهنت مؤقتا بشعار شركة ران، قد ارسلت من اسرائيل للمناسبه، كما كان مكتب امستردام مملوكا لمتعهد يهودي غني، لم يرد ران ان يقطع الحدود مع حليم اذ لن يستعمل جواز سفره الزائف بل اوراقه الحقيقية، وهي الطريقة المفضلة لتجنب انكشاف الأمر على الحدود.

عندما وصل حليم الى مكتب امستردام بسيارة الركاب المترفة التي استقبلته في المطار، كان الاخرون قد سبقوه الى المكتب وكان «رجلا الاعمال» هما اسحق ثي. وهو ضابط في الموساد، وبنيامين جولد شتاين وهو عالم نووي اسرائيلي يحمل جواز سفر الماني، وكان قد احضر احدى الانابيب كعيّنة ليقوم حليم بمعاينتها.

بعد بعض المباحثات الاولية غادر ران واسحق الغرفة بحجة بحث التفاصيل المالية، تاركين العالمين ليبحثا الامور الفنية، ونظرا لاهتمامهما وخبرتهما المشتركة شعرا بزمالة فورية وسأل

جولد شتاين حليم كيف كان يعرف ما يعرفه عن الصناعة النووية. كانت طلقه في الظلام، لكن حليم، بعد ان سقطت دفاعاته كليا، اخبره عن مهمته.

فيما بعد، عندما قام جولد شتاين بابلاغ اسحق باعتراف حليم، قررا ان يأخذا العراقي غير المرتاب الى العشاء، وكان على دان ان ينتحل عذرا لعدم استطاعته مرافقتهم.

اثناء العشاء تكلم الرجلان باختصار عن خطة قالا انهما يعملان على تنفيذها: محاولة بيع محطات طاقة نووية لاقطار العالم الثالث - لاغراض سلمية بالطبع.

قال اسحق: «ان مشروعكم الخاص بالمحطة سيكون نموذجا مثاليا لنا لبيعه للآخرين. واذا استطعت ان تحصل لنا على بعض التفاصيل والمخططات وما شابه ذلك، فاننا جميعنا سنكسب ثروة طائلة، ولكننا نود ان نبقي الامر سرا بيننا ولا نرغب في ان يعلم به دونوفان اذ سيريد قسماً من الارباح. لدينا الاتصالات ولديك الخبره، ولسنا بحاجة اليه.

قال حليم: «حسنا، ولكنني لست متأكدا تماما، لقد كان دونوفان طيبا معي؛ ومع ذلك، الا تعتقد ان الامر محفوف المخاطر؟».

رد اسحق قائلا: «كلا، لا يوجد خطر، لا بد وانك تصل الى هذه الاشياء، ولا نريدها الا لصنع نموذج، وهذا كل ما في الامر. سندفع لك جيدا، ولن يعلم اي انسان بالامر على الاطلاق. اذ كيف لهم ان يعرفوا؟ ان هذا النوع من الاشياء يحدث طول الوقت».

قال حليم، وكان لا يزال متردداً، لكن توقّع حصوله على المال استهواه: «ولكن ماذا بشأن دونوفان؟ انني اكره ان اعمل ذلك دون علمه».

- «وهل تعتقد انه يطلعك على جميع صفقاته؟ انه لن يعرف عن عملنا شيئا؛ يمكنك ان تظل صديقاً له وتقوم بنشاط تجاري معه؛ ومن المؤكد اننا لن نخبره، لأنه سيريد حصة في الارباح».

الآن اصبح تحت سيطرتهم بالفعل، فالوعد بثروة طائلة كان فعاّلا للغاية، وعلى اي حال، كان شعوره تجاه جولدشتاين جيدا، ولم يكن الامر كما لو كان يساعد في تصميم قنبله. وليس من الضروري ان يعرف دونوفان على الاطلاق، لهذا فكر لنفسه قائلا: «ولماذا لا اوافق؟».

لقد تم انخراطه رسميا في الخدمه، دون ان يدري بذلك - كما هو الحال بالنسبة للعديدين غيره.

دفع دونوفان لحليم مبلغ ٨٫٠٠٠ دولار امريكي لمساعدته في قضية الانابيب، وبعد الاحتفال بفطور - غداء مكلف ووجود فتاة لعوبة في غرفته، اعيد العراقي السعيد الى باريس بالطائرة النفاثة الخاصة.

عند هذا الحد كان من المفرض ان يخرج دونوفان من الصورة كليا، ليريح حليم من الوضع المحرج الذي يضطره لأن يخفي الامور عنه؛ ولبعض الوقت اختفى بعد ان ترك مع حليم رقم هاتف في لندن ليتصل به اذا اراد؛ مدعيا ان لديه صفقة تجارية هناك، وانه ليس متأكدا من المدة التي سيغيبها.

بعد ذلك بيومين التقى حليم برفيقي اعماله في باريس؛ كان اسحق اكثر طُموحاً متقحما من دونوفان واراد مخططا للمحطة العراقية مع تفاصيل عن موقعها وطاقتها والبرنامج الدقيق لإنشائها.

استجاب حليم في اول الامر دون اية مشاكل. علمّه الاسرائيليان كيف ينسخ باستعمال «ورق الورق» وهو نوع خاص من الورق يوضع على الوثيقة التي يراد نسخها، ويُترك فوقه كتاب او شيء آخر لعدة ساعات، فتنقل الصورة للورقة، التي تظل تبدو عاديه، ولكن عند تحميضها يتم الحصول على صورة مقلوبة للوثيقة المنسوخة.

مع تزايد مطالبة اسحق بمعلومات اكثر من حليم، ودفعه مبالغ كبيرة في كل مرحلة، بدأ العراقي يظهر دلائل على ما يعرف بعبارة «رد فعل الجاسوس»: ومضات حارة وباردة، ارتفاع في درجة الحرارة، عدم المقدرة على النوم او الاستقرار - واعراض بدنية حقيقية ناتجه عن الخوف من افتضاح الامر، وكلما توغل المرء في اعمال كهذه كلما ازداد خوفه من عواقب عمله.

ما العمل؟ ان الشيء الوحيد الذي خطر ببال حليم هو الاتصال بصديقه دونوفان، الذي يعرف اشخاصا في مراكز عالية وغامضة.عندما رد دونوفان المكالمة توسل اليه حليم قائلا: «عليك ان تساعدني، انني واقع في مشكلة ولكنني لا استطيع التحدث عنها في الهاتف؛ انني في ورطه وبحاجة لمساعدتك».

طمأنه دونوفان قائلا: «هذا واجب الاصدقاء» واخبره بأنه سيعود من لندن خلال يومين ويقابله في جناح فندق سوفيتل.

بكى حليم قائلا: «لقد خُدعت»، واعترف بجميع الصفقة «السريه» التي عقدها مع الشركة الالمانية في امستردام، «انني آسف، لقد كنتَ صديقا طيبا لي، لكن المال خدعني، ان زوجتي تريدني دائما ان اجني اموالا اكثر، وان احسِّن نفسي، لقد كنتُ انانيا جدا وغبيا جدا؛ ارجو أن تساعدني، اذ انني بحاجة لمساعدتك».

ابدى دونوفان شهامة وقال لحليم: «هكذا هي الاعمال التجارية» لكنه لَمح الى ان الالمانيين ربما كانا في الحقيقة من رجال وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية، فذهل حليم، وقال: لقد اعطيتهم كل ما عندي (مما ابهج ران كثيرا) ومع ذلك يضغطون علي للمزيد».

قال دونوفان: «دعني افكر بالموضوع، انني اعرف بعض الناس، وعلى اي حال، لست اول شخص يخدعه المال فلنسترح ونتمتع بوقتنا، ان هذه الاشياء قلما تكون رديئة كما تبدو عندما ننصرف اليها».

في تلك الليلة خرج دونوفان وحليم للعشاء والمشروب، ثم احضر له دونوفان غانية اخرى وقال ضاحكا: «انها ستهدىء اعصابك».

حقا انها ستقوم بذلك؛ لم تمر الا خمسة شهور منذ بدء العملية، وهي خطى سريعة لهذا النوع من الاعمال، ولكن بوجود مخاطر كبيرة كهذه فقد كانت السرعة تعتبر ضرورية، ومع ذلك فان الحذر كان كلمه السر في هذه المرحلة، ونظرا لان حليم كان مذعورا ومتوتر الاعصاب فقد كان من الضروري ان يعامل بلطف.

بعد جلسة طويلة حامية اخرى في منزل الأمن تقرر ان يعود ران الى حليم ويخبره بـأن العملية كانت عملية وكالة الاستخبارات المركزية.

بكى حليم قائلا: : «سوف يشنقونني، سوف يشنقونني».

رد دونوفان قائلا: «كلا لن يقوموا بذلك، ليس الامر كما لو كنت تعمل للاسرائيليين، ليس الامر بهذه الرداءة. وعلى اي حال، من سيعرف بالأمر؟ لقد عقدتُ صفقة معهم؛ انهم بحاجة الى معلومة اخرى ثم يتركونك وشأنك».

- «ماذا؟ ما الذي استطيع ان اعطيهم اياه زيادة على ما اعطيتهم؟».

- «حسنا ، ان الامر لا يعني شيئا لي، لكنني افترض انك تعرف عنه» قال دونوفان مخرجا ورقة من جيبه، «انهم يودون ان يعرفوا كيف سترد العراق عندما تعرض عليه فرنسا استبدال المادة المخصبة بِ - ما اسمه - الكراميل؟ اخبرهم ذلـك ولن يضايقـوك ثانيـة، ليست لهم رغبة في إيذائك، بل يريدون المعلومة فقط».

اخبره حليم ان العراق يريد اليورانيوم المخصب، ولكن على اي حال فان يحيى المشد، وهو عالم فيزيائي مصري المولد، سيصل خلال بضعة ايام ليتفقد المشروع ويقرر هذه الامور نيابة عن العراق.

- «نعم، نعم، سيقابل جميع العاملين بالمشروع».

- «حسناً، ربما استطعت الحصول على هذه المعلومه، وعندها ستنتهي مشاكل».

بدا حليم مرتاحا الى حد ما، وفجأة كان مستعجلا للمغادرة، وبما انه كان يملك النقود الآن، فانه كان يجتمع بغانية، صديقة لماري كلود ماغال، كانت تعتقد انها توصـل المعلومات للشرطه المحلية - لكنها في الواقع كانت تعطيها للموساد مقابل دفعات سخية، والحقيقة انه عندما

قام حليم بابلاغ ماغال انه يود ان يكون زبونا منتظما، اعطته اسم صديقتها، بناء على اقتراح دونوفان.

اصر دونوفان الان على ان يرتب حليم جلسة عشاء مع المشد في مطعم صغير، حيث يأتي دونوفان «بالصدفة».

في المساء المحدد، تظاهر حليم بالدهشة لقدوم دونوفان وقدّمه الى المشد، الذي كان حذرا بطبعه ولم يرد، الا بعبارة ترحيب مؤدبه واقترح ان يعود حليم الى المائدة عندما ينهي الحديث مع صديقه. كان حليم متوتر الاعصاب الى حد منعه حتى من فتح موضوع الكراميل مع المشد، ولم يُبد العالم اي اهتمام على الاطلاق بقول حليم بأن صديقه دونوفان يستطيع شراء اي شيء تقريبا، وانه قد يفيدهم في يوم من الأيام.

فيما بعد في تلك الليلة اتصل حليم بدونوفان واخبره بأنه قد فشل في الحصول على اي شيء من المشد، وفي الليلة التالية واثناء اجتماعهما في جناح الفندق، تمكن دونوفان من اقناع حليم بأنه اذا حصل على برنامج الشحنات من محطة سارسيل الى العراق فان ذلك سيرضي وكالة الاستخبارات المركزية ويبعدها عن قضيته.

وبحلول هذا الوقت كانت الموساد قد علمت من عميل «ابيض» يعمل في وزارة المالية الفرنسية ان العراق لم يقبل أبداً ابدال اليورانيوم المخصب بالكراميل، ومع ذلك فان المشد، المسؤول عن كامل المشروع العراقي، قد يكون «مجندا» قيّما فيما لو وجدت طريقة لذلك.

عادت سميرة من العراق لتجد زوجها قد تغيّر. ادعى بانه قد حصل على ترقية وزيادة في الراتب، واصبح اكثر رومانسية وبدأ يأخذها الى المطاعم، بل انهما فكرا حتى بشراء سيارة.

رغم ان حليم كان عالما ذكيا الا انه لم يكن حكيماً في الامور الدنيوية؛ وفي احدى الليالي بعد عودة زوجته بوقت قصير، أخبرها عن صديقه دونوفان وعن مشاكله مع وكالة الاستخبارات المركزية، فاستشاطت غضباً وقالت مرتين اثناء تعنيفها له بانهم ربما كانوا من رجال الامن الاسرائيليين لا من وكالة الاستخبارات المركزية.

صرخت قائلة: «ولماذا يهتم الامريكيون؟ ومن غير الاسرائيليين وزوجتك الحمقاء يهتم بالتحدث معك؟».

ومع كل ذلك لم تكن حمقاء.

كانت سيارتا شحن تنقلان من مصنع «دوسو بريكيه» محركات لطائرات الميراج المقاتلة الى حظيرة في بلدة لاسين سور مير الواقعة قرب طولون في الرفييرا في الخامس من نيسان (ابريل) ١٩٧٩ ولم يفكر سائقاهما بشيء فيما يتعلق بشاحنة ثالثة انضمت اليهما في الطريق.

في تحريف عصري لحادثة حصان طروادة كان الاسرائيليون قد اخفوا فريقا من خمسة مخربين وعالما نوويا، وجميعهم مرتدون ملابس شارع اعتيادية، داخل حاوية معدنية ضخمة ليندسوا الى منطقة الأمن كجزء من رتل الشاحنات الثلاث بناء على معلومات تم الحصول عليها من حليم، كانوا يعرفون ان الحراس يهتمون بالبضائع الخارجة من العنابر اكثر من اهتمامهم بالبضائع الداخلة اليها، ومن المحتمل الا يفعلوا شيئا اكثر من الاشارة لرتل السيارات بالدخول، وعلى الأمل كان الاسرائيليون يعتمدون على ذلك، وكان الفيزيائي النووي الذي معهم قد ارسل من اسرائيل لكي يحدد بالضبط مكان زرع الشحنات المتفجرة في قلوب المفاعل النووي المخزون، الذي تطلب صنعه ثلاثة اعوام، للتوصل الى اقصى حد من الدمار.

كان احد الحراس المناوبين موظفا جديدا لم يمضِ على وجوده في مركزه الا بضعة ايام، لكنه كان قد احضر اوراق اعتماد لا غبار عليها بحيث لم يخطر ببال احد بأنه اخذ مفتاح قاعة التخزين حيث كانت المعدات المتوجهة الى العراق تنتظر الشحن خلال بضعة ايام.

بناء على نصيحة العالم الفيزيائي الحاذقة، وضع الفريق الاسرائيلي خمس شحنات بلاستيكية متفجرة في مواضع ستراتيجية على قلوب المفاعل.

وبينما كان الحراس واقفين على بوابات المصنع لفت انتباههم فجأة صخب في الشارع امامهم، حيث ظهر ان فتاة جذابة قد مستها سيارة عابرة، لم يظهر انها تضررت كثيرا، ومن المؤكد ان اوتارها الصوتية لم تصب بأذى اذ انها اخذت تصرخ ببذاءة على السائق المرتبك.

وبهذا الوقت كان قد تجمع لمشاهدة الحادث جمهور صغير، يشتمل على المخربين الذين كانوا قد تسلقوا سياجا خلفيا ثم داروا حوله الى الامام، وبعد ان قام احد المخربين بتفحص الجمهور للتأكد من ان جميع الحراس الفرنسيين بعيدون عن الخطر، قام بهدوء بتفجير فتيل اشعال معقد بجهاز محمول باليد، مدمرا ستين بالمئة من مكونات المفاعل، ومسببا خسائر تبلغ ٢٣ مليون دولار، ومؤخرا خطط العراق لعدة شهور. ولكن مما يدعو الى العجب انه لم يلحق اضرارا بالمعدات الأخرى المخزونة في الحظيرة.

عندما سمع الحراس الانفجار خلفهم اندفعوا فورا نحو الحظيرة المعينة، وعندما قاموا بذلك ابتعدت سيارة «الحادث» بينما قام المخربون والفتاة «المصابة»، والذين كانوا مدربين على هذا النوع من الحوادث، بالاختفاء بهدوء في عدد من الشوارع الجانبية.

احرزت المهمة نجاحا تاما، اذ اخرّت خطط العراق تاخيرا خطيرا واربكت الزعيم صدام حسين.

ادعت منظمة بيئية لم يسمع بها من قبل دعت نفسها «مجموعة انصار البيئة الفرنسيين» مسؤوليتها عن الحادث رغم ان الشرطة الفرنسية نفت الادعاء، لكن تكتم الشرطة بشأن اخبار

التحقيقات في ذلك الحادث التخريبي جعل الصحف تنشر قصصا حدسية عمن كان المسؤول عنه، فقالت صحيفة «فرانس سوار» مثلا ان الشرطة تشتبه بأن «يساريين متطرفين» قاموا به بينما قالت «الماتان» ان الفلسطينيين الموالين لليبيا هم المسؤولون عنه، اما «لوبوان» الاسبوعية فقالت ان مكتب التحقيقات الفدرالية (الامريكية) مسؤول عنه.

أما آخرون فقد أتهموا الموساد، لكن مسؤولا اسرائيليا حكومياً كذّب الاتهام قائلاً انه اتهام «لا سامّي».

عاد حليم وسميرة بعد منتصف الليل بوقت طويل، بعد ان تناولا عشاء متمهلا في مطعم صغير، فتح حليم الراديو، آملاً ان يسمع بعض الموسيقى المهدئة قبل النوم، ولكن ما سمعه في الواقع كان خبر الانفجار، فذعر.

بدأ يتراكض في الشقة ويلقي بالأشياء عشوائيا، ويصرخ بالكثير من الكلام السخيف.

صرخت سميرة فوق الضجيج: «ما الذي جرى لك؟ هل جننت؟»

صاح قائلاً: «لقد نسفوا المفاعل، لقد نسفوه، والآن سوف ينسفونني كذلك.».

اتصل هاتفيا بدونوفان.

وخلال ساعة اتصل به دونوفان قائلاً: «لا تعمل أي شيء سخيف، حافظ على هدوئك، فلن يستطيع أحد ان يجد علاقة بينك وبين الحادث؛ قابلني في الجناح ليلة الغد».

كان حليم لا يزال يرتجف عندما وصل لاجتماعهما، ولم يكن قد نام او حلق، فظهر مرعبا.

قال بأنين: «والآن ينوي العراقيون ان يشنقوني، وسيسلمونني للفرنسيين، الذين سيقطعون رأسي بالمقصلة»

رد عليه دونوفان: «لا علاقة لك بالأمر، فكّر به، لا احد لديه أي سبب لأن يلومك».

-«ان هذا امر رهيب، رهيب. هل من الممكن ان يكون الاسرائيليون وراء الحادث؟ ان سميرة تعتقد ذلك، هل من المحتمل ان يكون الأمر كذلك؟».

-«تمالك اعصابك يا رجل؛ ما الذي تتحدث عنه؟ ان الناس الذين اتعامل معهم لا يعملون شيئا كهذا. من المحتمل ان يكون الأمر نوعا من التجسس الصناعي، اذ توجد منافسة كبيرة في هذا الميدان، لقد اخبرتني هذا بنفسك».

قال حليم انه سيعود الى العراق، وان زوجته تريد ان تذهب على أي حال؛ فقد قضى وقتا كافيا في باريس ويريد ان يبتعد عن اولئك الناس، الذين لن يلحقوا به الى هناك.

أمل دونوفان ان يبعد فكرة التورط الاسرائيلي عن ذهن حليم فتابع نظرية التخريب

الصناعي، واخبر حليم أنه اذا اراد حياة جديدة بالفعل، يمكنه الاتصال بالاسرائيليين. وذلك لسببين:

الابتعاد عمن يشتبه بهم، ومحاولة الالتحاق وجاهيا بخدمة الاسرائيليين. وقال:

«انهم سيدفعون سيعطونك هوية جديدة وسيحمونك، وسيحبون ان يعرفوا ما تعرفه عن المحطة».

-«كلا، لا استطيع ذلك، لن أتعاون معهم، وسأعود الى وطني».

وعاد بالفعل..

كان المشد لا يزال مشكلة، وبصفته واحداً من العلماء العرب القليلين. وذا نفوذ يبعث على الاحترام في المجال النووي ومقربا من السلطات العسكرية والمدنية العراقية العليا. فقد كانت الموساد لا تزال تأمل في تجنيده، ولكن رغم مساعدة حليم غير المعتمدة، الا ان عدة اسئلة رئيسية ظلت بدون اجابة.

في السابع من حزيران (يونيو) ١٩٨٠ قام المشد بواحدة من رحلاته المتكررة لباريس، هذه المرة ليعلن بعض القرارات النهائية بشأن الصفقة. وخلال زيارة لمصنع سارسيل قال للعلماء الفرنسيين: «اننا نسجل صفحة جديدة في تاريخ العالم العربي»، وهذا بالضبط ما كان يقلق اسرائيل. كان الاسرائيليون قد اعترضوا تلكسات تذكر بالتفصيل برنامج سفر المشد والمكان الذي سينزل فيه (الغرفة ٩٠٤١ في فندق مريديان) مما سهّل عليهم وضع اجهزة التنصت في غرفته قبل وصوله.

ولد المشد في بنها بمصر في الحادي عشر من كانون الثاني (يناير) ١٩٣٢ وكان عالما جدياً لامعاً، كما كان شعره الكثيف الأسود يتراجع بصورة ملحوظة، وذكر جواز سفره انه محاضر في قسم الهندسة الذرية في جامعة الاسكندرية.

في مقابلات صحفية مع جريدة مصرية فيما بعد قالت زوجته زينب انها وزوجها واطفالهما الثلاثة (بنتان وصبي) كانوا على وشك المغادرة لقضاء اجازة في القاهرة وان زوجها كان بالفعل قد اشترى تذاكر الطائرة عندما هاتفه مسؤول من مصنع سارسيل، وانها سمعت زوجها يقول: «ولماذا أنا؟ يمكنني ان ارسل خبيراً» واضافت انه منذ تلك اللحظة اصبح غاضبا وعصبي المزاج، وكانت تعتقد ان عميلا اسرائيليا في الحكومة الفرنسية قد نصب له فخا، «كان هناك خطر بالطبع، لكنه كان يقول لي انه سيتم مهمته بايجاد القنبلة حتى ولو اضطر لأن يضحي بحياته في سبيل ذلك.».

أما القصة الاخبارية الرسمية التي اصدرتها السلطات الفرنسية لوسائل الاعلام فهي ان غانية بادرته بالكلام في المصعد وهو صاعد الى غرفته في الطابق التاسع حوالي الساعة السابعة مساء

يوم الثالث عشر من حزيران (يونيو) ١٩٨٠، وكان ذلك اليوم عاصفا، كانت الموساد تعرف انه متورط في نزوات جنسية، وان غانية لقبها ماري اكسبرس كانت تسليه بانتظام، وكان عليها ان تحضر حوالي الساعة السابعة والنصف. كان اسمها الحقيقي ماري كلود ماغال وهي التي كان ران قد ارسلها اولا لحليم. ورغم انها عملت الكثير للموساد الا ان احدا لم يخبرها من كان مستخدموها، وطالما انهم كانوا يدفعون، فانها لم تهتم.

كما كانت الموساد تعلم انه عنيد وليس سهل الانخداع كحليم، وبما انه كان سيبقى بضعة ايام اخرى فقط فقد تقرر الاتصال به مباشرة، وقال اربل:

«اذا وافق، استخدمناه، واذا لم يوافق، فانه سيموت».

لم يوافق.

أُرسل يهودا غل وهو ضابط يتكلم العربية، الى باب المشد قُبيل وصول ماغال. فتح المشد الباب فتحة ضيقة مكنتة من القاء نظرة خاطفة، لكنه ابقاه مربوطا بالسلسلة وقال بحدة: من أنت؟ وماذا تريد؟»

-«انني من سلطة تدفع نقودا كثيرة للحصول على اجوبة».

-«اذهب عني ايها الكلب، والا اتصلت بالشرطة».

وهكذا ذهب غل، والحقيقة انه طار فورا الى اسرائيل، لئلا يرتبط بمصير المشد.

اما بالنسبة للمشد فقد لاقى مصيرا مختلفا.

انتظرت استخبارات اسرائيل الى ان اتمت ماغال زيارتها للمشد، وبعد ساعتين، وبينما كان المشد نائما، تسلل رجلان بهدوء الى شقته بمفتاح خاص وذبحاه، وفي صباح اليوم التالي وجدت احدى خادمات الفندق جثته منتقعة بالدماء. كانت قد جاءت عدة مرات لكن يافطة «الرجاء عدم الازعاج» ثبطت عزمها، واخيرا قرعت الباب ولما لم تسمع جوابا، دخلت الغرفة.

قالت الشرطة الفرنسية في ذلك الوقت ان محترفين قد اقترفوا الجريمة، اذ لم يؤخذ شيء، لا نقود ولا وثائق. لكن منشفة عليها آثار احمر الشفاه وجدت على ارضية الحمام.

صعقت ماغال عندما سمعت خبر الجريمة، وعلى اي حال، كان المشد حيا عندما تركته، ومن ناحية لكي تحمي نفسها، ومن ناحية اخرى لانها كانت مشبوهة، فقد ذهبت للشرطة وذكرت بان المشد كان غاضبا عندما وصلت يتكلم بصخب عن رجل اتصل به قبل ذلك بقليل واراد ان يشتري معلومات.

اسرّت ماغال بتصرفاتها لصديقتها، «صديقة» حليم السابقة، والتي بدورها، ودون قصد، نقلت المعلومات لأحد وسطاء الاتصالات بالموساد.

في ساعة متأخرة من ليلة الثاني عشر من تموز (يوليو) ١٩٨٠ كانت ماغال تسير في شارع سان جيرمان عندما قام رجل في سيارة مرسيدس سوداء بايقافها، وطلب من ماغال ان تجلس قرب السائق.

لم يكن شيء غير اعتيادي في الأمر، ولكن عندما بدأت ماغال تتحدث مع «زبونها» المحتمل، انطلقت سيارة مرسيدس سوداء اخرى من عند الرصيف بسرعة فائقة، وفي اللحظة المناسبة قام سائق السيارة المتوقفة بدفع ماغال بقوة، مما اوقعها في طريق السيارة القادمة، فقتلت على الفور، وعندها انطلقت السيارتان في ليل باريس.

***

في حين تم اغتيال ماغال والمشد من قبل الموساد، الا ان المكائد الداخلية التي ادت الى موتهما كانت بالطبع مختلفة اختلافا دراميا.

اولا ماغال: كان القلق بشأنها يتزايد في الرئاسة بتل ابيب بتتابع وصول التقارير المختلفة من الميدان، وفك رموزها وتحليلها، وقد اتضح انها ذهبت للشرطة وقد تخلق صعوبات خطيرة.

كان من المفروض ان يمر هذا القلق بالسلّم الاداري ويصل في نهاية الامر الى مكتب رئيس الموساد حيث يتخذ القرار النهائي ب «شطبها».

اما اغتيالها فكان من فئة الضرورات الخاصة بالعمليات، من نوع الموقف الذي ينشأ اثناء العمليات حيث يجب ان تتخذ القرارات بسرعة، نسبيا، بناء على ظروف القضية الدقيقة.

اما قرار اعدام المشد فقد صدر عن نظام داخلي شديد السرية ينطوي على «قائمة اعدام» ويتطلب موافقة شخصية من رئيس وزراء اسرائيل.

ان عدد الاسماء في تلك القائمة يختلف اختلافا كبيرا، من واحد او اثنين فقط الى مئة او ما يقارب ذلك، بناء على نطاق النشاطات الارهابية المعادية لاسرائيل.

يقدم رئيس الموساد لمكتب رئيس الوزراء طلبا لوضع اسم شخص في قائمة المحكوم عليهم بالموت؛ لنفرض مثلا ان هجوما ارهابيا وقع على هدف اسرائيلي - وبالمناسبة نذكر ان ذلك لا يعني بالضرورة ان الهدف يجب ان يكون يهوديا. قد يكون هجوما على مكتب العال في روما مثلا، يقتل فيه عدد من المواطنين الايطاليين، لكنه يشكل هجوما على اسرائيل اذ كان القصد منه تثبيط عزيمة الناس على استعمال طائرات العال، وهي شركة خطوط جوية اسرائيلية.

لنفرض ان الموساد تأكدت من ان احمد جبريل كان المذنب الذي امر بالهجوم و/ او نظّمه، عندها توصي مكتب رئيس الوزراء بوضع اسمه في القائمة، فيقوم رئيس الوزراء بدوره بارسال التوصية الى لجنة قضائية خاصة؛ وهي سرية جدا بحيث لا تدري حتى المحكمة العليا بوجودها.

تقوم اللجنة، التي تشكل محكمة عسكرية، بمحاكمة المتهم غيابيا، وتتكون من موظفي استخبارات وعسكريين وموظفين من وزارة العدل، وتعقد جلساتها في مواقع مختلفة ـ احيانا في منزل شخصي. وكل قضية يتم تغيير الاشخاص ومكان المحاكمة.

يعين محاميان للقضية، يمثل احدهما الدولة او الادعاء العام كما يمثل الاخر الدفاع رغم ان المتهم لا يعلم شيئا عن العملية برمتها. ثم تقرر المحكمة على اساس البيانات المقدمة فيما اذا كان الرجل ـ جبريل في هذه الحالة ـ مذنبا بما نسب اليه ام لا. واذا وجد مذنبا ـ وفي هذه الحالة يوجد المتهمون عادة مذنبين ـ تستطيع المحكمة ان تأمر بشيئين: اما احضاره الى اسرائيل لمحاكمته في محكمة نظامية، او، اذا كان ذلك بالغ الخطورة او مستحيلا، اعدامه في اول فرصة ممكنة.

لكن رئيس الوزراء يجب ان يوقع على قرار الاعدام قبل تنفيذه، ويتغير العُرف بناء على من يكون رئيسا للوزراء، اذ ان بعضهم يوقع الوثيقة مسبقا، بينما يصر الاخرون على ان يتقرر سلفا فيما اذا كان التنفيذ سيخلق اية صعوبات سياسية في وقت معين ام لا.

وعلى اي حال، فان من اولى مهام اي رئيس جديد لوزراء اسرائيل هي ان يقرأ «قائمة الاعدام» ويقرر فيما اذا كان سيوقع بالحروف الاولى كل اسم فيها.

* * *

في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاحد السابع من حزيران (يونيو) ١٩٨١، وكان يوما مشمسا صافيا، انطلقت ٢٤ طائرة امريكية الصنع من طرازي F15 و F13 من بئر السبع (وليس من ايلات، كما ذكر على نطاق واسع، اذ انها مجاورة للرادار الاردني) في رحلة غادرة مدتها تسعون دقيقة ومسافتها ٦٥٠٥ ميلا عبر اقطار معادية، الى التويثة، خارج بغداد، معتزمة نسف المحطة النووية العراقية وارسالها للدنيا الآخرة.

كان يرافقها ما بدا وكأنه طائرة تجارية ايرلندية (يؤجر الايرلنديون طائراتهم لأقطار عربية) وبهذا ما كانت لتبدو في غير محلها، لكنها كانت بالحقيقة طائرة اسرائيلية من طراز بوينغ ٧٠٧ تستعمل للتزويد بالوقود في الجو. ظلت الطائرات المقاتلة في تشكيلة متقاربة تطير البوينغ تحتها لكي تظهر جميعها وكأنها طائرة واحدة ـ طائرة مدنية في مسار مدني. كانت الطائرات المقاتلة تطير «صامتة» اي دون ان ترسل اية رسائل، لكنها كانت تتلقاها من طائرة اتصالات حربية الكترونية مساندة، كانت تستخدم ايضا للتشويش على اشارات اخرى، ومنها اشارات اجهزة الرادار المعادية..

في منتصف الطريق تقريبا، وفوق المنطقة العراقية، قامت البوينغ بتزويد الطائرات المقاتلة بالوقود (كانت رحلة الذهاب والعودة طويلة جدا ولا يمكن اتمامها دون التزود بالوقود، ولم يستطع الاسرائيليون المخاطرة بذلك بعد الهجوم اذ قد تلاحقهم الطائرات المعادية ولذلك تم التزويد الوقح بالوقود فوق العراق

مباشرة) وبعد ذلك انفصلت البوينغ عن التشكيلة، ورافقتها مقاتلتان للحماية، وعبرت سوريا الى الشمال الغربي وهبطت في قبرص كما لو كانت في رحلة تجارية متنظمة، ظلت المقاتلتان مع البوينغ الى ان غادرت المنطقة المعادية، ثم عادتا الى قاعدتهما في بئر السبع.

وفي اثناء ذلك تابعت بقية المقاتلات رحلتهـا، مسلحة بصـواريخ سـايد وايـنـدر (الافقيـة ذات الاجراس) وقنابل حديد «والقنابل راكبة الليزر» التي تزن الواحدة منها ٢٠٠٠ رطل وتـركب الاشعة مباشرة نحو الهدف.

بفضل المعلومات التي كان قد تم الحصول عليها من حليم، فقد كان الاسرائيليون يعرفون بالضبط اين يضربون ليوقعوا اكبر ضرر ممكن، وكان مفتاح ذلك انزال القبة على قلب المحطة، كما كان هناك مقاتل اسرائيلي حاملا مرشدا لاسلكيا يرسل اشارات قوية متكررة على ذبذبة محددة مسبقا لارشاد المقاتلات الى هدفها.

توجد اساسا طريقتان للعثور على هدف ما، اولهما مقدرتك على رؤيته بعينيك ولكن لكي تستطيع ذلك بسرعة تتجاوز ٩٠٠ ميل في الساعة، يجب ان تعرف المنطقة جيدا خاصة لهدف صغير نسبيا، انك تسترشد بالمناظر الطبيعية لكنك يجب ان تعرف الارض وتتعرف على معالم محـددة، ومن الواضـح ان الاسرائيليين لم تتح لهم الفرصة للتمرن على مناوراتهم فوق بغداد، على انهم كانوا قد تدربوا فوق اراضيهم على نموذج للمحطة، قبل التوجه لمهاجمة الهدف الحقيقي.

والطريقة الاخرى للعثور على هدف هي وجود جهاز ارشادلاسلكي ،اداة توجيه آلية؛ كان لديهم جهاز خارج المحطة، ولكن من اجل التأكد التام فقد طُلب من دميان شازبييه وهو فني فرنسي كانت الموساد قد جندته، ان يضع حقيبة يدوية تحتوي على جهاز ارشاد لاسلكي داخل المبنى، ولاسباب مجهولة تسكع في الداخل واصبح الضحية البشرية الوحيد للهجوم الاستثنائي.

في الساعة السادسة والنصف بعد الظهر حسب توقيت العراق ارتفعت الطائـرات من المستوى المنخفض الذي كانت تطير عليه (لتجنب الرادار) بحيث كان باستطاعة من فيها مشاهدة الفلاحين في الحقول المجاورة، الى علو ٢٠٠٠ قدم قبل الوصول الى الهدف تماما.

جرى ارتفاعها بسرعة فائقة اعيت رادار المدافعين كما ان الشمس التي كانت تغيب خلف المغيرين اعمت العراقيين الذين كانوا خلف حلقة من المدافع المقاومة للطائرات، ثم انقضت الطائرات بسرعة فائقة الواحدة تلو الاخرى، بحيث كان كل ما لدى العراقيين الوقت لعمله هـو اطلاق مـدافعهم المقاومـة للطائرات دون ان يحدثوا اية اضرار، لكن لم تطلق صواريخ «سام» ولم ترسل طائرات عراقيـة لتطارد الطائرات المغيرة التي استدارات وتوجهت الى اسرائيل على ارتفاع اعلى، وبطريق اقصر فوق الاردن بعد ان فرقت احلام صدام حسين في تحويل العراق الى قوة نووية.

اما بالنسبة للمحطة فقد دمرت، فالقبة الضخمة التي كانت تغطي المفاعل ازيلت من اساساتها كما ان جدران المبنى المسلحة تسليحا قويا تناثرت، اما المبنيان الرئيسيان الاخران، الحيويان للمحطة، فقد اتلفا كثيرا، كما ان شريط الفيديو الذي سجله الطيارون الاسرائيليون واروه فيما بعد للجنة برلمانية اسرائيلية اظهر قلب المفاعل وهو يتفسخ ويقع في بركة التبريد.

كان بيغن قد عيّن موعد الضربة بحيث تتم في اواخر نيسان (ابريل) بناء على معلومات من الموساد تقول بان المفاعل سيكون شغّالا بحلول اول تموز (يوليو)، لكنه اجلها بعد ان نشرت الصحف قصصا اخبارية تقول بان وزير الدفاع السابق عيزر وايزمن اخبر اصدقاءه بان بيغن كان يعد عملية محفوفة بالمخاطر قبل الانتخابات».

كما ان تاريخا اخر للقيام بالعملية، وهو العاشر من ايار (مايو)، اي قبل سبعة اسابيع تماما من موعد الانتخابات الاسرائيلية في ٣٠ حزيران (يونيو) تم التخلي عنه كذلك عندما ارسل زعيم حزب العمال شمعون بيريز الى بيغن رسالة «شخصية» و «سرية للغاية» يقول فيها انه يجب ان «يتخلى» عن الهجوم لأن استخبارات الموساد «ليست واقعية» كما تنبأ بيريز ان الهجوم قد يعزل اسرائيل «مثل شجرة في الصحراء».

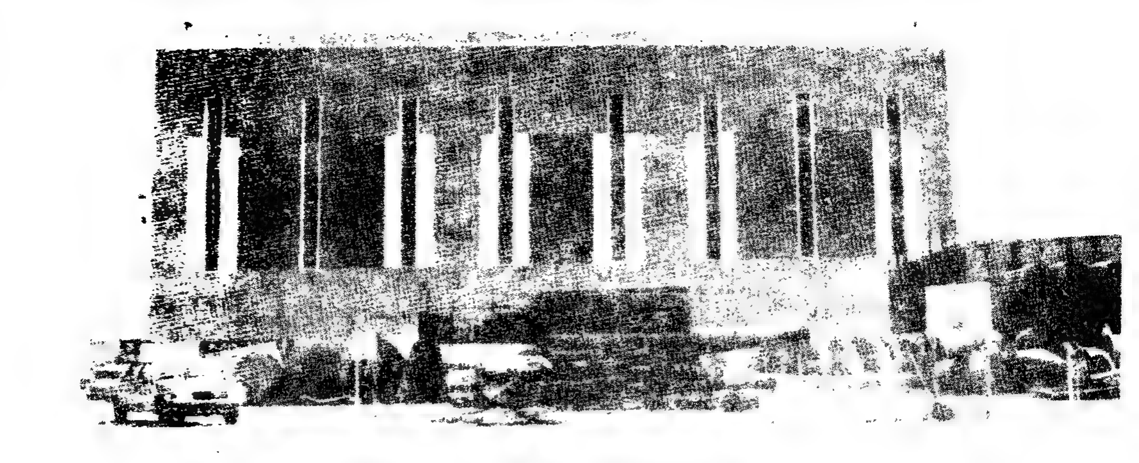
* * *

بعد ثلاث ساعات تماما من انطلاق المقاتلات وصلت بامان عائدة الى اسرائيل. وكان بيغن ينتظر اخبارا منذ ساعتين في منزله بشارع سمو لنسكن بحضور جميع اعضاء وزارته.

قُبيل الساعة السابعة مساء اتصل الجنرال رفائيل ايتان، القائد العام للجيش الاسرائيلي، ببيغن واخبره ان المهمة قد انجزت (كانت المرحلة النهائية تدعى «بابل») وان جميع الاشخاص قد عادوا بسلام.

يقال ان بيغن قال بالعبرية ما معناه: «تبارك الله». على ان رد فعل صدام حسين المباشر لم يسجل علناً.

* * *



المخزن الفرنسي الذي احتوى الرؤوس النووية المرسلة الى العراق. تفجرت شبابيكه في نيسان ابريل ١٩٧٩ كتحذير من اسرائيل قبل ضرب المفاعل النووي العراقي قرب بغداد.

الفيلا التونسية التي كان يسكنها القائد الفلسطيني ابو جهاد (خليل الوزير) حيث قام فريق من الموساد باغتياله في نيسان ـ ابريل ١٩٨٨.

الفصل الأول
التجنيد

في اواخر نيسان (ابريل) ١٩٧٩ كنت قد عدت للتو الى تل ابيب بعد مهمة تحت الماء استغرقت يومين عندما ناولني قائدي البحري أمرا يقضي بأن احضر اجتماعا في قاعدة شاليشوت العسكرية في اطراف رامات غان، احدى ضواحي تل ابيب.

كنت آنذاك نقيبا، رئيسا لفرع فحص انظمة الاسلحة في قسم عمليات الاسطول الاسرائيلي بمقر قيادته في تل ابيب.

ولدت في ادمونتون بولاية البرتا (بكندا) في الثامن والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٩، وانفصل والداي عندما كنت طفلا؛ كان ابي قد خدم في سلاح الجو الملكي الكندي خلال الحرب العالمية الثانية وقام بعدة مهام طيران فوق المانيا بطائرته القاذفة من طراز لانكستر، وبعد الحرب تطوع في حرب استقلال اسرائيل برتبة نقيب، وكان قائداً لقاعدة «سِيد دوف» الجوية في الاطراف الشمالية لتل ابيب.

كما ان والدتي الاسرائيلية كانت قد خدمت بلادها خلال الحرب بقيادة سيارات شحن الامدادات للبريطانيين من تل ابيب الى القاهرة، وفيما بعد نشطت في المقاومة الاسرائيلية «الهاغانا». وبصفتها معلمة اخذتني معها الى لندن ـ اونتاريو، ولفترة قصيرة بعد ذلك الى مونتريال، واخيرا الى حولون وهي مدينة قرب تل ابيب، عندما كنت في السادسة، وكان ابي قد هاجر من كندا الى الولايات المتحدة.

كانت امي ستعود الى كندا ثانية، ولكن عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري، عدنا الى حولون. ثم عادت والدتي اخيرا الى كندا لكنني بقيت في حولون مع والديْ والدتي، حاييم واستر مارغولين، اللذين كانا قد فرّا من مذابح روسيا المدبرة، غير ان ابنا آخر لهما كان قد قتل في احدى المذابح، وفي اسرائيل رزقا بطفلين آخرين، ابن اسمه مازا وابنة اسمها ميرا، والدتي. كانا روادا حقيقيين في اسرائيل؛ وكان جدي محاسباً، ولكن الى ان تمكن من اخراج اوراقه الثبوتية من روسيا عمل في غسل ارضيات الوكالة اليهودية الموحدة، واخيرا اصبح كبير مدققي حساباتها، وكان محترما جدا.

نشأت صهيونيا؛ كان خالي مازا في وحدة النخبة من جيش ما قبل انشاء الدولة «ذئاب شمشون» وخدم اثناء حرب الاستقلال.

كان جدآي مثاليين جدا، وكانت فكرتي الخاصة عن اسرائيل اثناء نشأتي هي انها بلاد الحليب والعسل، وانها تستحق كل الصعوبات التي نتحملها في سبيلها، وكنت اعتقد انها بلاد لا يمكن ان تخطىء وانها لن توقع الشر بالآخرين، وستكون مثالا لجميع الامم لتراه وتتبعه، واذا وُجد اي خطأ مالي او سياسي في البلاد كنت اتصور دائما انه في الدرجات الدنيا من الحكومة ـ لدى الموظفين المكتبيين الذين سيقومون في نهاية الأمر باصلاح اخطائها. اساسياً كنت اعتقد ان هناك اشخاصا عظاما يحمون حقوقنا، مثل بن غوريون، الذي كنت اعجب به حقا. نشأت اعتبر بيغن شخصا لا اطيقه، ميالا للحرب والعدوان؛ وحيث نشأت كان التسامح السياسي هو القاعدة الرئيسيه، وكان العرب يُعتبرون من بني البشر. وُجد سلام بيننا وبينهم من قبل، وسيوجد سلام مثله في نهاية الامر، كانت تلك فكرتي عن اسرائيل.

قبل بلوغي الثامنة عشرة من عمري بقليل انخرطت في الجيش لاداء الخدمة الالزامية لثلاثة اعوام، وبرزت ملازما ثانيا في الشرطة العسكرية بعد تسعة اشهر، وكنت آنذاك أصغر الضباط سنا في المؤسسة العسكرية الاسرائيلية.

عملت اثناء خدمتي عند قناة السويس وفي مرتفعات الجولان وعند نهر الاردن.

عندما انتهت خدمتي في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١، عدت الى ادمونتون لمدة خمسة اعوام وعملت في مهن مختلفة من الاعلان الى ادارة متجر للسجاد في مركز لندندري التجاري بالمدينة، وفاتني الاشتراك بحرب اكتوبر ١٩٧٣، لكنني كنت اعرف ان الحرب لن تنتهي بالنسبة لي الى ان اقدم شيئا، فعدت الى اسرائيل في ايار (مايو) ١٩٧٧ وانضممت للاسطول.

عندما وصلت الى الاجتماع في قاعدة شاليشوت، أُدخلت الى مكتب صغير حيث كان شخص غريب يجلس الى مكتب وامامه بضع اوراق.

قال الرجل: «لقد سحبنا اسمك من الكمبيوتر، إنك تناسب معاييرنا، اننا نعرف انك تقوم بخدمة بلادك، ولكن توجد طريقة لخدمتها بشكل افضل، فهل انت مهتم بذلك؟

ـ «أجل، انني مهتم بذلك ولكن ما هو المطلوب؟».

ـ «سلسلة من الفحوصات اولا، لنرى ان كنتَ مناسباً وسوف نستدعيك تبعا لذلك».

بعد ذلك بيومين، استدعيتُ لاجتماع في الثامنة مساء في شقة بهرتسليا. دهشت عندما فتح الباب لي الطبيب النفسي للقاعدة البحرية، لقد اخطأوا بعمل ذلك، قال انه يقوم بعمله لجماعة امنية وانني يجب الا اذكر ذلك في القاعدة، فوعدته بذلك.

وللساعات الاربع القادمة اجريت لي تشكيلة من الفحوص النفسية : من بقع الحبر لاسئلة مفصلة عن شعوري تجاه اي شيء يمكن تصوره.

بعد ذلك باسبوع استدعيت لاجتماع آخر في القسم الشمالي من تل ابيب قرب بيت هاهايال. كنت قد اخبرت زوجتي عن الامر، فقد كان لدينا شعور بأن الموضوع يتعلق بالموساد. واذا نشأ المرء في اسرائيل فانه يعرف هذه الاشياء، وعلى اي حال، من يحتمل ان يكون غير الموساد؟.

كان ذلك الاجتماع سيكون الاول في سلسلة اجتماعات مع رجل ذكر ان اسمه ايغال، تبعته اجتماعات طويلة بمقهى سكالا في تل ابيب. ظل يتكلم عن اهمية الموضوع. عبأت مئات النماذج، اسئلة مثل: «هل تعتبر قتل شخص ما من اجل بلادك شيئا سلبيا؟ هل تشعر ان الحرية مهمة؟ هل يوجد شيء اهم من الحرية؟ وهكذا. وبما انني كنت متأكدا بأن كل ذلك للموساد فقد اعتقدت ان الاجوبة التي يريدونها هي الى حد ما واضحة ويمكن التنبؤ بها، وكنت اريد ان اجتازها.

ومع مرور الوقت اصبحت هذه الاجتماعات تعقد مرة كل ثلاثة ايام وهي عملية استمرت حوالى اربعة شهور، ومرة اجري لي فحص طبي كامل في قاعدة عسكرية. عندما تكون في الخدمة تدخل هناك فتجد ١٥٠ شخصاً. انها مثل مصنع، ولكن هنا كانت توجد عشر غرف للفحص، بكل منها طبيب وممرضة. كانوا في الانتظار، وكنت وحيدا. قضى كل فريق حوالى نصف ساعة معي وانا اتنقل من غرفة الى اخرى؛ اجروا لي كل انواع الفحوص، وكان لديهم حتى طبيب اسنان، وبطريقة جعلوني اشعر انني هام في الحقيقة.

واخيرا اخبرني ايغال ان التدريب للمهمة سيبقيني في اسرائيل معظم الوقت ولكن ليس في البيت، وسوف يُسمح لي ان ارى عائلتي مرة كل اسبوعين او ثلاثة اسابيع واخيرا سأرسل الى الخارج وعندها سوف ارى عائلتي مرة كل شهرين او ما يقارب ذلك. اخبرت ايغال بانني لا اوافق على ذلك، اذ لن استطيع ان اغيب تلك المدة، ولكن عندما طلب مني ان افكر بالأمر، وافقت. ثم استدعوا زوجتي بللا هاتفيا، كما ازعجونا بالهاتف للشهور الثمانية التالية.

بما انني كنت اعمل في القوات المسلحة لم اشعر بأنني اهمل بلادي.كنت آنذاك يمينيا تماما ـ سياسيا ولكن ليس اجتماعيا، وكنت اعتقد ان بالامكان الفصل بين الاثنين، وخاصة في اسرائيل. وعلى اي حال، كنت فعلا اريد ذلك العمل، ولكن لم اكن قادرا على الغياب عن عائلتي فترات طويلة كهذه.

لم يخبروني وقتها بالضبط عن الوظيفة المقصودة، ولكنني فيما بعد، عندما انضممت فعلا للموساد، علمت بأنهم كانوا يعدونني لقسم «الحربة» ـ وحدة الاغتيالات السرية في الموساد،

المسؤولة عن الجواسيس,ولكنني كنت لا ازال غير متأكد عما كنت اريد عمله بحياتي.

في عام ١٩٨١ تركت البحرية بعد ان خدمت في لبنان في بداية الحرب، وبصفتي فنانا نقشيا بارعا قررت انشاء مشروعي الخاص لصنع نوافذ من الزجاج المزخرف بالالوان. صنعت نوافذ وحاولت بيعها، لكنني ادركت ان الزجاج الملون ليس محبوبا في اسرائيل، ويعود ذلك جزئيا الى انه يذكّر الناس بالكنائس فلم يُرد احد شراء النوافذ، على ان عددا من الناس كانوا مهتمين بتعلم طريقة صنعها، لذلك حولت متجري الى مدرسة.

في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٢ تلقيت برقية في بيتي اعطتني رقما هاتفيا لأتصل به يوم الخميس بين التاسعة صباحا والسابعة مساء. اتصلت على الفور فاعطوني عنوانا في برج «هادار دفنا» المكتبي بشارع الملك شاؤول في تل ابيب ـ علمت فيها بعد انه مبنى رئاسة الموساد ـ احد المباني الخرسانية الرمادية الجرداء المحبوبة في اسرائيل.

دخلت الردهة، كانت توجد الى اليمين مجموعة مصاعد، وعلى الجدار الى يسار المدخل يافطة صغيرة لا تلفت النظر مكتوب عليها: «تجنيد مصلحة الامن» وكانت تجربتي السابقة ما زالت تلاحقني، وشعرت بانني قد اغفلت شيئا.

ونظرا لانني كنت متلهفا جدا، وصلت قبل ساعة من الموعد وذهبت الى كافتيريا الطابق الثاني المفتوحة للجمهور، والى ذلك الجانب من المبنى ساعدت عدة شركات خاصة في ان يبدو المكان اعتياديا؛ لكن مقر رئاسة الموساد كان قد بني كمبنى داخل مبنى. تناولت شطيرة جبنة، لن انساها؛ واثناء تناولها كنت أجيل بصري في الغرفة وانا اسائل نفسي ان كان اي شخص اخر هناك قد دعي كما دعيت.

عندما جاء الوقت نزلت الى المكتب المحدد واخيرا أُدخلت الى غرفة صغيرة بها مكتب خشبي كبير فاتح اللون، كانت الغرفة مؤثثة تأثيثا قليلا متفرقا، وكان بها هاتف وسلة للمراسلات الواردة والصادرة ومرآة على الجدار، وصورة شخص مألوف، ولو انني لم استطع ان اتذكر من هو.

فتح الشخص الدمث الجالس الى المكتب ملفاً صغيرا، ونظر اليه بسرعة وقال: «اننا نبحث عن اشخاص، ان هدفنا هو انقاذ اليهود في كافة أنحاء العالم، ونعتقد انك مناسب لهذا الغرض، ونحن كعائلة واحدة. انه عمل صعب وقد يكون خطيرا ولكنني لا استطيع ان اخبرك اكثر الى ان نقوم ببعض الاختبارات عليك» ثم تابع قوله بأنهم بعد كل مجموعة من الإختبارات سيتصلون بي. واذا فشلت في اي إختبار منها، فان الامر يعتبر منتهيا، واذا نجحت سأُعطى تفاصيل الفحص التالي «واذا قصرت او انسحبت يجب الا تتصل بنا ثانية؛ لا توجد عملية استئناف. اننا نقرر وهذه نهاية الامر، هل هذا مفهوم؟».

ـ «نعم».

- «حسنا، بعد اسبوعين من اليوم اريدك هنا في التاسعة».

- «هل معنى ذلك التغيب طويلا عن عائلتي؟».

- «لا».

- «حسنا، سأحضر بعد اسبوعين».

عندما جاء اليوم المحدد أُدخلت الى غرفة كبيرة فيها تسعة اشخاص آخرين جالسين على مقاعد طلابية أعطي كل منا استبيانا من ثلاثين صفحة يحتوي على اسئلة شخصية، فحوص من كل الانواع؛ وكل شيء مصمم لمعرفة من انت وكيف وبماذا تفكر، وبمجرد ان اتممنا الاستبيانات وسلمناها قيل لنا: «سنتصل بكم».

بعد اسبوع دعيت ثانية للاجتماع برجل يفحص لغتي الانكليزية التي اتكلمها بدون نبرة اسرائيلية. سألني عن معاني عدد كبير من التعابير العامية، لكنه كان متخلفا قليلا عن زمانه في هذا الشأن. كما سألني الكثير عن مدن في كندا والولايات المتحدة الامريكية، وعمن كان الرئيس الامريكي، وما شابه ذلك.

تتابعت الاجتماعات لمدة ثلاثة شهور، ولكن على عكس تجربتيَ الاولى عُقدت في مكتب الحي التجاري اثناء النهار. اجري لي فحص بدني ولكن في هذه المرة لم اكن وحيدا، كما اتممت اختبارين على مكشاف الكذب؛ وكان يطلب من المجندين دائما الا يكشف الواحد منهم شيئا عن نفسه للاخرين - كان الشعار: «أبقِ نفسك لنفسك».

كان تلهفي يتزايد مع تتابع الاحداث؛ وكان اسم الشخص الذي يجري مقابلات معي «اوزي» وفيما بعد عرفته بصورة افضل، وعلمت ان اسمه اوزي نكديمون، وانه رئيس تجنيد الافراد. اخيرا اخبرني بأنني قد اجتزت جميع الامتحانات باستثناء النهائي، ولكن قبل ذلك اراد أن يقابل «بللا».

استمرت جلستها ست ساعات، سألها «اوزي» خلالها كل ما يمكن تصوره، ليس فقط عني ولكن كذلك عن خلفيتها السياسية وعن والديها ونقاط ضعفها ونقاط قوتها، بالاضافة الى تدقيق مطول لمواقفها من دولة اسرائيل ووضعها في العالم، كما كان طبيب المكتب النفسي حاضرا، كمراقب صامت.

بعد ذلك اتصل بي اوزي وطلب مني ان احضر في السابعة من صباح الاثنين وان احضر معي حقيبتين معبأتين بمختلف انواع الملابس من بنطلون الجينز الى البدلة؛ وسيكون ذلك فحصي النهائي الذي سيستغرق من ثلاثة الى أربعة ايام؛ وتابع القول بان البرنامج يشمل سنتي تدريب وان الراتب سيعادل راتب درجة واحدة اعلى من راتب درجتي العسكرية الحالية، فكرت ان ذلك

ليس رديئا. اذاً سأصبح عقيدا، وكنت منفعلا حقا، فقد حدث ما كنت اتمناه، وشعرت بانني شخصية خاصة، ولكنني وجدت فيها بعد ان الوف الاشخاص تجري مقابلتهم، اذ تعقد دورة واحدة مرة كل ثلاثة اعوام او نحو ذلك اذا وجدوا العدد الكافي من الناس، وينتهي بهم الأمر باختيار حوالي خمسة عشر شخصا للدورة يجتازونها جميعهم في بعض الاحيان، واحيانا لا يجتازها احد؛ ولا توجد نتيجة مقررة سلفا، يقولون انهم يقابلون حوالي خمسة الاف شخص لكل واحد من الخمسة عشر شخصا الذين يختارونهم في نهاية الأمر.

يختارون الناس المناسبين وليس بالضرورة افضل الناس - يوجد فرق كبير، فمعظم الذين يقومون بالاختيار اشخاص ميدانيون يبحثون عن مواهب محددة، لكنهم لا يكشفون ذلك. انهم يسمحون لك فقط بأن تعتقد بأنك شخص خاص، تُختار للفحوصات فقط.

قبل اليوم المحدد بقليل أوصل مراسل لبيتي رسالة تذكر الزمان والمكان وتذكّرني بأن احضر ملابس لمناسبات مختلفة، كما طلبت مني ألّا استعمل اسمي بل ان اكتب اسمي المنتحل على قطعة ورق مرفقة، بالاضافة الى خلفية قصيرة لهوية جديدة. اخترت اسم سيمون|لاهاف، فاسم والدي سيمون، كما علمت ان اسم «اوستروفسكي» بالبولونية او الروسية يعني سيفا حادا، وعبارة «لاهاف» تعني سيفا باللغة العبرية.

ذكرت بأنني مصمم تصويري مستعملاً خبرتي الحقيقية في هذا المجال، دون ان اربط نفسي بأي شيء محدد، كما اعطيت عنوانا في حولون كنت اعرف انه حقل خال.

وصلت في الموعد المحدد قُبيل السابعة صباحاً في يوم ماطر من كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣ فوجدت في المجموعة امرأتين وثمانية رجال بالاضافة الى ثلاثة او اربعة اشخاص ادركت انهم مدرّسون، وبعد تسليم الظروف المحتوية على هوياتهم اخذوا بالباص الى منتجع معروف جدا يحتوي على شقق وفنادق يدعى «النادي الريفي» خارج تل ابيب على الطريق الى حيفا، ويباهي بأن مرافقه الترويحية افضل من مثيلاتها في اي منتجع اسرائيلي آخر.

خصصت وحدة مكونة من غرفة واحدة لكل شخصين منا وطُلب منا ان نرتب محتويات حقائبنا في اماكنها وان نجتمع بعد ذلك في الوحدة الاولى.

على تلة تشرف على «النادي الريفي» يوجد ما يُدعى بالمسكن الصيفي لرئيس الوزراء، والحقيقة انه «المدرشة» - اكاديمية التدريب للموساد. نظرت الى التلة في اول ايامي هناك، والحقيقة ان كل انسان في اسرائيل يعرف ان المكان له علاقة بالموساد، وتساءلت ان كان الامر سيوصلني الى هناك، ثم تخيلت ان كل شخص آخر في المكان كان موجوداً هناك لاختباري؛ قد يدل هذا على الهوس الجنوني، لكن الهوس الجنوني شيء ايجابي في هذا العمل.

كانت الوحدة الاولى مكونة من غرفة مدخل ضخمة في وسطها طاولة طويلة معدة كمائدة فطور رائع ؛ وكان هناك مقصف يفوق حد التصديق عليه من الطعام اكثر مما كنت قد رأيته في حياتي، كما كان يوجد طاهٍ مستعد لتلقي الطلبات اذا أراد ايٌّ من الحضور شيئاً خصوصيا.

بالاضافة الى الطلاب العشرة كان حوالى اثني عشر شخصا آخر يدورون في الغرفة ويختلطون ببعضهم البعض وهم ينتقون ما يودون تناوله. وفي حوالي الساعة العاشرة والنصف انتقلت المجموعة الى غرفة مجاورة، في وسطها طاولة طويلة ايضا، جلس الطلاب اليها وطاولات قرب الجدران جلس اليها الآخرون؛ لم يستعجلنا احد، كنا قد تناولنا فطورنا على مهل، وكانت القهوة تنتظرنا في غرفة الاجتماع، وكالعادة، كان الجميع يدخنون.

خاطب اوزي نكديمون الجماعة قائلاً: «مرحبا بكم للاختبار، سنبقى هنا ثلاثة أيام. لا تعملوا شيئاً تعتقدون انه يُنتظر منكم ان تعملوه، استعملوا حصافتكم في كل الظروف التي تنشأ. اننا نبحث عن الناس الذين نريدهم، لقد اجتزتم عدداً لا بأس به من الاختبارات، والآن نريد ان نتأكد من انكم مناسبون لنا».

تابع كلامه قائلاً: «لقد خصص مرشد/ مدرس لكل منكم كما ان كلا منكم قد انتحل اسما ومهنة كغطاء، ولكن في نفس الوقت فإن مهمته ان يكشف كل شخص آخر جالس الى هذه الطاولة.

لم أكن اعرف ذلك في اول الأمر، لكن تلك كانت اول مجموعة اختبار تضم نساء. كان هناك ضغط سياسي لتعيين نساء يعملن «ضابطات جمع» (لتجنيد عملاء من الاعداء، في مختلف انحاء العالم) لهذا قررت الموساد ادخال بعضهن، على ما يعتقد، لكي تتأكد من انه سيكون بامكانهن القيام بتلك المهمة بنجاح. بالطبع لم تكن تريد لهن ان ينجحن، بل ان ذلك لم يكن الا ايماءة ودية. توجد نساء جاسوسات ولكن لم يسمح ابداً بوجود «ضابطات جمع»، ويعود ذلك جزئيا الى ان النساء اقل حصانة من الرجال، لكن هدف الموساد الرئيسي هو الرجال ـ الرجال العرب، الذين يمكن للنساء ان تستهويهم؛ على انه لا يوجد اي عربي يقبل العمل للنساء، وبهذا لا يمكن للنساء ان تجندهم.

بدأنا نحن المجندين العشرة بالتعريف بأنفسنا وبتقديم قصص التغطية، وعندما كان الواحد منا يقوم بذلك كان الآخرون التسعة يوجهون اسئلة، وبين الوقت والآخر كان احد الممتحنين الجالسين الى الطاولات خلفنا يوجه أسئلة كذلك.

كنت طليقا الى حدٍ ما في قصتي، لم أرد ان اقول بأنني اشتغلت للشركة الفلانية، لأن أحد الموجودين ربما كان يعرفها. قلت ان لدي طفلين ـ ذكرت انهما ولدان، اذ لم يكن يسمح لي بأن

اكشف اية تفاصيل واقعية، لكنني كنت راغبا في ان اظل اقرب ما يمكن من قصتي. كان الامر سهلا ولم اشعر بالضغط، كان لعبة تمتعت بها.

استمر الفحص ثلاث ساعات، وفي احدى النقاط، عندما كنت اوجه اسئلة، مال احد الممتحنين نحوي بدفتر ملاحظاته وقال: «أرجو المعذرة، ما اسمك؟» - اشياء صغيرة كهذه لفحص التركيز الفكري الى غير ذلك، ويجب ان يكون الانسان حذرا باستمرار.

عندما انتهت الجلسة، طُلب منا ان نعود الى غرفنا ونرتدي ملابس الشارع: «انكم ذاهبون الى مركز المدينة التجاري».

قُسّمنا الى جماعات تتكون الواحدة منها من ثلاثة طلاب انضم اليهم مدرسان في كل سيارة، وبمجرد وصول سيارتنا الى تل ابيب، قابَلنا مدرّسان آخران عند التقاء شارعي الملك شاؤول وابن غافيرول. كان الوقت حوالي الرابعة والنصف بعد الظهر، التفت اليّ احد المدرسين وقال: «هل ترى تلك الشرفة في الطابق الثالث هناك؟ أريدك ان تقف هنا لمدة ثلاث دقائق وتفكر، ثم تذهب الى تلك البناية وخلال ست دقائق، أريد ان أراك واقفا على الشرفة مع صاحب الشقة او مستأجرها حاملاً كأساً من الماء».

اصبحت خائفا، لم تكن معنا أية هويات على الاطلاق ومن المخالف للقانون في اسرائيل عدم وجود هوية مع الانسان. طلبوا منا ان نستعمل اسماءنا المنتحلة فقط، مهما كان الأمر؛ وفي اسرائيل لا يتنقل الانسان بدون اوراق، كما أخبرنا بأننا اذا وقعنا في مشكلة مع الشرطة فاننا يجب الا نذكر لها الا قصص التغطية.

وهكذا ما العمل؟ كانت اولى مشاكلي ان اعرف بالضبط اية شقة كانت، وبعد ما ظهر كأنه العمر كله اخبرت المدرس بأنني مستعد للذهاب.

سألني: «ما الذي تعمله بوجه العموم؟».

- «بوجه العموم، اعمل فيلماً».

رغم ان المدرسين كانوا يريدون تصرفات فورية الى حدٍ ما، الا انهم ارادوا كذلك ان يكون لكل منا خطة اساسية للعمل بدلاً من ان نمثل التعبير العربي «على باب الله» اي ان كل ما سيحدث سوف يحدث، فلنتوكل على الله .

دخلت المبنى بسرعة وهمة وصعدت الدرج، وكنت أعد الشقق من بئر الدرج الى ان وصلت الى الشقة المطلوبة، قرعت الباب ففتحته امرأة في حوالي الخامسة والستين من العمر؛ فخاطبتها قائلاً بالعبرية:

«تحياتي، ان اسمي سيمون، من دائرة النقل. تعرفين ان ذلك التقاطع حدثت فيه عدة حوادث»، ثم توقفت لقياس رد فعلها، فقالت:

«أجل، اجل، انني اعرف ذلك» (نظراً للطريقة التي يقود بها الاسرائيليون سياراتهم، تقع حوادث عديدة عند معظم التقاطعات وبهذا كان افتراضي مأموناً).

- «نريد ان نستأجر شرفتك اذا استطعنا».

- «تستأجرون شرفتي؟».

- «نعم، نريد ان نصور فيلما عن حركة المرور عند ذلك التقاطع، لن يأتي اشخاص كثيرون الى هنا، بل سنضع آلة تصوير على الشرفة. هل تسمحين لي بأن ألقي نظرة لأتأكد من انها الزاوية الصحيحة، واذا كانت كذلك، هل ستكون ٥٠٠ ليرة كافية لذلك؟».

- «نعم، بالطبع»، قالت وهي ترشدني الى الشرفة.

- «على فكرة، انني آسف لازعاجك، هل استطيع ان آخذ كأسا من الماء؟ ان الطقس حار جدا اليوم».

وسرعان ما كنا واقفين جنبا الى جنب على الشرفة نطل على الشارع.

شعرت بالعظمة، رأيت كلا منهم يراقبنا، وعندما ادارت المرأة رأسها، رفعت كأسي لهم. اخذت اسم المرأة ورقم هاتفها واخبرتها أن علينا ان نتفحص اماكن اخرى، واننا سنخبرها اذا اخترنا شرفتها.

عندما نزلت كان احد الطلاب الآخرين قد ذهب في مهمته. ذهب الى جهاز صرف آلي حيث كان من المفروض ان يستعير ما يعادل عشرة دولارات من اي شخص غريب يستعمل الجهاز آنذاك. اخبر رجلا انه بحاجة الى المبلغ ليأخذ سيارة الى المستشفى الذي تلد فيه زوجته، ولم تكن معه نقود. اخذ اسم الرجل وعنوانه، ووعد بارسال المبلغ له، فأعطاه الرجل المال.

اما الطالب الثالث في المجموعة فلم يحالفه حظ مماثل. كان عليه ان يظهر على شرفة مبنى آخر للشقق السكنية، لهذا صعد اولا الى السطح مدعيا انه يريد ان يفحص هوائي التلفزيون ولسوء حظه عندما ذهب الى الشقة المختارة بقصته وسأل الساكن ان كان بامكانه ان ينظر الى الهوائي من شرفته، اكتشف ان الرجل يعمل في شركة الهوائيات.

سأله الرجل: «ما الذي تتكلم عنه؟ لا خلل في الهوائي»، فاضطر الطالب الى الانسحاب بسرعة عندما هدد الرجل باستدعاء الشرطة.

بعد ذلك التمرين اخذنا الى شارع هايركون وهو شارع رئيسي بمحاذاة البحر المتوسط توجد فيه جميع الفنادق الرئيسية. أخذت الى ردهة فندق الشيراتون وطُلب مني ان اجلس.

قال لي احد المدرسين: «هل ترى ذلك الفندق عبر الطريق ـ فندق باسل؟ اريدك ان تذهب الى هناك وتحضر لي الاسم الثالث من اعلى قائمة النزلاء».

في اسرائيل تحفظ سجلات النزلاء تحت المنضدة وليس فوقها، وكأشياء عديدة اخرى هناك تميل الى ان تعتبر سرية. كان الظلام قد بدأ يخيم عندما قطعت الشارع وكنت لا ازال اجهل كيف سأحصل على الاسم. كنت اعرف ان لي سندا وان الامر مجرد خدعة، ومع ذلك كنت خائفا ومنفعلا؛ اردت ان انجح ومع ذلك، فعندما تفكر بالامر، فانك تجد المهمة حمقاء تماما.

صممت ان اتكلم الانكليزية، لأن الانسان عندما يتحدث بها يجد معـاملة افضل، اذ يظنون انه سائح، وعندما تقدمت من المنضدة لأسأل ان كانت توجد لي رسائل فكرت بالدعابة القديمة بشأن مهاتفة شخص ما والسؤال ان كان ديف موجودا. تتصل عدة مرات وتسأل نفس السؤال: فيزداد من يجيب على المهاتفة غضبا كل مرةلأنك تتصل بالرقم الخطأ،ثم تتصل ثانية وتقول: «تحياتي، انني ديف، هل توجد رسائل لي؟».

رفع الكاتب بصره الي وقال: «هل انت من نزلاء الفندق؟».

ـ «لا، ولكنني اتوقع ان اقابل شخصا هنا».

قال انه لا توجد رسائل، لذلك جلست في الردهة لانتظر وبعد حوالي نصف ساعة كنت اثناءها انظر الى ساعتي باستمرار عدت الى المنضدة وقلت: «ربما كان هنا ولم اصادفه».

سألني قائلاً: «ما اسمه؟» فتمتمت اسماً بدا وكأنه «كامالونك». تناولَ الكـاتب سجل النزلاء وبدأ يبحث ثم قال: «كيف تتهجأ اسمه؟».

قلت: «لست متأكدا، انه يبدأ اما بحرف C او حرف K»وانحنيت فوق المنضدة متظاهرا بأنني سأساعد الكاتب في ان يجد الاسم، ولكنني بالحقيقة كنت اقرأ الاسم الثالث من الاعلى.

ثم، وكما لو كنت قد ادركت خطأي، قلت: «آه، ان هذا فندق باسل، كنت اظن انه فندق سيتي، انني آسف، ما اشد حماقتي!».

مرة ثانية شعرت بأنني عظيم، ثم تساءلت كيف سيعرف مدرسي ان كان الاسم الذي احضرته صحيحاً، لكنهم في اسرائيل يستطيعون الوصول الى اي شيء.

بهذا الوقت كانت ردهات الفنادق قد بدأت تمتلىء بالناس، لهذا مشيت مع مدرسي في الشارع؛ ناولني احدهما جهاز هاتف متصلا بسلكين قائلا انه آخر اختبار لذلك اليوم. كان على

الجهاز حرف في الخلف لاغراض التعرف. طلب الي ان ادخل فندق «تال» واذهب الى الهاتف الجداري العام في الردهة، وانزعه واركب فيه الجزء الذي اعطاني اياه واعود بالجزء الذي سأنزعه، بعد ان اترك الجهاز البديل في وضع تشغيلي.

كان رجلان مصطفين عند الهاتف، لكنني قلت لنفسي ان علي ان اعمل ذلك، وعندما جاء دوري وضعت العملة الرمزية في الفتحة وأدرت القرص على رقم عشوائي وسندت السماعة بخدي. بدأت ركبتاي ترتجفان. كان الناس مصطفين خلفي الآن ينتظرون ادوارهم لاستعمال الهاتف. فككت القسم العلوي من السماعة ثم اخرجت دفتر مفكراتي من جيبي واخذت اقوم بحركات إلهائية كما لو كنت اكتب ملاحظات. وضعت السماعة بين ذقني وكتفي وتحدثت بالانكليزية بها.

وبهذا الوقت كان شخص يقف فعلا قريبا مني ويكاد يتنفس على رقبتي، لهذا انزلت دفتر مفكراتي واستدرت اليه قائلاً: «أرجو المعذرة» فرجع قليلاً. ركبت القسم الجديد وكان شخص ما يجيب من الرقم العشوائي ويقول: «من هذا؟» ولكن بمجرد ان تبت القسم البلاستيكي على السماعة اقفلت الخط.

كنت ارتجف عندما وضعت القطعة في جيبي، لم اكن قد قمت بشيء كهذا من قبل - لم أكن قد سرقت شيئاً. شعرت بالضعف عندما ذهبت الى المدرس وناولته قطعة الهاتف.

بعد ذلك بقليل كان المتدربون الخمسة جميعهم عائدين الى «النادي الريفي» لا يقولون الا القليل. وبعد العشاء طلب من كل واحد منا ان يُعد، في موعد لا يتجاوز صباح اليوم التالي، تقريراً عن كل نشاط قام به في ذلك اليوم دون ان يحذف شيئاً، مهما بدا تافهاً.

حوالي نصف الليل كنت انا وزميلي في الغرفة قد بدأنا نشاهد التلفزيون بعد ان شعرنا بالتعب الشديد عندما دق علينا الباب احد المدرسين، وطلب مني ان ارتدي الجينز وارافقه. اوصلني بسيارته الى قرب بستان واخبرني ان من المحتمل ان يعقد بعض الناس اجتماعا في تلك المنطقة؛ كنت اسمع بنات آوى تعوي عن بُعد والجداجد تسقسق بشكل متواصل.

قال لي: «سأريك المكان. إنّ ما اريد ان اعرفه هو عدد من سيحضرون الاجتماع وما يقولونه، سآتي وآخذك معي بعد ساعتين او ثلاث ساعات».

- «طيب».

أخذني على طريق مغطاة بالحصباء الى وادٍ لم يكن فيه الا مجرى هزيل من الماء وانابيب خرسانية قطرها حوالى قدمين ونصف تمر تحت الطريق.

اشار الى الانبوب وقال: «هناك، انه مكان جيد للاختباء به، توجد فيه بعض الجرائد

القديمة التي يمكنك ان تكومها امامك».

كان ذلك اختبارا حقيقيا لي؛ انني اخاف من الأماكن المغلقة او الضيقة، وهم يعرفون ذلك من جميع الفحوصات النفسية كما اكره الهوام والصراصير والديدان والجرذان، بل لا احب ان اسبح في بركة بسبب جميع تلك المواد اللزجة الرطبة في قاعها. عندما نظرت في الانبوب لم استطع ان ارى طرفـه الآخر، كانت تلك الساعات الثلاث اطول ساعات في حياتي، وبالطبع لم يأت احد ولم يكن هناك اي اجتماع. بقيت احاول الا انام، بأن ظللت اذكر نفسي اين انا، مما ابقاني مستيقظا.

واخيرا عاد المدرس وقال: «أريد تقريرا وافيا عن الاجتماع» اجبته قائلا: «لم يكن هناك اجتماع».

- «هل انت متأكد؟».

- «نعم».

- «ربما تكون قد غفوت».

- «كلا».

- «حسنا، لقد مررت انا بهذا المكان».

- «لا بد وانك مررت بمكان آخر، اذ لم يمر احد من هنا».

أثناء عودتنا طلب مني الا اتكلم عن الحادث.

في المساء التالي طلب من جميع افراد الفريق ان يلبسوا دون تكلف، اذ سنؤخذ الى تل ابيب حيث سيطلب من كل واحد منا ان يراقب احد المباني ويأخذ ملاحظات عن كل ما يراه في اختبار المراقبه، كما ان عليه ان يبتدع قصة تغطية تفسر ما يقوم به.

حوالي الثامنه مساء اخذني رجلان الى مركز المدينة التجاري في سيارة صغيرة، وكان احدهما «شـاي كاولي» احـد المسؤولين عن تجنيـد عملاء اجـانب للموسـاد، وله سجـل طـويـل من الانجازات. انزلاني على بُعد مجمع بناء من شارع ديزنكوف، شارع تل ابيب الرئيسي، وطلبا مني ان اراقب مبنى من خمسة طوابق واسجل اوصاف كل من يدخل اليه والوقت الذي يصـل فيه ويغادر به المبنى، والانوار المضاءة والمطفأه ووقت اضاءتها واطفائها، وقالا انهما سيأتيان وياخذانني فيما بعد، ويؤشران ببعث اشارات متقطعة من انوار سيارتهما الامامية.

كـانت اول فكرة خـطرت ببالي هي انني يجب ان اختبيء في مكـان مـا؛ ولكن اين؟ اخبـراني انني يجب ان اكون في مدى النظر،لم اعرف ماذا اتوقع، ثم خطرت لي فكرة بأن اجلس وابدأ برسم

المبنى، وفي الرسم يمكنني ان اسجل المعلومات التي احتاج اليها بإخفاء حروف بالانكليزية مكتوبة عكسيا وسيكون عذري للرسم ليلا هي انه سيكون في ذلك الوقت مجال اقل للالتهاء وبما انني كنت ارسم بالاسود والابيض، لم اكن بحاجة الى نور كثير.

بعد حوالي نصف ساعة مزّقتْ سكوني وهدوء بالي سيارة وقفت بصوت مزعج عند حافة الرصيف. قفز منها شرطي وسألني بحده:

- «من انت؟».

- «سيمون لاهاف».

- «ما الذي تعمله هنا؟»

- «انني ارسم».

اتهمني احد الجيران رسميا، قائلا: «انك تراقب البنك» (كان يوجد بنك في الطابق الاول من العمارة).

- «كلا انني ارسم، انظر»، ورفعت ما رسمته للشرطي.

- «لا تعطني تلك الاوساخ، ادخل في السيارة».

كان هناك سائق وشخص اخر في المقعد الامامي من سيارة «الفورد اسكورت» التي لم تكن عليها علامات تشير الى انها تابعة للشرطة؛ اتصلوا لاسلكيا قائلين انهم قد القوا القبض على شخص ما، بينما صعد الشخص الذي امرني بالدخول الى السيارة الى المقعد الخلفي الى جانبي، اما مَن كان في المقعد الامامي فقد سألني عدة مرات عن اسمي واجبته مرتين انه سيمون.

سألني مرة ثانية وعندما كنت على وشك اجابته، صفعني الرجل الذي بجانبي على وجهي وقال: «اخرس»، قلت، له «لقد سألني سؤالا»، فقال لي «لم يسألك شيئاً».

كنت الآن في حالة صدمة؛ وبدأت اتساءل اين كان رجالي، ثم سألني الرجل الجالس الى جانبي من اين انا، فاجبته انني من حولون، وعندما لكمني الشرطي الذي في الامام على جبيني وقال: «سألتك عن اسمك».

عندما قلت انني سيمون من حولون قال الشرطي الذي في الخلف: «ما انت؟ هل تدعي العلم بكل شيء؟» ثم دفع رأسي الى الامام ووضع يديّ خلف ظهري وقيدهما بالاصفاد: اما الشرطي الذي بجانبي فقد تمادى في شتمي قائلا انني تاجر مخدرات قذر ومن حثالة المجتمع.

قلت انني كنت ارسم فقط لكنه سألني عن مهنتي فاخبرته بانني فنان.

وبهذا الوقت كنا نبتعد بالسيارة. قال الشرطي الذي في الامام: «سنأخذك الآن الى مركز

المدينة التجاري وسنريك ما سنعمل» ثم اخذ رسوماتي وجعّدها ورماها الى الارض وبعد ذلك طلبوا مني ان اخلع حذائي ـ وكان ذلك صعبا ويداي مكبلتان.

سألني احدهم: «اين تحتفظ بالمخدرات؟».

ـ «ماذا تقصد؟ ليست عندي مخدرات، وانا فنان».

ـ «ان لم تتكلم الان فسوف تتكلم فيما بعد»، وفي اثناء ذلك استمروا في ضربي، وضربني احدهم ضربه قوية على فكي حتى ظننت انني قد فقدت احد اسناني.

سحبني الرجل الذي في المقعد الامامي الى الأمام وصرخ في وجهي مهددا وطالبا ان يعرف مكان المخدرات، بينما كان السائق يقود السيارة دون هدف في المدينة.

اعتقدت ان الامر تحرش صريح، لقد وجدوا في الشارع شخصا وارادوا ان يعذبوه، سمعت عن حوادث كهذه لهذا طلبت بأن يأخذوني الى المخفر لكي استطيع احضار محامٍ. وبعد حوالي الساعة سألني احدهم عن اسم الصالة الفنية التي اعرض فيها اعمالي. كنت اعرف كل الصالات الفنية في تل ابيب ـ كما كنت اعرف بأنها ستكون مقفلة في تلك الساعة، لهذا اعطيتهم اسما، وعندما وصلنا الى هناك كنت لا ازال مقيدا لهذا أشرت برأسي الى الصالة وقلت: «ان رسوماتي بداخلها».

كانت مشكلتي عدم وجود هوية معي؛ اخبرتهم انني قد تركتها في البيت، ثم خلعوا بنطلوني قائلين انهم يريدون تفتيشه بحثا عن المخدرات، شعرت بعدم الأمان لكنهم في اخر الأمر اصبحوا ليّنين وظهر أنهم يصدقونني، قلت انني اريد ان اعود الى حيث وجدوني ولكنني لم اكن اعرف كيف اصل الى هناك، كما اخبرتهم انه لا توجد معي اية نقود، كما ذكرت ان صديقا سيحضر وسيأخذني.

لهذا اخذوني الى المنطقة وانزلوني عند موقف للباصات، تناول الشرطي رسوماتي من ارضية السيارة ورماها من النافذة، ثم فكّوا قيودي وبقينا في السيارة بينما كان الشرطي يعبىء نموذجا. ثم وصل باص، فقام الشخص الذي بجانبي بجري الى الشارع حيث سقطت، ورمى بنطلوني وحذائي فوقي، وذهبوا بعد ان حذروني بألا اكون هناك اذا عادوا.

كنت هناك ملقى في الشارع بدون بنطلون، والناس ينزلون من الباص، لكن كان عليّ ان اتشبث بتلك الاوراق، وعندما قمت بذلك شعرت كما لو كنت قد تسلقت جبل افرست، ويا له من شعور بالانجاز!.

بعد ثلاثين دقيقة، وبعد ان ارتديت بنطلوني واستأنفت مراقبتي، لمحت الانوار المتقطعة، فذهبت الى السيارة، التي اعادتني الى «النادي الريفي» لأعد تقريري، وبعد ذلك بوقت طويل

قابلت «رجال الشرطة» ثانية.

لم يكونوا رجال شرطه على الاطلاق، بل كان الامر جزءا من الاختبار.

كان احد الطلبة قد تعرضت له الشرطة وهو واقف تحت شجرة. وعندما سئل ما كان يعمل، قال انه يراقب طيور البوم، ولما قال لـه احدهم انـه لا يرى ايّا منها، اجاب: «لقد اخفتموها» - كما انه ايضا أخذ في رحلة قصيرة بالسيارة.

«أعتقل» أحد الآخرين في ميدان «كيكر هامدنيا» المعروف الذي كنا نقول انه يمثل دولة اسرائيل، يشاهد فيه الناس السيرك صيفا، كما يكون موحلا في الشتاء - كاسرائيل تماما - نصف السنة سيرك والنصف الاخر وحل. كان الشخص غبيا وقال لهم انه في مهمة خاصة وان الموساد ستجنده، وان الامر مجرد اختبار - ومن الواضح انه فشل في الاختبار.

والحقيقة انه من بين العشرة الذين مروا بجميع تلك التجربة القاسية الاولى معي، كان الشخص الوحيد الذي رأيته ثانية احدى النساء، التي اصبحت منقذة عند بركة سباحة الموساد في عطل نهاية الاسبوع، عندما كان يسمح لعائلات الاعضاء بالدخول.

بعد الفطور في اليوم الثالث اعدنا الى تل ابيب. كانت مهمتي ان ادخل مطعما واجري محادثة مع شخص دلوني عليه وأحدد موعدا لمقابلته تلك الليلة، وعندما راقبت المطعم برهة قبل دخوله لاحظت النادل حاضرا تماما لتلبية طلباته، لهذا استنتجت انه المدير، وعندما جلست الى المائدة التي بجواره رأيت انه كان يقرأ مجلة سينمائية.

اعتبرت ان حيلة الفيلم نجحت في ايصالي الى الشرفة، لهذا ربما تنجح ثانية. سألت النادل ان كان بامكاني ان اتحدث مع المدير لانني كنت سأنتج فيلما، وقد يكون المطعم مكانا مناسبا له؛ وقبل ان اتم جملتي كان الرجل جالساً الى جانبي. اخبرته ان لدي بعض الاماكن الاخرى التي سأعاينها، لهذا يجب ان أترك، لكنني حددت موعدا لاجتماع في تلك الليلة. تصافحنا وغادرت المكان.

فيما بعد أخذ جميع المتدربين العشرة الى متنزه قريب من جادة روتشيلد واخبروا ان رجلا ضخما يرتدي قميصا ذا ترابيع حمراء وسوداء سيمر، وكان علينا ان نتعقبه بصورة لا تلفت النظر، على انه من الصعب القيام بذلك عندما يكون عشرة منا يتعقبونه يتعقبهم عشرون آخرون، استمر التعقب ساعتين، وكان هناك من يتلصصون من الشرفات ومن خلف الاشجار، كما كان هناك اخرون في كل مكان، لكن الناس الذين كانوا يراقبوننا كانوا يبحثون عن غريزة، ليروا كيف ستكون ردود افعالنا.

بعد انتهاء ذلك التمرين واتمامنا لتقاريرنا فُصلنا ثانية؛ أُعدت الى شارع جافيرول، ولكن في هذه المرة توقفت السيارة امام «بنك هابوعاليم» وطُلب مني ان ادخل واحصل على اسم المدير

وعنوانه الخاص واكبر قدر ممكن من المعلومات عنه.

يجب ان تتذكر ان اسرائيل بلد كل شخص فيه يشك بكل شخص اخر، وبكل شيء، طول الوقت. دخلت لابسا بدلة وسألت احد الكتبة عن اسم المدير، فذكر لي اسمه وبناء على طلبي ارشدني الى مكتبه في الطابق الثاني، صعدت وطلبت مقابلته قائلا انني قد عشت في الولايات المتحدة فترة طويلة وسأعود الى اسرائيل، وكنت اريد تحويل مبالغ كبيرة من المال لحساب جديد، وطلبت التحدث للمدير شخصيا.

عندما دخلت مكتبه لاحظت لوحة جمعية «بني بريث» على منضدته، لهذا تحدثنا عنها فترة وسرعان ما دعاني لبيته. كان سينقل الى نيويورك قريبا ليكون نائب مدير. تبادلنا العناوين وقلت انني سأزوره، كما قلت ان زيارتي لاسرائيل عابرة وليس لي رقم هاتفي فيها لكنني سأتصل به اذا اعطاني رقم هاتفه، كما طلب القهوة.

كنت اتكلم عن ١٥٠٫٠٠٠ دولار بشكل مبدئي، واخبرته انني عندما ارى كم من الوقت يستغرق تحويل المبلغ فانني سأطلب منه ان يحول لي بعض النقود الاخرى. انتهينا من بحث موضوع النقود خلال عشر دقائق او خمس عشرة دقيقة، ثم بدأنا في المؤانسة، وخلال ساعة عرفت كل شيء عنه.

بعد اتمام ذلك الاختبار، أُعدت مع اثنين من المتدربين الآخرين الى «فندق تال» وطُلب منا ان ننتظر حتى يعود الاخرون، ولم تمض اكثر من عشر دقائق حتى دخل ستة رجال قال احدهم مشيراً الي: «ها هو».

قال اخر: «تعال معنا، انك لن تريد ان تحدث صخبا في الفندق».

سألته قائلا: «ماذا تقصد؟ انني لم اعمل شيئاً».

أراني احدهم شارة شرطي وقال: «تعالوا معنا».

وضعونا نحن الثلاثة في عربة مغلقة وعصبوا عيوننا وبدأوا يتنقلون بتسرع واضطراب في المدينة، واخيرا ادخلونا الى بناية ونحن معصوبو العيون وفصلونا، كنت اسمع حركة الناس قادمين ورائحين، لكنني وضعت في غرفة صغيرة بحجم خزانة وطُلب مني ان اجلس.

بعد ساعتين او ثلاث ساعات أُخرجت من الغرفة، ويبدو انني كنت جالسا على مقعد المرحاض في حمام صغير. كان ذلك في اكاديمية الموساد للتدريب في الطابق الثاني، رغم انني لم اعرف ذلك آنذاك. أُخذت الى غرفة صغيرة اخرى تبعد قليلا عن الممر. كانت نافذتها مغطاة بستارة سوداء كما كان رجل ضخم جالساً في الغرفة، وكانت في احدى عينيه نقطة صغيرة سوداء، وظهرت كما لو كان فيها بؤبؤان. بدأ بلطف يوجه لي اسئلة: اسمي، لماذا كنت في الفندق قبل

بضعة ايام؟ ولماذا فككت جهاز الهاتف؟ وهل كنتُ اخطط لعمل ارهابي؟ واين اسكن؟

عند احدى النقاط قال انهم سيأخذونني الى عنواني، وكنت اعرف انه قطعة ارض خالية، لذلك بدأت اضحك. سألني لماذا كنت أضحك فقلت انني اعتقد انه موقف مضحك كنت افكر بأنهم سيأخذونني الى هناك فأقول: «بيتي»! اين بيتي؟» ولم استطع ان اتوقف عن الضحك؟

قلت له: «لا بد وان هذه نكتة، فما الذي تريده؟».

قال انه يريد سترتي، وكانت بلون زاه وتحمل علامة «بيير بالمين» التجارية، لهذا اخذها، ثم نزع جميع ملابسي وكنت عاريا عندما اعادوني الى حمامي، وقبل ان يغلقوا الباب دلق احدهم دلوا من الماء عليّ.

تركوني عاريا ومرتجفا حوالي عشرين دقيقة ثم اعادوني الى الرجل الضخم في المكتب، الذي قال لي: «والآن، هل تشعر بالرغبة في الضحك؟».

اخذوني حوالي اربع او خمس مرات بين المكتب والحمام الصغير، وعندما كان شخص ما يدق على باب المكتب، كنت اضطر ان اختبىء تحت الطاولة، وقد حدث ذلك ثلاث مرات، واخيرا قال الرجل لي: «لا توجد بغضاء، لقد حدث سوء تفاهم».

اعاد ملابسي قائلا انهم سيعيدونني الى المكان الذي اخذوني منه، ثم عصبوا عينيّ ثانية ووضعوني في السيارة ولكن بمجرد تشغيلها صاح احد الناس قائلا: «انتظروا دقيقه، اعيدوه، لقد تفحصنا المكان ولا يوجد فيه شيء».

قلت: «لا اعرف عما تتحدث»، لكنهم اعادوني الى الحمام.

مرت عشرون دقيقة اخرى، ثم اعادوني الى المكتب وقالوا: «اننا آسفون، لقد كانت هناك غلطة! ثم أوصلوني الى «النادي الريفي» واعتذروا ثانية وغادروا المكان.

في صباح اليوم الرابع من ذلك الاسبوع الاول دعينا وادخلنا جميعنا على انفراد الى احدى الغرف لمحادثه.

سألوني: ماذا تظن؟ هل تعتقد انك نجحت؟

قلت: «لا ادري، ولا اعرف ماذا تريدون مني. لقد طلبتم مني ان ابذل اقصى جهدي وفعلت ذلك». بقي البعض في الغرفة عشرين دقيقة، اما انا فبقيت اربع او خمس دقائق، قالوا لي بعدها: شكرا، سنتصل بك».

بعد اسبوعين اتصلوا بي، وطلبوا مني ان احضر الى المكتب في وقت مبكر من صباح اليوم التالي.

لقد قبلوني، والآن كان الاختبار الحقيقي سيبدأ.

الفصل الثاني

ايام الدراسة

تعتقد عدة جماعات في اسرائيل ان البلاد في خطر دائم ، فالجيش القوي لا يضمن السلامة ـ وكنت احمل ذلك الاعتقاد آنذاك.

يعرَف الانسان الحاجة الماسة للامن، كما يعلم بوجود مؤسسة اسمها الموساد. انها لا توجد رسميا في اسرائيل لكن كل انسان يعرف عنها. انها الخلاصة ـ قمة الكومة . يدرك الانسان انها مؤسسة سرية جدا، وبمجرد ان يُدعى للانضمام اليها يعمل ما يطلب منه عمله، لأنه يعتقد ان وراءه شكلا من السحر المفرط الذي سوف يفسر له في الوقت المناسب.

اذا نشأ الانسان في اسرائيل يصبح هذا الاعتقاد متأصلا؛ انه يبدأ بالذهاب الى الوية الشباب، وقد تدربت على اطلاق النار فيها، وفي سن الرابعة عشرة انهيت التدريب وكنت الثاني في اسرائيل في اطلاق النار. وباستعمال بندقية قنص من نوع «شتوتسر»، سجلتُ ١٩٢ نقطة من حد أعلى مقداره ٢٠٠ نقطة ـ اقل من الفائز الاول بأربع نقاط.

كما كنت قد قضيت بضعة اعوام في الجيش، لهذا كنت اعرف ـ او كنت اظن انني اعرف ـ ما الذي كنت ادخله.

ليس كل اسرائيلي بالطبع مستعدا للتقدم على نحو اعمى، ولكن من يبحثون عن مجندين للموساد، ومن يقومون بكل الاختبارات النفسية، يجدون اناسا راغبين في ذلك وفي هذه المرحلة يُفترض ان يعمل الانسان ما يطلب منه عمله؛ واذا وجّه اسئلة فانها قد تعيق عملية كاملة فيما بعد.

كنت آنذاك عضواً نشطاً الى حد ما في حزب العمل في هرتسليا، كما كانت افكاري متحررة نسبياً، ولهذا ومنذ تلك اللحظة كنت في نزاع دائم بين معتقداتي وولائي: والنظام جميعه يتطلب أخذ مرشحين مناسبين كبداية، ثم مع الوقت.وعن طريق دورة منسقة جيدا من دعاية غسل الدماغ، التوصل الى صياغتهم في قالب معين، وكما يقولون، اذا اردت ان تهرس بندورة فانك تأخذ الحبات الناضجة، ولماذا تأخذ حبة خضراء؟ صحيح أن بالامكان هرسها لكن ذلك اصعب.

لم تكن اسابيعي الستة الاولى حافلة بالاحداث، وقد عملتُ في مكتب المركز التجاري للمدينة، كاتب ملفات بصورة اساسية؛ ولكن في احد الايام الباردة من شهر شباط (فبراير) ١٩٨٤ وجدت نفسي منضما لاربعة عشر شخصا آخرين في باص صغير، لم اكن قد رأيت أحدا

منهم من قبل ولكننا جميعنا اصبحنا اكثر انفعالا عندما صعد الباص في نهاية الامر تلة منحدرة وعبر بوابة محروسه، وتوقف امام مبنى الاكاديمية الضخم المكون من طابقين.

احتشد الضباط المرشحون الخمسة عشر، وانا منهم، في مبنى منبسط السطح حيث كانت القاعة المتسعة تضم في الوسط طاولة لكرة الطاولة وعلى الجدران صور جوية لتل ابيب كما كان فيها جدار زجاجي يواجه حديقة داخلية، وتتفرع منها قاعتان طويلتان، وبها درج خرساني معلق ظهر انه يطفو الى الطابق الثاني وكان المبنى من الاجر الابيض، وفي الداخل كانت توجد ارضيات رخامية فاتحة اللون وجدران من الاجر الابيض.

في الحال عرفت انني قد كنت هناك من قبل، اذ بينما كانوا يجرونني الى حجرة الحمامات الصغيرة في فحوصات قبل التمرين اختلست نظرة من تحت عصابة عيني ورَأيت ذلك الدرج.

قبل مضي وقت طويل دخل رجل اسمر البشرة شائب الشعر واخرجنا من الباب الخلفي ثم ادخلنا الى واحدة من غرف التدريس النقالة وقال ان المدير سيكون معنا قريبا.

هنا ايضا كان يوجد الكثير من السعة، مع نوافذ في كلتا الجهتين ولوح اسود على الجدار الامامي وطاولة طويلة بشكل حرف T في الوسط عليها جهاز تصوير وعرض للصور.كانت هذه الدورة ستعرف باسم «دورةالضباط المرشحين رقم ١٦» لانها الدورة السادسة عشرة لضباط الموساد المرشحين.

سرعان ما سمعنا اصوات خطى سريعة قادمة من موقف السيارات المغطى بالحصى، دخل بعدها الى الغرفة ثلاثة رجال، كان احدهم قصيرا ووسيما وداكن البشرة، وثانيهما، وقد عرفته، كان اكبر سنا وظهر بأنه رفيع الثقافة، اما الثالث فكان طويلا، اشقر الشعر في حوالى الخمسين من عمره يلبس نظارة باطار ذهبي مربع وقميصا وسترة صوفية سميكة؛ سار بنشاط الى رأس الطاولة بينما جلس الآخران في القسم الخلفي من الغرفة.

قال: «اسمي اهارون شيرف، وانا رئيس الاكاديمية، ارحب بكم في الموساد، واسمها الكامل: «الموساد: جهاز الاستخبارات والعمليات الخاصة وشعارها هو: «عن طريق الخداع، سنقوم بالحرب».

شعرت بأنني بحاجة للاوكسجين، كنت اعرف انها الموساد، ولكن ان يقال لنا اخيراً اننا مصيبون، فقد احوجني ذلك الى الهواء. وقف شيرف ـ وكان يعرف افضل باسم اراليه وهو لقب تحبب لاهارون ـ منحنيا الى الطاولة ثم انتصب ثم انحنى ثانية ـ وظهر عنيفا وقويا جدا.

تابع كلامه قائلا: «انكم فريق تم اختياره من الاف، لقد نخلنا اعدادا لا حد لها لنحصل على هذه المجموعة، لديكم الامكانية الكاملة لتصبحوا كل ما نريده فالفرصة لخدمة بلادكم لا تتوفر الا للقليلين.

«يجب ان تدركوا انه لا يوجد في مؤسستنا شيء يدعى «نظام الحصص» اننا نحب ان تتخرجوا جميعكم وتشغلوا مراكز نحن بحاجة ماسة اليها. ومن ناحية اخرى، فاننا لن ننجح شخصا ليس مؤهلا بنسبة مئة بالمئة، واذا كان معنى ذلك عدم نجاح اي شخص فلا بأس في ذلك، فقد حدث مثله في الماضي.

«ان هذه اكاديمية فريدة، وسوف تساعدون في عملية التعليم بإعادة تكوين انفسكم، لستم الا مواد خام لمهمة الامن في هذه المرحلة ـ وفي آخر الامرستتخرجون كاكثر رجال الاستخبارات تأهيلا في العالم.

«في هذه الأثناء لا يوجد لدينا معلمون، بل اشخاص من الميدان يكرسون قسما من اوقاتهم للاكاديمية ليكونوا مدرسيكم، وسيعودون الى الميدان، وهم بهذا يعتبرونكم كشركاء وزملاء في المستقبل، لا كطلاب.

«لا شيء يقولونه محفور في الحجر، بل يجب ان يثبت كل شيء عمليا، وهو يختلف من شخص لآخر، لكن معرفتهم مبنية على الخبرة وهي ما نريد ان تكتسبوه، وبعبارة اخرى سيحاولون ان ينقلوا لكم ما اكتسبته الموساد من الخبرة والذاكرة كما يعرفونها، وكما انتقلت اليهم عن طريق الخبرة والتجربة والخطأ.

«ان اللعبة التي تقدمون عليها خطيرة ويوجد الكثير لتتعلموه، اذ انها ليست لعبة بسيطة، ولا تنتهي دائما بالنجاة، وتذكروا دائما اننا في هذه اللعبة يجب ان نتساند مع بعضنا البعض، والا قد نشنق الى جانب بعضنا البعض.

«انني مدير هذه الاكاديمية ومدير ادارة التدريب فيها. اننا هنا في جميع الاوقات وبابي مفتوح دائما. اتمنى لكم حظا جيدا، وساترككم الآن مع مدرسيكم».

ثم غادرنا.

وفيما بعد كنت سأكتشف سخرية يافطة معلقة فوق باب مكتب شيرف، تذكر قولا منسوبا لوارين هاردنغ، وكان رئيسا سابقا للولايات المتحدة: «لا تعمل شيئا غير اخلاقي لداعٍ اخلاقي» ـ وهي تخالف تماماً ما تعلمه الاكاديميه.

حينما كان شيرف يتحدث دخل الغرفة رجل آخر وجلس، وعندما خرج شيرف تقدم ذلك الرجل الممتلىء الجسم، الذي يتكلم بلهجة شمال افريقيا، وعرّفنا بنفسه: «اسمي ايتان، وانا مسؤول عن الامن الداخلي، وانا موجود هنا لاخبركم بعض الاشياء ولكنني لن آخذ الكثير من وقتكم، واذا كانت لديكم اية اسئلة لا تترددوا في ايقافي وتوجيه الاسئلة»، وكما علمنا بعد ذلك بقليل، كان كل محاضر في الدورة يبدأ الدرس بذلك التعليق.

«ان ما اريد ان اقوله هو ان للجدران آذان، ويحدث طول الوقت تقدم فني متواصل ستتعلمونه عنه، ولكن يوجد بعض التقدم لا نعرف عنه حتى الآن. كونوا متكتمين، اننا نعرف انكم جميعا آتون من خلفيات عسكريه، لكن الاسرار التي ستحملونها اهم حتى من تلك الخلفيات، لهذا ارجو ان تفكروا بذلك طول الوقت.

«ثم انسوا كلمة الموساد، انسوها، لا اريد ان اسمعها ثانية على الاطلاق، ومن الآن فصاعدا اشيروا اليها بعبارة المكتب، المكتب في كل محادثه، لا اريد ان اسمع كلمة الموساد ثانية».

تابع ايتان كلامه قائلا: «عليكم ان تخبروا اصدقاءكم انكم تعملون في وزارة الدفاع وانكم لا تستطيعون التحدث عنها، سيرون انكم لا تعملون في بنك او مصنع. يجب ان تعطوهم جوابا والا سوف يسببون لكم المشاكل بفضولهم، لذلك فان هذا ما ستقولونه لهم. اما بالنسبة للاصدقاء الجدد، فلا تتخذوهم دون إذن، هل هذا مفهوم؟

«يجب الا تستعملوا الهاتف للتحدث عن اعمالكم واذا امسكت واحدا منكم يتكلم من بيته عن المكتب سأعاقبه عقابا شديدا، لا تسألوني كيف اعرف ما الذي تتكلمون عنه في الهاتف من بيوتكم، انني مسؤول عن الامن في المكتب واعرف كل شيء واذا كان هناك شيء احتاج ان اعرفه، سأستعمل اية وسائل متاحة لاي انسان لاعرفه».

«مرة كل ثلاثة اشهر ستقدمون امتحان جهاز كشف الكذب، وبعد ذلك كلما عدتم من رحلة للخارج او بعد اية فترة تقضونها خارج اسرائيل سيطلب منكم تقديم الامتحان».

«لكم الحق ان ترفضوا تقديمه، مما يعطيني الحق في اطلاق النار عليكم».

«سأقابلكم عدة مرات في المستقبل ونبحث اشياء اخرى، وستتلقون بطاقات هوية خلال يومين، سيحضر مصور لأخذ صوركم، وعند ذلك اريدكم ان تحضروا اية مستندات تكون لديكم من الخارج، سواء كانت جوازات سفر او بطاقات تعريف لكم ولزوجاتكم واطفالكم. وبما انكم لن تذهبوا الى اي مكان في المستقبل القريب، فاننا سنحتفظ بها».

بالنسبة لي كان معنى ذلك ان اسلم جوازات سفرنا الكندية.

عند ذلك أحنى ايتان رأسه وغادر الغرفة. ذهلَ الجميع، ـ كان اسلوبه خشنا فظا، ولم يكن الرجل لطيفاً، والحقيقة انه ترك بعد حوالي الشهرين ولم أره بعد ذلك على الاطلاق.

بعد ان غادر ايتان الغرفة تقدم الرجل الداكن البشرة، واخبرنا ان اسمه اورين رِف، وقال انه قائد الدورة، ثم خاطبنا قائلا:

«انكم ايها الابناء تحت مسؤوليتي وسأبذل كل ما استطيع من جهد لأجعل اقامتكم هنا ممتعة وارجو ان تتعلموا اكثر كمية ممكنة».ثم قدم اصغر رجال المجموعة جسما، ران اس. (دونوفان في

«عملية ابو الهول») بأنه مساعد في الدورة. كان الرجل المحنك شاي كولي المسؤول الثاني في الاكاديمية وأحد اوائل من امتحنوني.

قبل ان يبدأ رف اخبرنا شيئا عن خلفيته، كان قد عمل للمكتب عدة اعوام، وكانت واحدة من اوائل مهامه مساعدة الاكراد في كردستان بمحاربة العراقيين في حرب الاستقلال. كما كان قد عمل ضابط اتصال لمكتب غولدا مائير وكضابط لتجنيد العملاء في محطة باريس، وقال: «بالنسبة لوضعي الحالي، لا يوجد الا عدد قليل جدا من الاماكن في اوروبا التي استطيع ان اذهب اليها بأمان».

ثم قال رف اننا سنبدأ بالموضوعين اللذين سيستغرقان معظم وقتنا للشهرين او الثلاثة شهور القادمة، كان اولهما الأمن الذي سيعلمنا اياه مدرسون من «الشاباك» (قوة الامن الداخلي)، اما الثاني فيدعى «ناكا» وهو اختصار لعبارة تعني نظام الكتابة الموحد، وقال ضاحكا: «ان النظام يعني ان التقارير يجب ان تكتب بطريقة واحدة فقط، واذا عملت شيئا ولم تذكره في التقرير فسيكون الأمر كما لو انك لم تعمله، ومن ناحية ثانية، اذا لم تعمل شيئا، وذكرت انك قد عملته فسيكون الامر كما لو كنت قد عملته».

ثم اعلن قائلا: «وهكذا، دعونا نبدأ بتعلم الناكا».

عندما يصل الأمر لنقل الرسائل لم يكن يسمح بأي تغيير في الشكل، اذ يجب ان تكون الورقة بيضاء، اما مربعة او مستطيلة وفي اعلى الورقة تكتب اجازة الامن وتحتها خط بطريقة ما للاشارة الى ان الرسالة ليست سرية او سرية او بالغة السرية.

على الجانب الايمن من الورقة يكتب اسم من سيستلم الرسالة واسم من سيتخذ اجراء بشأنها: قد يكون شخصاً واحداً او شخصين او ثلاثة، ولكن كل اسم يجب ان يوضع تحته خط، ثم تكتب اسماء الآخرين الذين سوف يستلمونها، والذين هم بحاجة لنسخ منها دون ان يكونوا ملزمين باتخاذ اجراء بشأن المعلومات التي فيها. ويُعرف المرسل عادة كدائرة بدلا من فرد.

اما التاريخ فيكتب في الجهة اليسرى، مع السرعة التي يجب ان تسلم بها الرسالة - ببرقية او ببرقية مستعجلة او بالسرعة العادية وهكذا - مع رقم معرّف للرسالة.

وتحت كل هذا، في وسط الصفحة، يكتب عنوان من جملة واحدة متبوعة بنقطتين متراكبتين ويرسم خط تحته.

وبعدها يكتب مثلا: بالاشارة الى كتابكم رقم... وتاريخ... «واذا ذكر اشخاص في قائمة المستلمين لم يستلموا الكتاب المشار اليه يجب ان ترسل لهم نسخ منه كذلك».

اذا كان هناك اكثر من موضوع فانها تقسم رقميا، لكل منها اشارة واحدة مفهومة. وكل مرة

يكتب فيها رقم مثل: «اشتريت ٣٥ لفافة من ورق التواليت» يكرر الرقم بالقول: «اشتريت ٣٥ × ٣٥ لفافة...» وبهذا اذا حدث تشويه في ارسال الكمبيوتر، فسيكون بالامكان قراءة الرقم، ثم يوقع المرسل في اسفل الصفحة مستعملا اسمه الحركي.

كنا سنقضي عدة ساعات صفية في التمرن على «ناكا» اذ ان الهدف الرئيسي للمؤسسة هو تجميع المعلومات وكتابة التقارير عنها.

في اليوم الثاني، اجلت محاضرة عن الأمن واعطيت لنا اكوام من الصحف معلمة بمربعات عن قصص اخبارية معينة، اعطي موضوع لكل منا وبالاستعانة بالجرائد طلب منه ان يقسم القصة الى اقسام من المعلومات، ويكتب تقريرا عنها وعند استنفاد جميع المعومات كان علينا ان نكتب على التقرير «ليست هناك معلومات اخرى»، مما يعني انه كامل مؤقتا، كما اننا تعلمنا بألّا نكتب العنوان إلا بعد ان نكون قد كتبنا التقرير.

عند هذا الحد كنا لا نزال نذهب للصف يوميا، كما كنا قد استلمنا بطاقاتنا الشخصية الصغيرة البيضاء، التي تتألف الواحدة منها من الصورة وتحتها شريط برموز اصطلاحية.

حوالي نهاية الاسبوع الاول اعلن ريف اننا ستتعلم عن الأمن الشخصي، وما كاد يبدأ محاضرته حتى رُفس باب الغرفة بضجيج واقتحمها رجلان كان احدهما يحمل مسدسا ضخما من طراز «النسر» والآخر مدفعا رشاشا، واخذا فورا باطلاق النار. انكب الضباط المرشحون على الارض لكن ريف وران اس. سقطا على الجدار الخلفي مضرجين بالدماء.

خلال لحظات خرج الرجلان واستقلا سيارة وغادرا المكان؛ كنا في حالة صدمة مخيفة، ولكن قبل ان نبدي اي رد فعل وقف ريف واشار الى جيري اس. ، احد الضباط المرشحين وقال: «حسنا، لقد قتلتُ الآن، اريدك ان تصف من قام بقتلي وتذكر عدد الرصاصات التي اطلقت، واية معلومات قد تساعدنا على تعقب القاتلين».

وفيما كان جيري يعطي وصفه، كان ريف يكتبه على اللوح الاسود، ثم استشار بقية الضباط المرشحين وخرج ليستدعي «القاتلين» - لم يكونا ابدا حسب وصفنا، ولم نعرفهما على الاطلاق.

والحقيقة ان الرجلين كانا موسى .م. رئيس ادارة أمن العمليات ومساعده دوف ل. موسى الذي يشبه الممثل تلي سفالاس الى حد كبير.

قال موسى: «سنشرح لكم الهدف من هذه التمثيلية التحذيرية، اننا نقوم بمعظم اعمالنا في اقطار اجنبية، وبالنسبة لنا، فان كل شيء هو اما عدو او هدف، ولا شيء ودي. انني اعني ما اقول.

«ومع ذلك فيجب الا نكون موسوسين، فلا يمكنكم ان تفكروا دائما بالخطر الذي انتم فيه او بالخوف من كونكم ملاحقين او مراقبين، اذ لو عملتم ذلك، فلن تستطيعوا القيام بمهامكم.

يمكن اعتبار «آبام» (امن عمليات الاستخبارات) مجرد اداة، فهي موجودة لاعطائكم جُزءاً من السلام والأمن لكي تستطيعوا القيام باعمالكم بصورة صحيحة وتظلوا مسيطرين على الموقف لا مجال للخطأ في اعمالنا؛ قد يعطيكم جبرائيل فرصة ثانية، لكن الاخطاء مميتة.

«سوف نعلمكم الأمن على مراحل، ومهما كنتم بارعين في اي شيء اخر تعملونه او مهما كنتم قادرين او اذكياء، اذا لم تجتازوا دورة «آبام» بشكل يرضيني فستخرجون. انها لا تحتاج الى ايّة موهبة محددة، ولكن يجب ان تكونوا قادرين على التعلم، يجب ان تعرفوا الخوف وكيف تواجهونه، وعليكم ان تبقوا مهامكم في اذهانكم دائما.

«ان الاسلوب الذي سأعلّمكم اياه خلال السنتين او السنوات الثلاث القادمة معصوم من الخطأ.

لقد ثبتت صحته، وقد اتقنّاه وسنواصل اتقانه. انه منطقي جدا بحيث لو عرفه اعداؤكم مثلما تعرفونه، فانهم مع ذلك لن يستطيعوا مباغتتكم».

قال موسى ان دوف سيكون مدرّسنا مع انه كذلك سيعطينا بعض المحاضرات ويساعدنا في تمارينا، ثم اخذ نسخة من برنامج الدوره واشار اليها وقال: «هل ترون الفسحة التي بين اخر محاضرة واول محاضرة لليوم التالي؟ انها الفترة التي ستكونون فيها لي.

«تمتعوا بعطلة نهاية الاسبوع الاخيرة كعميان لاننا في الاسبوع القادم سنبدأ بفتح عيونكم، ان بابي مفتوح دائما، واذا واجهتم اية مشاكل، لا تترددوا في المجيء الي، ولكن اذا طلبتم نصيحتي، فانني اتوقع ان تعملوا بموجبها».

كان موسى، الذي كان رئيس الأمن لاوروبا عندما سمعت به لآخر مرة، قد جاء، كإيتان، من قوة الأمن الداخلي. وكان في وقت من الاوقات تابعا للوحدة ٥٠٤ وهي وحدة تعمل عبر الحدود للاستخبارات العسكرية، كان خشنا وعنيدا، لكنه مع ذلك كان وديا. كان ايديولوجيا ومتفانيا في عمله، ومعجبا بالنكات كذلك.

قبل ان نغادر لاجازة نهاية الاسبوع - كان علينا ان نرى روثي كيمشي، سكرتيرة المدرسة. كان زوجها في يوم من الايام مديرا لادارة التجنيد، وبعدها، وبصفته وكيلا لوزارة الخارجية، لعب دورا هاما في تورط اسرائيل في حرب لبنان المأساوي، كما تورط فيها بعد في قضية ايران - كونترا.

* * *

كان النهار يقسم عادة الى خمسة اقسام: من الثامنة حتى العاشرة صباحا، ومن العاشرة حتى

الحادية عشرة ومن الحادية عشرة حتى الواحدة بعد الظهر، ومن الثانية الى الثالثة، ومن الثالثة حتى الثامنة مساء. وكنا نرتاح عشرين دقيقة بين القسم والقسم الذي يليه ونتناول غداءنا بين الواحدة والثانية في مبنى آخر يبعد قليلا عنا ويقع على سفح التله. وفي الطريق كنا نمر بكشك نشتري منه السجائر والحلوى والبقاليات بأسعار مخفضة، وفي ذلك الوقت كنت ادخن باكيتين او ثلاثة باكيتات من السجائر يوميا. وكان كل من في الاكاديمية تقريبا يدخن.

كان وقت الدورة مقسما بين اربعة مواضيع رئيسية: «الناكا» (طريقة كتابة التقارير الموحدة للموساد) و«آبام» (امن عمليات الاستخبارات) والامور العسكرية العامة والغطاء.

ضمن موضوع الامور العسكرية تعلمنا كل شيء عن الدبابات وسلاح الجو والبحرية وبناء القواعد، وعن الاقطار المجاورة وبُناها السياسية والدينية والاجتماعية، وكانت المحاضرات الاخيرة مركزة يلقيها اساتذة الجامعة.

بمرور الايام، كانت ثقتنا تتزايد، واصبحنا نروي النكات في الصف بحالة نفسيّة عاليّة في العادة، وبعد انقضاء ثلاثة اسابيع من الدوره انضم الينا يوسي س. ٢٤. كان صديقا لأحد الضباط المرشحين الاخرين، حاييم م.، وكان ضخما اصلع في الخامسة والثلاثين من عمره ويتكلم العربيّة، وله انف ضخم مكعبر. وكان يبتسم بخجل دائما، كما كان متزوجا وله ولدان.

كان يوسي قد عمل معه في لبنان في الوحدة ٥٠٤ وقد عاد الآن من القدس حيث كان قد اتم دورة مدتها ستة شهور باللغة العربية، كان يتكلمها بطلاقة رغم ان لغته الانكليزية كانت مرعبة؛ وكان متزوجا وكانت زوجته حاملا، وبصفته يهوديا ارثوذكسيا، كان يلبس باستمرار الطاقية المنسوجة التي يلبسها المتدينون ولكنّ ما أصبح مشهوراً به هو سطوته على النساء، وكان جذابا للنساء كالمغناطيس، وقد استفاد كليا من ذلك.

عند نهاية الدراسة يوميا، واذا لم توجد تمارين اخرى، كنت كثيرا ما اقضي بعض الوقت اتناول القهوة والكيك في واحد من مجموعة مقاهي كابولسكي في رامات هاشارون اثناء عودتي الى هرتسليا، واخيرا اصبحت احد افراد شلة وثيقة تتألف من يوسي وحاييم وميشيل م.، وهو خبير اتصالات فرنسي كان قد جاء الى اسرائيل قبل حرب يوم الغفران، وعمل بوحدة تدعى ٨٢٠٠، وكان قد قام ببعض المهام للموساد في اوروبا قبل الانضمام بصفة «خبير مصحوب»، ونظرا لان الفرنسية هي لغته الاولى، فقد اعتبر مرشحا جيدا، وبهذا انضم الى الدورة من الباب الخلفي.

اثناء جلساتنا في المقهي، كنا نقوم بالكثير من التخطيط ومناقشة الاستراتجية. كان يوسي يقول دائما: «انتظروني» ويطلب القهوة والكيك ثم يتركنا، ويعود بعد ثلاثين دقيقة قائلا ان اسمها فلانة الفلانية «وكان عليّ ان اعمل لها معروفاً وكان يعمل المعروف دائما». اخبرناه بأنه قد يصاب بأحد الامراض، لكنه كان يقول دائما: «انني شاب والله الى جانبي» وقد وصل به الحال حدا

جعله ينكت قائلا: بأن الامر قد اصبح بالنسبة له مهنة ثانية.

اما التغطية كبراعة فنية فكان يدرّسها ضابطا تجنيد العملاء وجمع المعلومات شاي كولي وران س. كولي الذي قال لنا: «عندما تعمل في جمع المعلومات لا تكن فيكتور او حاييم او يوسي بل ضابط جمع المعلومات ومعظم العمليات التي نقوم بها تتم تحت الغطاء. انك لا تتقدم من شخص ما وتقول له: «مرحبا، انني اعمل في الاستخبارات الاسرائيلية واريدك ان تعطيني معلومات اعطيك نقودا مقابلها».

«انك تعمل سرا، مما يعني انك لست كما تظهر، فضابط جمع المعلومات يتوقع منه ان يكون متعدد البراعات، هذه هي العبارة الجامعة ـ تعدد البراعات. قد تعقد ثلاثة اجتماعات في يوم واحد، وفي كل منها تكون شخصا آخر، وهذا يعني شخصاً آخر كلياً.

«ما هو الغطاء الجيد؟ انه شيء يمكنك تفسيره بكلمه واحدة، شيء له اوسع مجال من الامكانيات. فاذا سألك احدهم ما عملك واجبته بانك طبيب اسنان، فان هذا الجواب غطاء عظيم، فالكل يعرف ما يعمل طبيب الاسنان، وبالطبع اذا فتح شخص ما فمه وطلب المساعدة، فعندها تقع في مشكلة».

قضينا وقتا طويلا نتمرن على الاغطية، اذ درسنا مختلف المدن عن طريق ملفات المكتبة وتعلمنا كيف نتحدث عن مدينة معينة كما لو كنا قد عشنا فيها طول حياتنا، كما تعلمنا بناء شخصية وانتحال مهنة في يوم واحد، واشتملت تلك الدراسة على اجتماعات مع ضباط جمع ذوي خبرة حيث ستفحص قصص الغطاء عن طريق محادثة عرضية.

كانت التمارين تجري في غرفة مجهزة بالآت تصوير تلفزيونية ليتمكن الضباط المرشحون الاخرون من مشاهدتها من غرفة الصف.

كان واحدا من اوائل الاشياء التي تعلمناها هو الا نعطي معلومات كثيرة بسرعة تزيد عما يجب. ان ذلك ليس الشيء الطبيعي لعمله، وكان ذلك درسا تعلّمه على عجل تسفي جي ٤٢، وهو عالم نفسي واول مرشح يتعرض للتمرين.

واجه تسفي ضابط جمع المعلومات وتكلم بدون توقف لمدة عشرين دقيقة مفشيا من غير تفكير كل شيء يعرفه عن مدينة الغطاء وعن مهنته. لم يقل ضابط جمع المعلومات شيئا، وعندما عدنا الى الصف ضحكنا كثيرا، وعندما اتم تسفي حديثه عاد الى الصف قائلا: «آه، لقد انتهى الاختبار» ـ وكان سعيدا.

كنا جميعا قد نشأنا في خلفية عسكرية حيث يكون لدى المرء شعور بالولاء لأصدقائه، ولهذا عندما سألنا كولي اولا رأينا في اللقاء، قلت انني اعتقد بان تسفي كان قد درس موضوعه جيدا وانه يعرف المدينة، كما قال شخص اخر انه تكلم بوضوح وان قصته مفهومة.

ثم وقف ران وقال: «توقفوا عن هذه الاقوال. هل تريدون ان تقولوا لي انكم توافقون على هذه القمامة التي جرت في تلك الغرفة؟ ألم تروا الغلطة التي عملها هذا الاحمق؟ والغريب انه عالم نفسي! هل تفكرون على الاطلاق ايها الاشخاص؟ هل ما قدمه عرض يصلح لهذه الدورة؟ اريد ان اعرف آراءكم، ما تعتقدونه حقا، فلنبدأ بتسفي جي».

أقر تسفي انه قد افرط في الحديث وانه كان قلقا جدا، مما فتح بوابات الفيضان، لان كلا منا سيكون هناك في آخر الامر، وسوف نصلب ان لم نعمله جيدا، وقال ران: «ربما ادى اتقانه الى انقاذ حياتكم في يوم من الايام».

خلال تسعين دقيقة تحول تسفي الى إمعّة، ولو ان أيّة سحلية قد مرت في غرفة الصف لكانت ستعتبر اكثر ذكاء منه، وقد وصل الامر الى حد اننا طلبنا اعادة شريط الفيديو، لمجرد اثبات نقطة غباء، وكنا جميعنا نتمتع بذلك.

هذا ما يحدث عندما تأخذ جماعة من الاشخاص المتنافسين جدا وتبعد قواعد السلوك المتمدن، سوف تعجب من تحجر القلوب الذي يظهر عند ذلك، وعندما أستعيد الحادث وافكر به، اراه مروعا. اذ تحول الى امر بذيء، الى مسابقة لمن يستطيع ان يضرب ضربة اقوى ويصيب نقطة اكثر ليناً. وفي كل مرة كان فيها السباب يتناقص قليلا او يهدأ، كان ران وكولي يعيدان إشعاله بتوجيه سؤال اخر. كنا نجري هذه التمارين مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع. كان الامر وحشياً لكنه بالتأكيد علمنا كيف نشكّل غطاء.

حتى ذلك الحين كان قد مضى علينا في الدورة احد عشر اسبوعا، كما ان مواضيع المحاضرات شملت حتى النبيذ: كيفية التعرف على النبيذ الجيد، وكيفية التحدث عنه، ومن اين يأتي. كما تدربنا على تناول الطعام في غرفة الطعام الرسمية التابعة لرئيس الوزراء في الاكاديمية، مستعملين قوائم طعام فعلية من المطاعم الرئيسية في مختلف انحاء العالم، لنتعلم كيف نطلب الطعام المناسب وكيف نتناوله.

في احدى زوايا غرفة كرة الطاولة في الاكاديمية كان جهاز تلفزيون يعمل على مدار الساعة يعرض اشرطة من محطات التلفزيون الكندية والبريطانية والامريكية والاوروبية، بالاضافة الى مسلسلات قصصية عن متاعب اشخاصها في الحياة، لكي نستطيع اذا سمعنا لحن برنامج تلفزيوني ان نعرف من اين أتى ونستطيع التحدث عنه، كما هو الحال بالنسبة لقطعة النقود الكندية من فئة الدولار مثلا، انها تدعى «لوني» «المعتوه» في كندا ولكن اذا سألك شخص عنها، ولم تعرف ما تتكلم عنه بينما تتظاهر بأنك كندي، فانك ستنسف غطاءك.

كان الشيء التالي الذي تعلمناه ضمن تدريبات أمن العمليات الاستخبارية كيفية التعقب، اولا في مجموعات، ثم فرديا، وكيفية الاندماج واتخاذ مواقع مناسبة والاختفاء، والفرق

بين الملاحقة في منطقة «سريعة» (شوارع كثيرة الحركة حيث يضطر المتعقب ان يتبع ببطء اكثر) ومنطقة «بطيئة»، ومفهوم المسافة والزمن، اي تعلم قياس المسافة التي يقطعها شخص ما في وقت معين. فلنفرض مثلا ان من تتعقبه يدور زاوية شارع في مدينة، وعندما تصل الى تلك الزاوية تجد انه قد اختفى؛ يجب ان تحسب ان كان خلال الفترة التي لم تره اثناءها قد قطع المسافة الى الزاوية التالية واذا لم يكن قد فعل ذلك، فانك تعرف انه قد دخل احد المباني، لذلك عليك ان تقف.

وبمجرد ان تعلمنا كيفية التعقب كان علينا ان نتعلم كيف نعرف ان كان اناس يتعقبوننا ـ عن طريق اجراء يعرف بعبارة «روتين الطريق».

ادخلنا الى غرفة جديدة في الطابق الثاني من المبنى الرئيسي، كانت غرفة كبيرة بها حوالى عشرين مقعدا ـ مقاعد طائرات، النوع الذي به منافض سجاير في مساند الاذرع وطاولات تطوى. كما كان يوجد في مقدمة الغرفة منحدر صغير وكرسي وطاولة خلفها لوحة من البلاستيجلاس (نوع من البلاستيك) امام شاشةكانوا يعرضون عليها خرائط لتل ابيب، تبين اقساما من المدينة بالتناوب وكان على كل منا ان يشرح طريقنا على الخريطة بعد التمرين، والطريق هي اساس اعمالنا وبدونها لا نستطيع العمل.

حددت للمرشحين مواقع مختلفة وطلب منهم ان يتركوها في وقت محدد، ويتجهوا بطريق معينه، ويذكروا ان كان احد قد تعقبهم ام لا واذا كان احد قد تعقبهم عليهم ان يذكورا من رأوا ومتى تم ذلك وعدد المتعقبين واوصافهم. والمرشحون الذين يذكرون انهم لم يتعرضوا للتعقب كان عليهم ان يقولوا متى واين تحققوا من ذلك وكيف تحققوا منه ولماذا يعتقدون انه لم يجر تعقبهم، وكل ذلك كان يرسم بمؤشر خاص على لوحة البلاستيجلاس فوق الخرائط.

كان المرشحون يقدمون التقارير عادة في صباح اليوم التالي، وبعد تقديمها كان يتم ابلاغ كل منا من تعرضّ للتعقب ومن لم يتعرض له.

كان من المهم ان يعرف الواحد منا ان كان قد جرى تتبعه قدر اهمية معرفته بان احداً لم يتتبعه، واذا اعتقد بأن شخصا قد تعقبه بينما لم يكن احد قد تعقبه فانه لا يستطيع السير بعمله. ففي اوروبا مثلا اذا قال احد ضباط جمع المعلومات بانه قد تعرض للتعقب فان المركز يتوقف عن العمل لمدة شهر او شهرين الى ان يتم التحقق من الامر. من الخطر ان يقول المرء أنه قد تعرض للمتابعة لأن من الطبيعي ان يثير ذلك قضية من كان يتتبعه ولماذا.

كما أبلغنا بان البيوت التي نسكنها بيوت مأمونة، كان علينا ان نتأكد من ان احدا لا يتعقبنا عندما نغادرها في الصباح او عندما نعود اليها ليلا؛ ولكل الاغراض كانت الاكاديمية محطة، ومنازلنا هي البيوت المأمونة.

نقسم الطريق الى قسمين رئيسيين. كان الواحد منا في العادة يخططها على خريطة. عليه

ان يغادر مكانا ويتصرف بصورة طبيعية تماما ويبحث عن مواقع مناسبة تتيح له رؤية واضحة، مواقع يكون له سبب للتواجد فيها، ويستطيع منها ان يرى المكان الذي جاء منه دون ان يستطيع احد مشاهدته. لنفرض ان طبيب اسنان موجود في الطابق الثالث من احد المباني وفي ذلك الطابق توجد نافذة تشرف على الشارع الذي جاء منه، اذا مشى ذلك الشخص بخط متعرج للوصول الى هناك فانه يلاحظ ان كان احد يتعقبه، ومن تلك النافذة يراه ينظر، وينتظر.

اذا كانت مجموعة تلاحقني بعد ان كنت قد خرجت من أحد الفنادق فسأكون مطوقا، لهذا اسير بخط مستقيم لمدة خمس دقائق لكي اخدع المطوقين، ثم ادخل بخط متعرج الى مبنى والقي نظرة من موقع يتيح لي مراقبتهم، واراقبهم وهم يعيدون تنظيم انفسهم، وما سيكون علي عمله بعد ذلك هو كسر اي عامل للصدفة، لهذا آخذ سيارة باص واذهب الى قسم اخر من المدينة، واكرر ذلك ببطء شديد لاعطائهم الفرصة للحاق بي.

ان الشيء الذي لا يريد الواحد منا ان يعمله ان كان فعلا متعرضا للتعقب هو ان يفقد متعقبيه، واذا فقدهم كيف يستطيع التحقق من ذلك؟ وكيف يعرف ان كانوا يتعقبونه اذا جاءوا ثانية، لكي يوقف جميع نشاطاته المخططه، وقد يذهب حتى الى السينما، ولكن فيما يتعلق بتدريباتنا في تلك المرحلة فانه يكون قد انتهى.

كان على كل منا ان يحمل قبعة صغيرة في جيبه، وعندما يتأكد بأن اناسا يتعقبونه كان عليه ان يلبسها، ثم يتصل هاتفيا برقم معين ويذكرمن هو، وانه مطارد ـ او ليس مطاردا ـ ثم يعود الى بيته. وكنا نجتمع بعد ذلك في منزل احدنا لبحث الموقف.

طوال فترة التدريب عملت غلطة واحدة فقط، اذ قلت مرة ان اشخاصا يتعقبونني بينما لم يكن الامر كذلك. وقد حدث ذلك لان احد المرشحين نسخ خط سيري ولحق بي بعد خمس دقائق فقط. رأيت الجماعة تتعقبه وظننا انها تلاحقني، لكنه هو لم يلاحظ انهم يتتبعونه.

وبحلول هذا الوقت كان الصف قد انقسم الى عدة شلل من ضمنها شلتي. كان الواحد منا يشعر بتعرضه للانتقاد والهجوم في الدورة، وفي الصف كان ذلك ينطبق على الجميع. ولكن بعد ذلك بدأنا الاجتماع بمجموعات من ثلاثه الى اربعة افراد واخذنا بتقديم النصح لبعضنا البعض وحتى بـ «تجنيد» الهيئة التدريسية لمساعدة شللنا ـ كنا نطبق ما تعلمناه على من كانوا يعلموننا.

وفي هذه المرحلة بدأ المدرسون يشرحون لنا تطبيق ما تعلمناه، قائلين:

«والان بعد ان تعلمتم كيف تحمون انفسكم، فانكم تتعلمون كيف تجندون الاخرين. تأتون الى مكان بعد التأكد من نظافتكم وتبدأون بالتجنيد، وبعدها تكتبون التقارير بالاسلوب الذي تعلمتموه، كما تعرفون كيف تستفيدون من المعلومات من الدك المتواصل للمعطيات التي تلقيتموها». اتذكر قول موسى: «عند هذا الحد يا اصدقائي، بدأتم في شق قشرة البيضة».

الفصل الثالث

طلاب السنة الجامعية الاولى

عند هذا الحد من الدورة كان الضباط المرشحون قد جمّعوا كمية لا بأس بها من المعرفة التقنية التي كان يجب الآن تطبيقها على واقع الحياة. وكانت احدى طرق تلك العملية سلسلة من التمارين التي كنا نقوم بها مرتين في اليوم وتدعى «الدكاكين الصغيرة»، وكان الهدف منها تعليمنا كيفية عقد اجتماع متابعة بعد القيام باتصال مباشر ناجح بمجند محتمل.

مرة ثانية كان كل واحد منا يراقب انجاز كل مرشح آخر على شاشة التلفزيون في غرفة منفصلة ويعرضه لتحليل مكثف، واحيانا معادٍ لجهوده. كان امتحان الواحد يستغرق حوالى تسعين دقيقة، وكان بالحقيقة مرعبا ومنتزعا للاحشاء.

كان التدقيق والانتقاد يشملان كل كلمة وكل حركة وكل تصرف: «هل وضعت العدد الكافي من الشراك؟ ماذا قصدت عندما قلت ان بدلته جميلة؟ لماذا سألته ذلك السؤال، ذلك السؤال بالذات؟

ان خطأ في «الدكان الصغير» مهما كان محرجا لم يكن مميتا، لكن خطأ في دنيا الاستخبارات الواقعيه قد يكون مميتا، وكنا جميعنا نرغب في الوصول الى دنيا الواقع.

كنا نريد ان نسجل اكبر عدد ممكن من النقاط لتغطية اي فشل في المستقبل. كان الخوف من الفشل قويا، على اننا كنا قد اوقعنا في شرك العمل للموساد، وظهر بانه لا توجد حياة اخرى للواحد منا بعد ذلك، إذ ماذا سيعمل؟

اما محاضرة الدورة الرئيسية التالية فقد القاها أمي يار رئيس قسم الشرق الاقصى وافريقيا في التيفيل (ادارة ضباط الاستخبارات في السفارات الاسرائيلية) كانت قصة ممتعة للغاية بحيث ان كل شخص قال عند انتهائها: «كيف نلتحق بالدورة؟».

كان لادارة يار اشخاص متمركزون في كافة انحاء الشرق الاقصى لا يقومون الا بالقليل من اعمال الاستخبارات، وبدلا من ذلك كانوا يضعون هيكل العمل المستقبلي والروابط الدبلوماسية فمثلا كان لها رجل في جاكارتا يحمل الجنسية البريطانية ويعمل في الخفاء، مما يعني ان الحكومة الاندونيسية كانت تعلم انه يعمل للموساد وكان لديه من ضمن اجراءات الامن الاخرى طريق للهرب وحزام من قطع العملة الذهبية اذا احتاج اليها، وكانت مهمته الرئيسية تسهيل مبيعات الاسلحة في المنطقة كما كان للادارة رجل في اليابان وآخر في الهند وواحد في افريقيا واحيانا اشخاص في سريلانكا وماليزيا، وكان يار يعقد اجتماعه السنوي مع اتباعه في سيشل، كان يجد متعة كبيرة، مع احتمال قليل جدا لتعرّضه للمخاطر.

كما كان ضباط يار في افريقيا يتعاملون بملايين الدولارات في مبيعات الاسلحة، كان رجال الاتصال يعملون على ثلاثة مراحل: اولاً كانوا يجرون الاتصالات لمعرفة ما تحتاجه البلاد، وما تخشاه ومن تعتبرهم اعداءها - معلومات يجمعونها عن طريق نشاطاتهم الميدانية. وكانت الفكرة البناء على هذه الاحتياجات وايجاد علاقة اقوى مع تلك الدول وابلاغها بأن اسرائيل تستطيع ان تزود الحكومة المعنية بالاسلحة والتدريب ومهما كانت بحاجة اليه. والخطوة النهائية في العملية، بمجرد أن يكون زعيم تلك البلاد قد اوقع في شرك الاسلحة هي ان يقوم رجل الموساد بابلاغه ان عليه ان ياخذ بعض المعدات الزراعية كذلك، وعندها يوضع الزعيم في موقف يقول معه انه لن يكون بامكانه توسيع العلاقات مع اسرائيل الا اذا اقيمت علاقات دبلوماسية رسمية بين البلدين. كانت تلك الطريقة جوهريا ايجاد تلك العلاقات عن طريق الباب الخلفي «ولكن كانت صفقات الاسلحة في معظم الحالات مربحة جدا، لدرجة ان رجال الاتصال لم يهتموا ابدا بمتابعة الخطوة التالية.

على انهم قاموا بذلك في سريلانكا. اوجد أمي يار الصلة ثم ربط البلاد عسكريا، بإمدادها، بمعدات جوهرية، ومن ضمنها قوارب لخفر السواحل، وفي نفس الوقت كان يار وجماعته يزودون ثوار التاميل بمعدات مقاومة لتلك القوارب لاستعمالها في محاربة القوات الحكومية. كما ان الاسرائيليين دربوا قوات مختارة من الطرفين دون ان يعرف اي منهما بالأمر، كما ساعدوا سريلانكا على الاحتيال على البنك الدولي ومستثمرين آخرين بملايين الدولارات لدفع اثمان جميع الاسلحة التي كانوا يشترونها منهم.

كانت الحكومة السريلانكية قلقة بشأن الاضطرابات بين المزارعين - للبلاد تاريخ طويل من المشاكل الاقتصادية - لهذا ارادت تقسيمهم الى حد ما بنقلهم من ناحية من الجزيرة الى ناحية اخرى لكنها كانت بحاجة الى سبب مقبول كذلك، وهنا تدخل أمي، وهو الذي تصور «مشروع مهاويلي» العظيم، وهو مشروع هندسي ضخم لتحويل نهر مهاويلي من مجراه الطبيعي لمناطق جافة في الناحية الاخرى من البلاد. ادعى بأن المشروع سوف يضاعف الطاقة الكهرومائية في البلاد ويفتح ٧٥٠٫٠٠٠ فدان من الاراضي المروية الجديدة، وبالاضافة الى البنك الدولي، فان كلاً من السويد وكندا واليابان والمانيا والمجموعة الاقتصادية الاوروبية استثمرت في المشروع الذي سيكلف مليارين ونصف المليار من الدولارات.

منذ البداية كان مشروعا طموحا اكثر مما ينبغي، لكن البنك الدولي والمستثمرين الاخرين لم يفهموا ذلك، وبالنسبه لهم كان المشروع ما زال تحت التنفيذ. كان في الاصل سيستغرق ثلاثين عاما، لكنه تسارع فجأة عام ١٩٧٧ عندما اكتشف الرئيس السريلانكي جونيوس جاياوردين ان بالامكان جعله بالغ الاهمية بمساعدة قليلة من الموساد.

ومن اجل اقناع البنك الدولي بشكل خاص(لالتزامه بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار)بامكـانية تنفيذ المشروع، وبانه سيكون عذرا ملائما لنقل الفلاحين من اراضيهم، فقد كلفت الموساد اثنين من الاكاديميين الاسرائيليين، احدهما اقتصادي من جامعة القدس والاخر استاذ في الزراعه، بكتابة ابحاث عملية تشرح اهمية المشروع وكلفته، كما منحت شركة انشاءات اسرائيلية رئيسية، وهي شركة سوليل بوناه، عقدا ضخما لقسم من العمل.

كان ممثلو البنك الدولي يذهبون بين الوقت والآخر الى سريلانكا ليتفقدوا سير العمل في المشروع، لكن المسؤولين المحليين كانوا قد تعلموا كيف يخدعون اولئك المفتشين بأخذهم بطرق غير مباشرة ـ كانوا يشرحون بسهولة انها قد اختيرت لاسباب امنية ـ ثم يعودون بهم الى نفس المنطقة الصغيرة تماما، حيث كانت بعض الانشاءات قد اقيمت بالفعل لذلك الغرض فقط.

وفيما بعد، عندما كنت في ادارة يار في رئاسة الموساد، كلفت بمرافقة كنة الرئيس جايا واردين ـ واسمها بني ـ في زيارة سرية لاسرائيل، وكانت تعرفني باسم «سيمون».

اخذناها الى كل مكان ارادت الذهاب اليه، وكنا نتحدث بعبارات عامة، لكنها اصرت على ان تخبرني عن المشروع وكيف ان امواله تمول شراء معدات للجيش، وكانت تتذمر من انهم لا يسيرون بتنفيذه حقا، ومن سخريات القدر انه قد اخترع للحصول على اموال من البنك الدولي لدفع اثمان تلك المعدات.

في ذلك الوقت لم تكن توجد علاقات دبلوماسية لاسرائيل بسريلانكا، وكان من المفترض انها تحظر التعامل معنا، لكن السيدة الزائرة اخبرتني عن جميع تلك الاجتماعات السياسية السرية الجارية بين البلدين، والعجيب في الامر انه عندما سُرّبت قصص اخبارية عن الاجتماعات أدعي ان لاسـرائيـل مئة وخمسين ضـابط استخبـارات في سـريـلانكـا، بينما لم يكن لهـا مثـل ذلك العدد في كافة انحاء العالم، والحقيقة انه لم يكن لنا في سريلانكا آنذاك الا امي ومساعده، وكلاهما في زيارة قصيرة.

كما ان عالما جديدا اخر كشف لي وللاخرين بمحاضرة في مقر رئاسة الموساد عن «ياهـا» (ادارة نشاطات التخريب المعادية)وبصورة خاصة منظمة التحرير الفلسطينية. وتدعى الادارة احيانا «ادارة نشاطات التخريب المعادية في الخارج» والعاملون بها هم كتبه اساسا وادارتهم من افضل ادارات الابحاث في المؤسسة كلها، وتحليلها ذو علاقـة بالعمليـات العسكريـة بصورة رئيسية.

كان الامر صدمة لنا، اخذونا الى غرفة في الطابق السادس واجلسونا واخبرونا ان تلك الغرفة كانت المكان الذي تجمع فيه معلومات يومية عن تحركات رجال منظمة التحرير الفلسطينية وغيرها من المنظمات الارهابية. فتح المدرّس جداره الضخم القابل للطي وعرضه حوالي مئة

قدم، وكانت عليه خريطة هائلة الحجم للعالم ـ باستثناء منطقتي القطب الشمالي والقطب الجنوبي ـ وتحتها سلسلة من خزائن اجهزة الكمبيوتر. كان الجدار مقسما الى مربعات صغيرة تضاء، فاذا ضغطت على مصف حروف الكمبيوتر باسم «عرفات» مثلا، فان مكانه المعلوم آنذاك يعني على الخريطة، واذا ضغطت، على «عرفات» ، ثلاثة ايام «فان الانوار تضاء في كل الاماكن التي كان فيها خلال الثلاثة ايام السابقة. والمربع الحالي هو الأكثر لمعانا دائما، وكلما تقادمت التحركات كلما ازداد الضوء خفوتا.

كانت الخريطة تتسع للعديد من الناس، فاذا اردت مثلا ان تعرف نشاطات عشرة من كبار رجال م. ت. ف يمكنك ان تضغط على اسمائهم فتظهر تحركات كل منهم بلون يختلف عن الالوان الاخرى، كما يمكنك ان تحصل على نسخة مطبوعة من الكمبيوتراذا كنت بحاجة اليه. كانت الخريطة قيمّة بشكل خاص كمرجع سريع، فمثلا اذا كان ثمانية من العشرة موجودين في باريس في نفس اليوم فان ذلك يعني انهم يخططون لشيء ما، وان «خطوات» يمكن اتخاذها في هذا الشأن.

كان كمبيوتر الموساد الرئيسي يحتوي في ذاكرته على اكثر من مليون ونصف مليون اسم. وكل من ادخلته الموساد كعضو في م. ت. ف او كعادٍ للدولة بأي شكل، كان يدعى «ياها» على اسم الادارة، التي لها جهازها الخاص لكنها كانت تستعين بذاكرة الكمبيوتر الرئيسي كذلك. وكان الكمبيوتر الذي تستعمله الموساد من نوع «بوروز» بينما كانت الادارة العسكرية وبقية ادارات الاستخبارات تستعمل آي/بي/ام.

كما ان لوحات عارضات التحكم الجانبية كانت تقسم المعلومات الى تفاصيل دقيقة ـ الى مدن مثلا، وعندما كانت المعلومات تدخل من اية محطة مع الاشارة الى م. ت. ف. كان الكبيوتر يومض تلك المعلومات على الشاشه. وعندها كان المناوب يقرأها ويأخذ نسخة مطبوعة عنها (كانت الشاشة تسجل كذلك بان نسخة مطبوعة قد اخذت وفي اي وقت تم ذلك) ومن النادر ان تستطيع م. ت. ف القيام بأي تحرك في اي مكان في العالم الا وينتهي على شاشة الموساد الجبارة.

كان اول شيء يعمله المناوب عندما يأتي لتولي نوبته هو طلب الحركة الكاملة خلال الاربع والعشرين ساعة الماضية، فيحصل على صورة عن الامكنة التي كان فيها رجال م. ت. ف خلال تلك الفترة، فاذا وجد مخيم المنظمة في شمال لبنان مثلا ولاحظ احد العملاء وصول سيارتي شحن اليه فان تلك المعلومات تنقل للمناوب وتكون الخطوة التالية معرفة حمولة هاتين السيارتين. كان الاتصال باولئك العملاء يتم يوميا واحيانا كل ساعة، اعتمادا على اماكنهم وعلى الخطر الذي يعتقد بانه يهدد اسرائيل.

لقد اثبتت التجارب بالفعل ان الاشياء التي تبدو غير ضارة قد تشير احيانا الى نشاط

رئيسي. ففي احدى المناسبات قبل حرب لبنان وردت معلومات من احد العملاء ان شحنة من لحم البقر الفاخر. قد وصلت الى مخيم تابع لمنظمة التحرير في لبنان، وهذا شيء لا يحصل عادة في مخيمات كهذه. كانت الموساد تعرف ان المنظمة تخطط لهجوم لكن لم تكن لديها اية فكرة عن موعده، فدلتهم شحنة اللحم الى انها كانت لعشاء احتفالي. وبناء على هذه المعلومة قام مغاوير اسرائيل البحريون بضربة وقائية قضت على احد عشر فدائيا وهم يهمون بركوب قواربهم المطاطية.

كان ذلك مثلا آخر على اهمية نُتف المعلومات الصغيرة ـ وعلى اهمية تقديم تقرير مناسب عن كل شيء.

* * *

في بداية الشهر الثاني أُعطي كل منا سلاحه الشخصي ـ مسدس «برتيا» من عيار ٢٢. وهو السلاح الرسمي لضباط الموساد، رغم ان القليلين يحملونه بالفعل في الميدان لانه قد يخلق مشاكل خطيرة ففي بريطانيا مثلا يعتبر حمل السلاح مخالفاً للقانون، لهذا فهو لا يستحق المخاطرة بتعرض حامله للاعتقال؛ واذا قام الانسان بعمله جيدا، فانه لن يكون بحاجة لحمل السلاح، واذا استطاع ان يهرب او ان يتملص بالكلام من موقف حرج، فان ذلك افضل.

على ان الواحد منا قد تعلّم بانه اذا كان ذهنه يعطي اشارة ليده بان تسحب السلاح فانه يتوجه للقتل، ويجب ان يقول ذهنه ان الشخص الذي امامه ميت ـ فاما ان يموت هو او الشخص الآخر.

ومرة ثانية فان استعمال السلاح يتطلب تمرينا ـ انه كرقص الباليه، الذي يتعلم الانسان فيه حركة واحدة في المرة.

يُحمل المسدس في الجيب الخلفي للبنطلون، كما ان بعض ضباط الموساد يستعملون قرابا للمسدس وبعضهم لا يستعملونه. ومسدس برتيا مثالي لأنه صغير. لقد بيّن لنا المدرسون كيف نحيط بعض الرقائق الرصاصية داخل القسم السفلي من بطانه الجاكيت الامامية، مما يسمح للرفرف بان يبتعد عندما يمد الواحد منا يده للمسدس، والعملية تتطلب التفاتا وانحناء ليتمكن الانسان من ان يجعل نفسه هدفا اصغر، والوقت اللازم لفتح المعطف اولا قد يكلفه حياته.

عندما يكون من الضروري ان يطلق احدنا النار، عليه ان يطلق اكبر عدد ممكن من الرصاصات على هدفه وعندما يسقط الهدف، عليه ان يسير نحوه ويضع مسدسه على صدغه ويطلق النار ثانية، وبهذا يتأكد من موته.

يستعمل ضباط الموساد عادة رصاصا مسطح الرأس او رصاص «الدمدم» المجوف او اللين

الرأس بحيث يتمدد عند اطلاقه ليسبب جروحا خطيرة بشكل خاص. كانت تدريباتنا على استعمال الاسلحة تجرى في قاعدة عسكرية قرب بتاح تكفا، حيث يقوم العسكريون الاسرائيليون بتدريب اشخاص للحكومات الاجنبية. كنا نتدرب لعدة ساعات امام اهداف، بالاضافة الى التدرب في صالات لهذا الغرض، حيث تظهر اهداف كرتونية اثناء سيرنا فيها.

كما كان يوجد مرفق اقيم ليبدو كممر فندق. كنا نسير فيه ثم نستدير الى اليمين ثمّ الى اليمين ثانية، حاملين «مفتاح غرفة» وحقيبة يد. احيانا كنا نصل الى «غرفنا» دون حوادث واحيانا اخرى كان احد الابواب يفتح فجأة ويبرز منه هدف كرتوني، وقد تدربنا على ان نرمي كل شيء من ايدينا ونطلق النار.

كما تعلمنا كيف نسحب المسدس ونحن جالسون في مطعم اذا اقتضى الامر، إما بالسقوط الى الخلف على مقاعدنا واطلاق النار من تحت الطاولة او بالسقوط الى الخلف ورفس الطاولة في نفس الوقت (لم اتقن تلك العملية ابدا، لكن بعضنا اتقنوها) ثم اطلاق النار، وكل ذلك في حركة واحدة.

ما الذي يحدث لمشاهد بريء؟ تعلمنا انه لا يوجد مشاهد بريء في موضع يحدث فيه اطلاق النار، فالمشاهد سيرى موتك او موت شخص آخر، فاذا كان موتك، فهل تهتم اذا اصيب بالجراح؟ بالطبع لا. ان الفكرة هي البقاء ـ بقؤك انت. يجب ان تنسى كل ما كنت قد سمعته عن العدل. ففي هذه المواقف اما ان تكون قاتلا او مقتولا، وواجبك ان تحمي ملك الموساد، اي ان تحمي نفسك، وبمجرد ان تفهم هذا تفقد عار الانانية، حتى ان الانانية تبدو سلعة قيمة ـ شيئا يصعب عليك ان تنفضه عنك عندما تعود الى بيتك في آخر النهار.

عندما عدنا الى الصف بعد تدريبنا الموسّع على الاسلحة قال رف لنا: «الآن تعرفون كيف تستعملون المسدس، ولهذا انسوه، فانكم لا تحتاجون اليه». كنا اكثر الناس براعة في اطلاق النار وفجأة كان يصفر بالقول باننا لسنا بحاجة لذلك؛ ومعّ ذلك قلنا لأنفسنا «اجل هذا ما يقوله ولكننا نعرف اننا سنحتاج الى السلاح».

كان الروتين عند هذا الحد يشمل ساعات اضافية طويلة من المحاضرات تتبعها تمارين روتينية في تل ابيب لاتقان المقدرة على تعقب الاخرين و/ او التملص ممن يتبعونك. ومن المحاضرات المملة بشكل خاص تلك التي القاها رجل كان في ذلك الوقت اكبر رواد الجيش الاسرائيلي سنا. لاكثر من ست ساعات تكلم بنغمة وثيرية منخفضة واحدة عن تمويه الاسلحه وكشفها، عارضا المئات من شرائح الفوانيس السحرية عن المعدات المموهة. والحركة الوحيدة التي كان يقوم بها هي تغيير الشرائح فيقول: «هذه دبابة مصرية» ثم «هذه صور جوية لاربع

دبابات مصرية مموهة». لا يوجد الا القليل جدا مما تراه في مشهد صحراوي يضم عدة دبابات مموهة، اذ يبدو الى حد كبير كصحراء دون دبابات. كما رأينا سيارات جيب سورية وامريكية مموهة وغير مموهة، كانت تلك المحاضرة اكثر المحاضرات التي استمعت اليها في حياتي اضجارا، وفيما بعد سمعنا ان كل المتدربين يستمعون اليها.

اما المحاضرة الثالثة فقد كانت اقرب الى الموضوع، والقاها بنحاس اديريت، وكانت تتعلق بالتوثيق: جوازات السفر، بطاقات الهوية، بطاقات الائتمان ورخص قيادة السيارات، الى غير ذلك. ان اهم وثائق الموساد هي جوازات السفر وتوجد باربع صفات: جوازات المرتبة العليا وجوازات الصنف الثاني وجوازات العمليات الميدانية والجوازات العرضية.

ان الجوازات العرضية اما ان تكون قد وجدت او سرقت ولا تستعمل الا عندما يكون الشخص بحاجة لأن يعرضها بسرعة فائقة.. ربما يكون قد جرى تغيير الصورة او الاسم، لكن الفكرة هي احداث اقل قدر من التغيير. على ان وثيقة كهذه لا تصمد للفحص الدقيق، لكن ضباط جمع المعلومات من الاشياء الساكنة (من يقومون باقتحام المنازل وتغطيتها، الى غير ذلك) كانوا يستعلونها، كما كانت تستعمل في التدريب او التجنيد داخل اسرائيل.

مع كل جواز سفر تصدره الموساد توجد ورقة مطوية تذكر اسم حامله، ونسخة عن مخطط قسم المدينة الذي به عنوانه، والبيت الفعلي مبينا على الخريطة مع صورة له، ووصف المنطقة المحيطة به، فاذا حدث وان واجه حامله شخصا يعرف المنطقة، فلن ينكشف امره بسؤال بسيط عنها.

اذا كان احد سوف يستعمل جواز سفر عرضي فان الورقة المرفقة تخبره اين كان الجواز قد استعمل من قبل، لكي لا يستعمله مثلا في فندق هيلتون اذا كان شخص آخر قد استعمله هناك. وفوق ذلك يجب ان تكون لدى مستعمله قصة تغطي جميع الاختام التي في الجواز.

كان جواز سفر العمليات الميدانية يستعمل لعمل سريع في بلد اجنبي لكنه لم يستعمل عند اجتياز الحدود، والحقيقة ان ضباط الموساد قلما يستعملون وثائق تعريف مزورة عند ذهابهم من قطر الى آخر، ما لم يكونوا مع احد العملاء وهو ما يحاولون تجنبه دائما، فالجواز المزور يُحمل عادة في حقيبة دبلوماسية مختومة بختم شمعي عليه خيط، لاظهار انها لا يمكن ان تفتح دون تعليمات، وتستعمل لنقل الاوراق بين السفارات كما ان جميع دول العالم تعترف بانه لا يمكن فتحها عند معابر الحدود، ويتمتع حاملها بحصانة دبلوماسية (بالطبع يمكن ان يقوم مراسل بتسليم الجواز لأحد العملاء في بلد آخر) وقد صنعت الاختام الشمعية بحيث ان هذه الظروف يمكن فتحها واغلاقها بسهولة دون ان يظهر تأثير ذلك على الختم.

اما جوازات النوعية الثانية فقد كانت جوازات كاملة فعلا، مبنية على اساس قصص التغطية لضباط الموساد ولكن لم يكن وراءها اشخاص حقيقيون.

ومن ناحية ثانية فان جواز السفر من المرتبة العليا كان يحتوي على قصة تغطية وشخص وراءها يستطيع اثبات القصة، كما ان ذلك الجواز يستطيع ان يصمد امام اي تدقيق رسمي، ومن ضمن ذلك تدقيق من بلد المنشأ.

تصدر جوازات السفر بأنواع مختلفة من الورق، ولا توجد طريقة تجعل الحكومة الكندية مثلا تبيع الى أيٍّ كان ورقا من الذي تستعمله لاصدار جوازات سفرها (التي ما زالت الجوازات المفضلة لدى الموساد) لكن جوازا مزورا لا يمكن عمله بالورق الخطأ لهذا فان للموساد مصنعا صغيرا لصنع مختلف انواع ورق الجوازات بالفعل، يقوم الكيماويون بتحليل ورق جوازات السفر الحقيقية ويتوصلون الى المعادلة المضبوطة لانتاج صحائف من الورق لعمل نسخ من الجوازات التي يحتاجون اليها.

كانت توجد غرفة تخزين واسعة تُحفظ بدرجات حرارة ورطوبة دقيقة للمحافظة على الورق، وتحتوي رفوفها على ورق جوازات السفر لمعظم الاقطار، وكان قسم آخر من هذه العملية طبع عملة قطر عربي، وقد استعملت تلك العملة بنجاح لمبادلتها بالدولارات الحقيقية ولاغراق ذلك البلد بالاوراق المالية المزيفة مما أدّى الى تفاقم مشاكله الاقتصادية.

عندما زرت المصنع كمتدرب رأيت مجموعة كبيرة من جوازات السفر الكندية الخالية من الكتابة، ولا بد وانها كانت قد سرقت. ظهرت كأنها شحنة كاملة اذ كانت تزيد عن الالف، ولا اعتقد انه قد ذُكر بأن الشحنة كانت قد فقدت - ليس في وسائل الاعلام على أي حال.

كما يُسأل الكثيرون من المهاجرين اليهود إن كانوا يرغبون في تقديم جوازات سفرهم لانقاذ اليهود، فمثلا نجد ان مهاجرا من الارجنتين لن يمانع بالتبرع بجواز سفره الارجنتيني، الذي يستقر في نهاية الامر في غرفة ضخمة تشبه المكتبة وتحتوي على عدة آلاف من الجوازات المقسمة حسب اقطار ومدن وحتى مناطق والتي تحمل اسماء تبدو يهودية، وغير يهودية، كما تُرّمز حسب الاعمار - وكل البيانات مخزونة في ذاكرة الكمبيوتر. كما كان لدى الموساد مجموعة رئيسية من اختام وتواقيع الجوازات التي تستعملها لتزوير جوازاتها، وكانت تُحفظ في سجل، وقد جمع العديد منها بمساعدة رجال الشرطة الذين يستطيعون استبقاء الجواز مؤقتا وتصوير مختلف الاختام التي به قبل اعادته الى صاحبه.

حتى عملية ختم جواز سفر مزور كانت تتم نظاميا، فاذا كان جواز سفري يحمل ختم مطار اثينا في تاريخ محدد مثلا، فان الادارة كانت تدقق ملفاتها بحثا عن التوقيع والختم الخاصين بذلك

التاريخ في الوقت الصحيح لمغادرة الطائرة، بحيث انه لو صدف وقام شخص ما بالاستفهام من اثينا عن اسم الضابط الذي كان مناوبا آنذاك سيكون التوقيع والختم صحيحين. كانوا فخورين بذلك كما كانوا يختمون احد الجوازات بعشرين ختما، وقالوا انه لم تفشل اية عملية عن طريق وثيقة غير متقنة التزوير.

بالاضافة الى ذلك كنت أُعطى مع جواز سفري ملفا كان علي ان احفظه غيبا ثم اتخلص منه، بمعلومات عامة عن اليوم الذي كان من المفترض انني كنت فيه في اثينا: حالة الطقس وعناوين الصحف المحلية ومواضيع الحديث آنذاك واين مكثت وما عملته هناك، وهكذا.

عند كل مهمة كان الواحد منا يتلقى قصاصات تذكير صغيرة عن عمله السابق تقول مثلا: «لا تنسَ انك في تاريخ معين كنت في ذلك الفندق وكان اسمك فلان الفلاني، كما كانت تلك القصاصات تذكر قائمة بجميع الاشخاص الذي قابلهم وشاهدهم ـ وهذا سبب اخر لذكر كل نبذة من التفاصيل، مهما بدت صغيرة، في التقارير.

اذا اردت ان اجند شخصا ما فان الكمبيوتر يبحث عن كل شخص متصل بي بأية وسيلة: أي شخص كنت قد قابلته في اي وقت مضى. ويتم نفس التدقيق بشأن الشخص الذي اعتزم تجنيده. فاذا اردت ان اذهب الى حفلة مع ذلك الشخص لا اريد ان اقابل احد اصدقائه ان كنت قد جندته باسم آخر.

* * *

لمدة ساعة او ساعتين يوميا خلال الاسابيع الستة التالية كان الاستاذ ارنون يحاضرنا عن موضوع الاسلام في الحياة اليومية: دراسة لمختلف الطوائف الاسلامية، وتاريخ الاسلام واعرافه واعياده وما يسمح لأتباعه بعمله ـ وما يعملونه بالفعل ـ والقيود المفروضة عليهم، وكل شيء ممكن لاتمام صورة العدو؛ واخيرا اعطينا نهارا كاملا لكتابة بحث عن النزاع في الشرق الاوسط.

بعد ذلك درسّونا عن «البودليم» الذين يعملون كمراسلين بين البيوت الامنة والسفارة او بين مختلف البيوت الامنة ويتدربون بصورة رئيسية على امن عمليات الاسخبارات ليعرفوا فيما كان آخرون يتتبعونهم ام لا، ويحمل الواحد منهم كل شيء في ظروف او حقائب دبلوماسية. وحاملو الحقائب الدبلوماسية يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية ويحملون وثائق تبين ذلك وعملهم الرئيسي هو احضار جوازات السفر وغيرها من المستندات لضباط التجنيد واعادة التقارير للسفارة على انه لا يسمح لهم دائما بدخول السفارة ويعتمد ذلك على طبيعة مهامهم.

واولئك المراسلون يكونون في العادة شبابا في اواسط العشرين من اعمارهم ويقومون بالعمل لمدة عام او عامين، كما يكونون غالبا طلابا اسرائيليين خدموا في وحدات قتالية تجعل في

الامكان الاعتماد عليهم، رغم ان من الضروري جدا ان يتدربوا على التهرب ممن يتتبعونهم، وتعتبر وظائفهم من ادنى الدرجات في المحطة، لكن لا بأس بها للطلاب.

لمعظم المحطات مراسلان او ثلاثة مراسلين لكل منهـا، ومن مهامهم الاخـرى الاعتناء بالبيوت الآمنة. وقد يشغل الواحد منهم ست شقق مثلا، لكي لا يستغرب الجيران من وجود شقة خالية بجانبهم يتراكم امامها البريد، يعيش اولئك المراسلون مجانا في بيوت آمنة متأكدين من ان ثلاجاتها معبأة تماما بالطعام والشراب، وان فواتيرهم مدفوعة، الى غير ذلـك. واذا احتيج الى البيت المأمون يستطيع المراسل ان ينتقل الى بيت اخر او الى فندق الى ان يصفوا الجو، وتتراوح رواتبهم الفردية بين الف والف وخمسمئة دولار شهريا، ويعتمد ذلك على عدد الشقق التي يعتنون بها، وبما انهم لا يدفعون اجورا ولا فواتير الطعام والشراب ولا رسوم التعليم - اذ تدفعها الموساد - فان رواتبهم تعتبر جيدة.

كان موضوع المرشحين التالي هو الحديث عما يسمى بلغة الاستخبارات ايداع الاغراض واول قاعدة للموساد في هذه الشأن هي الا يرسل الواحد منا اغراضا مغلفة للعملاء ولا يتلقى منهم شيئا، اذ ان من المحتمل جدا ان تكون فخاخا.

شرحت لنا مجموعة من الناس من ادارة الموساد تتعامل بهذا الموضوع اساسيات هذا الفن كما يلي:

بعد تحديد ما يريد الواحدمنا تركه للعميل، فان الاعتبارات الرئيسية الاربعة للنجاح هي ما يلي:

يجب ان يستغرق ترك الشيء اقل وقت ممكن، ويجب الا يبدو الشيء لافتا للنظر عند نقله الى المكان الذي سيترك فيه، ويجب ان يكون شرح موقعه للعميل ابسط ما يمكن، وعندما يحمله العميل يجب ألآ يلفت النظر كذلك.

صنعت وعاء من صندوق بلاستيكي للصابون ولاءمت دهان رش رمـادي بلون رقاقـة مأخوذة من قشرة عمود كهرباء معدني رمادي، ثم دهنت على الصندوق باللون الاحمر اشارات البرق (للدلالة على انه مشحون بالكهرباء) واخذت اربعة مسامير لولبية مع خرقـاتها ودهنتهـا باللون الرمادي كذلك ثم الصقتها بالغراء بالوعاء البلاستيكي وثبتت مغناطيسا في اسفل الوعاء، الصقت الصندوق بواسطة المغناطيس بداخل غطاء محرك السيارة ووقفت قرب عمود الكهرباء كما لو كانت سيارتي متعطلة وثبتت الصندوق داخل دعامة عمود الكهرباء ثم انطلقت بسيارتي. لم يكن باستطاعة احد ان يراه، وحتى لو راه اي انسان فانه ما كان سيلمسه لانه مكهرب، وعندما التقطه العميل استطاع ان يثبته على جانب محرك سيارته ثم انطلق بها.

كما تعلمنا كيف نصنع مخبأ داخل منزل او شقة في مكان يسهل الوصول اليه ولكن يصعب على الآخرين العثور عليه، وهو افضل من خزينة فولاذية، واذا كنت في مكان ويجب عليك ان تخبىء شيئا بسرعة، لا توجد اية مشكلة بضع مخابىء باستعمال اشياء بسيطة تستطيع شراءها من مخزن للخردوات المعدنية او حتى من مخزن يبيع بضائع منوعة.

من ابسط المخابىء باب مصفح بالخشب الرقائقي من الجهتين وله هيكل في وسطه، ولتخبئة شيء تحفر ثقبا في الحافة العليا من الباب وتعلق اشياء داخله، ثم يوجد الانبوب الذي يحمل العلاقات في خزانة الملابس، وفيه متسع كبير، قد يأخذ الناس ملابسك من العلاقات لكن القليلين جدا منهم يفحصون الانبوب المعلقة عليه.

ومن الطرق الشائعة الأخرى لإمرار مستندات سرية او نقود عبر الجمارك هي ان تشتري جريدتين وتقص قسماً من احداهما صانعاً جيباً صغيراً بالداخل. ثم تقص نفس القسم من الصحيفة الأخرى وتغريه على المكان المقطوع. ان هذه الطريقة هي احدى طرق السحرة القديمة، وكنا معتادين ان نقرأ الكثير من كتب السحر، وبعدها يمكنك ان تتجه نحو مأمور الجمرك حاملاً الصحيفة ـ بل تناولها له ليحملها لك الى ان تنهي المعاملة.

والمجموعة التالية من التمارين تدعى «القهوة» تتضمن عمل المتدربين بمجموعات تضم كل منها ثلاثة أشخاص، ذهبت انا ويوسي واريك ف. وهو مارد متدين، برفقة مدرسنا شاي كولي الى صف فنادق شارع هايركون وجلسنا فترة في المقهى، ثم أخذنا المدرّس واحدا واحدا الى ردهة احد الفنادق، وكان مع كل منا جواز سفر مزور وقصة تغطية وكان كولي يدخل الى الردهة معنا ويطلب من كل منا ان يجري اتصالا مع اي شخص يختاره هو، وربما يكون مدسوساً احيانا، ولكن الفكرة كانت الحصول على اكبر قدر ممكن من المعلومات عنه والاتفاق معه على موعد آخر.

ذهبت الى شخص كان مراسلا لصحيفة «افريقيا ـ آسيا» وسألته ان كانت معه كبريتة، مما ادى الى محادثة نجحتُ فيها وتبين انه مدسوس، وظهر انه عميل كان قد غطى مؤتمرا لمنظمة التحرير الفلسطينية في تونس بصفة مراسل لتلك الصحيفة، وكتب بالفعل عدة مقالات لها.

وكالعادة بعد كل تمرين كهذا كان علينا ان نكتب تقريرا كاملاً عن كيفية اجراء الاتصال وعن كل ما قيل وحدث فيه، وعند عودتنا للصف في اليوم التالي كنا ننتقد بعضنا البعض، ومن الغريب اننا احيانا كنا نأتي الى الصف فنجد من اتصلنا به جالساً هناك.

وكما هي العادة بالنسبة لبقية تمارين الدورة أعيد هذا التمرين المرة تلو المرة ونتيجة لذلك فإن برنامجنا الذي كان من قبل مليئاً اصبح محموماً. كنا لا زلنا في مرحلة التدرب ولكننا أصبحنا

الآن نشمل بها كل شيء ووصلنا الى نقطة اصبحنا معها نبحث عن اشخاص نتدرب عليهم، ولا نستطيع البدء بمحادثة دون انزال خطافاتنا، وعندما نحيي اي انسان كنا فعلا ننزلها؛ وعادة عندما يحاول الانسان تجنيد الآخرين من الأفضل ألّا يكون واضحاً أكثر من الحد اللازم، كما لا يمكنه ان يكون غامضاً أكثر مما يجب وإلا ظهر وكأنه محتال.

كانت الدورة بالحقيقية مدرسة كبرى للخداع ـ مدرسة تعلم الناس ان يتقنوا فن الخداع لمصلحة بلادهم.

ان احدى المشاكل بعد تمرين كنت فيه قد بنيت نفسي كمستثمر رأسمالي مثلاً هي العودة الى عالم الواقع ثانية، وفجأة لا أظل غنياً، بل أصبح كاتباً أو موظفاً حكومياً ـ في دائرة ممتعة ـ ويحين الوقت لاعداد تقرير.

أحياناً تصبح الأمور معقدة الى حد ما في «القهوة» فبعض المرشحين لا يذكرون تماماً ما الذي حدث ظانين انه طالما ان من يتصلون بهم قد ثبت بأنهم غير مطلعين على بواطن الأمور فإن بإمكانهم ان يمجدوا انفسهم قليلاً ـ وهذا ما حدث مع يود أفنتس.

في كل مرة كان «يود» يقوم بالتمرين كان يذكر قصة وهمية ـ ما لم يكن التمرين قد جرى مع شخص مطلع على بواطن الأمور. وقد عمل ذلك المرة تلو المرة الى ان دخل شاي كولي خلال فسحة الفطور في احد الأيام ونادى يود باسمه. ولما استفهم يود عما يريد افنتس منه، خاطبه قائلاً:

«اجمع اشياءك واخرج من هنا».

«سأل يود بتعجب وهو ممسك بشطيرة كان قد أكل نصفها: ماذا؟ لماذا؟

ـ «هل تذكر ذلك التمرين بالأمس؟ لقد كان القشة التي قصمت ظهر البعير».

يبدو ان يود اقترب من الشخص الذي يريد ان يعرف كل شيء عنه وسأله ان كان يستطيع ان يجلس الى جانبه؛ وافق الرجل فجلس يود ولم يفتح فمه على الاطلاق، رغم انه كتب تقريرا عن محادثة مثيرة ـ لم يكن السكوت عندها من ذهب ـ فانتهت مهمته بشكل فوري.

اصبحت أول نصف ساعة في الصف يومياً مكرسة لمرشح يتمرن على ما يعرف بعبارة «دا» او «الاطلاع»، باجراء تحليل مفصل لموضوع اخباري حالي ـ كان ذلك حملاً إضافياً آخر، لكنهم ارادونا ان نطلع على كل ما يجري في العالم. فعندما يمر المرء بتدريبات معقدة كهذه، فإنه قد ينقطع عن العالم الواقعي وربما كان ذلك مميتاً ـ بكل معنى الكلمة، كما درّبنا التمرين على الخطابة وأجبرنا على قراءة الصحف يومياً. واذا طرح شخص ما موضوعاً، كان باستطاعتنا ان نظهر معرفتنا به،

وربما، اذا حالفنا الحظ، ان نثبت ان قصته الاخبارية ليست صحيحة.

قبل مضي وقت طويل انتقلنا الى ما يعرف بالتمرين «الأخضر» ـ نشاط في الاتصال يهدف الى ايجاد طريقة معينة لمعالجة احدى المشاكل. لنفرض اننا علمنا بوجود تهديد ـ نشاط تخريبي معاد ضد منشأه في بلد ما فان اكتشاف طريقة تحليل وتقييم ذلك التهديد يتطلب الكثير من المناقشة. أساساً اذا كان التهديد موجهاً لمنشأة محلية فلا علاقة لاسرائيل به، وتستطيع ان تكشف عنه دون تعريض مصدر معلوماتها للخطر. تُنقل المعلومات للطرف المختص عادة عن طريق مكالمة هاتفية دون الكشف عن هوية المتكلم، او مباشرة من مصدر اتصال الى آخر، واذا كان بالامكان اعطاء المعلومات دون الكشف عن مصدرها، فبالامكان أن يذكر الانسان من هو، فيكونون مدينين له فيما بعد.

أما إذا كان الهدف اسرائيلياً فإن على الواحد منا ان يعمل كل ما يستطيع عمله لمنع الضرر حتى لو أدّى الأمر الى كشف مصدر معلوماته. واذا اضطررنا ان نحرق عميلاً في بلد مستهدف لحماية احدى منشآتنا في ذلك البلد، فلا بأس بعمل ذلك، اذ انه تضحية يجب القيام بها (ان جميع البلدان العربية تدعى «بلاد اهداف» بينما تدعى الاماكن الأخرى التي بها قواعد للموساد «بلاد قواعد».).

وإذا كان الهدف لا يخصنا ويتطلب تعريض مصدر معلوماتنا للخطر، فإننا نترك الأمر، إذ لن يكون من مسؤولية الموساد عند ذلك، وأقصى ما نستطيع عمله هو تقديم تحذير مبهم بأن من الأفضل لهم ان ينتبهوا لئلا يحدث شيء ما. على ان هذا التحذير، بالطبع، قد يضيع بين آلاف التحذيرات الأخرى.

حفرت هذه المواقف في أذهاننا. كان علينا أن نعمل ما هو لمصلحتنا ولا نبالي إذا لحق الضرر بالآخرين، لأنهم لن يساعدونا، وكلما اتجه الانسان في ميوله الى اليمين في إسرائيل، كلما سمع ذلك اكثر اما اذا ظل حيث هو سياسياً، فإنه تلقائياً ينتقل الى اليسار، إذ يبدو الآن ان البلاد جميعها تتجه نحو اليمين، كما انكم تعرفون ما يقوله الاسرائيليون: «إذا لم يكونوا يحرقوننا في الحرب العالمية الثانية فإنهم كانوا يساعدون على ذلك، وإذا لم يكونوا يساعدون، فإنهم كانوا يتجاهلون الأمر»، ولا أذكر ان أي شخص في اسرائيل تظاهر عندما كان جميع أولئك الناس يقتلون في كمبوديا، لهذا لماذا نتوقع ان يهتم كل واحد بنا؟ ولكن هل تعطينا مقاساة اليهود الحق في ان نوقع الألم والشقاء بالآخرين؟

بصفتنا قسماً من ضباط تجنيد العملاء تعلمنا كيفية إعطاء تعليمات لعميل يراد إرساله الى «بلد هدف». ان العميل الاساسي ـ والعملاء موجودون بكثرة ـ يدعى عميل «تحذير»، وقد

يكون ممرضاً في مستشفى تكون مهمته إبلاغ الموساد ان كانوا يعدون أسرّة إضافية او يفتحون أجنحة جديدة او يخزنون كميات اضافية من الأدوية ـ أي شيء يبدو وكأنه استعداد للحرب. كما يوجد عملاء تحذير في الميناء ليلاحظوا ان كانت سفن اضافية تأتي اليها، وفي ادارة الاطفاء ليلاحظوا ان كانت بعض الاستعدادات قد بدأت وفي المكتبة ليروا إذا جند نصف موظفيها باعتبار أن أعمالهم ليست أساسية.

ان الحرب تستلزم عدة أشياء، لهذا يجب ان تكون التعليمات المعطاة للعملاء محددة جداً، فإذا كان الرئيس العربي يهدد بالحرب ـ كما يفعل مراراً ـ ولا يحدث شيء يدل على احتمال وقوعها فإننا لا نهتم كثيراً، اما إذا هدد بالحرب وجرت جميع انواع التعبئة والاستعداد، فإننا بحاجة لأن نعرف، إذ أنه هذه المرة قد يعني ما يقوله.

كما علمنا ديفيد دياموند رئيس قسم جميع المعلومات من الأشياء الساكنة كيف نقيّم ونعالج شيئاً ساكناً، أو عمارة. كان كل ذلك كلاماً، بلا تدريب عملي. اعطانا محاكاة للعملية، فلنفرض ان من نود «التعامل» معه موجود في الطابق السادس من أحد المباني ومعه وثيقة نريد رؤيتها فكيف نقوم بذلك؟ علمنا كيف نراقب المبنى وندرس أنماط حركة المرور وتحركات الشرطة ونقاط الخطر ـ وألا نقضي أمام أحد البنوك مثلاً وقتاً أطول مما يجب ـ وكيف نخطط طريقة الهرب ونعطي الاشارات المختلفة، ونقرر من سيدخل المبنى.

ثم تلقينا دروساً أخرى عن الاتصالات السرية مقسمة الى الارسال والاستلام فالاتصالات التي ترسلها الموساد قد تكون عن طريق الراديو والرسائل والهاتف ووضعها في اماكن محددة او بواسطة اجتماعات فعلية. كان كل عميل معه راديو يعطي وقتاً محدداً كل يوم تذاع فيه رسالته من محطة خاصة تعمل بالكمبيوتر على مدار الساعة، مثل: «هذه الرسالة لتشارلي» تتبعها رموز من حروف بمجموعات من خمسة أحرف، وكانت الرسالة تتغيّر مرة واحدة فقط في الاسبوع لاعطاء الوكيل فرصة لسماعها، وكان لدى كل وكيل جهاز راديو بهوائي يحتفظ به عادة في بيته او في مكان عمله.

كما ان هناك طريقة خاصة للاتصال تتم عن طريق ما يعرف بعبارة «العائم» وهو شريط تصويري دقيق يلصق داخل الظرف، يفتح العميل الظرف ويغمس الشريط في كأس من الماء، ثم يلصقه على خارج الكأس، وباستعمال عدسة مكبرة، يقرأ الرسالة.

ومن الناحية الأخرى يستطيع العملاء ان يتصلوا بضباطهم عن طريق الهاتف او التلكس او الرسائل او الرسائل المكتوبة بنوع خاص من الحبر او عن طريق الاجتماعات او دفقات الاتصالات، وهي طريقة تبث فيها دفقات قصيرة جداً من المعلومات على ذبذبة معينة، من

الصعب الاهتداء الى مكان بثها، وكلما استعملها عميل يستخدم بلورة مختلفة ولا يكرر نفس الذبذبة على الاطلاق؛ كما ان تغييرات الذبذبة تتبع ترتيباً محدداً من قبل.

كانت الفكرة ان تجعل الاتصالات أبسط ما يمكن، ولكن كلما طال بقاء العميل في بلد هدف كلما زادت معلوماته ـ وبذلك تزداد الاجهزة التي يحتاج اليها تعقيداً، مما قد يشكل مشكلة اذ ان اجهزة كهذه اكثر خطورة اذا ما اكتشفت عند العميل، كما يجب ان يتعلم العميل كيفية استعمالها، وكلما تعلم اكثر كلما ازداد توتر اعصابه.

ولتركيز زخم اكثر في صهيونيتنا، قضي الصف يوماً كاملاً في زيارة «بيت الشتات» في جامعة تل ابيب، وهو متحف يحتوي على نماذج كُنُس من كافة انحاء العالم ويبين تاريخ الشعب اليهودي.

ثم جاءت محاضرة هامة ألقتها سيدة اسمها غانيت، كانت مسؤولة عن شعبة الاردن والقضية الفلسطينية تبعتها محاضرة عن عمليات الجيش المصري، وكان وقتها يقترب من فترة بناء معلنة مدتها عشرة اعوام، كما ان قوى الأمن الداخلي حاضرتنا طوال يومين عن طرق وعمليات التخريب المعادية في اسرائيل تبعتهما محاضرة مدتها ساعتان ألقاها مؤرخ الموساد لبيان كانت نهاية القسم الأول من برنامجنا، وكان ذلك في حزيران ١٩٨٤.

وهكذا فإن الكثير من تدريبنا كان مبنياً على تكوين علاقات مع اناس أبرياء. من المحتمل أن ترى مجنداً محتملاً وتقول لنفسك: «عليّ أن أتكلم معه، وأرتّب مقابلة أخرى معه فقد يكون مفيداً»، وقد بنى شعوراً غريباً بالثقة وأصبح كل من في الشارع اداة وأصبح الواحد منا يقول لنفسه بأنه يستطيع أن يضغط على أزراره ويتساءل: «كيف أجعله يعمل لي ـ أقصد لبلادي؟».

كنت اعرف دائماً ما كان على رأس التلة ـ كنا جميعنا نعرف ذلك، اذ انه يكون أحياناً مقر رئيس الوزراء الصيفي، مجرد مقر صيفي، او يستعمل لاستضافة كبار الزوار، وقد استعملته غولدا مائير كثيراً لهذا الغرض، لكننا كنا نعرف استعماله الآخر ـ انه شيء تسمعه وأنت تنشأ في اسرائيل، انه تابع للموساد.

الفصل الرابع

طلاب السنة الجامعية الثانية

كان يطلب من الضباط المرشحين ان يكونوا باستمرار مرنين ومتعددي البراعات، وأن يزيدوا من المهارات التي لديهم، إذ أن كل ما عملناه يمكن تحويله فيما بعد إلى مصدر قوة، لهذا شجعونا أن نتعلم قدر استطاعتنا عن كل شيء ـ بالطبع دخل كل من ميشيل م. وحاييم م.، وكلاهما عضوان في شلتي، مجال التدريب من الباب الخلفي. كانا يعرفان معظم المحاضرين كما كانا ثرثارين يتحدثان عن انهما سيجندان جنرالات وغيرهم من كبار المسؤولين. كانت لغتي الانكليزية افضل من لغة اي انسان آخر في الدورة باستثناء جيري س.، كما كنت الافضل فيما يدعونه تفكير العمليات، اي كيفية قياس ما سوف يحدث، وتوقع المشاكل قبل بروزها.

بما ان حاييم وميشيل كانا أكثر خبرة مني بالحياة والناس فقد كنت احترمهما، كما كانا يشملانني برعايتهما. كنا نعيش في نفس المنطقة ونذهب للصفوف ونعود منها معاً ـ كما كنا عادة نقضي جلسة مسائية نتحدث فيها ونتناول القهوة والكيك في مقهى كابولسكي الذي كان يقدم افضل انواع الكيك من طراز «الغابة السوداء».

كنا مترابطين تماماً، كما كنا نفكر معاً ونهاجم بعضنا البعض، ونحاول الدخول في التمارين المختلفة سوياً لأننا كنا نعتمد على بعضنا البعض ـ او هكذا كنا نعتقد، ولم يحاول احد منعنا من ذلك.

كان اورين رف مدرسنا الرئيسي والذي كان قد عمل لقسم الارتباط يؤكد دائماً ان ما بين ستين وخمسة وستين بالمئة من كل المعلومات التي نجمعها تأتي من وسائل الاعلام العلنية ـ الراديو والصحف والتلفزيون، وحوالي خمسة وعشرين بالمئة من الأقمار الصناعية والاتصالات عن طريق التلكس والهاتف واجهزة اللاسلكي وما بين خمسة وعشرة بالمئة عن طريق الاتصال المباشر وبين اثنين واربعة بالمئة من العملاء او من جمع الاستخبارات البشرية، لكن تلك النسبة المئوية الضيئلة هي اهم المعلومات الاستخبارية على الاطلاق.

من المحاضرات التي استمعنا اليها في القسم الثاني من الدورة أطروحة ألقاها «زيف ألان»، حلقة الاتصال بين الموساد ووكالة الاستخبارات المركزية. تكلم عن الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية، قال بأنك عندما تتعامل مع مأمور اتصال من منظمة اخرى، فإنه يعتبرك حلقة اتصال كما تعتبره حلقة اتصال ومصدر معلومات، تنقل اليه المعلومات التي يود رؤساؤك ان تنقلها

والعكس بالعكس، وكل ما تقوم به هو ان تكون رابطاً، ولكن بما أنكما شخصان فإن الكيمياء هامة.

ولهذا السبب فإن رجال الاتصال يمكن تغييرهم إذا لزم الأمر وبمجرد ان تكون الكيمياء صحيحة، يمكنك ان تخلق علاقة شخصية بينك وبين الطرف الثاني، وبنمو العلاقة، يصبح من تتصل به متعاطفاً معك، ويفهم الخطر الذي تتعرض له بلادك، والفكرة ان تنزل المعلومات الى مستوى شخصي تعتبر معه انك تتعامل مع صديق، ولان ما زال عليك ان تتذكر انه ما زال قسماً من مؤسسة كبرى ويعرف اكثر بكثير مما يسمح له بإبلاغك عنه.

على انك أحياناً ربما تكون في وضع تحتاج فيه إلى معلومات قد يتطوع بإعطائك إياها كصديق، لمعرفته بأنها لن تؤذيه وأنك لن تسربها. ان تلك المعلومات قيّمة جداً، وباصطلاحات اعداد تقريرك توصف بأنها «جمبو» (ضخمة جداً) وكان «ألان» وهو ينظر إلينا من نظاراته يتباهى بأنه قد حصل على معلومات «جمبو» تزيد عن المعلومات التي جمعها أي شخص آخر في الموساد.

ومن ناحية ثانية فإن ضباط الموساد لم يعطوا أي شيء من قياس الجمبو. كنا نعد «جمبو» زائفة، معلومات تعطى على مستوى شخصي مقابل معلومات شخصية من الطرف الآخر، لكن اعطاءنا للآخرين معلومات «جمبو» حقيقية كان يعتبر خيانة تامة.

أخبرنا «الان» ان له اصدقاء عديدين في وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية وقال: «لكنني أتذكر دائماً أهم شيء. . ألا وهو انني عندما أكون جالساً مع صديقي فإنه لا يكون جالساً مع صديق».

وعند ذلك غادرنا.

تبعت محاضرة «ألان» محاضرة عن التعاون التقني بين الوكالات تعلّمنا منها ان الموساد تمتلك افضل امكانية لكسر جميع الاقفال، وان العديد من صانعي الاقفال في بريطانيا العظمى مثلاً كانوا يرسلون الأجزاء الآلية من اقفالهم للاستخبارات البريطانية لفحصها أمنياً، وكانت تلك الاستخبارات ترسلها بدورها للموساد لتحليلها وكان القصد من ذلك ان يقوم رجالنا بتحليلها والتوصل الى طريقة لفتحها ثم إعادتها مرفقة بتقرير يقول بأنها «منيعة».

بعد غداء ذلك اليوم قام دوف ل. بأخذ الصف الى موقف سيارات كانت تقف فيه سبع سيارات بيضاء من طراز فورد «اسكورت» (ان معظم سيارات الموساد وقوى الأمن الداخلي في اسرائيل بيضاء، رغم ان رئيس الموساد كان آنذاك يقود سيارة «لنكولن تاون» حمراء) وكانت الفكرة ان نتعلم كيف نعرف ان كان أحد يتتبعنا بسيارة. انه أمر يتمرن عليه الانسان المرة تلو

المرة، ولا يوجد شيء كالذي تراه في الأفلام أو تقرأه في الكتب يقف فيه شعر خلف الرقبة ليقول للانسان بأنه مطارد ـ انه شيء لا يتعلمه المرء إلا بالتدريب، والتدريب الاضافي.

كل ليلة عندما كنا نعود الى بيوتنا وكل يوم عندما كنا نتوجه الى مدرستنا، كان من مسؤوليتنا التأكد بأنه لا يوجد من يتعقبنا.

في اليوم التالي ألقى ران س. محاضرة عن «المساعدين»، الذين يشكلون قسماً فريداً وهاماً من عمليات الموساد. انهم يجب ان يكونوا يهودا بنسبة مئة بالمئة، ويعيشوا في الخارج، ورغم انهم ليسوا اسرائيليين إلا أن الاتصال بهم يتم عن طريق أقاربهم في اسرائيل. فاسرائيلي له قريب في انكلترا مثلاً قد يطلب منه ان يكتب رسالة يقول فيها أن حاملها يمثل منظمة هدفها الرئيسي المساعدة في انقاذ اليهود في الشتات، ويسأله ان كان يستطيع المساعدة بأية وسيلة.

يوجد آلاف المساعدين في مختلف انحاء العالم، ففي لندن وحدها يوجد حوالى ألفين من النشطين وخمسة آلاف غيرهم في القائمة، وهم يقومون بمهام عديدة مختلفة، فمساعد يدير وكالة لتأجير السيارات مثلاً يمكنه مساعدة الموساد على استئجار سيارة دون الحاجة لإكمال الوثائق المعتادة، ومساعد في تأجير الشقق يجد مساكن دون اثارة الشكوك، وآخر يعمل في احد البنوك قد يدبر النقود في منتصف الليل، ومساعد يعمل طبيبا يعالج جرحاً ناتجاً عن رصاصة دون إبلاغ الأمر للشرطة، وهكذا. ان الفكرة من وراء كل هذا هي ان تتوافر مجموعة كبيرة من الناس تقدم الخدمات وتتكتم عليها ولاءً للقضية، ولا تدفع لهم إلا النفقات التي يتحملونها، على ان ذلك الولاء يساء استعماله مراراً من قبل ضباط الموساد الذين يستغلون الميزة المتوفرة لهم لاستعمالهم الخاص، ولا توجد طريقة يستطيع بها المساعد التحقق من الأمر.

هناك شيء واحد يمكن التأكد منه، وهو انه إذا عرف يهودي ان من يتصل به من الموساد فإنه قد لا يوافق على العمل معه ـ لكنه لن يشي به، وبهذا يتوافر أسلوب تجنيد خال من المخاطر يعطي الموساد ملايين اليهود الذين يمكنها ان تستعين بهم من خارج الحدود، ومن الأسهل كثيراً العمل مع من هم متوافرون في الموقع، ويوفر المساعدون دعماً عملياً لا يصدق في كل مكان لكنهم لا يعرّضون للخطر ـ كما لا يطلعون على معلومات سرية.

لنفرض ان أحد ضباط الموساد كان عليه ان يدعي، كغطاء لأعماله خلال احدى العمليات، أنه تاجر الكترونيات. ان اتصالاً مع مساعد يعمل في ذلك المجال يحضر خمسين جهاز تلفزيون ومئتي مسجل ـ ومهما كان بحاجة اليه ـ من مخزنه الى مبنى الضابط، وبأسرع ما يمكن يتوافر للضابط مخزن يحتوي على أجهزة يتراوح ثمنها بين ثلاثة ملايين وأربعة ملايين دولار.

وبما ان معظم نشاطات الموساد تجري في اوروبا، فقد يكون من الأفضل وجود عنوان عمل في امريكا الشمالية، وبهذا يوجد «مساعدو عناوين» و«مساعدو هواتف»، واذا كان على ضابط الموساد أن يعطي عنوانا ورقما هاتفيا يمكنه استعمال عنوان المساعد ورقمه الهاتفي، وإذا تلقى المساعد رسالة أو مكالمة هاتفية فإنه يعرف على الفور كيف يتصرف، ويوجد لدى بعض رجال الأعمال المساعدين عدد يصل إلى عشرين موظف يردون على الهواتف ويطبعون الرسائل ويرسلونها بالفاكس، وكلها مظهر خارجي للموساد. والعنصر المضحك في هذا الشأن ان ستين بالمئة من عمل شركات الرد الهاتفية في اوروبا يأتي من الموساد ـ على انها لا تخبر بذلك.

والمشكلة بالنسبة لهذا النظام هي ان الموساد لا يبدو انها تهتم بمقدار الدمار الذي قد يلحق بوضع اليهود في الشتات اذا عُرف ذلك، والجواب الذي سيحصل عليه المرء إذا سئل عن الأمر سيكون: «ما هو أردأ ما قد يحصل لأولئك اليهود؟ هل سيأتون جميعهم الى اسرائيل؟ ان هذا أمر عظيم!».

ان ضباط استخبارات الموساد في المحطات مسؤولون عن المساعدين ويقوم الضابط المختص بزيارة أكثر المساعدين نشاطاً مرة كل ثلاثة أشهر تقريباً، مما يعني ان الضابط يعقد بين اجتماعين واربعة اجتماعات شخصية يومياً مع المساعد، بالاضافة الى العديد من المحادثات الهاتفية، وهذا الاسلوب يتيح للموساد ان تعمل بأقل عدد ممكن من الأفراد، ولهذا فإن محطة للاستخبارات الروسية (الكيه/ جي/ بي) مثلاً قد توظف حوالى مئة شخص بينما محطة مماثلة للموساد لن تحتاج إلا الى ستة أو سبعة أفراد.

يخطىء الناس عندما يعتقدون بأن الموساد في وضع غير مؤاتٍ لعدم وجود محطات لها في أقطار هدف واضحة. فالولايات المتحدة مثلاً لها محطة في موسكو كما ان للروس محطتين في واشنطن ونيويورك، لكن اسرائيل ليست لها محطة في دمشق. انهم لا يدركون ان الموساد تعتبر جميع اقطار العالم، ومنها اوروبا والولايات المتحدة، اهدافاً. فمعظم الأقطار العربية لا تصنع أسلحتها، ومعظمها تفتقر الى كليات عسكرية رفيعة المستوى مثلاً. واذا أردت أن تجند دبلوماسياً سورياً فإنك لا تذهب لدمشق، اذ يمكنك القيام بذلك في باريس مثلاً، وإذا أردت معلومات عن صاروخ عربي فانك تحصل عليها في باريس أو لندن او الولايات المتحدة حيث يصنع ذلك الصاروخ والمعلومات التي يمكنك الحصول عليها من السعوديين عن المملكة العربية السعودية أقل مما يمكنك الحصول عليه من الامريكيين، وما الذي لدى السعوديين؟ طائرات الاواكس؟ انها من صنع شركة بوينغ، وشركة بوينغ امريكية، وما الذي نحتاجه من السعوديين؟

وإذا أردت الاتصال بكبار الضباط، فإنهم يدرسون في انكلترا والولايات المتحدة، كما ان

الطيارين العرب يتدربون في انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة، والمغاوير يتدربون في ايطاليا وفرنسا ويمكنك تجنيدهم هناك ـ ان ذلك أسهل وأقل خطراً.

كما ان ران س. علّم صفّه عن «العملاء البيض»، الافراد الذين يجندون اما بوسائل مباشرة او غير مباشرة والذين قد يعرفون او لا يعرفون انهم يعملون لاسرائيل انهم دائماً من غير العرب ويكونون عادة أكثر دراية بالمعلومات التقنية.

ان التعامل مع العملاء البيض يكون عادة أقل خطراً من التعامل مع العملاء «السود» (العرب). ومن أسباب ذلك ان العرب العاملين في الخارج من المحتمل ان يكونوا مراقبين من قبل الاستخبارات العربية ـ التي إذا اكتشفت انك تعمل مع عميل «أسود» فإنها تميل إلى قتلك، وأسوأ ما قد يحدث لضابط موساد يُكتشف بأنه يعمل مع عميل أبيض في فرنسا هو الترحيل، لكن العميل الابيض نفسه قد يتهم بالخيانة العظمى. انك تقوم بأكبر جهد ممكن لحمايته، لكنه هو الذي يتعرض للخطر الرئيسي. اما اذا كنت تعمل مع عربي فإن كليكما في خطر.

في حين استمرت دروسنا في الاكاديمية، استمرت تمارينا بالسيارات. تعلمنا طريقة تدعى «مولتر»، اي استعمال غير مخطط لسيارة في التحري او في التتبع المرتجل، وإذا كان عليك ان تقود سيارتك في منطقة لا تعرفها، ولم تكن لديك طريق مخططة مسبقاً فإن أمامك سلسلة من الاجراءات التي يمكنك اتباعها: التوجه الى اليسار ثم الى اليمين والتوقف والتحرك ثم التوقف وهكذا ـ وذلك بصورة رئيسية لازالة عنصر المصادفة والتأكد فيما اذا كنت مطارداً أم لا، كما ذُكرنا دائماً بأننا لسنا مُثبتين بسياراتنا، وإذا اعتقدنا اننا ملاحقون، ولم يكن بامكاننا من ان نتأكد من ذلك كلياً، فقد يكون من الحكمة ان نوقف السيارة ونغامر مشياً، ونأخذها من هناك.

كما استمعنا لمحاضرة اخرى ألقاها ضابط استخبارات يدعى «رابيتز» تكلم لنا فيها عن محطة اسرائيل، او المحطة المحلية المسؤولة عن قبرص ومصر واليونان وتركيا، ويدعى ضباطها «القافزين» لأنهم يعملون منطلقين من القيادة العامة في تل ابيب، وهم يجندون بالقفز ذهاباً وإياباً لبضعة أيام كل مرة، لتشغيل العملاء والمساعدين اليهود المقيمين في الخارج. ان العمل في جميع هذه الأقطار محفوف بالخطر لأن حكوماتها تميل الى مؤازرة منظمة التحرير الفلسطينية.

ان العمل في محطة اسرائيل ليس محبوباً بالنسبة لضباط الموساد، واثناء محاضرة ران س. عن الموضوع قلل كثيراً من شأنها، ومن سخريات القدر انه عيّن فيها بعد رئيساً لها.

من أجل الاسترخاء بدأنا نتبارى مع خمسة وعشرين طالباً من دورة ثانية في الاكاديمية ـ دورة للكتبة ولمشغلي الكمبيوتر والسكرتيرات وغيرهم من أفراد القيادة، كانوا يتلقون دورة اساسية عن كيفية عمل المؤسسة وكانوا دائماً أكثر جدية منا.

ولكي نبعدهم عن طاولة كرة الطاولة المشتهاة، كنا نخفي الكرات والمضارب لكنهم كانوا يتبارون معنا في كرة السلة. كنا نلعبها لنهزمهم فقد كان هناك شخص يتلاعب لمصلحتنا بلوحة تسجيل الاهداف، وكنا نفوز دائماً. كان الفريق الآخر يحتج على ذلك صارخاً، ولكن لفترة كنا نتبارى معهم مرة في الاسبوع، كل يوم ثلاثاء من الظهر حتى الواحدة.

وفي أثناء ذلك استمرت دروسنا مكثفة وسريعة؛ وبعد ان تعلمنا كيف نعامل شخصا ما منذ الاتصال الأول وحتى التجنيد علمونا خطوطاً ارشادية مالية، فمثلاً قبل الالتزام بأي شيء، يجب ان تحدد وضع المجند المالي، فأنت لا تريد ان ترش المال على شخص فقير جداً، لأن ذلك العمل قد يثير الشكوك في الحال. افرض ان عميلاً سيعود الى بلد الهدف، ويجب دعمه مالياً. لنفرض أنه كان يعمل بموجب عقد مدته سنتان وكان الراتب الذي يتقاضاه من الموساد ٤٠٠٠ دولار شهرياً، واذا استطاع ذلك العميل ان يمتص ١٠٠٠ دولار في الشهر دون ان يظهر تغيير على اسلوب معيشته، يستطيع ضابط الموساد ان يفتح له حسابا مصرفياً، ربما في انكلترا، ويودع فيه راتب سنة كاملة لهذا يحصل العميل على ١٢٠٠٠ دولار مقدماً ويودع مبلغ ٣٦٠٠٠ دولار في حسابه المصرفي في لندن، وفي السنة الثانية على افتراض صفقة لسنتين، يسلم الدفعة المقدمة بمقدار ١٢٠٠٠ دولار ويودع في حسابه مبلغ ٣٦٠٠٠، وهكذا فإن الموساد لا تتكفل بمعيشته اليومية فقط بل بمستقبله كذلك، كما انها تزيد من ارتباطه بها، وبهذا فإنها تحمي مصلحتها.

كما كان يوجد ترتيب لدفع المُنح ـ دفعة اضافية عن كل رسالة مثلاً، بناء على نوعية المعلومات او مركز العميل، وكانت تلك المنح تتراوح بين مئة دولار وألف دولار في المعدل.

لكل من ضباط الاستخبارات الذين يتراوح عددهم بين الثلاثين والخمسة والثلاثين في أي وقت، حوالي عشرين عميلاً على الأقل وكل من هؤلاء العملاء الذين يزيد عددهم عن ستمئة عميل يتلقى ما معدله ثلاثة آلاف دولار شهرياً بالاضافة الى مبلغ مماثل بشكل منح. والعديدون يتلقى الواحد منهم أكثر بكثير، مما يكلف الموساد خمسة عشر مليون دولار على الاقل للدفع للعملاء شهرياً، تضاف إلى ذلك تكاليف التجنيد والبيوت الآمنة والعمليات والسيارات ونفقات عديدة أخرى، مما يصل الى ملايين الدولارات شهرياً.

قد يصرف ضابط الاستخبارات بين مئتي دولار وثلاثمئة دولار يومياً على وجبتي الغداء والعشاء وحوالي الف دولار كمجمل نفقاته، مما يكلف حوالي ٣٠,٠٠٠ الى ٣٥,٠٠٠ دولار يوميا لمجرد النفقات باستثناء الرواتب التي تتراوح بين ٥٠٠ دولار و ١٥٠٠ دولار شهرياً، اعتماداً على رتبهم.

لم يقل احد ان الاستخبارات تكون رخيصة.

بعد ذلك علّمنا دوف كيف نبني «طريق امان»، مما يعني طريقاً يؤمنّها شخص ما، كما تعلمنا عن الصلة الخفية بالفرق المسؤولة عن الأمن الاوروبي، وشاهدنا فيلم تدريب طويل عن الموضوع.

كانت كل من فرق الأمن الاوروبي تتكون من خمسة الى سبعة اشخاص وكان يوجد آنذاك ما مجموعه ثلاث فرق، وعندما تكون هذه الفرق في اوروبا تكون تحت إمرة رئيس الأمن الاوروبي.

كان الغرض الرئيسي من الدرس اظهار الدعم الذي تقدمه فرق الأمن الاوروبي لضباط الاستخبارات، وكذلك كيفية تأمين طرق لانفسهم اذا لم تكن فرق الأمن متوفرة، وبعد ان تعلمت ذلك فتح لي عالم جديد كامل. كنت اذهب الى مقاهي تل ابيب وفجأة كنت ألاحظ جميع النشاط الذي في الشارع والذي لم اكن ألاحظه من قبل ـ الشرطة تتعقب الناس ـ كان ذلك يحدث دائماً، ولكن ما لم يكن الشخص مدرباً عليه فإنه لن يلاحظه.

بعد ذلك جاءت محاضرة «يهودا جيل» عن دقائق التجنيد؛ كان جيل ضابطاً اسطورياً قدمه لنا رف بأنه «معلم»، بدأ بالقول بأنه توجد ثلاث صنانير رئيسية للتجنيد: المال والعاطفة، سواء كانت الانتقام او الايديولوجية والجنس.

قال جيل «أريدكم ان تتصرفوا ببطء وكياسة دائماً، عيّنوا سرعة انطلاقكم، سيكون عندكم شخص ما من أقلية في أحد الأقطار تعرض لمعاملة رديئة مثلا ويريد الانتقام، وبهذا يمكن تجنيده؛ وعندما تدفعون مالاً ويأخذه، فإنكم تعرفون بأنه قد تم تجنيده وهو يعرف ذلك والكل يفهمون انكم لا تعطون المال مجاناً، ولا أحد يتوقع ان يحصل على المال ما لم يتوقع منه ان يعطي شيئاً مقابل ذلك.

ثم هناك الجنس، انه مفيد لكنه لا يعتبر طريقة للدفع لأن معظم من تجندونهم رجال وهناك مثل يقول: «النساء يعطين ويسامحن، اما الرجال فيأخذون وينسون ولهذا فإن الجنس ليس طريقة للدفع، اما المال فلا ينساه الناس».

ثم قال جيل: «حتى لو نجح شيء ما فإنه لا يعني بالضرورة ان الطريقة صحيحة، أما إذا كانت صحيحة فإنها تنجح دائماً، ولكن إذا كانت مخلوطة فإنها تنجح احياناً، ثم روى قصة وسيط عربي كان من المفروض ان يرتب اجتماعاً مع شخص كانت الموساد تريد تجنيده. انتظر جيل في سيارة الى ان يحضر الوسيط من يراد تجنيده، وكانت قصة التغطية لجيل بأنه من معارفه بالعمل. كان الوسيط يعمل للموساد منذ مدة لكنه عندما احضر المجند بالسيارة قدم جيل بأنه البرت والمجند بأنه احمد ثم قال لأحمد: «هذا هو ضابط الاستخبارات الاسرائيلي الذي كنت قد اخبرتك عنه؛ يا ألبرت، ان أحمد يريد العمل معك مقابل ألفي دولار شهرياً، وسيعمل كل ما تريده».

يستخدم الوسطاء ـ وهم دائماً عرب ـ لأنه لا يوجد إلا عدد قليل من ضباط الاستخبارات الاسرائيليين الذين يتكلمون العربية ومن الاسهل كثيراً للعربي ان يبدأ الاتصال بعربي آخر، ويقوم الوسيط بكسر الجليد، وبعد فترة يكتشف ضباط الاستخبارات مقدار فائدتهم.

في قصة جيل كانت الطريقة المباشرة ناجحة، فقد جُنّد احمد، ولكن من الواضح ان تلك الطريقة لم تتم بصورة صحيحة، علّمنا جيل ان الحياة بها تيار وعندما يجند الانسان عليه ان يسير معه. ويجب ان تحدث الأشياء بشكل طبيعي فمثلاً لنفرض انك تعرف بأن رجلاً تريد تجنيده سيكون في مطعم باريسي في مساء معين، تعرف انه يتكلم العربية، يجلس جيل قربه ويكون الوسيط جالساً على مقربة من البار، فجأة يلاحظ الوسيط جيل ويحييه ويبدآن الحديث بالعربية، ولن يحتاج الأمر إلى وقت طويل قبل ان يقحم من بينهما نفسه في الحديث، كما انهما يعرفان خلفيته لهذا يوجهان الحديث نحو مصالحه.

ربما يقول جيل للوسيط: «هل ستقابل صديقتك فيما بعد؟» فيجيب الوسيط «نعم، لكنها ستحضر صديقتها معها، ولن نأخذ حريتنا بحضورها، لماذا لا تأتي أنت أيضاً؟ فيقول جيل انه لن يتمكن من ذلك، إذ انه مشغول وعند تلك النقطة من المحتمل جداً أن يعلن من يراد تجنيده انه غير مشغول ـ وهكذا يبدأ سيره على طريق التجنيد.

تابع جيل كلامه قائلاً: «إذا جرت تلك المحادثة بالعبرية في احد بارات باريس، فإنكم ربما تكونون قد جُندتم، فالناس ينجذبون للآخرين الذين يتحدثون لغتهم في بلد أجنبي.

والحذاقة بالقيام بأول اتصال هو ان تجعله يبدو طبيعياً بحيث اذا نظر اليه من يُراد تجنيده لا يرى شيئاً غريباً وبهذه الطريقة إذا لم ينجح الأمر فإنك لا تكون قد حرقته. ويجب ألا يسمح له أبداً بأن يفكر بنفسه كهدف، ولكن قبل ان تتصل به في مطعم باريسي تكون قد قلّبت ملفه، واكتشفت كل شيء تستطيع اكتشافه عمّا يحبه وعما لا يحبه، وكذلك عن برنامجه لتلك الليلة ـ قدر ما تستطيع لازالة عنصر المصادفة وبهذا ازالة المخاطرة.

اما محاضرتنا الرئيسية التالية فقد ألقاها يتسحاق كنافي الذي احضر مجموعة من الرسوم التوضيحية لشرح الدعم التعبوي الذي تتلقاه ادارة التجنيد في عملياتها. انه دعم كبير ابتداء بالمساعدين اليهود في الخارج ومرورا بالمال والسيارات والشقق الى غير ذلك. لكن الدعم الرئيسي هو الدعم الورقي، فقد يدعي ضابط التجنيد انه يملك شركة تصنع القناني، او انه موظف تنفيذي بفرع اجنبي لشركة آي/ بي/ ام وهي شركة جيدة، إذ أنها كبيرة بحيث ان بالامكان ان يتنكر المرء كموظف تنفيذي فيها لعدة أعوام، بل كانت لدينا بعض مخازن هذه الشركة تقدم لنا الدعم في حالة الطوارىء ـ كان لدينا عمال ومكتب ـ الشيء كله ـ دون ان تعلم اي/ بي/ ام بذلك.

لكن إنشاء مشروع تجاري حتى ولو كان مزيفاً، ليس بسيطاً فسيكون بحاجة لبطاقات عمل، واوراق مروّسة باسم الشركة وهاتف وتلكس واكثر من ذلك. كان للموساد شركات جاهزة على الرف، شركات جوفاء كاملة بعناوين وأرقام تسجيل تجاري، مستعدة لتبعث للحياة، كما انهم كانوا يحتفظون في هذه الشركات بأموال كافية لتقديم كشوفات ضريبية لتجنب اثارة الشكوك، ولهم مئات من الشركات كهذه حول العالم.

في مقر قيادة الموساد كانت خمس غرف ملأى بأغراض شركات زائفة، مرتبة ابجدياً وموضوعة في صناديق تسحب.كانت هناك ثمانية صفوف من الرفوف على كل منها ستون صندوقاً في كل من الغرف الخمس، وكانت المعلومات تضم تاريخ كل شركة، وجميع بياناتها المالية وتاريخ شعارها ومع من سجلت، مع كل شيء ينتظر ان يعرفه الضابط عن الشركة.

بعد ستة أشهر من بدء الدورة عقدنا في نصف الفصل اجتماعاً يدعى «خلط الكرات» او مجرد الحديث والحديث عن اي شيء، واستمر الاجتماع خمس ساعات.

قبل ذلك بيومين مررنا بتمرين طلب فيه مني ومن زميلي اريك ان نجلس في مقهى في شارع هنرينا سولد قرب كيكر هامدينا. سألته ان كان قد حضر دون ان يشعر انه مراقب فأجاب بالايجاب، فقلت له: «ولكن لماذا ينظر إلينا ذلك الشخص الجالس هناك؟ بالنسبة لي، لقد انتهى الأمر وانني سأغادر هذا المكان؟.

قال أريك: «اننا لن نتمكن من الذهاب، إذ ان شخصاً ما سيأتي ويأخذنا بسيارته، فقلت له: «إذا أردت أن تبقى فذلك حسن، ولكنني ذاهب».

قال أريك انني مخطىء ولكنني أجبته بأنني سأنتظره في كيكر هامدينا.

أمهلته ثلاثين دقيقة وقررت عندما تركته أن أراقب المقهى، وكان عندي الوقت لذلك، لهذا تمشيت قليلاً وتأكدت من أن أحداً لا يتعقبني، فعدت وصعدت الى سطح مبنى استطعت منه أن أراقب المقهى، وبعد عشر دقائق دخل الرجل الذي كنا ننتظره وبعد ذلك بدقيقتين طوقت سيارات الشرطة المكان وقام رجالها بجر الرجلين وضربهما الى حد الاغماء. اتصلت بالطوارىء وعلمت فيما بعد أن كل الحادثة كانت تمريناً مشتركاً بين اكاديمية الموساد والادارة السرية في شرطة تل ابيب، وكنا طُعمها.

كان أريك آنذاك في الثامنة والعشرين من عمره، وكان الى حد كبير يشبه مبعوث الكنيسة الانكليكانية المخطوف تري ويت. خدم في استخبارات الجيش قبل الانضمام الى الدورة، وكان أكبر كذاب على وجه الأرض، واذا حياك بتحية الصباح يجب ان تتأكد بالنظر من النافذة ان الوقت

صباح. لم يضرب أريك الضرب المبرح الذي أصاب زميله، لأنه كان يتكلم ـ يكذب دون شك ـ ويتكلم، وكان يعرف أنه إذا كان المرء يتكلم فإنه لن يضرب كثيراً.

لكن الشخص الآخر، جيكوب ـ ظل يقول: «لا أعرف ما تريدون مني» صفعه شرطي وخبط رأسه بالجدار فأصيب بشرخ رفيع في جمجمته وظل فاقد الوعي يومين وفي المستشفى ستة أسابيع، اعطي راتبه لسنة اضافية، لكنه ترك الدورة.

عندما ضربنا ضرباً مبرحاً كان الأمر كمباراة، خرج اولئك الشرطة ليثبتوا انهم افضل منا. كان الأمر أردأ مما لو كنا قد اعتقلنا، وكان قادة الطرفين يقولون: «نراهن انكم لن تخضعوا رجالنا».

تذمرنا اثناء جلسة الحديث المطول بأنه لا معنى لأن نضرب بهذه القسوة فأخبرنا بأننا عندما نقع يجب ألا نقاوم، بل نتكلم، ومن يأسروننا لن يلجأوا الى الكيماويات ونحن نتكلم، وكل مرة كنا نقوم فيها بتمرين، كان هناك خطر بأن تلقي الشرطة القبض علينا، مما علّمنا بأن نتخذ الاحتياطات.

في احدى المرات كان برنامج الصف يحتوي على محاضرة يلقيها مارك هسنر في اليوم التالي. كانت عن العمليات المتبادلة وتدعى «عملية بن بيكر» نفذتها الموساد بالتعاون مع الاستخبارات الفرنسية. قررت انا وزملائي ان نستبق الأمر بدراسة العملية في الليلة السابقة لمناقشتها، ولهذا بعد الصف في ذلك المساء عدنا الى الاكاديمية وصعدنا الى الغرفة السادسة وهي غرفة مأمونة في الطابق الثاني حيث كانت الملفات مخزونة. كان ذلك في آب (اغسطس) عام ١٩٨٤ وكانت ليلة جمعة رائعة، وقد فقدنا فعلاً احساسنا بالوقت. كان الوقت قرب منتصف الليل عندما تركنا الغرفة واقفلناها. كنا قد تركنا سيارتنا في الموقف قرب غرفة الطعام وكنا متوجهين نحوها عندما سمعنا ضجيجاً قادماً من منطقة البركة.

سألت ميشيل عن الأمر فاقترح ان نذهب لنرى. قال حاييم: «تمهلا، دعونا نذهب بهدوء».

على انني اقترحت قائلاً: «من الأفضل ان نرجع لغرفة الطابق الثاني ونراقب من النافذة ما الذي يحدث».

استمر الصوت ونحن نتسلل راجعين الى الاكاديمية. صعدنا الدرج وتوجهنا الى نافذة الحمام الصغير حيث كنت قد احتجزت اثناء فحصي قبل التحاقي بالدورة.

لن أنسى أبداً ما شاهدته، حفلة صاخبة وماجنة. كان هناك ثاني رجل في الموساد ـ انه الآن

رئيسها ـ وهسنر ومختلف السكرتيرات. كان امراً لا يصدق.

كان بعض المحتفلين يلعبون في الماء والبعض الآخر يرقصون بينما كان الآخرون يتمتعون بأوقاتهم في مشهد لم أرَ مثله من قبل.

اقترحت بأن نعد قائمة بالحضور، لكن حاييم اقترح بأن نحضر آلة تصوير، لكن ميشيل قال: «لن أشارك في الأمر، اذ انني أريد ان أظل في المكتب». وافق يوسي على ذلك كما ان حاييم أقر بأن أخذ الصور من المحتمل ان يكون تصرفاً طائشاً.

مكثنا هناك حوالي عشرين دقيقة. كان الحضور من كبار الضباط، الذين تبادلوا الرفيقات، لقد أصبت بالصدمة حقاً ـ فمن المؤكد ان ذلك هو ما لم أتوقعه، اذ كنت أنظر إليهم كأبطال ـ ثم أراهم في ذلك المشهد! على أن حاييم وميشيل لم يظهرا أي تعجب.

تركنا المكان بهدوء، وذهبنا لسيارتنا ودفعناها حتى البوابة ولم نشغلها إلا بعد ان خرجنا من البوابة وأخذنا ننزل التلة.

تحرّينا عن الموضوع فيما بعد، ويبدو ان تلك الحفلات كانت تجري طوال الوقت والمنطقة التي حول البركة أكثر الأماكن في اسرائيل أمناً، ولا يدخلها إلا من كان في الموساد، وما هو أردأ ما قد يحدث؟ قد يراهم أحد الضباط المرشحين، وما أهمية ذلك؟ ان باستطاعتهم دائماً أن ينكروا.

في اليوم التالي كان من الغريب ان نجلس في الصف ونستمع لمحاضرة ألقاها هسنر بعدما شاهدناه في الليلة السابقة؛ اذكر انني وجّهت اليه سؤالاً، وكان علي أن أفعل ذلك، فقلت: كيف ظهرك؟»

ـ «لماذا؟».

ـ «يبدو وكأنك قد أجهدته»، وعندها نظر حاييم إليّ، ثم خفض رأسه حتى كادت ذقنه تلامس الأرض.

بعد محاضرة هسنر الطويلة المملة استمعنا لمحاضرة اخرى عن البنية العسكرية لسوريا، ومن الصعب ألّا يغفو الانسان في هذه المحاضرات، إذ لو كان في مرتفعات الجولان فإنه سيكون مهتماً، ولكن جميع تلك السخافات عن أمكنة تمركز السوريين كانت مملة الى حد ما، رغم أن الصورة العامة ترسخت في أذهاننا، وهذا ما كانوا يريدون أن يحدث.

بعد ذلك في الدورة جاء موضوع جديد عن كيفية ضمان امن الاجتماعات في بلاد القواعد. اشتملت اول محاضرة على فيلم تدريبي من إنتاج الموساد؛ لم يؤثر فينا الفيلم كثيراً، اذ

أظهر أشخاصاً عديدين جالسين في مطاعم. والشيء المهم هو تعلّم طريقة اختيار المطعم ووقت عقد الاجتماع، وقبل عقد اي اجتماع يجب ان تدقق للتأكد من أن لا أحد يراقب المكان؛ وإذا كنت ستقابل عميلاً، فإنك تريده ان يدخل أولاً، وكل حركة تقوم بها في هذا المجال لها قوانينها، واذا خالفتها فقد تقتل. واذا انتظرت عميلك في المطعم فإنك تكون هدفاً جالساً، وحتى لو ذهب الى التواليت فمن الأفضل ألا تنتظره حتى يعود.

حدث ذلك مرة في بلجيكا عندما قابل احد ضباط الموساد، واسمه تصادوق اوفير، عميلاً عربياً. وبعد ان جلسا بضع دقائق، قال العربي ان عليه ان يذهب ويحضر شيئاً. وعندما عاد كان اوفير ما زال جالساً هناك سحب العميل مسدساً وملأ اوفير بالرصاص، على ان اوفير نجا بأعجوبة وقتل العميل فيما بعد في لبنان. واوفير يروي القصة لكل من يود الاستماع اليها ليظهر مقدار الخطر الذي قد ينتج عن هفوة بسيطة.

كانوا يذكّروننا باستمرار كيف نؤمن انفسنا، ويقولون: «ان ما تتعلمونه الآن هو كيفية ركوب دراجة، بحيث انكم بمجرد ركوبها، لن تكونوا بحاجة للتفكير بها».

ان فكرة التجنيد تشبه دحرجة صخرة عن تلة. كنا نستعمل كلمة «ليداردو» التي تعني الوقوف على رأس تلة ودحرجة جلمود من هناك. وهذه هي الطريقة التي نجند بها. نأخذ شخصاً ونجعله تدريجياً يقوم بشيء مخالف للقانون او للاخلاق، ندفعه منحدراً عن التلة. لكنه ان كان على قاعدة راسخة فإنه لن يقدم المساعدة، ولا نستطيع استخدامه، والقصد كله هو ان نستخدم الناس، ولكن لكي نستخدمهم يجب ان نقولبهم، واذا كان لدينا شخص سعيد في حياته ولا يحب الشرب او الجنس وليس بحاجة للمال، وليست لديه مشاكل سياسية فلن نستطيع تجنيده، وما نعمله هو التعامل مع الخونة، فالعميل خائن مهما كانت درجة عقلنته للأمر. اننا نتعامل مع اردأ انواع البشر. كنا نقول اننا لا نبتز الناس ـ فلسنا بحاجة لذلك، اذ اننا نتلاعب بهم.

لم يقل أحد أن عملنا بديع.

الفصل الخامس
المجندون الجدد

وأخيراً في أول آذار (مارس) ١٩٨٤ جاء وقت تخرجنا كان عددنا آنذاك ما زال ثلاثة عشر وقسمنا الى ثلاث فرق عيّنت كل منها لادارة مختلفة في تل ابيب وحولها. اقامت فرقتي في شقة في غيفاتايم، والثانية في مركز المدينة قرب شارع ديزنكوف والثالثة في جادة بن غوريون في القسم الشمالي من المدينة.

كانت كل شقة منزلاً مأموناً ومحطة، وكانت شقتنا في الطابق الرابع في عمارة ليس بها مصعد، كان بها شرفة لكل من غرفة الجلوس والمطبخ، كما كان بها بالاضافة الى ذلك غرفتا نوم وحمام ومرحاض منفصل. وكانت الشقة القليلة الاثاث تابعة لضابط استخبارات كان آنذاك في الخارج.

كان شاي كولي مسؤولا عن منزلي المأمون/ محطتي والمجندون الجدد الذي عينوا له كانوا تسفي جي. ، العالم النفسي واريك اف. ورفيقي افيجدور ا. وشخصاً آخر يدعى أمي وهو عالم لغوي لا يدخن، في بيئة كان فيها التدخين المتواصل يعتبر قسماً من شعائر الاجتياز.

كان «أمي» وهو أعزب من حيفا، يبدو كنجم سينمائي، وكان مذعوراً من أن يضربه شخص ما ضرباً مبرحاً، ولا أعرف كيف اجتاز الفحص الاساسي.

وصلنا نحن الخمسة حوالي الساعة التاسعة صباحاً، وحقائبنا معبأة، ومع كل منا ثلاثمئة دولار نقداً، وهو مبلغ لا بأس به إذا اعتبرنا ان الراتب الشهري للمجند في ذلك الوقت خمسمئة دولار.

استأنا من كون «أمي» معنا، وبدأنا نتحدث عما سنفعله عندما تجيء الشرطة، وكيف نعد للألم، وكل ذلك مصمم لجعل «أمي» اكثر انزعاجاً مما كان، ونظراً لكوننا أشراراً، فقد تمتعنا بذلك.

عندما قرع الباب انتصب أمي، عاجزاً عن إخفاء توتره، كان القادم كولي الذي أتى يحمل ظرفاً كبيراً لكل منا، صاح أمي قائلاً انه لا يريد شيئاً منها، لكن كولي طلب منه ان يعود ويرى اراليه شيرف، رئيس الاكاديمية.

أرسل أمي فيما بعد للانضمام لجماعة شارع ديزنكوف ولكن عندما جاءت الشرطة في احدى الليالي وركلت الباب، وقف وقال: «لقد تحملت الكثير من هذا» ثم غادر المكان ولم يعد إليه.

نزل عددنا الى اثني عشر شخصاً.

كانت ظروف كولي تحتوي على مهامنا؛ وكانت مهمتي أن أجري اتصالاً بشخص يدعى مايك هراري، وهو اسم لم يعنِ لي شيئاً آنذاك، كما كان علي ان اجمع معلومات عن شخص معروف لاصدقائه باسم «مايكي»، وكان طياراً متطوعاً سابقاً في حرب الاستقلال في أواخر الاربعينات.

اخبرنا كولي بأنه سيكون علينا ان نساعد بعضنا البعض مما كان يتطلب استنباط خطة عمليات وروتين أمن لشقتنا، ثم أعطى كلاً منا بعض المستندات ـ كنت «سيمون» مرة ثانية ـ وبعض نماذج التقارير.

أولاً كان علينا ان نستنبط مخبأ لأوراقنا، ثم نطوّر قصة تغطية لشرح سبب وجودنا كلنا في الشقة اذا ما سألتنا الشرطة عن ذلك. وكانت افضل طريقة هي ان نخترع «سبباً مسلسلاً». قد أقول مثلاً انني من حولون، وانني جئت الى تل ابيب حيث قابلت جاك، صاحب الشقة في احد المقاهي، وسأقول: «قال جاك أن بامكاني ان استعملها لأنه سيذهب الى الخارج لمدة شهرين، ثم قابلت اريك في مطعم، وكنت اعرفه من الجيش في حيفا لهذا فهو مقيم معنا سيكون افيغدور صديق اريك وسيكون لهما قصة، وهكذا، بحيث تظهر قصصنا معقولة على الأقل. أما فيما يتعلق بكولي، فقد اخبرناه بأن عليه ان يخترع قصة تغطيته.

عملنا مخبأ في طاولة غرفة معيشتنا وكانت من النوع الهيكلي الذي له سطح زجاجي فوق لوح خشبي بأن ركبنا بعناية لوحة «زائفة» ثانية، وكل ما كان علينا عمله هو ان نرفع الزجاج ونحرك قطعة الخشب العلوية. كان من السهل الوصول الى المخبأ، الذي كان مكانا لا يفكر بالنظر اليه إلا القليلون.

كما اتفقنا على طريقة معينة لطرق الباب ـ الطريقة المعتادة في قرع الباب طرّقتين، ثم طرّقة واحدة، فطرّقتين ـ للاشارة الى ان الذي بالباب هو احد عناصرنا. وقبل العودة الى الشقة نتصل هاتفيا ونتفق على اشارة سرية. اما ان لم يكن في الشقة احد، فان الاشارة المتفق عليها في مختلف الظروف هي تعليق فوطة حمام صفراء اللون على منشر للغسيل في شرفة المطبخ.

كان احساسا رائعا، فقد شعرنا كاننا نسير في الهواء، فنحن نقوم بعمل حقيقي رغم انه ما زال تمرينا.

قبل ان يغادرنا كاولي في ذلك اليوم، اعددنا خططنا لـلاقتراب من «مـواضعينا» وجمـع المعلومات عنهم. وحيث ان لهم عناوين فان مراقبتهم هي الخطوة الاولى. وهكذا ذهب افيغدور لمراقبة منزل هاراري عني، في حين ذهبت انا لمراقبة حلقة الاتصال الذي عهد به الى اريك، وهو الرجل الذي يملك شركة بوكيز للالعاب.

كان كل ما لدي عن هاراري هو اسمه وعنوانه، ولم يكن له اسم في دليل الهاتف. الا انني وجدت اسم هاراري مدرجا في كتاب «من يكون في اسرائيل» في احدى المكتبات. لم يكن هناك الكثير عن خلفيته، سوى انه كان رئيسا لشركة «ميجدال للتأمين» وهي احدى اكبر مؤسسات التأمين في البلاد وادارتها قرب مقاطعة اسمها هاكيريا، حيث يوجد العديد من المباني الحكومية. وتشير الفقرة الخاصة بهاراري ايضا ان زوجته تعمل كأمينة مكتبة في جامعة تل ابيب.

قررت ان اتقدم بطلب للعمل في شركة ميجدال للتأمين، ولهذا الغرض ارسلت الى دائرة القوى البشرية، وفي اثناء وقوفي في الصف منتظرا دوري رأيت رجلا في مثل سني تقريبا يعمل في المكتب المجاور، وسمعت موظفا آخر يناديه «ياكوف».

فنهضت، وسرت في اتجاه المكتب دخلت متسائلا «ياكوف؟»

«نعم. من انت؟» رد متسائلا.

«انا سيمون. انني اتذكرك لقد كنا معا في تل هاشومير»، قلت ذلك وانا اقصد مركز التجنيد العسكري الرئيس حيث يذهب جميع الاسرائيليون.

«في أي سنة كنت هناك؟» سألني.

وبدلا من أن اجيب على سؤاله مباشرة قلت له «انا من ٢٠٣»، (وهذا بداية رقم متسلسل يمثل دفعة تجنيد ولا يحدد الشهر او السنة بالضبط).

فقال ياكوف «وانا ايضا ٢٠٣»

«من سلاح الجو؟»

«كلا، المدرعات».

«اوه، لقد انتهى بك المطاف لتصبح «بونجوس»». قلتها ضاحكا (بونجوس لفظة عبرية تتلاعب بمعنى كلمة «فطر» ويقصد بها الناس الموجودين داخل دبابة حيث المكان مظلم وكثيب).

قلت لياكوف ان لي معرفة بسيطة بهاراري، وسألته ان كان لديهم عمل لي.

فأخبرني ياكوف، «نعم انهم يوظفون مندوبي مبيعات».

«اما زال هاراري مديرا؟»

«لا، لا» اجابني وذكر اسم شخص اخر.

«اوه. وما الذي يفعله هاراري هذه الايام؟»

«انه دبلوماسي»، قال ياكوف واضاف «كما ان لديه عملا مهما في مجال الاستيراد والتصدير في مبنى كور».

نبهني كلامه هذا الى حقيقة هي ان افيغدور قد ابلغ عن رؤية سيارة مرسيدس لها لوحة دبلوماسية بيضاء قرب منزل هاراري. وقد احترت وقتها بالامر. فقد كان اشتراك شخص يحمل اسما يهوديا في عمل مع هيئة دبلوماسية اجنبية امراً يدعو للريبة الشديدة. فجميع الدبلوماسيون في البلاد يعتبرون جواسيس. ولهذا السبب لا يقبل اي جندي اسرائيلي يقف على جانب الشارع في انتظار «توصيلة» ركوب سيارة تحمل لوحات اجنبية، وقد يتعرض لمحكمة عسكرية ان هو فعل. وعندما رأى افيغدور المرسيدس قرب منزل هاراري، لم يعلم انها سيارته واعتقد انها تخص احد الزوار.

تبادلنا الحديث انا وياكوف لبضع دقائق اخرى حتى دخلت امرأة لتخبرني ان دوري في المقابلة قد حل. لم ارد ان اثير أية شكوك، فدخلت للمقابلة وافسدت الامر متعمدا.

اصبحت اعرف الآن اين تعمل زوجة هاراري - في جامعة تل ابيب - وان هاراري نفسه يعمل دبلوماسيا. لكن اين؟ ولمن؟ استطيع ان اتتبع سيارته، لكن اذا كان هاراري دبلوماسيا فلا بد ان يكون لديه تدريب استخباري، ولا اريد ان احترق في مهمتي التدريبية الاولى.

في اليوم التالي، اخبرت كاولي انني خططت لاتمام تدريباتي بحيث انهيها واحدا واحدا. في البدء سأحاول الاتصال بهاراري؛ بعد ذلك احاول ان اعرف من هو «ميكي».

في كل مرة نخرج فيها من الشقة كان هناك امكانية ان يتبعنا شخص ما. فان حدث ذلك يجب انذار الاخرين في البيت الآمن بانه لم يعد امنا. بالطبع، كان كل واحد منا يعرف اين يذهب الاخرون من التقارير التي كنا نقدمها لشاي كاولي.

في تلك المرحلة، كان في مقدوري عمل «ابام» (الاعمال الامنية الخاصة بالعمليات الاستخبارية) في اثناء نومي. وفي اليوم الرابع، وبينما كنت متجها الى مبنى كور، لاحظت ان شخصا ما تبعني قرب منطقة هاكيريا. كان خط سيري النظامي الامن هو ان اركب الحافلة من

جيفعاتيم، واذهب الى ديرا بيتاح تكفا، وانزل عند زاوية شارع كابلان الذي يقطع منطقة هاكيريا.

في ذلك اليوم نزلت من الحافلة، وقمت بدورة ـ وقمت بالشيء ذاته قبل صعودي الى الحافلة في جيفعاتيم ـ ونظرت الى اليمين ولم ار شيئا. ونظرت الى اليسار، فلاحظت وجود بعض الرجال في موقف للسيارات. كانوا يبدون غريبين عن المكان، لذلك قلت في نفسي، حسنا، سوف اتلاعب بهم واجعلهم يأكلون القاذورات.

اتجهت جنوبا على ديرا بتاح تكفي، وهي طريق رئيسية لها ثلاثة مسارب في كل اتجاه، وهذا يعني بان على السيارة التي رأيتها في الموقف ان تسبقني والا فسوف تضيع عني.

وصلت الى نقطة بها جسر يمر فوق شارع بتاح تكفا ويتجه نحو بناية «كالكا»، كانت الساعة حوالي ١١,٤٥ ظهرا، والسير مزدحم بشكل كبير. فصعدت الى الجسر وتوقفت واستطعت ان ارى سائق السيارة ينظر اليّ فوق الجسر، لم يكن يتوقع ان انظر الى اسفل. وكان هناك رجل اخر خلفي، لكنه لا يستطيع الاقتراب مني دون ان الحظه، وفي الجهة الاخرى من الجسر يوجد رجل اخر مستعد للحاق بي اذا ما اتجهت شمالا، واخر اذا ما اتجهت جنوبا، استطعت رؤية كل ذلك بوضوح من موقعي العالي فوق الجسر.

يوجد منطقة تحت الجسر تستطيع السيارات منها ان تستدير عائدة في الاتجاه المضاد. وبدلا من عبور الجسر قمت بحركة بان ضربت جبهتي كمن نسي شيئا، ثم استدرت عائدا الى شارع كابلان ـ حيث لا يستطيعون اللحاق بي ويضطرون الى السير ببطء. ضحكت في سري عندما سمعت اصوات منبهات السيارات تحت الجسر تزمر محتجة عندما حاولت السيارة التي تلاحقني ان تستدير عائدة في الاتجاه المضاد وسط هذا الزحام.

كان كل ما يستطيعون فعله في شارع كابلان هو ملاحقتي في خط مستقيم، فسرت في الشارع الى منتصفه قرب موقع عسكري مقابل «بوابة فكتور»، ثم مررت عبر الازدحام الى كشك اشتريت منه شطيرة وبعض المرطبات.

وفي اثناء وقوفي هناك رأيت السيارة تقترب ببطء، وتحققت فجأة ان السائق هو دوف ل. فانهيت وجبتي السريعة وسرت نحو السيارة ـ التي علقت في الازدحام ـ واستغللت احتجابها لاصعد فوق الممش الجانبي قبل ان اسير مبتعدا، وصوت منبه سيارة دوف خلفي يردد «بيب بيب» وكأنه يقول «حسنا هذه واحدة لك، لقد فزت عليّ».

لقد ابتهجت لذلك، فالامر ممتع فعلا. وقال لي دوف فيما بعد ان احدا ما لم يتغلب عليه بهذا الشكل. وكان مرتبكا بالفعل.

بعد تأكدي ان لا احد يتبعني، استقليت سيارة اجرة الى مكان اخر في تل ابيب وقمت بجولة اخرى لتأكد من ان الامر ليس خدعة لجعلي احس بالاطمئنان. عدت بعد ذلك الى بناية كور والى مكتب الاستعلامات وقلت ان لدي موعدمع مايك هاراري. فارشدوني الى باب في الطابق الرابع، حيث وجدت لوحة صغيرة مكتوب عليها استيراد/ شحن صادرات.

قررت ان اذهب في فترة استراحة الغداء، فمن النادر في اسرائيل ان يبقى الاداريون في المكاتب خلال هذه الفترة. وكل ما اردته في هذه المرحلة ان اتحدث مع سكرتيرة واحصل على رقم هاتف والقليل من المعلومات. واذا كان هاراري هناك، فقد اضطر الى الحصول على المعلومات باستراق السمع.

لحسن الحظ وجدت السكرتيرة وحدها في المكتب، واخبرتني ان الشركة تتعامل بمنتجاتها فقط خاصة من اميركا الجنوبية، لكنها في بعض الاحيان تنقل ارساليات جزئية لاكمال حمولتها.

اخبرتها اني علمت من شركة التأمين ان هاراي يعمل يعمل هنا.

فردت علي «لا، لا، انه شريك، لكنه لا يعمل هنا. انه سفير بنما».

«عفوا» قلتها (وكان رد فعل سيء يمكن ان يكشفني)، كنت اعتقد انه اسرائيلي».

«انه كذلك»، قالت، «وهو في الوقت نفسه سفير بنما الفخري».

وهكذا غادرت المبنى، واتممت جولتي، وكتبت تقريرا كاملا عن نشاطات اليوم.

عندما حضر كاولي وسأل عما لدي، اراد ان يعرف ايضا كيف خططت لاقامة اتصال مع هاراري.

«سوف اذهب الى السفارة البنمية».

«لماذا؟» سأل كاولي.

كنت قد اعددت خطة، فارخبيل اللؤلؤ القريب من بنما يضم صناعة غنية لزراعة اللؤلؤ. وفي اسرائيل تساعد الاحوال المناخية على زراعة اللؤلؤ في البحر الاحمر، فهو هادىء، ودرجة ملوحته ملائمة، وعلى طول الطريق الى الخليج العربي يوجد كميات وافرة من محار اللؤلؤ. وقد عرفت عن كل هذه الامور ـ خاصة عملية تربية المحار لانتاج اللؤلؤ ـ من المكتبة. وسوف اذهب الى السفارة متظاهرا باني شريك لرجل اعمال اميركي ثري يريد ان ينشىء مزرعة للؤلؤ في ايلات. ونظرا للنوعية الجيدة للؤلؤ البنمي فقد نرغب في احضار حاوية من محار اللؤلؤ الى اسرائيل للبدء في المزرعة. وسوف تظهر الخطة ان المشاركين بها لديهم الكثير من النقود وانهم جادون ـ ولا يسعون الى اقتناص سريع للربح ـ حيث انه لا عودة عن المشروع قبل مضي ثلاث

سنوات على الاقل.

ووافق كاولي على الخطة.

كيف سأحصل على موعد مع هاراري بدلا من سفير بنما الرسمي. عندما اتصلت بالسفارة عرفت عن نفسي باسم سيمون لهاف. واريد ان اعرض استثمارا في بنما. وقد اقترحت على السكرتيرة ان اقابل احد الملحقين. لكني قلت، «لا، اريد شخصا لديه خبرة في مجال الاعمال»، فاجابتني على ذلك، «بامكانك ان تقابل السيد هاراري». وهكذا حددنا موعدا لليوم التالي.

اخبرتها ان في الامكان الاتصال بي في فندق شيراتون واعطيتها بعض التفاصيل المحددة. وكنت قد سجلت اسمي هناك بترتيب من الموساد التي لها رجال امن في جميع الفنادق: ويجري قيد ضباط الامن ويعطوا رقم غرفة لتلقي الاتصالات.

وفي وقت متأخر من ذلك اليوم، تركت رسالة لي في الفندق كي اقابل هاراري في السفارة في الساعة السادسة من مساء اليوم التالي. وبدا لي ذلك غريبا لان كل شيء يغلق الساعة الخامسة.

تقع السفارة البنمية على الشاطىء جنوبي مطار سيده دوف، في مبنى من عدة شقق وهي في الطابق الاول فوق الطابق الارض مباشرة. وصلت مرتديا ملابس انيقة ومستعدا للقيام بدور رجل الاعمال. وكنت قد طلبت جواز سفر لاني لا ابدو كاسرائيلي، بل كرجل اعمال من كولومبيا البريطانية/كندا. وكنت قد اتصلت مع محافظ ايلات رافي هوكمان الذي عرفته عند اقامتي في ايلات لمدة سنة واحدة. كما درسنا سوية في نفس الصف في المدرسة الثانوية. بالطبع لم اخبر وكمان من اكون لكني ناقشت الاقتراح معه للاحتياط في حالة ما اذا قرر هاراري متابعة الموضوع.

لسوء الحظ، لم يتمكن كاولي من الحصول على جواز السفر الذي طلبته، لذلك ذهبت من دونه وتصورت ما الذي يمكن ان اقوله اذا ما سألني وقلت له اني كندي، ولا اعمل جواز سفري معي، سأخبره انه في الفندق.

وصلت الى السفارة لاجد ان هاراري هو الوحيد هناك. جلسنا قبالة بعضنا البعض. في مكتب باذخ، وهاراري خلف مكتبه الضخم يستمع الي وانا اعرض مشروعي.

كان سؤال الاول لي، «هل انتم مدعومون بنكيا ام مستثمرون مستقلون» فقلت له انه رأسمال مجازف، يعتبر ان في العملية مجازفة كبيرة. فابتسم هاراري. وبينما كنت استعد للدخول في التفاصيل الهامة عن المحار سألني هاراري، «كم هو المبلغ الذي تتحدثون عنه؟».

«مهما تطلب الامر ولغاية ١٥ مليون دولار لكن هناك تفاوت كبير في التقديرات، فنحن نقدر ان نفقات التشغيل لثلاث سنوات لن تزيد عن ٣,٥ مليون دولار.

«اذا لماذا هذا السقف العالي ان كانت التكلفة منخفضة بهذا القدر» سأل هاراري.

«لان العوائد المتوقعة عالية جدا وشركائي يعرفون اصول جمع المال».

كنت متلهفا للدخول في النواحي الفنية للمشروع، وان اطرح اسم محافظ ايلات، الا ان هاراري قطع الحديث هنا ومال فوق المكتب باتجاهي وقال، «بالسعر المناسب تستطيع الحصول على كل شيء تقريبا في بنما».

سبب لي قوله هذا مشكلة حقيقية. فقد دخلت الى السفارة لاتحدث الى شخص وابدأ في دحرجته حتى اسفل التل، واورطه في العمل ببطء. دخلت وانا امثل دور الرجل النظيف، لكن قبل ان افتح فمي كان قد بدأ يدحرجني الى اسفل التـل. كنت في سفارة اتحـدث الى السفير الفخري، ولم يكن قد تعرف علي بعد وها نحن نتحدث عن الرشوات.

وهكذا اجبت «ما الذي تعنيه؟»

«بنما بلد عجيب» قال هـاراري «انها ليست بلداً حقيقيـا، انها اشبه بشـركة انـا اعرف الاشخاص الملائمين - او بشكل اصح - امين المستودع. في بنما احدى اليدين تغسل الاخرى. اليوم قد تحتاج ان تتفاوض من اجل مشروعـك الخاص بـاللؤلؤ وقد نحتـاج لامر مـا منك في المستقبل. انها اتفاقات عمل، لكننا نحب التعامل طويل الامد».

توقف هاراري لوهلة ثم قال «لكن قبل ان نخوض في هذا الموضوع اكثر، هل استطيع ان ارى بطاقتك الشخصية؟»

«أي نوع من البطاقات تعني؟».

«حسنا، جواز سفرك الكندي».

«انا لا احمل جواز سفري في تجوالي».

«في اسرائيل يجب عليك دائما حمل بطاقة شخصية. اتصل بي عندما تكون معك، وسوف نتحدث». ثم قال «الآن كما تعلم، السفارة مغلقة».

ثم نهض، وصحبني الى الباب دون ان يضيف كلمة اخرى.

لقد أسأت التصرف عندما سألني هاراري عن جواز السفـر. لاني ترددت، وتلعثمت. ويحتمل اني ايقظت حسه الامني واصبح حذرا. وبدا لي للحظة انه قد اصبح شديد الخطر.

عدت الى الشقة متبعا الاجراءات الامنية المعتادة، وانهيت تقريري الساعة ١٠ مساءً حين حضر كاولي خصيصا لقراءته.

ولم يكد كاولي يغادر ويبتعد قليلا عن الشقة حتى حضرت الشرطة. التي رفست باب الشقة الى الداخل وخلعته مع اطاره. واخذتنا الشرطة نحن «الاغرار» جميعا الى مخفر الشرطة في رامات غان ووضعنا في زنازين منفصلة في انتظار استجوابنا. ومرة اخرى، كانت تلك تجربة تغرس في ذهننا فكرة انه اثناء العمل في محطة، فان اكبر عدو لنا قد يكون السلطات المحلية. واذا ما تبعك احد على سبيل المثال، فيجب عليك ان تحدد في تقريرك ما اذا كنت تعتقد انه من الشرطة المحلية ام لا. بقينا محتجزين حتى الصباح، لكن عندما عدنا الى الشقة كان الباب قد اصلح. وبعد ذلك بعشر دقائق رن جرس الهاتف. كان اراليه شيرف، مدير المدرسة. قال لي، «فيكتور؟ اترك كل شيء في يدك، اريدك هنا، الآن».

ركبت سيارة اجرة الى الزاوية قرب النادي الريفي، ثم نزلت وسرت صعودا الى المدرسة. لا بد ان امراً ما خطأً، اعلم ذلك. ربما عرفوا ان ضانع الالعاب عضو سابق في الموساد. كما حدث مع حلقة اتصال افيغدور، صاحب مصنع المشروبات الروحية.

قال شيرف، «ساوضح لك دون لف او دوران، لقدكان مايك هاراري مديرا للمتسادا. وزلته الوحيدة كانت عملية ليليهامر، عندما كان قائدا للعملية». «لقد كان شاي كاولي شديد الفخر بك، وقد مرر تقريرك اليّ، لكن بالنسبة لك فان هاراري لا يبدو جيدا، وهو اشبه بمحتال. لذلك اتصلت به الليلة الماضية، لاسأله عن رده. وقرأت له تقريرك. واخبرني ان كل ما قلته انت مغلوط». وتابع شيرف بعد ذلك ليعدد لي سجل اعمال هاراري.

حسب اقوال هاراري، فقد وصلت، وانتظرت ٢٠ دقيقة قبل ان يسمح لي بمقابلته، وبدأت أتكلم الانجليزية بلكنة سيئة. وقال انه اكتشف اني مزيف وطردني. وقال انه لا يعرف شيئا عن قصة اللؤلؤ واتهمني باختراع كل شيء.

ثم قال شيرف «لقد كان هاراري رئيسي، فهل تريدني ان اصدقك، وانت مجرد غر، ام اصدقه؟».

شعرت بالدم يندفع الى رأسي. وبدأت اشعر بالغضب.

ان ذاكرتي بالنسبة للاسماء ليست جيدة، الا ان تقاريري كانت دائماً اقرب الى الكمال. كنت قد ادرت المسجل داخل حقيبتي الدبلوماسية قبل بدء اللقاء مع هاراري، فناولت الشريط الى شيرف «هاك تسجيل المحادثة، واخبرني انت من ستصدق، لقد نسخت التقرير كلمة كلمة عن الشريط».

عند ذلك، تناول شيرف الشريط وغادر المكتب ثم عاد بعد ١٥ دقيقة.

قال، «هل ترغب في «توصيلة» الى الشقة؟ «لا بد ان هناك سوء فهم في الموضوع والان ها هي النقود لفريقكم في هذه المظاريف».

فقلت: «هل استطيع اخذ الشريط؟ فان عليه اشياء من عملية اخرى».

«اي شريط»، قال شيرف.

«الشريط الذي اعطيتك اياه للتو».

«اسمع»، قال، «اعلم انها كانت ليلة صعبة بالنسبة لكم في مخفر الشرطة.. وانا اسف لاني جررتك الى هنا من اجل تسليمك النقود لاعضاء فريقك، لكن هكذا هي الامور في بعض الاحيان».

في محادثة جرت فيما بعد، اخبرني كاولي انه كان سعيداً عندما عرف اني قد سجلت شريطاً. «ولولا ذلك لشهّروا بك وربما طردوك من الدورة».

لم اسمع عن الشريط شيئا بعد ذلك، الا انني استوعبت الدرس جيداً، ووضعت هذه الحادثة لطخة صغيرة على نظرتي للموساد. فها هو البطل العظيم، لقد سمعت الكثير عن مآثر هاراري في السابق، كنت اعرفها من خلال اسمه الرمزي «كوبرا» ثم عرفته بعد ذلك على حقيقته.

عندما غزت الولايات المتحدة بنما في عهد نوريغا بعد منتصف ليل ٢٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٩، قالت التقارير الاولية بان هاراري قد قبض عليه ايضاً. ووصفته روايات وكالات الانباء بانه «ضابط ظل سابق في سلاح الاستخبارات الاسرائيلية، الموساد، الذي اصبح اكثر مستشاري نورييغا نفوذاً»، واعرب مسؤول في الحكومة الجديدة التي شكلها الاميركيون عن سعادته قائلاً ان هاراري كان اهم شخصية في بنما، بعد نورييغا، الا ان الاحتفال كان سابقاً لاوانه، فقد قبضوا على نورييغا لكن هاراري اختفى، ليظهر بعد فترة قصيرة في اسرائيل حيث ما زال يقيم.

كان لدي مشروعي الاخر كي انهيه، جمع معلومات عن طيار سابق اسمه «ميكي». اي والدي، سد اوستن (بعد ان حرّف اوستروفسكي الى اللغة الانجليزية)، والذي يعيش الان في اوماها/نبراسكا، الذي كان ضابطاً ممن تطوعوا في سلاح الجو الاسرائيلي، والذين كانت شجاعتهم ومغامراتهم خلال حرب الاستقلال مألوفة لدي. وكان هؤلاء في الاصل من طياري القوات الجوية الاميركية، والبريطانية، والكندية خلال الحرب العالمية الثانية الذين تطوعوا فيما بعد للقتال في سبيل اسرائيل.

وعمل العديد من هؤلاء في مطار سيده دوف، حيث كان والدي آمر قاعدة، وقد حصلت على العديد من اسماء هؤلاء الطيارين من الارشيف، الا انني لم اجد اي مرجع عن رجل اسمه «ميكي».

بعد ذلك، اتصلت بمدير الامن موسى م. من اجل تسجيل في فندق هلتون. ثم حصلت على بعض ورق الكرتون ومناصب ثلاثية الارجل لوضع اشارات، واتصلت بضابط الارتباط لدى القوات الجوية ليقول باني مخرج افلام كندي اريد ان اخرج فيلماً وثائقياً عن الطيارين المتطوعين الذين ساعدوا على اقامة دولة اسرائيل. وقلت اني ساكون في الهيلتون لمدة يومين وارغب في مقابلة اكبر عدد ممكن من الرجال.

قبل شهر من ذلك التاريخ، كان في سلاح الجو حفل توزيع جوائز، لذلك كانت هناك قائمة حديثة بعناوينهم، واكد ضابط الارتباط انه امكنه الاتصال بثلاثة وعشرين شخصاً منهم، وان ١٥ منهم وعدوا بأن يأتوا الى الهيلتون وان اتصل به اذا ما احتجت اي شيء اخر.

ثم اخذت ورقة الكرتون ووضعت عليهاعلامات تقول «الاجواء الملتهبة»: قصة حرب الاستقلال. . وفوقها كتبت هيئة الافلام الوثائقية الكندية.

وفي الساعة العاشرة صباح يوم الجمعة، دخلت انا وافيغدور الى الهيلتون وكان افيغدور يرتدي اوفرهول ويحمل الاشارات، اما انا فكنت ارتدي بزة عمل. وضع افيغدور احدى الاشارات عند المدخل لتدل على الغرفة التي سيتم فيها اللقاء. وشارة اخرى عند مدخل القاعة، ولم يسألنا اي شخص في الفندق عما نفلعه.

امتدت مقابلتي للرجال لاكثر من ٥ ساعات. وكان هناك جهاز تسجيل على المنضدة وراح احدهم يروي لي القصص عن والدي ـ دون ان يعرفه.

وفي اثناء اثنتين او ثلاث من هذه المحادثات توقفت لاسأل «ميكي»؟ «من هو ميكي»؟ رغم ان محدثي لم يكن قد ذكر هذا الاسم.

وفي احدى المرات قال احد الرجال «اوه، انه جاك كوهين ، كان طبيباً في جنوب افريقيا».

ثم كانوا يتابعون الحديث عن «ميكي» الذي قضى نصف وقته في اسرائيل، والنصف الثاني في الولايات المتحدة. وبعد ذلك شكرت الرجال واخبرتهم ان عليّ الذهاب.

لم اعطي اي منهم بطاقتي، كما لم اقدم اية وعود، وحصلت على اسمائهم جميعاً، وقد دعوني جميعاً للعشاء. كانت الحكاية مثل وضع هلام في قالب تستطيع ان تشكلها كما تريد. لكن كان ذلك كل ما استطعت الحصول عليه.

عدت بعد ذلك الى الشقة، وكتبت تقريري، وقد ضحك كاولي عندما قلت له ان كان في هذا الشريط شيء لا ترغب في ان اكتبه فاخبرني عنه الان».

انهينا هذا الجزء من الدورة في اذار/مارس ١٩٨٤، لذلك جعلنا اراليه شيرف نقدم خدماتنا لاقامة عرض مسرحي يخرجه المنتج الاسرائيلي المشهور عاموس ايتنجر في قاعة مان الموسيقية في المتحف في تل ابيب بمناسبة المؤتمر السنوي للموساد الذي كان سيعقد بعد يوم ونصف، ومع ايتنجر زوجته تامار افيدار، وهي كاتبة صحفية معروفة وكانت في يوم من الايام الملحقة الثقافية لاسرائيل في واشنطن.

وهذا الحدث واحد من المناسبات النادرة التي يقيمها الموساد علناً وتضم حضوراً من الخارج، رغم ان هذا الحضور قد لا يكون سوى الامتداد لاسرة الموساد ـ ويضم بشكل رئيسي السياسيين، وعناصر الاستخبارات العسكرية، والاعضاء القدماء، وعدد من محرري الصحف.

كنا مرهقين، وكان علينا ان نعد التقارير لكاولي، ولم نأخذ سوى قسط بسيط من النوم في الليلة السابقة لاننا كنا نتمرن للعرض الكبير. واقترح يوسي بان تذهب مجموعتنا الى بيته للنوم لان علينا ان نبقى سوية. الا ان يوسي عاد وقال بان هناك امرأة اسفل الشارع وعد بان يزورها، وبالتالي لم ينم في تلك الليلة.

وقد قلت له «لقد تزوجت منذ فترة وجيزة، وتوشك ان ترزق بطفل. فلماذا تزوجت؟ انت لا تستريح ابداً، انت اشبه بسمكة في الماء. جزء منك على الاقل يسبح دوماً».

وقد شرح لي بان والدي زوجته لديهما متجر في ساحة «كيكر هامدينا» (وهو اشبه بالحي الخامس الانيق في نيويورك اليوم)، وبذلك فان النقود لم تعد مشكلة. كما انه محافظ واقاربه يريدون حفيداً، ثم سألني بعد ذلك «هل يجيب هذا عن سؤالك؟».

«جزئيا»، رددت عليه واضفت «الا تحب زوجتك؟».

فقال «احبها مرتين في الاسبوع على الاقل».

الوحيد الذي كان ينافس يوسي في شبقه الجنسي هو حاييم. فقد كان اعجوبة.كان يوسي ذكيا، لكن ليس حاييم. ولم افهم ابداً كيف يجند الموساد اشخاصاً في مثل غباء حاييم الذي كان كل همه ان يتفوق على يوسي.

يبدي العديد من الناس تأثرهم حين يعلمون انك تعمل مع الموساد، فالامر يظهر ان لديك الكثير من السلطة، وقد كان هناك اناس يستخدمون صلتهم بالموساد للتأثير في النساء واغوائهن.

وهذا امر خطر، ويخرق كل القواعد والتعليمات. الا ان تلك كانت لعبتهم، وكانوا دوماً يتفاخرون بغزواتهم الغرامية.

كان حاييم متزوجاً، وغالباً ما كان يأتي مع زوجته الى بيتي لحضور حفل عائلي. وقد اخبرت زوجته زوجتي بللا في احدى المرات انها ليست قلقة على حاييم لانه «اكثر الرجال وفاء في العالم»، وقد استغربت سماع ذلك.

بالنسبة لي، كانت اوقح غزوات يوسي الغرامية تلك التي حدثت في الطابق الرابع عشر داخل «الحجرة الصامتة» في مبنى القيادة في تل ابيب. وهذه الغرفة مستخدمة للاتصال بالعملاء. ونظام الهاتف مجهز بتحويله بحيث يستطيع الكاتسا الاتصال بعميله في لبنان، مثلاً، لكن اذا تتبع شخص ما المكالمة فانها ستبدو كما لو كانت صادرة من لندن او باريس او اي عاصمة اوروبية اخرى.

وحين تكون الغرفة مشغولة، يضاء ضوء احمر ولا يستطيع اي شخص الدخول ـ بالطبع هذا ملائم تماماً لهذه المناسبة ـ وهكذا اصطحب يوسي سكرتيرة الى تلك الغرفة في اثناء حديثه مع عميل في لبنان وفي ذلك خرق خطير للتعليمات.

عرف كل من في المبنى بهذه الحكاية، لكن كوني مستقيماً فوت عليّ الكثير من التفاصيل. كان هناك شبه اتفاق بين الرجال ان يقيموا اتصالات جنسية. ما خيب املي انني اعتقدت عند حضوري الى هناك اني ادخل معبد اسرائيل المهيب فاذا بي في سدوم وعمورة. وهذه الامور تجري على مختلف اصعدة العمل. وكل شخص مرتبط فعلياً بشخص اخر من خلال الجنس. كان نظاماً متكاملاً من الخدمات المتبادلة، انا ادين لك، وانت تدين لي. انت تساعدني، وانا اساعدك. كانت تلك هي الطريقة التي يتقدم بها الكاتسات، لشق طريقهم الى اعلى.

كانت اغلب السكرتيرات في المبنى على درجة عالية من الجمال، وهذا احد شروط اختيارهن وقد يصل الامر حدّ الطلب اليهن ان يكن «جاهزات للاستعمال» كي يتمشى ذلك مع العمل. ولا يقيم اي شخص علاقة مع سكرتيرته الخاصة رغم ان ذلك ليس جيداً للعمل. هناك مقاتلين قد يغيبون لمدة سنتين او ثلاث، وربما اربع سنوات. والكاتسات الذين يوجهونهم في المتسادا هم الرابطة الوحيدة بينهم وبين عائلاتهم. كان هناك اتصالات اسبوعية مع زوجاتهم. وبعد فترة لا تقتصر هذه الاتصالات على الحديث بل تنتهي الى اقامة علاقات مع زوجات المقاتلين.

هذا هو الشخص الذي تأتمنه على حياتك، لكن يجدر الا تأتمنه على زوجتك، فقد تكون في بلد عربي، في الوقت الذي يقوم فيه باغواء زوجتك. واصبح من المألوف جداً اذا ما تقدم شخص

للعمل في المتسادا ان يطرح هذا السؤال، «لماذا، هل انت من ذوي القـرون؟» (الذين تخدعهم زوجاتهم).

اطلق على العرض المسرحي الذي قـدمه الاغـرار اسم «الاشباح»، وكـانت تلك قصة جاسوس جرى تمثيلها بالكامل خلف ثلاث شاشات ضخمة. ولاننا كنا في طريقنا لان نصبح كاتسات فلم تكشف وجوهنا لجمهور الحضور.

افتتحت المسرحية براقصة شرقية مع موسيقى تركية مناسبة. ورجل يحمل حقيبة دبلوماسية يمر بجانب الشاشة. وكانت تلك احدى نكات المركز، التي تقول انك تستطيع ان تعرف الكاتسا من ثلاثة سينات (جمع س) حقيبة سامسونايت، وسبع نجوم (دفـتر يوميـات بغطاء جلدي)، وساعة سايكو.

واظهر العرض التـالي عملية تجنيـد، وكان هنـاك ملاحـظة ساخـرة عن فتح الحقـائب الدبلوماسية، تحول المشهد بعدها الى شقة في لندن ورجل جالس في احدى الغرف وفي الغرفة التالية (او الشاشة التالية في هذه الحالة) رجل اخر يضع سماعات على اذنيه يستمع الى المحادثة.

تبع ذلك تمثيل حفلة في لندن، وعرب يرتدون لباس الرأس المعهود يظهرون بشكل ظلال على الشاشة. كانوا جميعاً يشربون الكحول ويصبحون اكثر انبساطاً ووداً. وعلى الشاشة الاخرى كاتسا يقابل عرباً في الشارع ويتبادل معهم حقائب السامسونايت.

وفي النهاية، تقدم الممثلون الى الشاشات وهم يمسكون بايدي بعضهم البعض، وغنـوا الاغنية العبرية «في انتظار يوم اخر». وهي الكلمات الجديدة للحن القديم لاغنية «العام القادم في القدس»، وهي امنية تقليدية لليهود قبل نشأة اسرائيل.

بعد ذلك بيومين اقمنا حفلة تخرج في الحديقة ملحقة باحدى ساحات المدرسة قرب صالة كرة الطاولة، وتخلل الحفلة تناول اللحوم المشوية. وحضر الحفل زوجاتنا، ومدربونا وكل من له علاقة مباشرة.

واخيراً نجحنا، كان ذلك في اذار/مارس ١٩٨٤. انهينا احدى الدورات وكـان امامنـا دورتان كي ننهيهما.

الفصل السادس

الطاولة البلجيكية

في نيسان / ابريل ١٩٨٤ لم يكن افراد مجموعتي قد اصبحوا كاتسات بعد، الا اننا لم نعد تلاميذ ايضا. كنا بالضبط كاتسات صغاراً او متدربين ما زلنا نواجه بعض القيود من القيادة وكان أمامنا دورة الاستخبارات الثانية قبل ان نتمكن من ان ندعو انفسنا كاتسات.

وقد عينت في الابحاث، او كما شرح شاي كولي في صباح اليوم التالي، كان على المتدربين ان يقضوا العام المقبل متنقلين من دائرة الى اخرى كل شهرين كي يتعلموا جميع اشكال العمليات استعدادا لدورتنا الثانية.

وبعد نقاش طويل، تخللته النكات المعتادة، وتدخين السجائر، وارتشاف القهوة، اعلن كولي بان اهارون شاهار رئيس الكوميميوت (كان يطلق عليها المتسادا سابقا، وتغير اسمها مع اسماء الدوائر الاخرى عندما فُقد كتاب للرموز في محطة لندن في تموز/يوليو ١٩٨٤) يريد ان يكلمنا. واختار اثنين منا للالتحاق بدائرته هما تسفي جي الطبيب النفسي؛ وعميرام وهورجل هادىء محبوب انضم الى القسم من الجيش مباشرة حيث كان برتبة مقدم. واصبح هذان الرجلان ضباط قضية للجواسيس.

تعمل الكوميميوت، والتي ترجمتها «الاستقلال برأس مرفوع» كأنها موساد داخل جهاز الموساد، وهي دائرة شديدة السرية تعنى بالمقاتلين من الموساد، و«الجواسيس» الحقيقيين الذين هم اسرائيليين يرسلون الى البلاد العربية بتغطية كاملة. وضمن هذه الدائرة يوجد وحدة داخلية صغيرة تسمى «كيدون» ومعناها «الحربة»، مقسمة الى ثلاثة اقسام، في كل واحد منها حوالى ١٢ رجلا هم القتلة، او «يد العدالة الاسرائيلية الطويلة» كما يطلق عليهم لتحسين صورة عملهم البغيض. وفي العادة يوجد فريقيين من هذه الوحدة يتدربان في اسرائيل ويكون الثالث في مهمة خارجها. وهم لا يعرفون شيئا عن باقي اقسام الموساد، ولا يعرفون اسماء بعضهم البعض الحقيقية.

ومن جهة اخرى، يعمل المقاتلون بشكل زوجي. الاول هو مقاتل البلد الهدف وشريكه مقاتل البلد القاعدة. وهم لا يقوموا بأية اعمال تجسس داخل البلدان الصديقة مثل انجلترا.

لكنهم قد يديرون اعمالا تجارية مشتركة هناك. وعند الحاجة قد يذهب مقاتل البلد الهدف الى البلد المستهدف مستغلا الشركة كغطاء له، في حين يقوم مقاتل البلد القاعدة بدور حبل السلامة ويوفر له مختلف اسباب الدعم.

وقد تغير الدور الذي يقوم به هؤلاء عبر السنين حسب التطورات التي مرت بها اسرائيل. وفي وقت مضى كان لدى الموساد اناس يعملون لفترات طويلة في البلاد العربية، لكن هؤلاء قضوا فترات طويلة هناك واحترقوا (لم يعودوا فاعلين). ثم بدأت الموساد تعتمد على «المستعربين». الاسرائيليين القادرين على التحدث والظهور بمظهر العرب. ففي الايام الاولى لقيام الدولة كان هناك العديد من اليهود القادمين من بلاد عربية وبالتالي لم يكن هناك نقص في المستعربين. اما اليوم فلم يعد هذا ممكنا، والعربية التي تدرس في المدارس لا تكفي كغطاء حقيقي.

وينتحل اغلب المقاتلين اليوم صفة الاوروبيين. وهم يوقعون على تعهد بالخدمة مدته اربع سنوات. ومن المهم جدا ان يكون لديهم عمل حقيقي للتغطية يسمح لهم بالسفر في اي وقت، وخلال فترة قصيرة. والموساد يزودهم بشريك ـ مقاتل البلد القاعدة، وهم يريدون العمل فعليا، وهذا العمل ليس عملا للتغطية بل هو حقيقي ـ والعمل المعتاد لهم هو الاستيراد والتصدير.

وتوجد في كندا حوالى ٧٠ بالمئة من الاعمال التي يديرها مقاتلو البلد القاعدة. ووسيلة الاتصال الوحيدة بين المقاتلين والدائرة تتم من خلال ضابط القضية. ويشغّل كل ضابط قضية اربعة او خمسة مجموعات من المقاتلين لا اكثر.

ويوجد في الكوميميوت مجموعة من حوالي ٢٠ خبيرا في الاعمال التجارية. وهم يحللون كل شركة وكل سوق، ويمررون المعلومات الى ضابط القضية، الذي بدوره يرشد المقاتلين الى طريقة ادارة اعمالهم.

يتم تجنيد المقاتلين من مختلف فئات الشعب ـ اطباء، ومحامون، ومهندسون واكاديميون ـ اناس مستعدون لتقديم اربع سنوات من عمرهم لخدمة بلدهم. ويدفع لعائلاتهم راتب شهري حسب المعدلات العادية كتعويض، ويمنح المقاتل تعويضا اضافيا للعمل خارج البلاد يوضع في حساب منفصل له. وفي نهاية خدمته المكونة من اربع سنوات يمنح مبلغا يتراوح ما بين ٢٠ و٣٠ الف دولار، يوضع في حسابه.

ولا يجمع المقاتلون معلومات مباشرة ـ المراقبة المادية الفعلية، مثل تحركات الاسلحة او استعداد المستشفيات للحرب ـ الا انهم يجمعون «خيوط» الاستخبارات، والتي تعني مراقبة الاقتصاد، والاشاعات، واحاسيس الناس، ومعنوياتهم، وما الى ذلك. وفي مقدورهم ان

يذهبوا ويعودوا ببساطة وملاحظة هذه الاشياء دون ان يعرضوا انفسهم لخطر حقيقي. وهم لا يبثوا تقاريرهم من البلد الهدف، الا انهم قد يسلموا بعض الاشياء لجهات هناك - نقود، او رسائل.

على اية حال، بعد اختيار تسفي وعاميرام للعمل في الكوميميوت، كان لدى شاي كولي رسالة للباقين منا، تتعلق باجازتنا المنتظرة.

قال كولي «كما تعلمون، كل خطة هي قاعدة للتغيير، اعلم انكم جميعا تواقون لاجازتكم، لكن قبل ان تذهبوا هناك شيء اخر تفعلونه. سوف تكونون اول دورة تتلقى تدريبا مكثفا لاستخدام كمبيوتر الدائرة. لن يستغرق الامر اكثر من ثلاثة اسابيع، وبعد ذلك تستطيعون الاستمتاع بما تبقى من اجازتكم».

وقد تعلمنا تقبل ذلك من الموساد. كان هناك اوقات تستحق فيها الاجازة ويعلموننا اننا نستطيع المغادرة مساء يوم الجمعة، وعندما يأتي المساء يجيء شخص ليخبرنا انهم في حاجة الينا، للاربع وعشرين ساعة القادمة فقط، وان لدينا ٢٠ دقيقة للاتصال بالبيت يركض بعدها الجميع الى اجهزة الهاتف.

كان للكاتسات مكتملي التدريب جهاز بث رسائل خاصاً يمكن تشغيله حسب الطلب يبعث اشارة مختصرة مثل «مرحبا، انا في المكتب، زوجك لن يحضر الى البيت حسب المخطط، وسوف يتصل بك عندما يستطيع. ان حدثت اية مشاكل خلال هذه الفترة يرجى الاتصال بجاكوب».

كان الكاتسات يقومون بارسال هذه الاشارات متعمدين. ولا يمكن تصور الاهمية التي يلعبها الجنس في حياة الكاتسا. فعامل عدم اليقين يعني الحرية المطلقة. فاذا ما التقى الكاتسا بمجندة واراد ان يقضي نهاية الاسبوع معها، فالامر سهل لان زوجته اعتادت على حقيقة غيابه عن البيت. وهذا النوع من الحرية مرغوب فيه. والطرافة الحقيقية انك لا تستطيع ان تصبح كاتسا ما لم تكن متزوجا، ولا يمكنك السفر الى الخارج، وهم يقولون ان شخصا غير متزوج سوف يسعى للعبث مع الفتيات وقد يلتقي بواحدة تكون عميلة مزروعة. هذا في حين ان الجميع كانوا يعبثون، مما يجعلهم عرضة للابتزاز. والموساد يعرف ذلك، لذلك كان هذا الشرط غامضا وغير مفهوم تماما بالنسبة لي.

تم اخلاء غرفة في الطابق الثاني في الاكاديمية، من اجل دورة الكمبيوتر، وصفت المناضد على شكل نصف دائرة، مع جهاز لكل واحد يعمل عليه. وكانت المدربة تعرض صورة سينمائية على شاشة مثبتة على الجدار بحيث يراها الجميع، وتعلمنا في البدء كيف نعبيء ملف بيانات شخصية لاحد المواضيع حسب «صفحة الجزر» وهي صفحة برتقالية اللون تحتوي على سلسلة من

الاسئلة يجب الاجابة عنها قبل ان يتمكن العامل على الجهاز من الدخول الى برنامج لكمبيوتر. وكانت اجهزة التدريب هذه حقيقية، ترتبط مباشرة مع القيادة، وتسمح لنا بالاطلاع على ملفات حقيقية، وتعلمنا كيفية تشغيل البرامج المتبعة، والبحث عن البيانات واسترجاعها حسب تصنيفها.

من الحكايات المشهودة خلال الدورة تتعلق بنظام اسمه «كشاريم» (عقد ، جمع عُقدة) والمقصود بها سجل اتصالات شخص ما. جلس اريك ف. امام جهاز المدربة مستغلا فترة غيابها في احد الايام، وطلب عرفات على الكمبيوتر ومن ثم طلب «كشاريم». ولان عرفات من منظمة التحرير الفلسطينية فان له اسبقية على الكمبيوتر، اي انه كلما زادت اهمية الشخص المطلوب معلومات عنه، كلما كان الكمبيوتر اسرع في الاجابة.

وليس هناك افضليات في الكمبيوتر اعلى من عرفات. لكن المشكلة الحقيقية كانت في مئات الوف الارتباطات التي له، لذلك عندما بدأ الكمبيوتر في عرضه قائمة واسعة من الاسماء على الشاشة زاد الحمل عليه لدرجة توقفت معها جميع اجهزة الكمبيوتر الاخرى. وكان هناك الكثير من البيانات يتوجب على الكمبيوتر ايجادها بحيث لم يعد في مقدوره عمل اي شيء اخر. وقد اوقف اريك فعليا جهاز كمبيوتر الموساد لمدة ثماني ساعات كاملة؛ ولم يكن هناك من طريقة لوقف الجهاز او تخطي البرنامج المطلوب.

وبعد تلك التجربة، تم تبديل البرامج بحيث لا تزيد القوائم المعروضة في طلب واحد عن ٣٠٠ بيان، وان تكون الطلبات اكثر تحديدا، اي بدلا من طلب قائمة اتصالات عرفات كاملة، تطلب قائمة اتصالاته السورية فقط.

* * *

بعد دورة الكمبيوتر وما بقي من اجازتي ـ ثلاثة ايام ـ كانت مهمتي الاولى هي الابحاث، في مكتب المملكة العربية السعودية تحت ادارة امرأة اسمها ارينا، الذي كان الى جانب مكتب الاردن الذي ترأسه غانيت. ولم يكن ينظر الى اي من القسمين على انه مهم. فقد كان لدى الموساد في ذلك الحين مصدر واحد في السعودية، هو رجل في السفارة اليابانية. وكل ما عدا ذلك كان مصدره الصحف والمجلات، ووسائل الاعلام الاخرى. اضافة الى مداخلات واتصالات مكثفة تنظمها الوحدة ٨٢٠٠.

في تلك الفترة التقيت برجل اسمه افرايم (او افي للاختصار) وهو ضابط ارتباط سابق للموساد مع وكالة الاستخبارات المركزية مركزه واشنطن. الذي اعتاد ان يتفاخر بانه هو الذي اسقط يتسحاق رابين في العام ١٩٧٧، بعد ثلاث سنوات فقط من توليه رئاسة الوزراء عن حزب

العمل. والموساد لم تكن تحب رابين. وكان رابين يشغل منصب سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة، وترك عمله ذاك في العام ١٩٧٤ وعاد الى البلاد لتولي رئاسة الحزب ويخلف غولدا مئير في رئاسة الوزارة. وقد طلب رابين بيانات استخبارية خامة من الموساد بدل النسخة المنقحة التي كان يقدمها في العادة وبذا اصبح من الصعب تماما على الموساد استخدام معلوماتهم في توجيه رأي الحكومة المسار الذي يرغبون.

وفي كانون الاول/ ديسمبر ١٩٧٦ استقال رابين وحكومته بعد ان اجبر ثلاثة وزراء من الحزب الوطني الديني على الاستقالة من الحكومة بعد حجبهم الثقة عنها في تصويت للكنيست. وبقي رابين بعدها رئيسا للوزراء في الحكومة المؤقتة لحين انتخابات الكنيست العامة المقررة في ايار/ مايو ١٩٧٧، عندما اصبح مناحم بيجن رئيسا للوزراء، وهو امر اسعد الموساد. وكان السبب في سقوط رابين «فضيحة» نشرها صحفي اسرائيلي معروف اسمه دان مارجليت قبل الانتخابات بقليل.

يمنع القانون المواطنين الاسرائيليين من الاحتفاظ بحسابات مصرفية بالعملة الاجنبية. وكان لدى زوجة رابين حساب في نيويورك مودع فيه مبلغا يقل عن ١٠ آلاف دولار، كانت تستخدمه في اثناء سفرها الى هناك رغم انه يحق لها بصفتها زوجة لرئيس الوزراء ان تغطي الحكومة جميع نفقاتها. وكان الموساد يعلم عن الحساب المصرفي، ورابين يعلم انهم يعرفون الا انه لم يأخذ الامر بجدية، وكان يجدر به ان يأخذه بجدية.

كشف مارجليت في الوقت المناسب ان لدى رابين حسابا مصرفيا بالعملة الاجنبية. وحسبما اورد افرايم، انه عندما ذهب مارجليت للتحقق من الموضوع زوده هو بالوثائق اللازمة عن الحساب. وكانت الرواية التي تلت الفضحية ادوات ساعدت بيجن على هزيمة رابين. ورابين رجل نزيه، الا ان الموساد لم تكن تحبه. ولذلك نالوا منه. وتبجح افرايم على الدوام بانه الشخص الذي اسقطه، ولم اسمع احدا يعارضه ابدا.

تقع دائرة الابحاث في الموساد في الطابق الارضي والطابق الأول تحت الارض في مبنى القيادة. ويضم المكان مدير دائرة الابحاث، والمدير المساعد في الدائرة، والمكتبة، وغرفة الكمبيوتر، ومجمع للطباعة، وضباط ارتباط للابحاث الاخرى. وكان اغلب الموظفين يعملون في احد المكاتب الخمس عشرة المختصة بالابحاث وتضم: الولايات المتحدة، واميركا الجنوبية، ومكتب عام (يضم كندا واوروبا الغربية)، ومكتب الذّرة: ويضم مصر، وسوريا، وايران، والعراق، والاردن، والسعودية، والامارات العربية المتحدة، وليبيا، والمغرب، والجزائر، وتونس (المعروفة بالمغرب) وافريقيا، والاتحاد السوفياتي، والصين.

وتصدر الابحاث تقارير يومية قصيرة يتداولها الجميع على اجهزة الكمبيوتر في صباح كل يوم. ويصدرون تقريرا اسبوعيا مكثفا من اربع صفحات مطبوعاً على ورق اخضر خفيف يركز على العالم العربي، وتقرير شهري مفصل من ١٥ ـ ٢٠ صفحة يتضمن خرائط ولوحات.

وقد اعددت خارطة لخط انابيب النفط المقترح كاملا مع المواصفات، مع لوحة لحساب فرص عبور ناقلات النفط بسلام للخليج العربي. وقد اعطيت الامر فرصة مقدارها ٣٠ بالمئة في ذلك الوقت. وكانت سياسة الموساد انه اذا زادت النسبة عن ٤٨ بالمئة فان الموساد قد تلجأ الى اشعار كلا الجانبين عن اماكن وجود السفن. وكان لدينا رجل في لندن يدعّي الوطنية لكلا الجانبين ويتصل بالسفارتين، العراقية والايرانية مزودا كلا منهما بالمعلومات. وكان الجانبان يرغبان في مقابلته ومكافأته عن المعلومات القيمة التي يقدمها. الا انه كان يرفض بدعوى انه يقوم بذلك بدافع وطني وليس من اجل المال. وقد نساعد بهذه الطريقة العديد من السفن العراقية والايرانية على المرور في الخليج ثم نشعر الطرف الاخر ونحدد مكان السفينة. وما يحدث بعد ذلك هو ابقاءالحرب حامية الوطيس. فاذا ما انشغلوا بمحاربة بعضهم البعض فلن يتفرغوا لمحاربتنا.

* * *

بعد عدة اشهر في دائرة الابحاث تم نقلي لما كان بالنسبة لي اكثر الدوائر اثارة في المبنى كله، «الكيساروت» او الارتباط. وعملت في قسم يدعى «داردايسيم» او «السنافر» والذي يتابع معلومات الشرق الاقصى وافريقيا. وكان المسؤول عني هو امي ياعر.

كان القسم اشبه بمحطة قطار، اشبه بمكتب صغير لوزارة الخارجية لدى بلدان ليس لاسرائيل علاقات رسمية معها. جنرالات ورجال امن سابقون يتهادون دخولا وخروجا طيلة النهار، يضعون شارات الزوار على صدورهم ويستغلون حلقات اتصالهم مع الموساد لعقد صفقات لشركاتهم الخاصة ـ في العادة صفقات لبيع الاسلحة. لان هؤلاء «المستشارين» لا يستطيعون الذهاب الى مناطق اخرى كمايذهبون الى اسرائيل، فضباط الارتباط هنايسهلون عملية البيع بتأمين جوازات سفر مزورة واشياء اخرى لهم.

لم تكن تلك الاعمال صحيحة، لكن احدا ما لم يقل شيئا بشأنها. وكان لدى كل واحد احساس بأنه سيصبح في يوم من الأيام شيئاً من الماضي أيضا، ومن المحتمل ان يفعل الشيء ذاته.

اعلمني آمي انني اذا ما تلقيت طلبا غير عادي فيجب الا أسأل لماذا، بل ان الفت انتباهه الى ذلك الطلب. وفي احد الايام جاءني رجل وطلب مني ان اخذ عقدا موقعا من اجل تصديقه من رئيس الوزراء. كان العقد يتضمن بيع ٢٠ الى ٣٠ طائرة اميركية الصنع من طراز سكاي هوك الى اندونيسيا، وهو امر يتعارض مع اتفاقات التسلح الاسرائيلية مع الولايات المتحدة. التي تلزم

اسرائيل بعدم اعادة بيع هذه الاسلحة دون موافقتها.

فقلت له «حسنا ، ان لم يكن لديك مانع ان تحضر غدا او تترك لي رقم هاتفك. وسوف اتصل بك عندما استطلع الامر».

«فردّ قائلا، » كلا، سوف انتظر».

في طريقي الى شركة الصناعات الجوية الاسرائيلية رأيت ما يقارب الثلاين من طائرات سكاي هوك المقاتلة النفاثة جاثمة على المدرج وقد لفت كلها ببلاستيك اصفر لماع، وجاهزة للشحن. وعندما سألت عنها، قالوا انها جاهزة للشحن لما وراء البحار الا انهم رفضوا اخبارنا عن وجهتها. وكنت واثقا ان الامريكيين ما كانوا ليوافقوا على بيع هذه الطائرات الى اندونيسيا. فهي قد تغير ميزان القوى في المنطقة. الا ان الامر لم يكن متروكا لي. لذلك عندما قال انه سوف ينتظر مصادقة رئيس الوزراء بيرس فتحت درج مكتبي ونظرت بداخله وقلت «شمعون، شمعون»، ثم التفت اليه وقلت، «متأسف السيد بيرس ليس موجودا الآن».

وقد غضب الرجل فعلا وطلب مني ان اذهب وارى آمي. واسرعت حتى دون ان اسأله عن اسمه. وعندما اخبرت آمي عن الموضوع، بدا عليه الاهتمام الشديد وقال «اين هو؟ اين هو؟».

«في القاعة، خارجاً».

«حسنا ادخله مع العقد» قال آمي.

وبعد حوالي ٢٠ دقيقة خرج الرجل من مكتب ياعر ومرّ من قرب مكتبي ممسكا بالعقد تحت ذقنه ليريني اياه، وابتسامة عريضة تملأ وجهه وقال «من الواضح ان السيد بيرس كان في الداخل، على اية حال».

كان بيرس، في ذلك الوقت، في القدس على الاغلب، ولا علم له اطلاقا بان توقيعه قد وضع على تلك الوثائق. وتعرف الورقة المعنية باسم «غطاء الحمار» وهي للاستخدام الداخلي فقط، والغرض منها ان تبين للشاحن او اي شخص له علاقة بان لها تغطية مالية لان رئيس الوزراء قد وافق على الصفقة.

من الناحية الرسمية، يعمل موظفو الموساد في مكتب رئيس الوزراء. وقد يكون رئيس الوزراء على علم بالمعاملات النقدية، لكنه لا يعلم في اغلب الاحيان، عن الصفقات الحقيقية. وفي احيان كثيرة يكون هذا ملائما بالنسبة له، واحيانا اخرى يكون ذلك افضل له. فلو عرف لتوجب عليه ان يتخذ قرارا بشأنها. وبهذه الطريقة، سوف يقول انه لا يعلم لو انكشف الامر للاميركيين، على سبيل المثال، وسيكون ذلك «انكارا يستحق التصفيق» كما يقول الاميركيون.

تقع بناية اسيا التي يمتلكها الصناعي الاسرائيلي الثري شاؤول ايزنبرغ بجانب مبنى قيادتنا مباشرة. ونظرا لارتباطاته الجيدة في الشرق الاقصى، فقد كان واسطة الاتصال مع الصين. وقد قام هو وموظفوه بصفقات اسلحة كبيرة مع جهات عدة. والعديد من هذه المبيعات كان من بنادق كلاشنيكوف «اك ـ ٤٧» المصرية والسورية التي استولت عليها اسرائيل في حروبها. وعندما نفد ما لدى اسرائيل من هذه البنادق قامت بصنع بندقية وسطا بين الاميركية «م ـ ١٦» و أ أ ـ ٤٧ اسمتها «جاليل»، تسوق الآن في عدة بلدان.

كان الامر اشبه بالعمل في سوق مركزي لخدمة كل هؤلاء المستشارين، الذين يفترض ان يكونوا ادوات لخدمتنا الا انهم افلتوا من يدنا واصبحوا اكثر خبرة من اي واحد فينا، واصبحوا في واقع الحال يستخدموننا.

كانت احدى مهماتي في اواسط تموز/ يوليو ١٩٨٤ مرافقة مجموعة من علماء الذرة الهنود الذين اقلقهم امر القنبلة الاسلامية (قنبلة الباكستان النووية) وجاؤوا الى اسرائيل في مهمة سرية لمقابلة الخبراء النووين الاسرائيليين وتبادل المعلومات معهم. وكما ظهر في النهاية كان الاسرائيليون سعداء بقبول المعلومات من الهنود لكنهم رفضوا اعطاء اية معلومات.

وبعد يوم من مغادرتهم، وبينما كنت اجمع اوراقي استدعاني آمي الى مكتبه وعهد الي بمهمتين: الاولى، المساعدة على جمع المعدات والمساعدين اللازمين لمجموعة من الاسرائيليين الذاهبين، الى جنوب افريقيا للمساعدة في تدريب وحدات الشرطة السرية هناك. وبعد ذلك، اذهب الى سفارة افريقية واخذ رجلا من المفترض ان يستقل الطائرة عائدا الى بلاده. وان اخذه الى بيته في هيرتسليا بتواح اصطحبه بعدها الى المطار وارافقه حين مروره عند امن المطار.

«سوف اقابلك في المطار» قال آمي «لان لدينا مجموعة من الناس قادمة من سري لانكا للتدرب هنا».

كان آمي في انتظار طائرة السريلانكيين القادمة من لندن عندما انضممت اليه. «متى سيحضر هؤلاء الاشخاص» قال «لا تبدي اي استياء، ولا تفعل شيئا».

فسألته «ماذا تعني؟»

«حسنا، هؤلاءالاشخاص اشبه بالقرود. وقد اتوا من بلد متخلف. وقد نزلوا عن الاشجار منذ فترة وجيزة فقط. لذلك لا تتوقع الكثير».

بعدها، رافقت آمي وانا السيرلانكيين التسعة من خلال باب خلفي في المطار الى حافلة صغيرة مكيفة. وكان هؤلاء اول القادمين من مجموعة سيصل عددها في النهاية الى ٥٠ رجلا تقريبا. سيقسّموا بعدها الى ثلاثة مجموعات صغيرة:

- مجموعة مضادةللارهاب تتدرب في القاعدةالعسكرية قرب بتاح تكفا، اسمها كفار سركين، ويتدربون على كيفية السيطرة على الحافلات والطائرات المخطوفة. أو التعامل مع خاطفين يتحصنون في مبنى، او كيفية النزول من طائرة هليكوبتر بواسطة حبل، وتكتيكات اخرى مضادة للارهاب. وبالطبع فسوف يشترون رشيشات عوزي ومعدات اخرى اسرائيلية الصنع، بما في ذلك الستر الواقية من الرصاص، وقنابل يدوية خاصة.
- فريق مشتريات، لشراءاسلحة على نطاق واسع. وعلى سبيل المثال، اشتروا ٧ او ثماني زوارق دورية من نوع «ديفورا» للقيام بأعمال الدورية في الشواطىء الشمالية ضد التاميل.
- فريق من كبار الضباط اراد شراء اجهزة رادار ومعدات بحرية اخرى لمواجهة التاميل الذي ما زالوا يتسللون من الهند ويزرعون الالغام في المياه السيريلانكية.

كان علي ان ارافق السيدة بيني كنة الرئيس جايا واردين في رحلة سياحية عادية لمدة يومين، ثم يتولى مرافقتها شخصاً آخر من المكتب. وقد كانت بيني امرأة لطيفة، هي نسخة هندية عن كورازون اكينو، وهي بوذية لان زوجها بوذي، الا انها كانت ما زالت مسيحية بطريقة ما لذلك طلبت زيارة جميع الأماكن المسيحية المقدسة. وفي اليوم التالي اصطحبتها الى «ورد الجليل» وهو مطعم على الجبل يطل على مناظر رائعة ويقدم اطعمة جيدة. وقد دفعنا مبلغا محترما هناك.

بعد ذلك عهد اليّ بكبار الضباط الذين كانوا يسعون لشراء معدات رادارية. وطلب اليّ اخذهم الى مصنع في اشدود اسمه «التا» بامكانه تنفيذ طلبهم. لكن عندما رأى مندوب «التا» مواصفاتهم قال «سوف يدقق هؤلاء في الجهاز، وهم لن يشتروا رادارنا».

فسألت، «لماذا؟».

«لم يكتب هؤلاء القرود هذه المواصفات، بل كتبتها شركة بريطانية لصنع الرادارات اسمها «دكا» لذلك فان هؤلاء الاشخاص يعرفون ما الذي يريدون شراءه. اعطِ كل واحد منهم موزة وارسله الى بيته، انك تضيع وقتك».

«حسنا»، ما رأيك لو اعطيتهم بعض النشرات عن منتجاتكم او اي شيء؟»

كانت هذه المحادثة تدور بالعبرية، بينما كنا نجلس جميعا نتناول البسكويت ونحتسي القهوة والشاي. وقال مندوب «التا» بانه لا يمانع في اعطائهم محاضرة حتى لا يبدو الامر وكاننا نتخلص منهم «لكن ان كان لا بد من فعل ذلك، فلم لا نحظى ببعض التسلية».

وهكذا ذهب مندوب الشركة الى مكتب اخر واحضر خرائط شفافة لنظام ضخم للتنظيف بواسطة الشفط يستخدم لتنظيف الموانىء من بقع الزيت. وكان لديه مجموعة من المخططات التوضيحية الملونة. كان كل شيء مكتوباً بالعبرية الا انه راح يتحدث بالانجليزية عن «جهاز الرادار ذو القدرات العالية». وفي اثناء شرحه لم استطع امساك نفسي عن الضحك فقد بالغ كثيرا، خاصة عندما ادعى بان ذلك الرادار قادر على تحديد مكان شخص يسبح في الماء، ويستطيع خاصة ان يبين قياس حذائه، واسمه وعنوانه، وفصيلة دمه. وعندما انتهى، شكره السيريلانكيون، وقالوا انهم فوجئوا بهذا التقدم التقني، الا انه لا يلائم سفنهم. ها هم يحدثوننا عن سفنهم، حسنا اننا نعرف عن سفنهم كل شيء، فنحن من بناها.

بعد وصولي الى الفندق اخبرت آمي بان السيرلانكيين لن يشتروا راداراتنا فرد «نعم، اننا نعرف ذلك».

ثم اخبرني آمي بأن أذهب الى كفار سركين حيث تتدرب المجموعات الخاصة السيريلانكية، وان احضر لهم كل ما يحتاجونه ومن ثم اصطحبهم الى تل ابيب لقضاء الأمسية الا انه حذرني بضرورة تنسيق ذلك مع يوسي، الذي كان قد نقل الى الدائرة ذاتها في ذلك الاسبوع.

كان يوسي ايضاً يرافق مجموعة اخرى يدربها الاسرائيليون. لكن كان من المفروض الا يلتقوا المجموعةالتي معي. فقد كانوا من التاميل ألد اعداء السنهاليين الذين هم في غالبيتهم من الهندوس، يقولون انه منذ استقلال سيريلانكا عن بريطانيا عام ١٩٤٨ (باسم سيلان) كان هناك تمييز ضدهم من قبل الأغلبية السنهالية البوذية المسيطرة. ومن بين سكان سيريلانكا البالغ عددهم حوالي ١٦ مليون نسمة فان حوالى ٧٤ بالمئة هم سنهاليون و٢٠ بالمئة من التاميل يتركز اغلبهم في الجزء الشمالي من البلاد. وحوالى العام ١٩٨٣ قامت مجموعة من طائفة التاميل عرفت باسم نمور التاميل بشن حرب عصابات من اجل استقلال الشمال المسمى عيلام - وهي حرب ما زالت مستمرةُ وقد اودت بحياة الآلاف من كلا الجانبين.

هناك تأييد عظيم للتاميل في الولاية الهندية الجنوبية تاميل نادو، حيث يعيش ما يقارب ٤٠ مليون تاميلي. وقد فرّ العديد من التاميل السيريلانكيين من اراقة الدماء والتجاؤوا الى تلك الولاية، واتهمت الحكومة السيريلانكية المسؤولين الهنود بتسليح التاميل وتدريبهم، وكان الأجدر بهم ان يتهموا الموساد.

كان التاميل يتدربون في قاعدة الكوماندوس (الصاعقة) البحرية، ويتعلموا التقنيات الخاصة بالاختراق، وزرع الألغام، والاتصالات، وكيفية تخريب السفن المماثلة لزوارق «ديفورا». كان هناك ما يقارب ٢٨ رجلاً من كل مجموعة لذلك تقرر ان يأخذ يوسي التاميل الى

حيفا في تلك الليلة بينما اخذ انا السنهاليين الى تل ابيب وبذا نتجنب اي فرصة لالتقاء الطرفين.

بدأت المشكلة الحقيقية بعد حوالى اسبوعين من بداية الدورة، عندما كان التاميل والسينهاليين يتدربون في كفارسركين ـ دون ان يعرفوا بعضهم البعض بالطبع ـ وهي قاعدة كبيرة، ورغم ذلك فقد صادف ان مرت المجموعتان على بعد بضعة ياردات من بعضهم في احدى المناسبات، بينما كانوا يركضون هرولة وبعد تدريبهم الروتيني الأساسي في كفار سركين نُقل السنهاليون الى القاعدة البحرية كي يتعلموا التقنيات التي علمها الاسرائيليون للتاميل. وقد كان تدريباً محموماً. كان علينا ان نخترع عقوبات او تمارين ليلية لمجرد اشغالهم، بحيث لا تلتقي المجموعتان في تل ابيب. والواقع ان اعمال آمي هذه كان يمكن ان تعرض الوضع السياسي في اسرائيل للخطر لو تقابلت هاتان المجموعتان. وانا متأكد من ان بيرس ما كان لينام الليل لو علم بما يجري، لكنه بالطبع، لم يكن يعلم.

عندما شارفت الأسابيع الثلاثة على الانتهاء واستعد السنهاليون للذهاب الى عتليت، وهي القاعدة البحرية السرية للكوماندوس، ابلغني آمي بأنه لن يذهب معهم وان «سايريت ماتكال» سوف تتولى تدريبهم. وهي مجموعة استطلاع استخباري من الدرجة الأولى، وهي التي قامت بالعملية في مطار عنتيبي (الكوماندوس البحري يعادلون «عجول البحر» الاميركيين).

«اسمع ان لدينا مشكلة» قال آمي «ان لدينا مجموعة من ٢٧ شخصاً من الشرطة الخاصة الهندية ستحضر هنا».

«يا الهي»، قلت، «ما هذا؟ لدينا السنهاليين، والتاميل، والآن الهنود. من سيأتي بعدهم؟»

كان من المفروض ان يتلقى الهنود تدريبهم في القاعدة ذاتها، حيث يحتفظ يوسي بالتاميل، وكان ذلك موقفاً دقيقاً وربما متفجراً ايضاً. وكان عليّ ان اقوم بأعمالي المكتبية، اضافة للتقارير اليومية. وفي المساء اصحب فريق الهنود الى العشاء، مع التأكد على الا تلتقي أي من المجموعات معاً في مكان واحد. وفي كل يوم كان يصلني مظروف فيه ما يوازي ٣٠٠ دولار بالعملة الاسرائيلية لانفقه عليهم.

وفي الوقت نفسه، كنت التقي مع جنرال من سلاح تايوان الجوي اسمه كي، وهو ممثل المجموعة الاستخبارية لبلاده في اسرائيل. وكان يعمل من خلال السفارة اليابانية ويريد شراء اسلحة. وقد طلب الي ان اخذه في جولات اعرض عليه صناعتنا، لكن دون ان ابيعه شيئاً، لأن التايوانيين قد يقلدون أي شيء يشترونه خلال يومين وينتهون بأن ينافسوا اسرائيل في السوق. وقد اصطحبته الى مصنع سلطان في الجليل حيث تضع مدافع الهاون وقذائفها. وقد اعجب بما رآه،

الا ان الصانع اخبرني بأنهم لا يستطيعون بيعه أي شيء: اولاً لأنه من تايوان، وثانياً، لأن جميع ما لديهم موصى عليه. فاخبرته بأنه لم تكن لدي فكرة ان هناك طلباً شديداً على مدافع الهاون. فرد قائلاً «ليس هناك طلب الا ان الايرانيين يستخدمون العديد منها». وهذا ما انقذ عمل الشركة.

في احدى المناسبات اعدوا ترتيبات لاحضار مجموعة من التايوانيين للتدرب. وكانت تلك تسوية من نوع سيء. فقد طلبوا من الموساد اعطاءهم مقاتلين للصين، الا ان الموساد رفض. وبدلاً من ذلك وافق على تدريب وحدة مماثلة «للنيفيوت» قادرة على جمع المعلومات من الأشياء الساكنة.

وفي تلك الفترة ايضا، كان يؤم الدائرة مجموعات من الافريقيين يروحون ويجيئون وتقدم لهم خدمات مختلفة. وقد بقيت في الدائرة مدة شهرين زيادة عن المقرر، بطلب من آمي ـ وكان ذلك بمثابة ثناء واضافة مفيدة لملفي الشخصي.

تعودالموظفون على سرد قصة «ماكنة البلوب» لاظهار الأشياء العجيبة وعديمة الفائدة التي قد ينفق الافريقيون نقودهم عليها. سأل احدهم زعيماً افريقياً ان كان لديه «ماكنة البلوب» ولما لم يكن لديه فقد عرض عليه ان يبني له واحدة بمبلغ ٢٥ مليون دولار. وعندما ظهر ذراع ضخم طوله ١٠٠٠ قدم وارتفاعه ٦٠٠ قدم يحلق فوق الماء وانتهى العمل به، ذهب المصمم الى الزعيم وقال له انه بحاجة الى ٥ ملايين دولار لاتمام المشروع كله. قام بعدها بصنع مصعد تحت الذراع لرفع كرة ضخمة من الفولاذ قطرها ٦٠ قدماً. وفي يوم الافتتاح تجمع مواطنوا الزعيم، وكبار الزوار من البلدان الافريقية الأخرى، على ضفة النهر لرؤية تلك الآلة العظيمة وهي تعمل. وعند تشغيلها تحرك المصعد ببطء حتى نهاية الذراع ثم فتح المصعد فسقطت الكرة الضخمة في الماء واحدثت صوتاً «بلوب».

كانت تلك مجرد نكتة لكنها لم تكن بعيدة عن الحقيقة.

لم ار في حياتي هذا القدر من النقود تتناقله الأيدي بسرعة كما حدث في اثناء خدمتي مع آمي. والموساد ينظر الى جميع تلك العقود على انها وسيلة اتصال اولية مع تلك الجهات ستتمخض في يوم ما عن علاقات دبلوماسية، لذلك لم تكن النقود هي الهدف. وبالطبع وكان رجال الأعمال ينظرون اليها من منطلق تحقيق الربح وكانوا جميعاً يتقاضون نسبتهم المقررة.

كانت مهمتي الأخيرة مع آمي رحلة من اربعة ايام في ارجاء اسرائيل مع رجل وامرأة من الصين الشعبية ارادوا شراء معدات الكترونية.

وقد غضبوا لاننا عرضنا عليهم معدات ذات نوعية اردأ مما لديهم. وكانوا يتذمرون قائلين «ما الذي يحاولون ان يبيعونا اياه جوارب؟» وهو امر وجدته مضحكاً بالفعل لأني اعتدت على

القول اننا اذا تمكنا من بيع الجوارب للجيش الصيني فسوف يكون وضعنا الاقتصادي متيناً. وسيعمل الجميع بالحياكة.

وقد عومل الصينيان معاملة سيئة، والسبب في ذلك ان آمي اعتقد ان منصبهما ليس رفيعاً بما يكفي. وكان يتخذ قرارات تتعلق بمسائل خارجية من تلقاء نفسه، دون الرجوع الى احد. والشيء المثير للدهشة، ان آمي قد عمل طيلة حياته في الحكومة وليس له سوى مرتب الحكومة، ومع ذلك فهو يعيش في تلك المساحة شمالي تل ابيب في فيلا واسعة تحيطها غابة صغيرة خاصة به. كنا نتوقف عنده في بعض الأحيان لتناول شيء ما عندما كنا نضطر للعمل خلال عطلة نهاية الاسبوع وكنا نجد دوماً رجال اعمال يتمشون على العشب، ويتناولون الشواء في الهواء الطلق. وقد سألته يوماً «كيف تستطيع تدبر كل هذا؟» فقال لي «اعمل بجد، وسوف توفر، وتتدبر امرك» نعم.. فعلاً..

***

في المرحلة التالية تم تعييني في دائرة «تسوميت» (او ميلوخا) ووضعت في مكتب بينيلوكس، وكان جزء من عملي المصادقة على طلبات التأشيرات الدانماركية.

المكتب في تسوميت لخدمة المحطة وليس لاصدار التعليمات اليها. ورئيس المحطة في تسوميت هو الرئيس، في اغلب الحالات تعادل رتبته رتبة مدير الفرع كله. (وهذا خلافاً لدائرة كايساروت، حيث كنت اعمل، فالقرارات هناك تتخذ في المكتب وفي الفروع، اي ان رئيس محطة الارتباط في لندن، على سبيل المثال، يكون تحت الأمرة المباشرة لرئيس مكتب لندن في تل ابيب، والذي له السيطرة الكلية).

وللفرع الأول في تسوميت عدة مكاتب. احدها اسمه مكتب بينيلوكس ويختص ببلجيكا، والدنمارك، ولوكسمبورغ، والسويد (ولديه محطات في بروكسل وكوبنهاجن)، ثم هناك المكتبان الفرنسي والانجليزي، مع محطات في لندن، وباريس، ومارسيليا.

وهناك فرع رئيسي ثان مع مكتب ايطالي، ومحطات في روما وميلانو، والمكتب الألماني والنمساوي، وكان لديه محطة في هامبورغ (نقلت مؤخراً الى برلين) ومكتب متنقل، يطلق عليه اسم المحطة الاسرائيلية في تل ابيب يتنقل الكاتسات عن طريقة بين تركيا، ومصر، واليونان، واسبانيا، عند الحاجة.

وتعادل رتبة مدير المحطة رتبة مدير الفرع ويستطيع ان يأمره ان لزم الأمر، ويذهب بعد ذلك مباشرة الى رئيس الدائرة. وهذه البنية بها خلل واضح، لأنه اذا فشل مدير المحطة في اقناع رئيس الدائرة بوجهة نظره فان في وسعه الرجوع الى رئيس اوروبا في بروكسل الذي يستطيع ان

يتجاوز رئيس الدائرة لأنه يعتبر قائداً ميدانياً. وينتج عن ذلك صراع دائم، وفي كل مرة يتغير فيها مجموعة الموظفين تتبدل قاعدة السلطة.

ولا يوجد في الموساد شيء اسمه اوامر. والأمر الطف بهذه الطريقة. اولاً، لأنهم لا يريدون اغضاب احد. والشيء الاخر هو ان لا احد ملزم فعلاً بتنفيذ ما يطلب منه. فاغلب الناس لديهم حصان (مساعد) او اثنين في الجهاز ـ حصان علني، وحصان سري ـ الأول للمساعدة في دفعك الى اعلى، والآخر لانقاذك وقت الشدة. لذلك تدور هناك معركة مستمرة في التحزر حول من يساعد من ولماذا.

عندما وصلتنا معلومات من احد عملائنا في باريس بأن قائد القوات الجوية السورية (والذي هو مدير الاستخبارات في الوقت ذاته) سوف يقوم بزيارة الى اوروبا لشراء بعض الأثاث، فكرت القيادة فوراً باختراع شيء ما يستطيع ان «يتكلم» عن طريق زرع معدات اتصال بداخله.

طلب من جهاز كمبيوتر الموساد ايجاد جميع تجار الاثاث من السايانيم المتعاونين مع اسرائيل. ووضعت خطة لاختراع منضدة ناطقة ستوضع في المكتب الجاري تجديده في قيادة القوات الجوية السورية. وارسل كاتسا من محطة لندن الى باريس لادارة العملية، رغم تأكد الموساد بأن الفريق سيشتري الأثاث من بلجيكا وليس فرنسا (لسبب لا يعلمونه).

وقبل وصول العميد بدأ كاتسا اعماله كشخص يستطيع ان يوفر لك اية قطعة اثاث قد ترغب بها وبأرخص الأثمان. وكنا نعلم بأن العميد شخصياً لم يكن يسعى الى المساومة في ثمن الأثاث فثمن الاثاث سيدفع عن طريق السفارة، وكانت الفكرة هي الوصول الى الشخص الذي سيقوم بعملية الشراء فعلياً. وكان امامنا اقل من ثلاثة اسابيع لانجاز تلك المهمة.

اتصلنا بمصمم ديكور مشهور، وهو سايان متعاون معنا، وحصلنا على عدد من الصور التي تبين اعماله. وجمعنا هذه الأعمال في كتيب دعائي لأحدى الشركات تستطيع تأمين الأثاث باسعار متهاودة. وكان من المفروض ان تستخدم خطة من ثلاث مراحل للتقرب من المساعد. اولاً، محاولة الوصول اليه مباشرة واعطاؤه المنشورات الدعائية، ورؤية ما اذا كان سيشتري الأثاث من الموساد مباشرة. فان لم تنجح هذه الخطة، فسوف نرى من اين اشترى الأثاث وان نحاول تولي امر التسليم. فان لم تنجح هذه الخطة ايضا، ان نقوم باختطاف الأثاث.

عرفنا الفندق الذي سينزل فيه العميد وحرسه الشخصي في بروكسل، وانه سيبقى في ذلك الفندق لمدة ثلاثة ايام قبل عودته الى باريس. وقد لحقنا بالعميد ومساعده من متجر الى اخر، وكنا نراقب المساعد وهو يسجل الملاحظات. وفي تلك المرحلة فكر الكاتسا بالتخلي عن العملية كلها. لم نكن نعلم ما الذي يجب ان نفعله. وانتهى النهار وعاد العميد الى فندقه. في تلك الفترة اعلمنا

عميلنا بأن العميد سوف يعود الى باريس في اليوم الثالي، الا انه جرى الغاء احدى التذاكر. وتصورنا بأن تكون تذكرة المساعد الذي سيبقى لاتمام عملية الشراء.

وكان ذلك بالفعل، وفي صباح اليوم التالي، تبع عناصرنا المساعد من الفندق وحتى وصوله الى احد معارض بيع الأثاث الفخمة، واجرى المساعد نقاشاً طويلاً مع المسؤولين عن المبيعات في المعرض، وقرر الكاتسا ان هذه افضل فرصة للتحرك، لذلك دخل المعرض وبدأ في النظر الى المعروضات وتفحصها. وفي تلك اللحظة دخل سايان المعرض واتجه الى الكاتسا وشكره بصوت عال وبامتنان لأنه وجد له الاثاث الذي يريده ووفر عليه آلاف الدولارات.

وبعد مغادرة السايان، نظر مساعد العميد بفضول ناحية الكاتسا.

فبادره الكاتسا بالقول «اتريد ان تشتري اثاثاً؟»

- «نعم».

«تعال، انظر الى هذا»، قال الكاتسا وناوله منشورات «الشركة» الدعائية.

فسأل المساعد وقد بدت عليه الحيرة «هل تعمل في هذا المتجر؟»

«لا، لا. انا اشتري لزبائني» قالها الكاتسا واضاف، «انا اشتري بكميات كبيرة واحصل على خصم خاص، وانا اتولى الشحن، واعطي تسهيلات بالدفع افضل من جميع المصدرين».

« ما الذي تقصده؟»

«لدي زبائن في كل مكان يأتون الي ويختارون الطراز الذي يرغبونه وانا اشتريه لهم من المصدر. ثم اشحن الأثاث لهم ويدفعون عند وصوله. وبهذه الطريقة لا يخشون من ان يكسر اي شيء، او اية مشاحنات حول الأثاث ولا حاجة لأن يتورطوا في محاولة الحصول على تمويل او اي شيء».

«وكيف تتأكد من انهم سوف يدفعون لك؟».

«هذه ليست مشكلة على الاطلاق».

تواردت الخواطر في رأس المساعد، ورأي في الأمر فرصة حقيقية لتوفير مبلغ محترم من المال. واستغرق الأمر من الكاتسا ثلاث ساعات لأخذ قائمة بكامل الأثاث المطلوب. وبلغ ثمن ذلك الأثاث ما يقارب ١٨٠ الف دولار اضافة لمصاريف الشحن والتغليف. «باعه» الكاتسا بمبلغ ١٠٥ آلاف دولار، وبذا امكن توفير ٧٥ الف دولار.

والأمر الغريب، ان المساعد اعطى عنواناً للشحن هو ميناء اللاذقية، واسماء مزيفة له

وللعميد. والشيء الوحيد الذي لم يكن مزيفاً هو مكان استلام البضاعة. وقال انـه اذا اردنا التحقق من شيء فان في امكاننا الاتصال بالسفارة السورية في باريس.

وبعد يومين تم شحن طاولة بلجيكية الى اسرائيل، وتم احداث تجـويف فيها وتثبيت اجهزة استماع وبث اذاعي قيمتها ٥٠ الف دولار داخلها بما في ذلك بطارية قد تدوم لثلاث او اربع سنوات. وتم اغلاق التجويف بطريقة لا يمكن كشفها الا اذا تم نشر وجـه الطاولـة الى نصفين. وتم اعادة شحنها الى بلجيكا وبعدها وضعت مع باقي الأثاث لتشحن الى سوريا.

وما زال الموساد حتى هذا التاريخ ينتظر ان يسمع من المنضدة. وقد ارسلوا عددا من مقاتلي الموساد في محاولة لالتقاط بثها. ولو نجحت هذه الخطة لكان نجاحاً مدوياً. وربما تكون قد وضعت في احد المكاتب المحصنة في دمشق فقد بنى السـوريون مـواقع محصنـة لا تؤثر فيهـا الترددات اللاسلكية. ولو ان السوريين اكتشفوها فلربما استخدموها في بث معلومات مضللة.

استمر عملي في الدائرة هادئاً وروتينياً. احفظ الملفات، واراقب البرامج، والأهم من كل ذلك التغطية على رؤسائي عندما تتصل زوجاتهم للسؤال عنهم ـ وكان عليّ ان اقول انهم في مهمة.

ومثل الجميع هنا، كنت اعمل في بيت الدعارة هذا.

الفصل السابع

خصلة شعر

يوم ٢٧ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٨٤ انهينا، انا وزملائي، فترة تدريبنا كضباط متدربين في مبنى القيادة وكنا على وشك الدخول في دورة ضباط الاستخبارات العاملين في الاكاديمية. في هذه المرة، كان علينا ان نعمل في غرفة واسعة في الطابق الثاني من المبنى الرئيسي. كان العدد الاصلي للمتدربين وعددهم ١٥ قد تناقص ليصبح ١٢، الا انه عاد الى عدده السابق بالحاق ٣ رجال بقوا من دورات سابقة، فقد بقي عدد قليل من المتدربين لانهاء بعض فصول الدورة الهامة. وكان زملاؤنا الثلاثة هم عوديد ل.، وبنحاس م.، وييغال أ.

وحدثت تغييرات اخرى، فقد ترك اراليه شيرف رئاسة الاكاديمية ليتولى دائرة التسافريريم، وحل محله في الادارة دافيد اربيل وهو رئيس سابق لمكتب باريس ومسؤول عن عملية ليلليهامر الشائنة ـ وهو الشخص الذي اطلع السلطات المحلية على كل شيء. كان شاي كاولي ما زال هناك، اما اورن ريف فقد نقل الى مكتب رئيس الموساد. وكان مدير دورتنا الجديد هو ايتزك ي*. وهو كاتسا اخر اقل من عادي ـ وهو احد الرجلين اللذين سمعهما عناصر من منظمة التحرير يتكلمون العبرية في مطار اورلي بعد تحميل عميل مهم على طائرة مغادرة الى روما.

واربل، رجل ابيض الشعر، قصير القامة، خجول، منظره يثير الفضول، وان لم يكن يوحي بالثقة. اما إيتزك فيبدو للنظارة ككاتسا قدير عائد من الجبهة. وكان قد انهى لتوه فترة خدمة كقائد ثان لمحطة باريس، وهو يتكلم الفرنسية بطلاقة اضافة الى الانجليزية واليونانية، وقد استهوى ميشيل ك. الفرنسي المولد، وكان الاثنان يتكلمان الفرنسية طيلة الوقت مما طور نوعاً من الصداقة الحميمة زادت من النفور الذي يحس به الاخرون تجاه ميشيل. وقد كانت شلتي قريبة من ميشيل في يوم ما الا اننا بدأنا نتباعد خاصة لانه كان يستخدم لغته للتقرب من ايتزك وذم الاخرين، بمن فيهم انا.

وقد تعودنا ان نطلق على ميشيل لقب «الضفدع»، ولم يكن السبب شكله. وعندما كان يراه احدنا قادما، كان يقوم باشارة تشبّه ضفدعا يقفز من كفه، ولم يكن ميشيل يتوقف عن الحديث عن مدى روعة الطعام الفرنسي، والنبيذ الفرنسي، وكل شيء فرنسي. وكان هناك نكتة نرويها عن الاسرائيلي الذي ذهب الى مطعم فرنسي وسأل الجرسون: «هل لديك ارجل ضفادع؟» فرد عليه «نعم، سيدي، بالطبع». «اذا اعمل معي معروفا واقفز الى المطبخ واحضر لي صحن حمص».

---

* انظر Prologue OPERATION SPHINX

في ذلك الوقت، كان ميشيل قد ابتعد عن شلتي تماما، في حين بقي يوسي وحاييم فيها. وكنا مجموعة من (الزعران) في ذلك الوقت، عصبة من الاشقياء. وكنا نعتقد باننا نعرف كل اسرار اللعبة. وقد قالوا لنا ان الخطة الان هي ان يعلمونا «جوهر» الاستخبارات. فحتى ذلك الحين، درسنا طرق السلوك وجمع المعلومات على مستوى منخفض، وعلينا الآن ان نعرف مداخل ومخارج هذه المهنة.

اول ما عرضه علينا رجل الامن ناحمان ليفي ورجل اسمه تال كان فيلما من انتاج الموساد عنوانه «كله بسبب مسمار»، وهي قصة شهيرة تتحدث كيف ان جيشا خسر الحرب بسبب مسمار سقط من حدوة حصان القائد. ومغزى الفيلم ان لا تستهتر بالتفاصيل الدقيقة، مهما بدت عديمة القيمة. فاهمال بسيط يترك شيئا دون التحقق منه قد يفسد عملية كاملة. وكان هذا موضوع جلسة استمرت اربع ساعات تضمنت محاضرة عن السلوك الآمن، والأمن، والاعتمادية.

وامضينا بعد ذلك ساعة مع اوري دينور مدربنا الجديد للناكا (NAKA) . وبعدها دورة مكثفة عن النشاط التجاري الدولي، وتعلمنا كيف ندير عملا تجاريا، وعن المشتريات بالمراسلة، والبنية الادارية، والعلاقة بين المدراء التنفيذيين والمساهمين، وواجبات عضو مجلس الادارة، وكيف يعمل سوق الاوراق المالية (البورصة)، واعداد العقود لما وراء البحار، وشحن البضائع لقاء البوالص (CAD) ، او تسليم ظهر الباخرة (FOB) ، وكل ما نحتاجه لنعرف كيف تعمل الشركات التي سوف نستخدمها كغطاء لعملياتنا. واستغرقت دورة الاعمال هذه طيلة الفصل الاخير، كنا نتلقى محاضرة لمدة ساعتين مرتين في الاسبوع، وذلك بالاضافة الى اختبارات عديدة واوراق علينا اكمالها. خارج المحاضرات.

باشر ايتزك في ذلك الوقت تمرينا جديدا لتعليمنا كيف نشغّل عميلاً واعطانا حتى ادق التفاصيل. ثم انحرف عن ذلك ليظهر لنا احد التمارين كيف نغتال عميلا حاول التلاعب اذا كنا في وضع لا نستطيع الاعتماد فيه على الميتسادا لارسال وحدة كيدون لانجاز العمل. وجرى تقسيمنا الى ثلاث فرق في كل فرقة ٥ اشخاص، لكل فريق «موضوع» مختلف لجمع البيانات عنه ووضع خطة للقضاء عليه.

واستغرق فريقي ثلاثة ايام في جمع المعلومات الضرورية. والشيء الوحيد الذي فعله «الموضوع» بشكل متكرر هو شراء علبتين من السجائر من البقال القريب يوميا الساعة ٥,٣٠ مساءً. وكان دقيقا في ذهابه الى البقال بحيث تستطيع ضبط ساعتك على موعده. كان من الواضح انه افضل مكان لاصطياده. كان لدينا سائق ورجل اخر وانا جالس في المقعد الخلفي. وعندما ناديت العميل فقد تعرف عليّ بصفتي الكاتسا الذي جنده، فصعد الى السيارة التي خرجت بنا الى نقطة معينة خارج المدينة، وقمت بوضع خرقة مبللة بالاثير على وجهه لافقده الوعي. وبالطبع

كان كل ذلك مجرد تمرين وعملية تشبيهية.

اما باقي الخطة التي كنا نتدرب عليها فكانت ان نجعل الامر يبدو وكأنه حادث. فخبأنا سيارته قرب منحدر صخري ووضعنا الرجل فاقد الوعي بداخلها، ثم سكبنا الفودكا (التي تحترق جيدا) في حلقه بواسطة قمع صنعناه من ورق الصحف، وانتظرنا قليلا ريثما تتشرب دورته الدموية الكحول تحسبا لاي تحقيق فيما بعد ووضعناه خلف عجلةالقيادة، ثم سكبنا باقي الفودكا على المقاعد، ووضعنا ولاعة وعقب سيجارة الى جانبه، ليبدو ذلك انه «سبب» الحريق. وطبعا، المفروض ان تحرق السيارة ثم تدفع الى اسفل المنحدر.

وجد احد الفريقين الاخرين ان رجلهم يحب الذهاب الى احد النوادي كل ليلة. فقاموا بعمل مباشر، حيث اقتربوا منه في الشارع المجاور للنادي. و«اطلقوا» عليه النار خمس مرات، بطلقات صوتية طبعا، وعادوا الى السيارة مبتعدين.

استمر تدريبنا على اعمال التغطية، فتعلمنا كيف نستخدم مختلف جوازات السفر، كأن نكون سائرين في احد الشوارع ويقبض علينا فنقدم بطاقة هوية تستند الى رواية محبوكة جيدا اذا ما حقق معنا، وعندما يطلق سراحنا نقابل بودل**ليعطينا** جواز سفر جديد، ويصبح الشخص الذي اعتقل كأن ليس له وجود.

كما تعلمنا عن التسافريريم و «الهياكل» التي اقيمت كأداة للدفاع عن اليهود حول العالم. ولدينا مشكلة في هذا المجال، او على الاقل بعضنا لديه مشكلة. فانا لا استطيع ان اوافق على ان يكون لنا مجموعات حرس في كل مكان. وعلى سبيل المثال، اعتقد ان «الهياكل» في انجلترا، او الفتية الذين يتعلمون كيف يبنون مخابىء لاسلحتهم لحماية المعابد اليهودية، فيهم من الخطر على الجاليات اليهودية هناك اكثر مما فيهم من النفع. وكان رأيي انه حتى لو تعرضت بعض جماعات شعب ما للاضطهاد، ومحاولة القضاء عليهم ـ كما حدث مع اليهود ـ فليس لهم الحق في العمل بشكل خفي في البلدان الديموقراطية. قد افهم ان يحدث هذا في الارجنتين او التشيلي، او اي مكان في اي بلد يختفي فيه الناس من الشوارع، لكن ليس في فرنسا او انجلترا اوبلجيكا.

والادعاء بوجود جماعات لا سامية، سواء كان هذا الادعاء حقيقيا ام وهميا، ليس عذرا بالتأكيد، لانك لو نظرت الى ساحة اسرائيل الخلفية، فسوف ترى جماعات لا ـ فلسطينية. فهل يعني هذا ان من حق الفلسطينيين ان يخزنوا الاسلحة وينظموا مجموعات حراسة؟ ام نطلق عليهم لقب ارهابيين؟.

بالطبع، لم يكن التحدث بهذا الشكل داخل الموساد امرا يتسم بالذكاء، خاصة بسبب ذكرى محرقة اليهود. انا اعرف ان المحرقة هي واحدة من افدح المصائب التي نزلت باليهود: فعلى

سبيل المثال، امضى والدبللا اربعة سنوات في معسكر الابادة الالماني او شفيتز واباد الالمان معظم افراد عائلتها، لكن يجدر بالذكر ان اكثر من ٥٠ مليون انسان ماتوا ايضا، وقد حاول الالمان القضاء على الغجر، وعدد من الجماعات الدينية، والروس، والبولنديين. وكان من الممكن للمحرقة، بل اعتقد انه كان من الواجب ان تكون اداة تقرب بين الشعوب وليس اداة تفريق. هذا هو رأيي المتواضع، واعتقد ان الافصاح عنه لا يساعد كثيرا.

كما تغير برنامج «رياضتنا» الاسبوعية بشكل درامي، واصبح يتضمن رياضة جديدة هي على الاغلب خطرة على صحتنا. حيث كان علينا الذهاب الى مبنى في معسكر قرب هرتزليا كي نركض صعودا ونزولا على الدرج ونحن نطلق ذخيرة حية، وكان يجري اطلاق النار علينا من رشاشات تطلق رصاصاً خشبياً، يؤذي اذا ما اطلق من مدى قريب. وكانت الفكرة من ذلك هي التدرب على تفادي الرصاص واطلاقه والتعود على السلاح اضافة الى التمرين البدني.

كما تدربنا على النزول من سقف مبنى عال الى الارض بواسطة الحبل، بان نرخي اليد عن الحبل قليلا فنهبط لمسافة قصيرة، ثم نشد القبضة ثم نرخيها مرة اخرى وهكذا حتى نصل الى الارض. وتدربنا ايضا على الهبوط من طائرات الهليكوبتر بواسطة الحبل، اضافة لبعض التدريبات الاخرى الخاصة بالمغاوير، مثل تقنيات «القفز واطلاق النار» على مختطف حافلة.

ومن فصول الدورة ايضا، فصل اسمه «تجنيد عميل من وكالة صديقة»، اي ان يكون مجندا بشكل مشترك، مع وكالة الاستخبارات المركزية، على سبيل المثال، وقد بدأ المحاضر بالقول ان هدف المحاضرة هو «كيف يتم فعل ذلك؟» ثم اجاب عن ذلك بسرعة «نحن لا نفعل ذلك، نحن نساعدهم ان كان لديهم مهمة ونجعل الامر يبدو وكأنه مشترك، لكن ان كان في وسعنا انجاز الامر وحدنا، فسوف ننجزه».

ثم علمنا كيف نسرق عميلا من وكالة صديقة بان نبدأ معه عملية مشتركة، ثم نقوم بتغيير بلد العملية، ونتفرد بتوجيه التعليمات اليه، وبعدها نُشعر الوكالة الصديقة بانقطاع الاتصال معه. وهذا اجراء بسيط للغاية. بعد ذلك اقابل العميل واجنده للعمل معنا، واضاعف اجره ان كان يستحق ذلك، وهكذا يصبح عميلا لنا اي يصبح كما نطلق عليه «ابيض وازرق» وهي الوان علم اسرائيل.

ومن الاشياء المثيرة بشكل خاص في في الدورة فيلم اسمه «رئيس على شعيرة بندقية»، وهو دراسة مفصلة لحادث اغتيال الرئيس الامريكي جون كينيدي يوم ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣. وكانت نظرية الموساد هي ان القتلة ـ من عصابات المافيا وليس لي هارفي اوزوالد ـ والمقصود بالاغتيال هو حاكم تكساس جون كونالي الذي كان في السيارة مع جون كينيدي،

والذي لم يصب إلا بجروح. وكان اوزوالد مجرد ساذج في الموضوع كله، وكونالي هو الهدف لان رجال العصابات كانوا يحاولون الدخول عنوة في الاعمال النفطية. ويعتقد الموساد ان الرواية الرسمية عن الاغتيال كانت اختلاقاً خالصا لا يمت الى الحقيقة بصلة. ولتأكيد نظريتهم فقد اعادوا تمثيل العملية ليروا ما اذا كان في مقدور قناص يحمل معدات افضل بكثير مما كان لدى اوزوالد، وان كان يستطيع ضرب هدف متحرك من المسافة المسجلة ومقدارها ٨٨ ياردة، فلم يستطع.

ولو ان كونالي قُتل لكان في ذلك تغطية ممتازة حيث سيفترض الجميع انها كانت محاولة لاغتيال الرئيس كينيدي. ولو ارادوا اغتيال كينيدي لامكنهم اصطياده في اي مكان. ويفترض ان طلقة واحدة قد مرت من خلال مؤخرة رأس كينيدي وخرجت من صدره لتصيب كونالي. واذا نظرت الى الفيلم فستجد ان تلك النقاط لا تستقيم مع بعضها البعض، واذا كان هناك رصاصة تستطيع القيام بحركات «ماتيلدا الراقصة» فهي هذه الطلقة.

ولدى الموساد كل فيلم صور عن عملية الاغتيال في دالاس، صور المنطقة وطبوغرافيتها، وصور جوية، وكل شيء. واستخدموا تماثيل لاعادة تمثيل العملية المرة تلو المرة، فالمحترفون قد ينجزون العمل بالطريقة ذاتها. فاذا كان عليّ ان استخدم بندقية قوية، فان هناك اماكن محددة جدا استطيع ان اعمل منها، وسوف احاول ان اتخذ موقعا استطيع ان اشاهد منه الهدف لاطول مدة ممكنة، وان اكون في اقرب موقع منه، وان احدث اقل قدر ممكن من الاضطراب. واعتمادا على ذلك فقد اخترنا عددا من المواقع المحتملة، وكان لدينا عدة اشخاص اطلقوا النار من اكثر من زاوية.

استخدم اوزوالد بندقية من نوع «مانليشر ـ كاركانو» عيار ٦,٥ مم طلب شراءها بواسطة البريد، مع منظار تليسكوبي ذي اربع قوى. وكان لديه ايضا مسدس دوار (طاحونة) نوع «سميث و ويسن». ولم يستطع البيان الرسمي تقرير ما اذا كان اوزوالد قد اطلق طلقتين او ثلاث طلقات. لكن من المؤكد انه استخدم ذخيرة حربية تبلغ سرعتها الابتدائية ٢١٦٥ قدما في الثانية.

وخلال تمثيل عملية الاغتيال استخدم الموساد معدات افضل واقوى. قاموا بتوجيهها نحو الهدف وهي مثبتة على مناصب ذات ثلاث ارجل، وفي اللحظة المناسبة كانوا يمثلون صوت اطلاق الرصاص «بانغ» من خلال مكبر للصوت ويحدد جهاز تصويب باللايزر مكان اصابة الاشخاص الموجودين في السيارة، ومكان خروج الطلقة. وحسبما رأينا كانت الطلقة موجهة الى رأس كونالي من الخلف، ويبدو ان جون كينيدي قد التفت او تحرك في اللحظة الخطأ ـ او ان يكون القاتل قد تردد لحظة.

كان ذلك مجرد تمثيل لحادثة، الا انه اظهر بما لا يدع مجالا للشك انه من المستحيل ان يكون اوزوالد قد فعل ما زُعم انه فعله. فهو لم يكن محترفا، وبالنظر الى المسافة، والنافذة في الطابق السادس في احدى البنايات، ونوع المعدات التي لديه. حتى انه لم يستخدم طلقات ذات حشوة دافعة اكبر. كما انه كان قد اشترى البندقية لتوه. ويعرف اي شخص ان ضبط المنظار التلسكوبي يحتاج الى وقت طويل وخبرة لضبطه على البندقية. وبالتالي لا يمكن تصديق الرواية الرسمية عن حادث الاغتيال.

* * *

في صباح احد الايام جاءنا رجل يمكن ان نثق بكلامه، كان ذلك في نهاية الشهر الاول من فصلنا الدراسي هذا. طوله حوالي ٥ اقدام وست بوصات مربوع القامة، وبدأ حديثه على النحو التالي، «اسمي غير ذي اهمية، لكني جئت كي اخبركم بأمر شاركت فيه مع رجل اخر اسمه اميكان. وكنت لفترة من الوقت مع وحدة اسمها كيدون، وتلقى فريقي تعليمات بالقضاء على مدير محطة منظمة التحرير في اثينا ومساعده. وقد ذكرت اميكان لانه شخص متديّن، ورجل ضخم طوله ٦ اقدام وست بوصات، قوي البنية مثلي، وهو اشبه ما يكون بباب».

كان المتكلم هو دان درووري، والحادثة التي يتحدث عنها اسمها العملية «باسات» احدى عمليات الموساد الناجحة نفذت في اثينا في اواسط السبعينات.

وفتح درووري، الذي يبدو واضحا انه يحب عمله، حقيبة دبلوماسية وقال، «انا احب هذا» وسحب مسدس «برابيللوم» الماني شبيه بمسدس «لوجر» ووضعه على المنضدة. «واحب هذا ايضا الا انهم لا يسمحون لي بحمله» ووضع مسدساً من نوع «ايجل» على المنضدة، وهو «ماغنوم» من صنع اسرائيلي وله نظام تبريد بالهواء. «الا انني استطيع ان استخدم هذا»، قالها وسحب مسدس «بيرتّا» عيار ٢٢ , ٠) «وميزات هذا المسدس انك لا تحتاج الى كاتم للصوت معه».

صمت محدثنا لحظة ثم قال، «الا ان هذا هو المفضل لدي عن الجميع» ولوح بخنجر صغير له نصل ضيق يتسع في اتجاه نهايته ثم يضيق ثانية حتى يستدق، وقال، «تستطيع ان تطعن به وتسحبه دون ان يحدث نزفا خارجيا. وعندما تسحبه من جسم الضحية يغلق اللحم مرة اخرى. وميزة هذا انك تستطيع ان تطعن به بين الاضلاع، وتلويه حتى يكون في الداخل فيمزق كل ما يطاله، وبعد ذلك اسحبه».

وفي النهاية، اخرج مخلبا مع قفاز خاص ركب فيه نصل على طول ابهام الاصبع، ونصلاً اخر على طول اصبع السبابة. ثم لبس القفاز وضم النصلين مع بعضهما البعض ـ احدهما يبدو مثل سكين عسكري سويسري صغير ـ والثاني مثل مشرط السجاد ـ وضم المخلب قائلا «هذا ما

يجب اميكان ان يستخدمه. تقبض على الشخص من حنجرته وتغلق قبضتك فقط. انه مثل المقص، يقطع كل شيء. وهو يبقي الضحية ساكنا، وضربته قاضية وان تكن غير فورية، وهو امر يسعد اميكان. فسوف يبقى الشخص حيا لفترة قبل ان يموت. لكن استخدام هذا يتطلب شخصا قويا جدا ـ مثل اميكان.

وعرفت على الفور انني لا ارغب في رؤية هذا الشخص اميكان فهو شخص ثقيل الدم.

ولان اميكان شخص متدين فهو يصر دوما على ارتداء اليرمُلك*. وحيث ان عمله سري، وغالبا ما يكون في مناطق معادية، فان من الصعوبة بمكان ان يرتدي اميكان اليرملك التقليدية دون ان يجلب انتباها غير مستحب. لذلك فقد حلق بقعة من شعر رأسه تماما ثم نسج من باقي شعره يرملك ـ خصلة من الشعر اصبحت غطاءاً له.

عندما صدرت التعليمات باغتيال رجلي المنظمة، تحرك درووري واميكان مع باقي افراد الفريق الى اثينا. وتم تحديد مكان الهدف. وكان لكل واحد منهما شقة في المدينة، ورغم قيامهما بلقاءات عمل منتظمة، فلا علاقات اجتماعية بينهما.

ونظرا لان جهاز الموساد ما زال متأثرا من الدعاية المحرجة لعملية ليليهامر الشائنة، حين اغتيل شخص اخر غير الهدف ويعطي الموافقة النهائية في الموقع. اراد ان يرى الضحيتين قبل اطلاق النار عليهما.

ولتبسيط سرد هذه الحادثة سوف اسمي مدير محطة منظمة التحرير عبد الرحمن واسمي مساعده سعيد. بعد دراسة الموقف، ثم القرار على انه لا يمكن انجاز العملية في شقة عبد الرحمن، فالاثنان يعقدان اجتماعاتهما في فندق على شارع شبه رئيسي ـ في العادة كل ثلاثاء او خميس مع عدد قليل من مسؤولي المنظمة الاخرين. وجرت متابعة الرجلان لمدة شهر قبل اتخاذ اي قرار.

تم تصوير الرجلين عدة مرات، وتم التأكد من ملفاتهما والتعرف عليهما لضمان عدم حدوث خطأ. وقد كان عبد الرحمن اعتقل عندما كان شابا صغيرا من قبل الشرطة الاردنية في القدس، وبعد الاحتلال الاسرائيلي بقي ملفه هناك. وقد قام الفريق باخذ بصمات عبد الرحمن عن كوب في الفندق للتأكد من بصمات اصابعه بمقارنتها مع ملفه القديم، وقد كان الشخص ذاته.

بعد اللقاء في الفندق، كان عبد الرحمن يذهب الى منزل احد اصدقائه، ويذهب سعيد في طريق اخر. وقد كان يأتي الى الاجتماع مرتديا ملابس عادية، ويقود سيارته بعد الاجتماع الى

---

* اليرمُلك: القلنسوة اليهودية.

شقته التي تبعد مسيرة ٢٠ دقيقة ليرتدي ملابس رسمية اكثر قبل ان يخرج ليمضي سهرته. وكان يسكن في الطابق الثاني من عمارة بها اربع شقق، ويوجد لها مواقف لاربع سيارات تحت المبنى، وكان يضع سيارته في الموقف الثاني من الجهة العليا. ثم يسير عائدا من مدخل السيارات الى الباب الامامي للمبنى. وكان هناك نقاط اضاءة من موقف السيارات وعلى الجدران حيث تقف السيارات.

وفي حين ان عبد الرحمن يهتم بالشؤون السياسية وحمايته الشخصية قليلة، فقد كان سعيد في الجناح العسكري وكان يتقاسم الشقة مع ثلاثة اعضاء اخرين في المنظمة، وكان اثنان منهم على الاقل من حرسه الشخصي. والشقة بمثابة بيت آمن للمنظمة.

كان للشارع المار امام الفندق مسربان في كل اتجاه، وهو شارع غير مزدحم وبه عدد قليل من المشاة. ويوجد موقف للسيارات يستخدمه زبائن المطعم حيث كان عبد الرحمن وسعيد يوقفان سيارتيهما، وموقف اخر في الجهة الخلفية لنزلاء الفندق.

بعد اخذ جميع العوامل في الاعتبار قرر دروري واميكان ان يقضيا على الرجلين بعد اجتماع يوم الخميس المعتاد.

كان هناك هاتف عمومي على الرصيف المقابل وعلى بعد نصف مبنى من الفندق، وهاتفا اخر يطل على شقة سعيد. وحيث ان سعيد يغادر الفندق قبل عبد الرحمن كانت الخطة القضاء على عبد الرحمن في الفندق ثم ارسال اشارة الى الرجل المنتظر قرب الهاتف المطل على شقة سعيد لينفذ ضربته حال وصول الاخير الى البيت.

كان اميكان مسؤولا عن الوحدة المكلفة بقتل سعيد، وصدرت اليه التعليمات باستخدام مسدس من عيار ٩ مم، وكرر قائده المسؤول التفتيش عليه للتأكد من استخدامه طلقات عادية وليس «دم دم»، لان من المعروف ان الموساد يستخدم هذا النوع من الطلقات، وكانوا يهدفون من وراء ذلك القاء تبعة هذه العملية المزدوجة على احد فصائل منظمة التحرير بدل ان يلقى اللوم على الموساد.

في الليلة المحددة توقفت حافلة صغيرة على الجهة المقابلة للفندق في المسرب الثاني من الشارع بعد الميدان الفاصل بين المسربين. كان احد الرجال جالس في ردهة الفندق عندما اقترب دروري من الباب الامامي قادما من موقف السيارات الجانبي وهو يتبع يتسحاق حوفي عن قرب. وكان على دروري وحوفي الانتظار في سيارتها الى ان تصلهما اشارة من جهاز اللاسلكي «الووكي توكي» ـ على شكل طقطقات متلاحقة ـ تفيد ان وقت التحرك قد حان.

لسبب ما، خرج عبد الرحمن وسعيد من الفندق سوية ذاك الخميس ـ وهي المرة الاولى التي

يخرجان فيها معا - لذلك لم يتحرك اي واحد من الرجال. وراقب الشخص الذي كان من المفروض ان يقوم بعملية الاغتيال خروج الرجلين وصعودهما الى سيارتيهما ومغادرتهما موقف السيارات.

في الخميس التالي استعد الفريق للعملية مرة اخرى. وفي هذه المرة غادر سعيد المكان في حوالي التاسعة مساءً واتجه نحو سيارته، فحرك عناصر الموساد سيارتهم الى الامام قليلا كما لو كانوا قد وصلوا للتو وهم يحاولون الاصطفاف بها، في الوقت الذي كان سعيد يشغل به السيارة.

بعد دقيقتين سمعوا طقطقة جهاز «الووكي توكي» التي بثها رجلهم الجالس في الردهة: كان عبد الرحمن متجها في طريقه الى الخارج. وللفندق باب دوار عند المدخل والى جانبه باب عادي. وللتأكد من استخدام عبد الرحمن للباب الدوار قاموا بتعطيل الباب الجانبي بحيث لا يفتح.

خرج رجل الموساد المزروع في الردهة خلف عبد الرحمن مباشرة من خلال الباب الدوار. ووقف خارج الفندق وامسك بالباب بحيث لا يستطيع اي شخص تحريكه. وكان هناك رجل اخر عند الهاتف العمومي اسفل الشارع، على اتصال مع الرجل الاخر المنتظر على الهاتف العمومي الاخر قرب شقة سعيد.

نزل عبد الرحمن الدرجات واستدار يسارا نحو موقف السيارات، وهو الموقف الذي اتجه دروري فيه نحوه، وحوفي خلفه مباشرة. عندها سأل حوفي «عبدالرحمن؟» وما ان اجاب نعم حتى اطلق دروري طلقتين على صدره وواحدة على رأسه، فسقط قتيلا على ممر المشاة. كان حوفي يسير عبر الشارع في اتجاه الحافلة عندما بدأت في التحرك ببطء الى الامام، وقال الرجل الواقف الى جانب الهاتف العمومي في اسفل اشارع، «لقد انتهى الامر»، وكانت تلك الاشارة بأن المرحلة الثانية من العملية، والخاصة بسعيد، قد بدأت.

اما دروري من جهته، فقد استدار وعاد الى موقف السيارات الجانبي وصعد الى سيارته وقادها مبتعدا عن المكان. اما الرجل المزروع في ردهة الفندق فقد دخل اليه وقطع الردهة، وغادر الفندق من باب خلفي الى سيارة في الخارج كانت بانتظاره. استغرقت العملية عشر ثوان تقريبا. ولو كان هناك من يراقب رجل الفندق لاعتقد بانه قد نسي شيئاً ما في الردهة وعاد ليأخذه. ولم تكتشف جثة عبد الرحمن الا بعد مرور عشر دقائق تقريبا من العملية..

عندما دخل سعيد الى موقف سيارته تحت الشقة التي يسكنها، كان اميكان ينتظر بين الشجيرات الواقعة بين المبنيين المتجاورين، وكان قد جرى حرق لمبة الاضاءة فوق موقف السيارة، الا ان اميكان استطاع ان يرى من خلال انوار النوافذ والاضاءات الجانبية ان سعيد قد اصطحب شخصا اخر معه الى المنزل. وكانت مشكلته الان، انه لا يستطيع ان يحدد اياً منهما

سعيد، لذلك اعتبر ان صديق عدوه هو عدو له، فسار الى خلف السيارة ووضع في مسدسه عيار ٩ مم مخزنا اكبر من العادي واطلق ١١ رصاصة على راسيّ الضحيتين متنقلا بسرعة في اطلاق النار من واحد الى اخر.

خطا اميكان الى الجهة التي بها مقعد السائق في السيارة ليتأكد من مقتل الرجلين. ولانه اطلق النار على رأسيها من الخلف كانت جبهتاهما قد تهشمت تماما.

جرى اطلاق النار بسرعة، لكنه احدث ضجة كبيرة، رغم ان اميكان قد استخدم كاتما للصوت، وذلك بسبب تحطم زجاج السيارات وارتطام الطلقات في الجدران، مما اثار انتباه حراس سعيد في الشقة. فخرجوا الى الشرفة في الطابق الثاني، كانت الشقة تلقي بضوئها على ظهورهم، وهم يحدقون في العتمة وينادون على سعيد. فقام احد عناصر فريق اميكان الذي كان قد وضع في مواجهة المبنى كرديف لاميكان عند الحاجة، بالصراخ عليهم بالعربية قائلا «اخفض رأسك اخفض رأسك!» وقد فعلوا ذلك. وفي تلك الاثناء ابتعد الرجل واميكان بسرعة عبر الشارع، وصعدوا الى السيارة مع الرجل الواقف الى جانب الهاتف، وابتعدوا في عتمة الليل.

اكثر ما اذكره من هذه العملية الطريقة التي رواها دروري بها. كان اشبه بمن يتحدث عن وجبة شهية، استمتع بها في مكان جميل، مثل عشاء فخم بشكل غير عادي. ولا استطيع ان انسى الطريقة التي روى بها دروري الجزء الخاص بتوجيه الضربة. فقد رفع يديه امامه وكانه يحمل مسدسا ثم اطلقه. كان مروعا، لقد سبق واطلقت عليّ النار ورأيت الكثير من الحوادث الا ان وجه دروري الذي رايته وهو يروي احداث العملية لن انساه ابدا. فقد كان منفعلا لدرجة ان اسنانه كانت تصطك.

* * *

كان علينا ان نبدأ دورة مكثفة في فن التصوير، وتعلم استخدام مختلف انواع الكاميرات، وكيفية تظهير الافلام، بما في ذلك طريقة استخدام حبتين من المواد الكيماوية لصنع محلول من الماء الفاتر نتقع الفيلم فيه لمدة ٩٠ ثانية، ولا يكون الفيلم كامل التظهير - يمكن اتمام عملية التظهير فيما بعد - الا انه يسمح بالتحقيق من الفيلم وان الصورة المطلوبة موجودة فيه. كما تعرفنا على مختلف انواع العدسات والتقاط الصور من اجهزة مخفية، مثل حقائب الجنب.

قرر بنحاس ميدان، وهو احد الثلاثة الجدد الذي انضموا الى المجموعة في الفصل الاخير، ان يحول دروس التصوير الى عمل مربح.

توجد منطقة على طول الشاطىء الشمالي من تل ابيب اسمها تل برباخ، ليست بعيدة عن النادي الريفي، حيث تقف بنات الهوى في انتظار زبائنهن من الرجال الذي يأتون الى هناك

بسيارتهم، ويأخذونهن خلف الكثبان الرملية لعمل اشياء معينة، وينطلقوا بعدها بسياراتهم. لذلك قرر بنحاس ان يستخدم معدات التصوير الليلية في عمله هذا. فكان يقف على احد الكثبان الرملية يصور الرجال وسياراتهم مع بنات الهوى ويلتقط بعض الصور الفاضحة، وذلك بفضل المعدات ذات النوعية العالية، والعدسات التلسكوبية القوية. وكنا قد تعلمنا كيف نقتحم جهاز كمبيوتر الشرطة ـ بالدخول الى برامجهم دون اذن الشرطة او علمها ـ لذلك كان ميدان يفتح الكمبيوتر على ارقام لوحات السيارات للتعرف على اصحابها وعناوينهم، ومن ثم ابتزازهم. فكان يتصل قائلا بان لديه بعض الصور المشبوهة، ويطلب نقودا.

تباهى ميدان بانه جمع مبلغا محترما من النقود، لم يذكر كم هو المبلغ، لكن يبدو ان بعض الاشخاص قد تقدم بشكوى ضده، وجرى تأنيبه، واعتقدنا انه يتم فصله، لكن يبدو ان احدهم اعتبر ان في الموضوع مبادرة معقولة. يبدو لي انه اذا كان شخص ما غارقا في الاوساخ، فانه لن يلحظ صدور رائحة نتنة.

بالطبع، وحسب طريقة تفكير الموساد، فان التقاط مثل هذه الصور قد يكون وسيلة اقناع قوية في تجنيد العملاء ـ وقد لا يكون في بعض الاحيان. وهناك رواية عن مسؤول كبير في احدى الدول تم تصويره في الفراش مع غانية تم تجنيدها لهذا الغرض، وطلب منها ان تتخذ اوضاعا معينة بحيث تظهر الصور وجه المسؤول واكثر ما يمكن من التفاصيل. ثم قامت الموساد بعد ذلك بعرض دليل مغامراته الماجنة ووضعوا الصور امامه على منضدة وهم يقولون «قد ترغب في ان تتعاون معنا». لكن بدلا من ان يكون رد فعله الصدمة والخوف اعجب المسؤول بالصور وقال «هذا رائع»، «سأخذ صورتين من هذا الوضع وثلاث صور من ذاك»، واضاف انه يرغب في عرضها على جميع اصدقائه. ولا داعي للقول ان تلك الطريقة في تجنيده قد فشلت تماما.

استمرت الدورة في تدريبنا على كيفية التعامل مع وحدات الاستخبارات في مختلف البلاد العربية، وقضى الكاتسات المتدربين بعض الوقت في التحدث مع ضباط الامن الموجودين في الفنادق للتعرف على وجهات نظرهم في بعض المسائل. ولان جزء كبير من عملنا يتم في الفنادق، كان علينا ان نعرف كيف نتجنب لفت انتباه رجال الامن فيها ـ تلك الملاحظات «الصغيرة». على سبيل المثال، اذا دخلت خادمة غرفتنا في الفندق وصمت الجميع في اثناء تواجدها في الغرفة، فمن المحتمل ان تخبر رجال الامن في الفندق بان شيئا غير عادي يحدث في الغرفة. لكن اذا استمر الجميع في الحديث بشكل طبيعي كما لو انها غير موجودة فلن يثير ذلك أي ريبة.

كما حضرنا سلسلة محاضرات عن الشرطة الاوروبية، وتعرفنا على شرطة كل بلد على حدة، حللناهم، وفهمنا تشكيلاتهم، ودرسنا مواطن الضعف والقوة فيهم. ودرسنا عن القنبلة

الاسلامية ، وزرنا عددا من القواعد العسكرية، كما زرنا المفاعل النووي في ديمونا الواقع في صحراء النقب على بعد حوالي ٤٠ ميلا شمال شرق مدينة بئر السبع، وقد ادعت السلطات الاسرائيلية في البدء انه معمل نسيج، ثم «محطة ضخ» الى ان حصلت وكالة الاستخبارات المركزية على ادلة مصورة التقطتها طائرات التجسس الاميركية «يو ـ ٢» في كانون اول/ ديسمبر ١٩٦٠ تثبت ان المبنى يضم مفاعلا نوويا. كما زرنا مفاعلا صغيرا للابحاث اسمه (KAMG) (اختصار للاسم الفرنسي الذي يعني «مرفق الابحاث النووية») في نحال سوريك، وهو داخل قاعدة جوية الى الجنوب من تل ابيب.

وبعد ان انفضح امر المفاعل في العام ١٩٦٠، اعلن بن غوريون رسميا عن مشروع اسرائيل النووي «السلمي»، رغم انه قد يكون اي شيء عدا ان يكون سلميا.

في العام ١٩٨٦، كشف اسرائيلي من اصل مغربي اسمه موردخاي فعنونو، والذي عمل في ديمونا من العام ١٩٧٦ الى ١٩٨٥ قبل ان ينتقل الى استراليا، النقاب عن انه هرّب آلة تصوير الى داخل المفاعل والتقط ٥٧ صورة لمرافق اعادة تصنيع سرية للغاية، موجودة في عدة طبقات تحت الارض، والتي ذكر في حينه انها تخزن بلوتونيوم خاص بالاسلحة يكفي لصنع ١٥٠ جهاز نووي ونووي حراري. كما اكد ان الاسرائيليون ساعدوا حكومة جنوب افريقيا في تفجير جهاز نووي في ايلول/ سبتمبر ١٩٧٩ في اقصى جنوب المحيط الهندي عند جزر الامير ادوارد وماريون غير المأهولة.

ونظير جهده، نال فعنونو حكما بالسجن لمدة ١٨ عاما بتهمة التجسس بعد محاكمة سرية في القدس. وقد قبض عليه الموساد بعد ان استدرجته عميلة جميلة الى يخت في البحر الابيض المتوسط من روما. وكانت صحيفة «التايمز اللندنية» تستعد لنشر قصته والصور التي التقطها، الا ان فعنونو كان قد خدّر، وهرّب على ظهر سفينة اسرائيلية، وحوكم بسرعة، وسجن.

والحقيقة ان الاختطاف كان عملا قذرا، فلم يكن فعنونو انسانا مناهضا لاسرائيل او يشكل خطرا عليها، لكن بالنظر للطريقة التي تمت بها عملية الاختطاف فقد عرف عنها الجمهور. وقد اعادت العملية فعنونو الى اسرائيل، لكن الموساد لا يستطيع ان يفاخر بها.

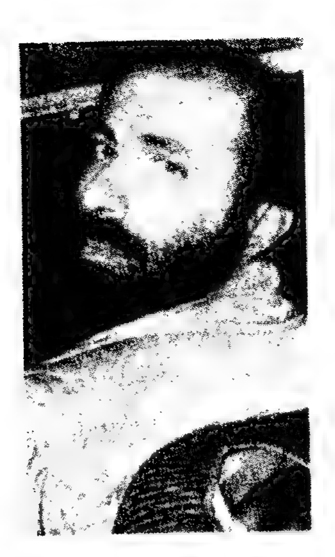
من مشاهدتي الخاصة لمفاعل ديمونا، كان وصف فعنونو دقيقا للغاية وليس هذا فحسب، فقد كانت تحليلاته دقيقة ايضا. وكان قول فعنونو ان اسرائيل تبني تلك القنابل وانها مستعدة لاستخدامها اذا لزم الامر، صحيحا. ولم يكن سرا بالنسبة للموساد اننا ساعدنا حكومة جنوب افريقيا في برنامجها النووي، واننا زودناها بالجزء الاعظم من معداتها العسكرية. ودربنا وحداتها الخاصة، وعملنا معهم يدا بيد طيلة سنوات. هذان البلدان [اسرائيل وحكومة جنوب افريقيا] اللذان يعتبران نفسيهما بحاجة لآلة يوم القيامة وهما مستعدتان لاستخدامها.

وفي حين ان امن مفاعل ديمونا في غاية الصرامة، فهو محاط بشبكة صواريخ من طراز هوك وشابرال. والطريف اننا عندما زرنا مواقع صواريخ هوك حول ديمونا، كانت الصواريخ قد بدأت تبلى وما كانت لتحمي اي شيء، ومع ذلك جرى بيعها الى ايران فيما بعد، وقد ضحكنا لهذا الامر كثيرا.

ويتعلم الكاتسات المتدربون ايضا عن نظام الاتصالات الدولي، خاصة خط البحر الابيض المتوسط الذي ينبثق من باليرمو/ صقلية حيث يرتبط بالاقمار الصناعية ويبث اغلب الاتصالات العربية. وقد ارتبطت اسرائيل بهذا الخط عن طريق الوحدة ٨٢٠٠ واصبح لديها مدخل على كل ما يرسله العرب.

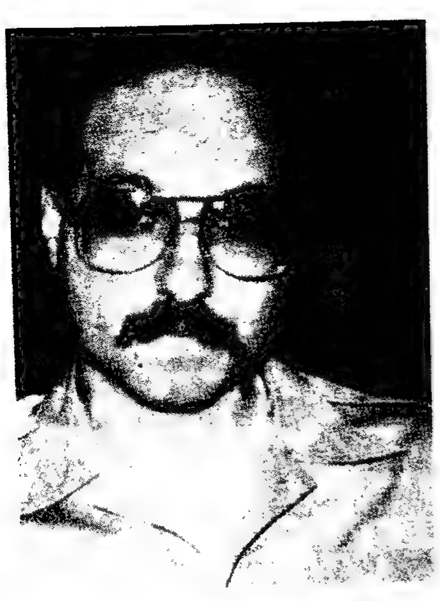
ومن ملامح دورتنا الدراسية المنتظمة ورقة «قياس العلاقات الاجتماعية» وكنا نقدمها كل اسبوعين، حيث يسجل كل واحد فينا قائمة بالاشخاص المشاركين في الدورة ويرتبهم حسب الافضلية من نواحي مختلفة مثل: العمليات، امكانية الوثوق به، والاعتماد عليه، ومصادقته، ودرجة مودته، وما الى ذلك. ولم يكن ترتيبي شيئا في هذا، لكنه لم يكن مقياسا صادقا. وكان من المفروض الا نعرف النتائج، لكننا كنا نعرفها. وعندما تكره شخصا ما فمن الطبيعي ان تضعه في اخر القائمة. وحيث اننا كنا جميعا انا ويوسي وحاييم تنقصنا الثقة قليلا في بعضنا البعض، لذلك كان كل واحد يتحقق من قوائم الاخر قبل تقديمها.

والآن اصبحنا مستعدين للامتحان النهائي. وخلال اسبوعين سنصبح كاتسات مكتملي التدريب.



موردخاي لعنونو Mordecai Vanunu

تخلص من شبكة الشين بيت وكشف اسرار اسرائيل النووية. لاحقه جهاز الموساد واختطفه في شهر ايلول سبتمبر ١٩٨٦.



جوناثان بولارد Jonathan J Pollard

جاسوس اميركي تجسس لصالح اسرائيل واعتقل في تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٨٥. ادى الكشف عن نشاطاته الى احراج الموساد والى بروز مشاكل في اوساط الجالية اليهودية الاميركية.



شاب فلسطيني قاد عملية الباص وقد قتله اثنان من عملاء الشين بيت. عندما نشرت الصورة ادت الى فضيحة كبرى عام ١٩٨٥ - ١٩٨٦.

الفصل الثامن

التحية والوداع

قبل يوم من بداية التدريب التي استمرت اسبوعين، تلقيت مكالمة من زميلي جيري إس، في ذلك الوقت، لم استطع ان أتصور الأهمية البالغة لهذه المكالمة الهاتفية التي بدت بريئة.

كان جيري، وهو في الثانية والثلاثين، مواطناً اميركياً، كان ذا لحية وشاربين، وشعر ضارب الى الرمادي، وكان نحيف الجسم، عمل محامياً في المكتب القانوني الخاص لسايروس فانس، وزير الخارجية في عهد الرئيس الاميركي جيمي كارتر، وكنت وجيري في ذلك الوقت صديقين، مع انني كنت مدركاً جداً للشائعات بأنه شاذ جنسياً. ففي وقت من الأوقات كان قد أخبر الجميع بأن له صديقة طارت من الولايات المتحدة وتقيم في بيته، لكنها اضطرت للعودة لأنها متزوجة. وقد استمرت الشائعات لأن أحداً لم يلتق بها.

جاء جيري الى بيتي مرات كثيرة، كما ذهبت الى بيته مراراً. وكم ساعدته في بناء غطاء لنفسه، ورغم الخلافات البسيطة فقد تعايشنا بشكل جيد، لهذا لم يكن هنالك ما يمنعه من دعوتي الى شقته فقد قال بأنه يريد أن يتحدث معي ويريني شيئاً، فقلت، حسناً، لم لا؟

عندما وصلت أعدّ مشروبه المفضل، مزيجاً من الفودكا والثلج والفراولة وقد سحقت ومزجت معاً، وقبل أن يجلس أدار شريط فيديو.

قال: لقد حصلت على شيء أريد أن أريه لك، لكن قبل أن أفعل ذلك أود أن أخبرك بأن لي مصدراً داخلياً ومن الآن فصاعداً، ومثل أي تدريب، سوف اعرف فيما اذا كنت ملاحقاً، وسوف استطيع ان اخبرك متى واين، فلسنا في حاجة الى ذلك النوع من المشاحنات بعد اليوم.

قلت له: سوف اكون صادقاً معك، فأنا لست قلقاً لأنني أتعرض للملاحقة، فالحقيقة انني أحب ذلك، انه أمر مثير!

قال: اسمع! لقد أخبرت ران إتش وكان سعيداً (وهو زميل دراسي آخر كان يعاني من مشكلات مع ابام).

ـ لست مندهشاً، لكن من تظنّ انك تسدي له معروفاً؟

قال جيري وقد أخذ ينفعل:

- حسناً، ما يزال عليك ان تعرف كيف يلاحقونك.

قلت له: حسناً يا جيري، قم بما عليك فلست أهتمّ. إذا كنت ترى ان ذلك سيساعدك، فلا بأس. لكنني محبّ للاستطلاع، كيف تحصل على ذلك النوع من المعلومات؟

قال: حسناً، هنالك هذه المرأة التي يبتزّها آيتسيك. انها ذات الرقم اربعة المشهورة، وأنا لي علاقة بسيطة معها وهي تعطيني كل هذه المعلومات.

- انك تسخر مني!

- لقد عرفت بأنك لن تصدقني، لذلك لماذا لا تجلس هناك وتستريح وتدعني أريك شريط الفيديو؟

قبل بعض الوقت كان جيري قد توقف عند بيت آيتسيك وصادف امرأة تغادر البيت، كانت جذابة ذات بشرة سمراء وشعر بني خفيف وجسد رائع، وراقبها جيري وهي تغادر، وانتظر برهة ثم ذهب ليرى آيتسيك الذي لم تكن زوجته في البيت، ولم يتفوه بشيء عن المرأة.

كان ياريد، الفريق الذي يتولى الامن الاوروبي، يمارس اساليبه في اسرائيل. وكانت احدى افضل طرقه في العمل اختبار مهارات افراده في تعقّب صغار ضباط تجنيد العملاء (الكاتسا)، وكانت هذه الفرقة تستخدم الارقام وليس الاسماء، ولم يكن يفترض بضباط الكاتسا ان يعرفوا من هم، وقد قيل لفريق ياريد في اليوم السابق عمن سيلاحقونه، والوقت ونقطة البداية وقد تم اطلاعهم على صورة الشخص المعني وكانت هذه المرأة نفسها قد أطلق عليها رقم أربعة.

لاحظها جيري خلال تدريب سابق، ومع انه لم يعرف من هي في ذلك الحين، فقد اوردها في تقريره، وعندما رآها تغادر بيت آيتسيك وضع اثنين واثنين معاً، وبعد ان غادرت راقبها وهي تدخل سيارتها ودوّن رقم اللوحة وتأكد من الرقم على حاسوب الشرطة حيث حصل على اسمها وعنوانها.

اراد ان يستغل ما يعرفه، فلسبب بسيط كان يعرف ما كان الناس يقولون عنه واراد ان يبدد الشائعات. كما أراد ان يعرف من الذي ستتم ملاحقته في اي يوم من أيام التدريب لذلك لن يضطر الى القلق المستمر ازاء أيام، ولم يكن جيداً في التدريب لذلك أراد أن يختصره لأنه كان مهتماً للدورة، فضابط التجنيد لا يستطيع ان يذهب الى الخارج دون اجتياز دورة أيام.

كانت شقته التي كانت تحتوي على كل جهاز الكتروني يمكن تصوره، تمثل آلة تدريب كبيرة تسمى سولوفلكس، ولها مقعد وبار يتدلّى من إطار، وأحد التدريبات يقضي بلفّ ربّاطات مطاطية صلبة حول رسغيك ثم يعلقان على البار وتسحب نفسك صعوداً ونزولاً، تمرّن عضلات معدتك بينما تتدلّى من البار ورأسك إلى الأسفل.

وكان هنالك قطعة حيوية أخرى من المعدات وهي وحدة آلة تصوير صغيرة مثبتة في حقيبة صغيرة ـ وهي آلة تصوير كانوا يستخدمونها في تدريبات كثيرة. وكان يمكن استعارتها من الاكاديمية عند الحاجة. ولم يكن نجوم هذه الافلام فقط لا يدركون مكانتهم، فالنوعية العالية للمعدات افرزت صوراً ذات نوعية تصلح للبثّ.

بدأ الفيلم بلقطة من زاوية عريضة للغرفة، كانت الستائر مسدلة لكن كان هنالك قدر كبير من النور، وكان هنالك خزانة جدار خشبية باهتة وطاولة طعام الى جانبها لكن السولوفلكس سيطرت على وسط الغرفة.

في البداية كان جيري ورقم اربعة يتحدثان، ثم بدآ يقبلان ويداعبان بعضهما.

«هيّا نتدرب»، قال لها وبدأ في وضع اللفافات المطاطية حول رسغيها بعد ان خلعت سروالها. ثم ربطها بالمقلوب بالبار.

لم أستطع ان أصدق ذلك واعتقدت ان هذا لا يمكن أن يكون حقيقياً لكنه كان كذلك.

وبينها كانت تتدلى، خطا جيري إلى الوراء وفرد ذراعيه، كما لو فعل ذلك لآلة التصوير، وقال: تادا.

ومن الطبيعي ان قميصها سقط على رأسها وكان... يتدليان، نزع جيري قميصها، وانحنى ورفعها ثم بدأ الاثنان يقبلان بعضهما ثم وضع يده تحت سروالها وبدأ يداعبها وبعد ان فعل ذلك لبعض الوقت خلع جيري ملابسه، وأظهرتها الدقائق القليلة الاخيرة من الفيلم مدلاّة بالمقلوب بينها كان يجلس عاريا على المقعد.

قلت له بعد ان انتهى الفيلم. لم تحتج يا جيري الى تصوير فيلم حتى تجعلها تتعاون.

ـ ربما لا، لكنني تصورت انها اذا لم تتعاون فانني سأريها الفيلم وبعدها تتعاون. انه مثير، أليس كذلك؟

أجبت بحذر: نعم، إلى حدّ ما.

ـ هل تعرف ماذا يقولون عني في المكتب؟

ـ ماذا؟ انك شاذ جنسياً؟

ـ نعم.

ـ انها مشكلتك وليست مشكلتي، فأنا لست هنا لأحكم عليك.

في تلك اللحظة جلسا قريبا مني وقال: اسمع! لقد رأيت بأنني لست شاذاً جنسياً.

سألته وقد بدأت اصاب بالعصبية: جيري، لماذا تخبرني بهذا؟

قال: اسمع! انني احب الطريقتين، أعتقد انك ستستمتع.

ـ جيري! هل أفهم ما تقوله؟

ـ آمل ذلك؟

ارتبكت، لكن بدأت أغضب، نهضت عن الأريكة وسرت نحوْ الباب، وضع جيري يده على كتفي لايقافي. وعندها غضبت ونزعت يده عن كتفي وضربته. لم ألكم أحداً في معدته من قبل بتلك القسوة ونزلت السلالم راكضاً وخرجت الى الشارع لأتنفس الهواء النقي، ركضت حوالي اربعين دقيقة، طوال الطريق إلى الأكاديمية، ربما أربعة أو خمسة أميال، ولم أكن في أحسن أوضاعي، كنت أسعل لكنني واصلت الركض.

داخل الأكاديمية، التقيت بآيتسيك فقلت له: انني أودّ أن أخبرك بشيء.. ينبغي منع هذا الأمر!

ـ تعال إلى مكتبي.

رويت له كل القصة. ومع أنني لا أستطيع أن أقول انني أعطيته رواية متماسكة تماماً لأنني كنت أهذي إلا أنها كانت واضحة بشكل كاف، قلت له ان لدى جيري شريط فيديو يصوره وهو يضاجع صديقته وأنه حاول أن يستدرجني جنسياً.

قال آيتسيك: اهدأ اهدأ.. دعني أوصلك الى البيت.

شكرته لكنني قلت له أن دراجتي موجودة في الأكاديمية وأريد أن أعود عليها الى البيت.

قال آيتسيك: اسمع: لقد أخبرتني.. إنس القضية.

ـ ماذا تعني؟ انس القضية!

ـ اعني انس القضية، لا أريد أن أسمع عنها بعد اليوم.

قلت: ما نوع «الحصان» الذي يدعم هذا الرجل؟

هل هو حصان طروادة؟

ـ انس الموضوع.

لم يكن أمامي ما أفعله، فقد كان أمراً لا يمكن تصديقه أن يطلب مني آيتسيك أن أنسى الموضوع دون التأكد من القصة.

ثم أضاف: لا أريد أن أسمع هذه القصة يكررها أي شخص آخر. لا تخبر حاييم أو يوسي أو أي شخص آخر. هل تفهم؟

ـ حسناً! سوف أنساها. لكنني سأبلغك بها كتابياً وأريد حفظ نسخة في الملف.

حسناً. افعل ذلك.

لقد كانت نسخة في الملف تعني أن نسخة رسالة ترسل إلى شخص ليطلع عليها يمكن أن توضع في ظرف مختوم وترسل إلى ملف كمبيوتر حيث تبقى مختومة. لكن كان على المستلم أن يوقع حتى يبين أنه قرأها، وأن التاريخ قد دوّن.

افترضوا ان أحد أفراد الكاتسا أخبر رؤساءه أن السوريين سيهاجمون في الاسبوع القادم لكن تحذيره قوبل بالتجاهل، لذلك عندما يهاجمون قد يتساءل الناس لماذا لم يتم اشعارهم، فإذا كان للكاتسا نسخة في الملف فإنه يستطيع ببساطة أن يبرزها ويظهر أنه كان أطلعهم عليها.

في طريق عودتي الى البيت توقفت عند بيت رئيس الأمن موسى إم، ورويت له كل القصة وقلت: عليك ان تغيّر البرنامج وتوقف الفتاة.

ـ هل أخبرت آيتسيك؟

ـ نعم.

ـ ماذا قال؟

ـ قال انس الموضوع.

قال موسى: أعتقد أنني لا أستطيع أن اوقف الفتاة. لأن آيتسك سيعرف عندها أنك أخبرتني.

كان أول أمر للعمل في اليوم التالي، عندما بدأ التدريب النهائي الذي كانت مدته ثلاثة أسابيع، في منتصف تشرين الأول ١٩٨٥، أن تستقر الفرق الثلاث التي يتكون كل منها من خمسة أشخاص، في شقتنا. فاستقر احدها في حيفا والآخر في القدس واستقر فريقي في الدور الثالث من عمارة قرب سينما المغربي قرب شارعي اللنبي وبن يهودا، جنوب وسط تل ابيب.

بالاضافة الى جيري، كان فريقي يتكون من أريك، اوديد إل، وميشيل. وبعد أن وضعنا

حقيبة وثائقنا في خزانة وأعددنا كل الأمور الأمنية الضرورية الأخرى لبيتنا/ مركزنا المأمون، أعطينا جوازات سفر، وأخذنا إلى المطار وطلب منا أن نذهب عبر الجمارك والأمن كما لو كنا قد وصلنا للتوّ إلى إسرائيل. وكان لدي جواز سفر كندي.

بعد ذلك، استأجرت عربة من المطار إلى الشقة، تجولت في المنطقة، وعرفت أماكن الهواتف العامة، وما إلى ذلك... ووصلت في وقت مناسب لاجتماع الساعة الواحدة ظهراً. (كنا من حين إلى آخر يسمح لنا بالذهاب إلى البيت ضمن هذه المهمة، لكن ذلك كان يتم وفق نظام تناوبي لأنه كان يجب وجود واحد في الشقة ليلاً). عندما عدت إلى الشقة كانت الأمور كأن شيئاً لم يحدث بيني وبين جيري، فيما عدا انني الآن أعرف انني لا أستطيع أن «ألمسه» ولا أن أحمي نفسي منه. فقد كان مدعوماً بشخص قوي جداً.

كان أول تدريب ميداني أن نذهب إلى فندق غراند بيش، عند ملتقى شارع ديز نغوف بشارع بن غوريون، عبر الطريق مما كان يعرف بالشيراتون. فقد تم تسليم الشيراتون القديم للاميركيين الذين كانوا يقيمون المطارات في النقب كجزء من اتفاقية كامب دافيد السلمية عندما تخلت اسرائيل عن المطارات في سيناء.

استأجرت غرفة على الهاتف في فندق غراند بيش حيث كان يفترض أن يلتقي جيري مع عميل في ردهة ذلك الفندق. وكان لدى العميل وثائق في حقيبة صغيرة في صندوق سيارته وكانت الفكرة إحضار الحقيبة، تصوير الوثائق وإعادة الحقيبة الى صندوق السيارة دون أن يلحظ أحد ذلك.

كان مفتاح السيارة لدينا، وكان يفترض إيقاف السيارة على بعد ستة أكشاك من مدخل فندق الشيراتون السابق، وكما تبيّن فيما بعد فقد كانت تقف على بعد ثلاثة أكشاك، بشكل تتضح لبواب الشيراتون القديم.

كانت مهمة جيري أن يتحدث مع العميل في الردهة العليا في غراند بيش، بينما يجلس في وضع يستطيع معه أن يراني لدى دخولي بالحقيبة وحملها عبر الردهة إلى المصاعد. وبعد تصوير الوثائق في غرفة الفندق، كان يجب إعادة كل شيء، تنظيف الحقيبة من بصمات الأصابع، ثم أعيدها إلى السيارة، وبعد إعادة الحقيبة ووضعها في صندوق السيارة، اتصل مع اريك الذي يقوم بدوره بالاتصال مع جيري، ثم يسمح للرجل بالذهاب، وكأن هذا النشاط يجري دون معرفة العميل.

كانت الثغرة الوحيدة في كل هذا العمل أن السيارة كانت واضحة جداً للبوّاب، لذلك، سألت أريك فيما اذا كان معه محفظة، طلبت منه أن يخرج كل شيء منها، فيما عدا بعض النقود التي يمكن أن يترك بعضها بارزاً، ثم يذهب الى البواب ويخبره بأنه وجده ويريد أخذه الى قسم

المفقودات، وبتلك الطريقة يكون البواب في مكان آخر بينما أخذ الحقيبة من صندوق السيارة.

في الوقت الذي عدت فيه نازلاً السلالم، عرف أريك اسم البواب، فأجرى معه اتصالاً هاتفياً عاجلاً، وبينما دخل البواب ليردّ على المكالمة، أعدت الحقيبة إلى صندوق السيارة.

التقينا جميعنا في الشقة بعد ساعتين، وكان الكل هادئاً، ولم يبد أن هنالك أية مشكلة. ثم دخل آيتسيك وشاي كولي، ووصف كل منا ما حدث وصفاً كاملاً، لكن عندما أنهى كل منا ما عنده مال جيري نحو آيتسيك وقال: أريد أن أرفع شكوى حول سلوك فيكتور.

أصبت بالدهشة، فقد كنت تجاوزت ما هو متوقع مني، وهكذا وردتِ هذه الهفوة في شكوى.

لكن جيري واصل القول: عندما كان فكتور يعمل مع رجال «السنافر» في السفارات، استضاف بعض الأفارقة في هذا الفندق. وبتصرفه هذا في فندق معروف فيه عرض العملية كلها للخطر.

قلت: على مهلكم! لقد قمنا بتدريبات في كل فندق خطر في المدينة. ومن ناحية افتراضية، ولأهداف هذا التدريب، فاننا الآن في باريس ولست معروفاً في أي فندق في باريس!

كان آيتسيك يصغي ثم كتب في دفتره: نقطة جديرة بالاعتبار.

التفت نحو كولي: «شاي»

أجاب كولي: اسمع، لا تدخلني في هذا الأمر.

* * *

في اليوم التالي، طلبت أن أبدأ مهمتي الثانية فوراً. فهي قد تعطيني الفرصة لأكون خارج البيت المأمون لعدة أيام. فقد مللت من وجودي في نفس المكان مثل جيري.

كان ما علي أن أفعله هو الاتصال بدبلوماسي بريطاني كان مسؤولاً عن الحفاظ على جميع مقابرنا العسكرية (وهي من أيام الحرب العالمية الأولى) في اسرائيل. كان له مكتب في الرملة، شرقي تل ابيب، موقع لمقبرة كبيرة، وكان له مكتب في السفارة البريطانية في تل ابيب. وقد لاحظ رجال الشاباك هذا الرجل وهو يوقف سيارته عدة مرات في الشارع الرئيسي، يلتقط صوراً للمنشآت العسكرية ثم ينطلق بسيارته، وقد اشتبهنا بأن الرجل يعمل في المخابرات أو يعمل لصالح شخص آخر. ونتيجة لذلك، ارسل جهاز الشاباك يطلب مراقبة الرجل.

كان أول أمر في مهمتي هو اختلاق سبب للقاء الرجل. لماذا لا يكون فيلم سينما مرة أخرى؟ بعد حجز غرفة في فندق كارلتون، مقابل المارينا في شارع هاياركون في تل ابيب، ذهبت إلى نصب تذكاري قرب المكان الذي كانت قوات الجنرال البريطاني اللنبي قد عبرت نهر ياركون خلال

الحرب العالمية الأولى، منهية اربعة قرون من الحكم العثماني للاراضي المقـدسة. وحيث انني اتذكر تواريخ المعارك واسماء الألوية التي حاربت فيها، توجهت الى مقبرة بريطانية كبيرة أخرى خارج حيفا، ابحث عن شواهد القبور إلى أن وجدت شاهداً يحمل اسم جندي (ماكفي) وكان قد حارب ومات في ذلك الوقت.

بظهوري كرجل كندي من تورنتو، أحمل معي كامل الوثائق، قلت انني أريد ان أخرج فيلماً عن أسرة رحلت من لندن إلى كندا، لكنها فقدت أحد أفرادها الذي مات في الحرب لتحريـر الارض المقدسة. اتصلت أولاً بالمكتب في الرملة ورويت القصة لامرأة عربية مسيحية هناك، فأعطتني رقم هاتف الشخص المطلوب في السفارة، لذلك اتصلت به، وأخبرته بالقصة، وأعطيته اسم ماكفي (قائلاً انني لا أعرف مكان دفنه) وقلت انني أقيم في فندق كارلتون، وأريد الاجتماع معه.. لم تكن هنالك أية مشكلة.

جاء البريطاني مع رجلٍ آخر، وتحدثنا ثلاثتنا ساعتين ونصف الساعة، وكان الدبلوماسي خبيراً بالمناظر الطبيعية ومتلهفاً لمساعدتي. وجاء بالاسم والاتجاهات الصحيحة لمعرفة مكان القبر. وكان قد افترض ان كل شيء قانوني بل بدأنا مناقشة استئجاره لوضع مشاهد المعركة الكبيرة التي يفترض انني كنت أريد تصويرها. قلت له انني سأغادر قريباً، لكنني سأتصل به خلال شهر. كانت تعليماتي بألا اتجاوز الاتصال وفتح باب.

كانت مهمتي الثانية الاتصال برجل في القدس الشرقية له محل لبيع الأشياء التذكارية في شارع صلاح الدين، تجولت في المنطقة، والتقطت صوراً بآلة تصوير مخفية، وأصبحت صديقاً حقيقياً للرجل، وهو من رجال منظمة التحرير الفلسطينية، لذلك السبب كانوا يريدون معرفة المزيد عنه.

في مهمة أخرى، أخذني آيتسيك إلى بناية ذات شقق في تل ابيب وقال ان هنالك رجلاً في شقة الدور الثالث، عنده ضيف، وان أمامي عشرين دقيقة لاجراء محادثة مع الضيف.

قلت: انها تحتاج الى حيلة.

قال آيتسيك: كيف؟

قلت: توسّخ أمام غرفة الرجل، تطرق على بابه وتطلب ورق تنظيف.

ذهبت إلى دكان قريب واشتريت زجاجتين من خمر موتون كاديت، دخلت إلى البناية وقرأت الأسماء على اللوحة، ضغطت على أحد الازرار وقلت ان لدي لفّة اريد أن اسلمها لامرأة.

قال الصوت: ربما تبحث عن دنيا؟

سألت: هل دنيا متزوجة؟

جاء الردّ: لا.

ضغطت على جرس شقة دنيا، ومن حسن الحظ أنها لم تكن في البيت. دخلت البناية وبدأت أصعد السلالم، كانت واحدة من تلك البنايات التي تمر فيها على كل باب في طريق صعودك. عندما وصلت إلى الدور الثالث، حيث كان هدفاي، أخرجت واحدة من زجاجتي الخمر، رفعتها ثم اسقطتها على الأرض فأحدث ارتطامها صوتاً عالياً أمام الشقة المعنية، ثم قرعت الباب.

عندما فتح الباب قلت: انني متأسف جداً. صعدت لمقابلة دنيا لكنها لم تكن موجودة. وقد سقطت هذه الزجاجة، هل لديكم شيء أنظف به الأرض؟

ساعدني الرجل وضيفه. اقترحت ان نشترك في شرب الزجاجة الأخرى. ومكثت هناك ساعتين وأنا أسعى لمعرفة تاريخ حياة كل منهما. وأنجزت المهمة.

في ذلك الوقت كان الفريق في الشقة في حيفا يركز على قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، وبخاصة الكنديين. فقد كان الكنديون هدفاً كبيراً. كانوا ودّيين، ومالوا لأن يكونوا طيبين وقد شعروا في اسرائيل كما لو أنهم في بلد غربي، لذلك كانوا مرتاحين جداً، أكثر من وضعهم في بلد عربي. واعني بذلك إذا كنت تريد المتعة فأين تذهب، إلى دمشق؟

كان هنالك عدة مراسلين كنديين ينقلون الرسائل والرزم عبر الحدود العربية الاسرائيلية. وقد شمل تدريبان اختراق مراكز الشرطة، احدهما في مقرّ مادور في شارع ديزنغوف في تل ابيب والثاني في رئاسة الشرطة التحقيقية الخاصة في القدس. وكان رجل اسمه زيغل يرأس هناك وحدة تحقيق خاصة مزيفة، وكانت احدى القضايا التي يعمل عليها في ذلك الوقت تسمى «ملف الدراق».

عندما اقتحمنا المقر، احضرنا «خبيراً في المقابض» أخبرنا عن الملفات التي يجب أن نأخذها. وقد تبين أن «ملف الدراق» تحقيق يشمل وزيراً متديناً مخضرماً اسمه يوسف بورغ، وهو أحد أقدم اعضاء البرلمان في اسرائيل، وقد تواجد بورغ لفترة طويلة حتى اننا اعتدنا على رواية نكتة عن ثلاثة رجال آثار، اميركي وبريطاني واسرائيلي، عثروا على مومياء مصرية عمرها ثلاثة آلاف سنة، عندما فتحوا القبر، نهضت المومياء وقالت للاميركي: من أين أنت؟

ـ من أميركا، انها بلد عظيم عبر المحيطات، أقوى بلد في العالم.

قالت المومياء: انني لم أسمع بها.

والتفتت إلى عالم الآثار البريطاني وتكرر معه ما كان مع الاميركي.

وأخيراً التفتت الى الاسرائيلي وقالت: من أين أنت؟

قال: من أسرائيل.

قالت: آه.. نعم. لقد سمعت بها، بالمناسبة، هل ما زال بورغ وزيراً؟

لا أعرف ما كان في الملف، أو حول ماذا دار التحقيق. لكنني اعرف أنه تم أخذ ملف الدراق بعد طلب من مكتب رئيس الوزراء، وقد انهار التحقيق كله لعدم وجود الوثائق. ولم يكن مهماً فيما اذا كان بيغن أو بيريز أو شامير.

فعندما تحصل على اداة تستطيع استخدامها فانك ستستخدمها، وكانت الموساد تفعل ذلك دائماً.

بينما لم يفعل صغار ضباط التجنيد إلا بضعة تدريبات من ذلك النوع، فإن الرجال الذين كانوا يتدربون على جمع المعلومات كانوا يفعلون ذلك بشكل منتظم. فعندما تريد تدريباً ضد مكان مأمون، تختار واحداً، ومركز الشرطة مكان مأمون.

لقد انزعجت من هذه الممارسة وسألت لماذا تفعل مثل هذه الأشياء مع أنها ضد أنظمتنا فقد كان يفترض أن نعمل خارج البلاد وليس داخلها.

أجاب اورين ريف، الذي اعتقدت أنه صديق: «عندما تبحث عن شيء، فانك لا تبحث في النور وإنما عن المكان الذي ضاع فيه». وكان بذلك يشير الى قصة الرجل الذي فقد شيئاً في الظلام لكنه أخذ يبحث عنه في النور وعندما سئل لماذا يبحث هناك بدلاً من البحث في المكان الذي فقد فيه ذلك الشيء قال انه لا يستطيع ان يرى في الظلام لكنه يستطيع ان يرى في النور.

قال ريف: من الأفضل ان تغلق فمك وتقوم بعملك لأن هذا ليس-شغلك.

ثم روى لي ريف قصة الرجل الذي جاء من الصحراء وكان يقف على سكة الحديد، سمع صفارة قطار قادم لكنه لم يعرف ما يعني ذلك، وبشكل تدريجي استطاع ان يرى هذا الشيء الضخم يقترب منه لكنه لم يكن يعرف ما هو القطار فظل في مكانه حتى ضربه القطار، لكنه لم يمت، وبعد اقامة طويلة في المستشفى، أخذ الى البيت وأقام له أصدقاؤه حفلة. ووضع أحدهم ابريقاً ليعدّ الشاي، وعندما سمع الرجل صفارة الابريق والماء يغلي قفز من مكانه وامسك بفأس وركض الى المطبخ وحطم الابريق، وعندما سئل لماذا فعل ذلك قال: اسمحوا لي أن أقول لكم بأن عليكم ان تقتلوا هذه الأشياء وهي صغيرة.

ثم قال لي اورين: استمع لي الآن، توقف عن الصفير الآن. تستطيع ان تصفّر عندما تصبح اكبر من الأشخاص الذين تصفّر عنهم.

غضبت وقلت: الحس قفاي! وخرجت من المكتب. اعتقدت انني على صواب، وعندما كنت اتحدث مع الآخرين في المكتب، وهم صغار المكانة مثلي، كانوا جميعاً يتفقون معي. لكن لم

يشأ أي منهم ان يفتح فمه لأن كلا منهم مرشح للذهاب إلى الخارج وكان هذا كل ما يحرصون عليه. وبذلك النوع من المواقف تصاب بخيبة الأمل ولا تستطيع أن تهيء النجاح للأمور.

* * *

عندما أنهينا الدورة في منتصف تشرين الثاني ١٩٨٥ وأصبحنا في آخر المطاف ضباط تجنيد - واستمرت الدورة ثلاث سنوات - كان الجو بالغ السوء حتى اننا لم نقم حفلة، ولم يتخرج أوديد لكنه أصبح خبير اتصالات للمكتب في اوروبا. كما ان افيغدور لم يتخرج، فقد تمت إعارته كرجل ضارب، من خلال مايك هاراري، لبعض الجهات في اميركا الجنوبية. وذهب ميشيل الى بلجيكا، وذهب أغاسي وي. ليكون ضابط اتصال في القاهرة. وذهب جيري إلى خارج البلاد ليعمل مع اراليه شيرف. وكان آخر ما سمعت منه أنه يخطط لبدء عملية في اليمن ليرى فيما إذا كان يستطيع احضار بعض اليهود الى إسرائيل. وتم تعييننا أنا وحاييم ويوسي في المركز الاسرائيلي.

لقد حققت نتائج جيدة في الدورة، لكنني كوّنت بعض الأعداء الأقوياء. فقد وصفني افرايم هالفي، رئيس الاتصال، مثلاً بأنني «مزعج جداً».

ومع هذا فقد كان من المقرر أن أذهب إلى بلجيكا، وهو شرف كبير لشخص مبتدىء، لالتحق بالفريق الهجومي لضباط التجنيد. وقد أدى ذلك إلى مضايقة آيتسيك، وبعد كل ذلك، لم يكن هنالك الكثير من المجالات، فعندما اذهب، لا بدّ أن أظل هناك لمدة ثلاث إلى خمس سنوات.

في ذلك الوقت كنت في فريق المتنقلين، تحت ادارة ران، الى ان كان عليه ان يذهب الى مصر في مهمة تجنيدية، فقد عرض التلفزيون المصري فيلماً ناقداً للموساد بعنوان «الرجل ذو العينين المثيرتين»، ويحتوي على قدر كبير من المعلومات الداخلية، لكن بدلاً من أن يثير الفيلم الناس فإنه ادى الى تدفق المتطوعين على السفارة ممن يرغبون في العمل مع الموساد.

بعد اسبوعين من انضمامي الى المركز في اسرائيل، طلب مني نقل رزمة كانت قد وصلت على طائرة العال من الشرق الاقصى الى عنوان في بنها، وفره مايك هاراري. توجهت بسيارة سوبارو لاحضار الرزمة لكن عندما وصلت إلى المطار، اندهشت حين رأيت رزمة ضخمة ٦,٥ × ١٠ × ٥ أقدام ملفوفة بالبلاستيك، مع كثير من الرزم الصغيرة داخلها - وهي اكبر من أن تتسع لها السيارة، لذلك طلبت شاحنة لنقلها الى المكتب لاعادة تغليفها وارسالها الى بنها.

سألت آمي ياعار عن محتويات الرزم.

- ليس شغلك! ما عليك إلا أن تتدبّر أمرها.

في المطار لم تكن الرزمة محملة على طائرة بنمية كما قيل لي، وإنما على طائرة تابعة لسلاح الجو

الاسرائيلي، فقلت لا بدّ أن هنالك غلطة فقالوا: لا . . لا . . ان الطائرة معارة لبنها.

كانت طائرة نقل من طراز هيركوليس، وعندما عدت الى المكتب شكوت، وعرفت ما كانوا يرسلونه، فلم أكن ذلك الغبيّ، لم نكن وسطاء للاسلحة من الشرق الأقصى، ولم تكن الشحنة سوى مخدرات فتساءلت لماذا تستخدم طائرة اسرائيلية فقيل لي ان الشخص الذي يدير سلاح الجو البنمي هو هاراري، فما المشكلة في ذلك؟

لقد سمعوني وانا أتحدث على الغداء وفي المكتب، أشكو من السبب الذي يجعلنا نساند هاراري في هذا النوع من النشاط. كان هنالك نظام صندوق الشكاوي داخل المكتب حيث تستطيع إرسال الشكوى بالكمبيوتر فتذهب الشكوى الى الامن الداخلي. شكوت رسمياً، فالمشكلة مع النظام انه اذا قدمت شكوى فإن كبار المسؤولين يستطيعون الوصول اليها لذلك يستطيع هاراري أن يعرف بالأمر.

لقد كانت القشة التي قصمت ظهر البعير فقد أصاب تصرفي نقطة ضعيفة مع هاراري لذلك لم يحبّني من البداية لأن لنا تاريخاً.

* * *

في ذلك الوقت، انكشفت قضية ادت الى ارسالي الى قبرص. ولم يكن من المفروض ان اذهب لكن ايتسيك اراد ذلك. وقد دهشت لانه اراد ان اذهب الى الخارج وانا هائج.

كانت مهمتي أن امثل دور الوسيط في عملية كانت قائمة فعلاً، لم أكن اعرف عن التفاصيل سوى القليل، لكن كان من المفروض ان التقي برجل واقيم جهازاً يستطيع بموجبه ان يتلقى معدات التفجير المجمعة في اوروبا، لم أكن أعرف حتى اسم العميل، كان اوروبيا يتصل في قبرص مع منظمة التحرير الفلسطينية ويعقد صفقات الاسلحة في ذلك الوقت، وكانت الفكرة معرفة اسرار كل ذلك الامر. كان الذين يشترون من الرجل تجار اسلحة، وقد تصورنا انه اذا اصطدناهم فأنهم سيعتقدون أن فئات من منظمة التحرير الفلسطينية قد أبلغت عنهم.

كان علي ان اتأكد من ان الرجال المعنيين سيأتون الى مكان اجتماع معيّن في بروكسل لاستلام البضاعة. وكان يفترض ارسال الصفقة الى بروكسل لأن المتفجرات كانت قد ارسلت من مقر الموساد في تل ابيب الى مقارّ اوروبية في بروكسل عن طريق الحقيبة الدبلوماسية. وبسبب مكانة بروكسل فان حقيبتها الدبلوماسية تكون كبيرة جدا في اغلب الاحيان.

كان المشترون تجار معدّات من بلجيكا وهولنداو كانت الفكرة ضبطهم واجراء تحقيق من قبل الشرطة في بلادهم، ونيل عقابهم هناك، ومن الطبيعي ان الشرطة كانت تريد الدليل. وكان الموساد، غير المعروف للشرطة، يقدم الدليل.

كان جزء من الخطة استخدام ميشيل بسبب لغته الفرنسية الجيدة، للاتصال هاتفيا مع

الشرطة بشكل متقطع على فترات من الزمن، تصل الى موعد وصول الشحنات.

كنت اقيم في فندق صن هول المطلّ على المرفأ في لارنكا، وكان يجب تحويل المعدات الى بلجيكا ووضعها في سيارة، وكان لدي مجموعة من المفاتيح لاعطائها لواحد من الرجال في قبرص، واخبرهم بانه سيتم اشعارهم بالموعد الاكيد لاخذ السيارة وقد ارادوا أن يلتقوا بي في فندق بترفلاي هِل لكنني صممت على تسليم المفاتيح في فندقي.

ضبطت الشرطة البلجيكية الرجال عندما كانوا يقتربون من السيارة بمن فيهم الرجل الذي اعطيته المفاتيح في الثاني من شباط ١٩٨٦. وصودرت اكثر من ٢٠٠ باوند من المتفجرات و ٢٠٠ أو ٣٠٠ من فتائل التفجير.

بعد ذلك كنت مستعدا للعودة الى البلاد، ولم أدرك أنه تم ارسالي الى قبرص لهدف آخر، كجزء من عملية مألوفة في العمل مع كمبيوتر المكتب.

كانت اوامري الجديدة أن اظل في الفندق وانتظر مكالمة هاتفية من عميل موساد كان يراقب المطار في طرابلس، ليبيا، وكانت الرسالة السحرية: خرجت الدجاجات من القنّ.

كان من المفروض عندما أتلقى هذه الرسالة أن أبث على جهاز الارسال، كل خمس عشرة ثانية عبارة: خرجت الدجاجات من القنّ. وكان يفترض ان تلتقط هذه الرسالة بواسطة زورق صواريخ قريب وتمرّر الى سلاح الجو الاسرائيلي الذي كون له طائرات في الجو تنتظر لاجبار طائرة ليبية للهبوط في اسرائيل.

وكانت «الدجاجات» المعنية بعض أشد ارهابيي منظمة التحرير الفلسطينية في العالم، خاصة ابو خالد العملة، ابو علي مصطفى، عبد الفتاح غانم وعربي عواد وأحمد جبريل من الجبهة الشعبية /القيادة العامة. وكان جبريل قد نظم اختطاف السفينة اكيلي لاورو وكان الشخص الذي اقلق العقيد الامريكي اوليفر نورث حتى انه اشترى نظاما جهازاً مكلفا لحراسة بيته.

كان الرئيس الليبي معمر القذافي قد دعا الى اجتماع لثلاثة ايام في طرابلس يحضره ما تسمى بالقيادة الموحدة للقوى الثورية في العالم العربي، بحضور ممثلين عن ٢٢ منظمة فلسطينية وعربية في معقله، ثكنات باب العزيزه، وكان القذافي يردّ على المناورات البحرية الامريكية مقابل السواحل الليبية، ووافق الممثلون على تشكيل فرق انتحارية للقيام بهجمات فدائية ضد اهداف امريكية في امريكا واماكن اخرى اذا تجرأت الولايات المتحدة على شن عدوان على ليبيا أو أي بلد عربي آخر.

ومن الطبيعي أن يكون الموساد يراقب الحدث، وطبيعي ايضا ان الفلسطينيين كانوا يفترضون ذلك، لذلك تسرب الخبر بان كبار مسؤولي منظمة التحرير الفلسطينية خططوا للرحيل

مبكرين على طائرتهم والطيران فوق الساحل الجنوب الشرقي لقبرص الى دمشق وكان للموساد عميلان لم يكن أحدهما يعرف الاخر، وهو امر طبيعي جدا ـ ينتظران على خط الهاتف، كان احدهما يراقب المطار وكان يفترض ان يرى الرجال يركبون الطائرة ويقلعون، ثم يخبر العميل الاخر الذي يقوم بدوره باخباري هاتفيا. واقوم بنقل الرسالة عبر جهاز الارسال الى زورق الصواريخ.

كنت قد دخلت الى قبرص تحت اسم جاسون بيرتون، وقد نقلني قارب اسرائيلي الى نصف الطريق ثم التقطني يخت خاص من الميناء، وتم ختم تأشيرة دخولي كما لو كنت قدمت عن طريق المطار.

كان الجو بارداً وعاصفا ولم يكن هناك سواح كثيرون. ومع هذا كان هناك عدد من الفلسطينيين يقيمون في فندقي. . بعد ان انهيت مهمتي الاولى وكنت انتظر المكالمة الهاتفية، لم يكن لدي الكثير لأفعله. كنت استطيع أن اغادر غرفتي لكن ليس الفندق. لذلك قلت للاستعلامات أن يمرروا أية مكالمة الى مكان وجودي في الفندق.

كان مساء الثالث من شباط ١٩٨٦ عندما لاحظت الرجل في الفندق، كان حسن الزيّ، يضع نظارة ذات اطار ذهبي، وبيده اليمنى ثلاثة خواتم كبيرة. وكان له لحية صغيرة مشذّبة وشاربان، وبدا في الخامسة والاربعين. كان شعره قد بدأ يبيّض، وكان يلبس حذاءا جلديا باهظ الثمن وبدلة صوفية حسنة الخياطة من نوعية ممتازة.

كان يجلس في الردهة ينظر الى مجلة عربية لكنني استطعت ان أرى مجلة بلاي بوي مخبأة في تلك المجلة العربية، فعرفت انه عربي واستطعت أن المس بانه هام، وفكرت، لا شيء آخر اعمله لذلك قمت بالاتصال.

كان الاتصال مباشرا وببساطة مشيت نحوه وقلت بالانجليزية: هل لديك مانع ان اتفرّج على الطيّة الوسطى؟

أجاب بانجليزية ذات لكنة ثقيلة: عفوا؟

الفتاة التي في الوسط.

ضحك، ثم أراها لي. قدمت نفسي على انني رجل أعمال بريطاني قضى معظم حياته في كندا. ودار بيننا حديث ودي جدا وبعد قليل قررنا ان نتناول العشاء معاً. كان الرجل فلسطينيا يعيش في عمان، وكان، «مثلي ينتحل شخصية رجل» يعمل في مجال الاستيراد والتصدير. كان يحبّ الشرب، لذلك ذهبنا بعد العشاء الى البار حيث بدأنا نسكر.

في تلك الاثناء أعربت عن تعاطفي الشديد مع القضية الفلسطينية، بل انني ذكرت فقدان

مبلغ كبير في شحنة لبيروت بسبب الحرب، وقلت: اولئك الاسرائيليون الدمويون.

ظل الرجل يتحدث عن الصفقات التجارية التي كان يعقدها في ليبيا وفي آخر المطاف، ونتيجة للاسراف في الشراب ووديتي الواضحة، قال: «اننا سنجعل الاسرائيليين يأكلون البراز غدا»!!

عظيم! عظيم.. كيف ستفعلون ذلك؟

لقد سمعنا من أحد المصادر أن اسرائيل تتابع هذا الاجتماع لمنظمة التحرير الفلسطينية مع القذافي، سوف نقوم بخدعة في المطار، فالاسرائيليون يعتقدون ان كبار رجال المنظمة سيركبون معاً في طائرة ـ لكنهم لن يفعلوا.

بذلت ما في وسعي حتى اظل هادئا، فلم يكن يفترض بي ان اباد بالاتصال لكن كان علي أن أفعل شيئا. واخيرا، وعند حوالي الواحدة صباحا تركت «صديقي» وعدت إلى غرفتي لاتصل برقم طوارىء، وطلبت ايتسيك.

ـ لا يمكن الوصول اليه. انه مشغول.

ـ لا بد من ان اتحدث معه. انها حالة طارئة. سوف اتحدث مع رئيس دائرتي.

ـ متأسف. انه مشغول ايضا.

قدمت نفسي على انني واحد من عناصر تجنيد العملاء بذكر اسمي الحركي، لكنهم لم يوصلوني الى هدفي لذلك اتصلت مع اراليه شيرف في البيت لكنه لم يكن هناك ثم اتصلت بصديق في المخابرات البحرية وطلبت ايصالي من خلاله بمكان وجود كل رؤسائه، وهي غرفة حرب اقامتها الوحدة ٨٢٠٠ في قاعدة جوية في الجليل.

وردّ إيتسيك على الهاتف وسأل: لماذا تتصل بي هنا؟

قلت: اسمع، ان كل القصة خدعة، فاولئك الرجال لن يكونوا على الطائرة.

ـ كيف عرفت؟

رويت له القصة لكن إيتسيك قال: ان هذا يبدو مثل حرب نفسية ـ وعلاوة على ذلك لم يكن مسموحا لك باجراء اتصال.

قلت: هذا الوقت ليس مناسباً للوم.. انه شيء مضحك. وأخذنا يهاجم احدنا الاخر.

قال: اسمع. اننا نعرف ما يجب عمله. ما عليك الا ان تقوم بمهمتك، هل تذكر ما يجب أن تفعله؟

ـ نعم. لكن من أجل التاريخ اريد منك ان تعرف ما قلت.

ـ حسنا. قم بعملك.

لم أنم طوال الليلة. لكن عند ظهر اليوم التالي، جاءت الرسالة أخيرا: طارت الفراخ من القنّ.

من سوء الحظ الموساد أنهم لم يغادروا،لذلك مررت الرسالة، وغادرت الفندق على الفور. وتوجهت الى الميناء، وركبت اليخت الخاص، وتم اخذي الى قارب جاهز لرحلة العودة الى اسرائيل.

في ذلك اليوم، الرابع من شباط، أجبر الاسرائيليون الطائرة الخاصة على الهبوط في قاعدة رامات دافيد الجوية التابعة لسلاح الجو قرب حيفا، لكن بدلاً من ان يجدوا كبار رجال منظمة التحرير الفلسطينية فانهم وجدوا أن المسافرين التسعة كانون مسؤولين لبنانيين وسوريين صغارا، وهي مضايقة دولية كبيرة للموساد واسرائيل. وبعد اربع ساعات سمحوا للركاب بالمغادرة لكن ليس قبل أن يعقد جبريل مؤتمرا صحفيا أعلن فيه: أخبروا العالم الا يسافروا في طائرات امريكية او اسرائيلية، ومن الآن فصاعدا لن نحترم المدنيين الذين يسافرون على متن هذه الطائرات.

في دمشق، طالب وزير الخارجية السوري فاروق الشرع باجتماع طارىء لمجلس الامن، وعقد في ذلك الاسبوع، لكن الولايات المتحدة صوتت ضد قرار يدين اسرائيل.

وفي سورية ايضا قال حكمت الشهابي رئيس هيئة اركان الجيش: اننا سنردّ على هذه الجريمة بتلقين الذين فعلوها درساً لن ينسوه. سوف نختار الطريقة والوقت والمكان.

ثم اعلن القذافي أنه امر سلاحه الجوي باعتراض الطائرات المدنية الاسرائيلية فوق البحر الابيض المتوسط واجبارها على الهبوط في ليبيا وتفتيشها بحثاً عن «إرهابيين اسرائيليين»، كما لامت ليبيا الاسطول السادس الامريكي على مشاركته في العملية.

قال رئيس الوزراء شمعون بيريز المنزعج، أمام لجنة الشؤون الخارجية والدفاع، التابعة للكنيست، انه بسبب وجود معلومات بان على الطائرة فلسطينيا رفيع المستوى «فقد قررنا أن نتأكد فيما اذا كان على الطائرة وكانت طبيعة المعلومات قوية الى حدّ انها اعطتنا اساساً راسخاً لقرارنا باعتراض الطائرة وتبين انها غلطة».

قال وزير الدفاع اسحق رابين: اننا لم نجد ما أملنا في وجوده.

بينما كان كل هذا يجري كنت ما ازال على القارب متوجهاً الى البلاد، وعلمت أن مسؤولي الموساد كانوا يلومونني على الورطة، وحتى يفلحوا فلن اكون هناك للدفاع عن نفسي فقد تلقى قبطان القارب، وهو شخص أعرفه منذ أيام في البحرية، تلقى أمرا بخلق «مشكلة للمحرك» على بعد حوالي أحد عشر ميلا من حيفا.

عندما توقف القارب. كنت اشرب القهوة فسألت القبطان ماذا يفعل. فقال: لقد تم اشعاري بان هنالك مشكلة في المحرك.

بقينا هناك لمدة يومين، لم يكن مسموحا لي باستعمال الاتصالات اللاسلكية، وفي الحقيقة كان القبطان آمر اسطول صغير من أحد عشر قارباً لكن تم ارساله خصيصاً لهذه المهمة، واعتقد أنهم ظنوا بانه يمكن لي أن اخيف شخصا شابا.

وهذا القبطان لا يخاف كثيرا. فقد اشتهر قبل سنوات في ليلة كثيرة الضباب عندما رأى «ظرباناً امريكيا» على شاشة راداره وبدا ان جهاز الارسال لا يعمل بشكل مناسب، فهو يرسل ولا يستقبل، ومع اقتراب الظل، حذّر عبر جهازه: توقف والا سأطلق النار.

وبينما كان مستعدا لإطلاق النار من المدفع الصغير المضاد للطائرات الموجود على مقدمة قاربه، ظهرت حاملة الطائرات العملاقة نيميتز وسلطات انوارها القوية عليه، وكان مستعدا لاطلاق النار، وكانت المرساة على الحاملة نيميتز اكبر من قاربه، وقد اعتاد الناس على الضحك من ذلك.

لم يكن أحد يضحك من مشكلة الاعتراض المحرجة، فيما عدا العرب والفلسطينيين، وعندما سمح لي بالعودة الى الشاطىء قال لي اورين ريف: لقد اسأت العمل هذه المرة.

بدأت اشرح له ما حدث، لكنه قال: لا أريد سماع ذلك.

وواصلت احاول الحديث مع ناحوم ادموني، رئيس الموساد، لكنه لم يرغب في التحدث معي. ثم قال رئيس جهاز الموظفين، اميرام ارنون أنهم يريدونني ان اترك العمل ونصحني بالاستقالة، قلت بانني لن استقيل، فقال ارنون: حسنا، سوف تلقى نصيبك!

ذهبت الى ريف وقلت انني ما زلت ارغب في الحديث مع ادموني، قال ريف: انه لا يريد التحدث معك ولا يريدك ان توقفه في الممرات أو عند المصعد. واذا حاولت ايقافه خارج المبنى فأنه سيعتبر ذلك هجوما شخصياً مما يعني أن حراسه قد يطلقون النار.

تحدثت مع شيرف لكنه لم يكن بامكانه أن يفعل اي شيء.

قلت: لكن هذا أمر مدبّر.

وهكذا تركت العمل، في الاسبوع الاخير من آذار ١٩٨٦، في اليوم التالي اتصل احد اصدقائي من البحرية ليسأل لماذا تم أخذ ملفي من المكان الخاص لحفظ الملفات حتى لا يتم استدعاء ضباط الموساد للاحتياط. (معظم الناس في اسرائيل يخدمون ٣٠ أو ٦٠ أو ٩٠ يوما في السنة في جهاز الاحتياط، ويشمل ذلك النساء غير المتزوجات وجميع الرجال دون سن ٥٥، وكلما ارتفعت وظيفة الشخص كلما طالت خدمته).

والمألوف انك اذا تركت الموساد فان ملفك يعاد الى ملف الاحتياط النظاميين، لكن مع أمر بعدم تكليف هذا الشخص بنشاطات على الجبهة، وذلك لأنهم يعرفون الكثير. لذلك تساءل صديقي غير الواعي للمشكلات الداخلية، لماذا تم نقل ملفيّ وافترض ان هنالك شيئا طلبته لأن نقل الملف يتم عادة بعد خمسة او ستة شهور من ترك الموساد. والاسوأ من ذلك ان الملف يضم طلبا لنقلي الى حلقة الاتصال مع جيش لبنان الجنوبي، وهو امر يعادل عقوبة الموت بحق رجل موساد سابق.

تخيلت أن هذا الامر يتجاوز الحدود، لذلك تحدثت مع بللا، وحزمت اشيائي وطرت الى لندن ثم الى نيويورك، وبعد يومين هناك طرت لأرى والدي في اوماها.

بعد يومين من رحيلي تم ايصال أمر تجنيد الى بيتي في تل ابيب، والعادة ان تأخذ تلك العملية ستين يوما، مع ثلاثين يوما اخرى لاعداد نفسك.

تقبّلت بللا الامر، لكن، في اليوم التالي بدأ جرس الهاتف يرنّ، حيث كان المسؤولون يطالبون بمعرفة مكاني، ولماذا لم التحق بالخدمة بعد، فقالت انني خارج البلاد.

قال المسؤول: كيف حدث ذلك؟ انه لم يحصل على تسريح من الجيش؟

لكن الحقيقة أنني حصلت على ذلك، لكن ليس من الجيش فقد سرّحت نفسي بنفسي، وختمت التسريح ثم طرت من القنّ!

ذهبت الى واشنطن لبضعة أيام، في محاولة للاتصال بارتباط الموساد، لكنني لم أنجح، فلم استطع أن امسك أحداً على الخط، ولم أشأ أن أقول عن مكان وجودي. ثم طارت بللا الى واشنطن بينما طارت ابنتانا الى مونتريال، واخيرا استقرينا في اوتاوا.

لست متاكدا من ان كل مشكلتي هي التحدث فقط، لا بدّ انهم استخدموني ككبش فداء وتخلّوا عني، ان هذه احدى المشكلات.

لكن هل تذكرون ذلك الفلسطيني الذي التقيت به في قبرص واخبرني عن الخدعة؟ لقد قال أشياء أخرى اكثر إثارة للصدمة، قال ان له صديقين يتحدثان العبرية كالاسرائيليين، وهما عربيان نشآ في سرائيل وكانا يؤسسان شركة أمنية في اوروبا كما لو كانا رجلي أمن اسرائيليين ويجندان الاسرائيليين للمساعدة في كتابة أدلّة حول كيفية تدريب الجماعات السرية. وكان كل ذلك خدعة فكان كل ما يفعلانه هو الحصول على المعلومات ـ جعل الاسرائيليين يتحدثون بطلاقة كما يفعلون حين لا يكون احد حولهم. وعندما ذكرت هذا أمام عدة اشخاص في المكتب قالوا بانني مجنون، وان ذلك غير ممكن وانه لا يمكن التحدث عنه لأنه سيثير الخراب، تساءلت عن موقفهم وقلت ينبغي تحذير الناس لكنهم ظلّوا على عنادهم.

ربما انفتح الفلسطيني علي لانه كان يعرف اننا في آخر الليلة التي سبقت العملية، كنا في بار أحد الفنادق في لارنكا، وماذا كان يمكنني ان افعل؟ وعلى سبيل الصدفة رأى العميل في طرابلس كبار رجال منظمة التحرير الفلسطينية وهم يركبون الطائرة الخاصة لكنهم لم يرهم وهم ينزلون حيث تم افراغ الطائرة خلف عنبر يؤدي الى نقطة اقلاعها.

كان عليهم أن يسمحوا لي بمتابعة عملية كاملة مع ذلك العربي، فمن الواضح انه كان يعرف اشياء كثيرة، لكن لم تواتني الفرصة فلو كان هذا وضعا طبيعيا، طالما انني ضابط تجنيد عملاء، بعد مكالمتي الهاتفية، كان يجب ألا يسمحوا بتدخل المعلومات الشخصية. كان يمكن أن نوفر على انفسنا بعض المضايقة. بل كان يمكننا ان نوجه للطرف الاخر خدعة مزدوجة.

كان لا بد ان ندرك ذلك، فهؤلاء هم الرجال الذين كانوا خائفين جدا منا، لكننا اعتقدنا ان خمسة منهم سيركبون معا، فهؤلاء الرجال هم الذين كانوا عادة يختبئون تحت الصخور، كانوا متطورين وذوي خبرة، وكان يجب ان نعرف انها خدعة فلم يكن جهاز الموساد في حاجة الى وسيط في قبرص حتى يمرّر رسالة، وكان ما يحتاج اليه هو كبش فداء، وهذا ما حدث معي.

لقد بدأت مشكلاتي عندما كنت طالبا في الكلية العسكرية وقد أمل المدرسون في أن أكبر واتأقلم مع النظام، كنت جيدا في العمل وقد استغلوني أحسن استغلال. لم يكن أحد ضدي لذلك احتجت الى بعض الوقت لأصل الى المرحلة التي تقرر عندها بانني متعب اكثر من اللازم، ومن المحتمل ان تكون مشكلاتي مع جيري هي التي ادت بالامور الى ذروتها ومن الواضح انه كان يستند الى شخصية متنفذة تدعمه، وتعمل ضدّي!

من الواضح ان جهاز الموساد لا يقدر الناس الذي يتساءلون حول النظام، او حول الذين يديرونه، فهو يفضل الاشخاص الذين يطيعونه على حاله، بل يستغلونه لمصلحتهم، ولا أحد يكترث طالما أنهم لا ينسفون السفينة.

ومع هذا تعلمت الكثير خلال فترة تدريبي المكثف وحرفتي القصيرة كضابط تجنيد عملاء حتى صرت احتفظ بمذكرات واجمع المعلومات المكثفة عن عدة عمليات موساد.

لقد كان يتم تعليم كثير من دورات التدريب على يد الذين كانوا قد قاموا بعمليات موساد متعددة، وقد درس المتدربون هذه العمليات بتفصيل دقيق، واعادوا تمثيلها، وتلقوا شرحاً لكل أمر بالتفصيل، وعلاوة على ذلك فان وصولي السهل الى كمبيوتر الموساد سمح لي بتكوين معارف كثيرة عن التنظيم ونشاطاته، والآن ستقرأ الكثير عنها، وستعرف الكثير عنها لأول مرة.

الفصل التاسع

ستريلا

في الثامن والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧١، قام أربعة رجال باغتيال رئيس الوزراء الاردني وصفي التل بينما كان يدخل فندق شيراتون القاهرة، وكان التل أول هدف لمجموعة ارهابية من الفلسطينيين تسمى بالعربية ايلول الأسود.

وقد قامت هذه المنظمة الأكثر تطرفاً ودموية بعد اغتيال التل بقتل خمسة اردنيين يعيشون في المانيا الغربية اتهموهم بالتجسس لاسرائيل. وحاول أفرادها اغتيال سفير الاردن في لندن وفجروا المتفجرات في أحد مصانع هامبورغ الذي يصنع أجزاء الكترونية لبيعها لاسرائيل، وفي مصفاة في تريستي قالوا بأنها تكرر النفط «للمصالح الموالية لاسرائيل» في المانيا والنمسا.

في الثامن من أيار ١٩٧٢، استولى فريق من رجلين وامرأتين على طائرة لخطوط سابينا على متنها ٩٠ راكباً و ١٠ بحارة، في مطار اللد الدولي في تل ابيب، في محاولة للضغط من أجل الافراج عن ١١٧ فدائياً مسجونين في اسرائيل. وفي اليوم التالي قتل الفدائيان على يد الكوماندو الاسرائيليين وتم اعتقال المرأتين وحكم عليهما بالسجن مدى الحياة. وفي الثلاثين من أيار قام ثلاثة راديكاليين يابانيين بفتح النار في مطار اللد، وقتلوا ٢٦ سائحاً وجرحوا ٨٥ آخرين.

وفي الخامس من أيلول ١٩٧٢ وفي ذروة الاوليمبياد العشرين في ميونيخ اقتحمت مجموعة من أيلول الأسود المقر الاسرائيلي في القرية الأوليمبية، فقتلوا ١١ رياضياً ومدرباً اسرائيلياً وقد تم بثّ المعركة مع الشرطة الالمانية تلفزيونيا على الهواء الى كل انحاء العالم. وكان للمجموعة اعضاء يعملون في المانيا، وفي الاسبوع الذي سبق الالعاب الاوليمبية كان عدة اعضاء من أيلول الأسود قد توجهوا الى ميونيخ فرادى واحضروا معهم ترسانة من رشاشات كلاشينكوف الروسية الصنع والمسدسات والقنابل اليدوية.

بعد ثلاثة أيام كانت اسرائيل قد ردت على المجزرة بأمر ٧٥ طائرة بقصف ما قالت اسرائيل انها قواعد المخربين في سوريا ولبنان مما أسفر عن مقتل ٦٦ شخصاً وجرح العشرات. بل ان الطائرات الاسرائيلية اسقطت ثلاث طائرات سورية فوق مرتفعات الجولان، بينما أسقطت سوريا طائرتين اسرائيليتين. وارسلت اسرائيل قوات ارضية الى لبنان لمحاربة الفلسطينيين الذين كانوا يزرعون الألغام في الطرق الاسرائيلية، واحتشد الجيش السوري على حدود ذلك البلد تحسّباً من تحول الاشتباكات الى حرب شاملة.

لقد ذهل الاسرائيليون، الذين كانوا منزعجين أصلاً من العمليات الخارجية ضدهم، عندما اعتقلت الشين بيت، جهاز المخابرات الداخلية، في السابع من كانون الأول ٤٦ شخصاً إما للتجسس لصالح المخابرات السورية أو لمعرفتهم بالحلقة التجسسية وعدم ابلاغهم عنها. وما أذهل الاسرائيليين فعلاً هو ان أربعة من أولئك المعتقلين كانوا يهودا، وان اثنين منهم أحدهما زعيم الحلقة، كانا من الصابرا، اي اسرائيليون من مواليد البلاد، وقد ضبطا يتجسسان لصالح بلد عربي.

بعد عملية ميونيخ اصدرت رئيسة الوزراء غولدا مائير أمراً بالثأر، وقد قامت مائير، وكانت عندئذ جدّة في أواسط السبعين من العمر، بالتباكي على مجزرة اوليمبياد ميونيخ بالتعمد علانية بشن حرب انتقامية يمكن لاسرائيل فيها ان تحارب بعناد ومهارة «على جبهة عريضة خطرة وحيوية». وكان ذلك يعني ان الموساد ستنالهم، او كما يقولون: لن ينجو أحد من الذراع الطويلة للعدالة الاسرائيلية. ووقعت مائير تفويض الموت بحقّ حوالي ٣٥ فدائياً معروفين من منظمة ايلول الأسود، بمن فيهم زعيمهم الذي يتخذ من بيروت قاعدة له، محمد يوسف النجار، المعروف بأبو يوسف، وهو ضابط مخابرات كبير سابق مع حركة فتح التي يرأسها ياسر عرفات. كما كانت المجموعة تشمل علي حسن سلامة المملوء بالحيوية والقسوة، الذي كانت الموساد تسميه «الامير الاحمر» والذي كان دبّر مجزرة ميونيخ وكان يعمل في ذلك الوقت من المانيا الشرقية. وقد لقي مصيره أخيرا في سيارة ملغومة في بيروت عام ١٩٧٩.

لأن مائير كانت أعطت للموساد أوامر بتعقب قتلة ايلول الأسود والقضاء عليهم عند العثور عليهم فقد أصبحت الهدف رقم واحد لهم. وبالنسبة للموساد كان ذلك يعني اطلاق يد وحدة الاغتيالات التابعة للموساد، الكيدون.

كانت أول زيارة لهم بعد ميونيخ قد تمت لممثل منظمة التحرير الفلسطينية في روما، وائل عادل زعيتر، ٣٨ سنة، الذي كان ينتظر المصعد في شقته فى ١٦ تشرين الأول ١٩٧٢، عندما اطلقت عليه اثنتي عشرة طلقة من مسافة قصيرة.

في ٨ كانون الأول، ردّ محمود الهمشري، ٣٤ سنة، الممثل الرئيسي لمنظمة التحرير الفلسطينية في فرنسا، على مكالمة هاتفية في شقته في باريس.

- هالو.

- هل انت الهمشري؟

- نعم.

ووقع الانفجار فقد كان رجال الموساد قد ركّبوا جهاز تفجير على هاتفه، وعندما رفع

السماعة الى رأسه وقدّم نفسه تم التفجير عن بعد، وقد شوّه الهمشري بشكل سيء ومات بعد شهر من الانفجار.

في أواخر كانون الثاني ١٩٧٣ توجه حسين البشير، ٣٣ سنة، الذي كان يوصف بمدير مشاريع تدمر ويتنقل بجواز سفر سوري، توجه الى الفراش في غرفته الكائنة في الطابق الثاني في فندق اولمبيك في نيقوسيا. وبعد لحظات ادى انفجار الى تدمير الغرفة والبشير معاً، وهو ممثل فتح في قبرص. وكان القاتل يراقب البشير حتى أطفأ الأنوار في غرفته ثم قام بواسطة جهاز التحكم عن بعد بتفجير القنبلة التي كان زرعها تحت السرير.

في تأبينه لرفيقه، أقسم عرفات على الثأر له بنفسه ولكن ليس في قبرص، ليس في اسرائيل وليس في المناطق المحتلة ، وهو تحذير واضح بأنه خطط لتصعيد دولي لمعركة الفدائيين . لقد قتل رجال الموساد حوالي درينة من اعضاء ايلول الاسود في حرب غولدا مائير الثأرية.

وحتى تحقق اهدافها، بدأت الموساد في نشر اعلانات نعي في الصحف العربية المحلية لفدائيين مشبوهين كانوا ما يزالون أحياء. وتلقى آخرون رسائل مجهولة تفصّل المعرفة الوثيقة لحياتهم الخاصة، وبخاصة النشاطات المتعلقة بالجنس وتنصحهم بالرحيل عن المدينة. وعلاوة على ذلك، فإن كثيرا من العرب قد جرحوا في اوروبا والشرق الأوسط عندما فتحوا رسائل ملغومة من صنع الموساد. ومع أن الموساد كان يمكنها أن تتصرف بشكل آخر فإن كثيراً من الابرياء قد تضرروا في هذه الحملة الثأرية.

لكن منظمة التحرير الفلسطينية أيضاً كانت تبعث برسائل ملغومة، الى مسؤولين اسرائيليين في كل انحاء العالم، والى شخصيات يهودية بارزة، وكانت الرسائل تحمل خاتم بريد امستردام. ففي ١٩ ايلول ١٩٧٢ مات آمي شاشوري، ٤٤ سنة، وهو مستشار زراعي في سفارة اسرائيل في لندن، عندما فتح احدى الرسائل.

وكان عدد من الضربات التي تم الترويج لها كثيراً ضد رجال الموساد في ذلك الوقت عبارة عمّا كان يسمى: الضجة البيضاء: المواد التي كانت تنشر في الصحف، كثير منها كان من صنع الموساد نفسها لزيادة الارتباك في السجل العام. وقد حدث مثال كلاسيكي في ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٣ عندما تعرض رجل الأعمال الاسرائيلي موشي حنان ايشاي (والذي تبين فيما بعد أنه أحد أعضاء الموساد، باروخ كوهين، ٣٧ سنة) تعرض لاطلاق النار في اكثر شوارع مدريد ازدحاماً، غران فيا، على يد أحد افراد ايلول الأسود الذي يفترض انه كان يتعقبه. لكن الحقيقة أنه لم يكن يتعقب أحداً، فقد كان هذا ما أرادت الموساد من الناس أن يعتقدوه.

والمثال الآخر مقتل الصحفي السوري خضر كنعو، ٣٦ سنة، في تشرين الثاني ١٩٧٢، الذي يقال بأنه كان عميلاً مزدوجاً وقد قتل عند باب شقته في باريس لأن ايلول الأسود كانت

تعتقد انه كان ينقل المعلومات عن نشاطاتهم الى الموساد. لكنه لم يكن كذلك. لكن هذا ما ورد عن الجريمة في وسائل الاعلام. فمع ان الكثير يكتب عن العملاء المزدوجين إلا أن قلة منهم يصدق عليهم هذا الوصف. فالذين يكونون كذلك، لا بدّ أن يكونوا في جو بيروقراطي مستقر حتى يستطيعوا القيام بمثل هذا الدور.

* * *

في خريف ١٩٧٢ كانت غولدا مائير تبحث عن طريقة لتحويل اذهان الاسرائيليين عن أهوال الارهاب الدولي وعن عزلة اسرائيل المتزايدة منذ حرب حزيران ١٩٦٧. فقد كانت، سياسياً، تحتاج الى تحويل الأنظار، وكان هنالك طلب معلّق من أسرائيل للاجتماع مع البابا بولس السادس في روما، وفي تشرين الثاني، وبعد استلام رسالة من الفاتيكان يوافق على الطلب طلبت مائير من مسؤوليها أن يقوموا بالترتيبات اللازمة.

وعلى أية حال، قالت لهم: «انني لا أريد أن أذهب الى كانوسا» وهو قول شائع في اسرائيل يشير إلى تلك القلعة في ايطاليا حيث أذل الامبراطور هنري الرابع، من الامبراطورية الرومانية المقدسة، نفسه بالذهاب كشخص تائب أمام البابا غريغوري السابع في عام ١٠٧٧. ولأنه أبقي ينتظر لمدة ثلاثة أيام قبل حصوله على الغفران فقد أضحت الزيارة تجسد عملية خنوع.

تقرر أن تقوم مائير بزيارة باريس لحضور مؤتمر غير رسمي للاشتراكية الدولية يومي ١٣ - ١٤ كانون الثاني، وهو مؤتمر انتقده الرئيس جورج بومبيدو بشدة - ثم تزور الفاتيكان يوم ١٥ كانون الثاني لمدة يوم واحد، يتلوه اجتماع مع رئيس ساحل العاج فيليكس هوفيت بويغني قبل عودتها إلى إسرائيل.

خلال اسبوع من طلبها، أعطي الاجتماع مع البابا الصفة الرسمية مع أنه لم يتم الاعلان عنه على الملأ.

ولأن حوالي ثلاثة بالمئة من سكان اسرائيل، أو حوالي ١٠٠ ألف، عرب مسيحيين، فإن منظمة التحرير الفلسطينية ذات علاقة طيبة مع الفاتيكان، حيث تطلع بعض المصادر على المناقشات الداخلية، لذلك استطاع ابو يوسف أن يحصل على خبر خطة مائير بزيارة البابا. فبعث على الفور برسالة الى علي حسن سلامة في المانيا الشرقية يقول له فيها: «دعنا نقتل الشخصية التي تسفك دماءنا في كل انحاء اوروبا». (ولم تكن تلك الرسالة وكثير من المادة التي تظهر في هذا الفصل معروفة للاسرائيليين قبل استيلائهم على جبل من وثائق منظمة التحرير الفلسطينية في حرب لبنان عام ١٩٨٢).

أما كيف ستقتل مائير، ومتى بالتحديد، فقد ترك أمر ذلك «للأمير الأحمر»، لكن القرار

اتخذ لتوجيه الضربة وكان مصمماً على تنفيذه، وبغض النظر عن حقيقة ان مائير كانت عدوهم الأكثر وضوحاً، فإن ابا يوسف رأى ايضاً فرصة كبيرة ليظهر للعالم أن ايلول الأسود ما تزال قوة قوية يعتدّ بها.

* * *

في أواخر تشرين الثاني ١٩٧٢ تلقى مركز الموساد في لندن مكالمة هاتفية غير متوقعة من شخص اسمه «أكبر» وهو طالب فلسطيني اعتاد على بيع المعلومات للموساد لكن الموساد لم تسمع منه منذ فترة طويلة.

ومع أنه كان «عميلاً مبتذلاً» فقد كان لأكبر اتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية، وأشار إلى أنه يريد اجتماعاً، ولأنه لم يكن نشيطاً منذ فترة طويلة فإنه لم يكن على اتصال مباشر مع ضابط تجنيد عملاء محدد ومع ان الأسماء التي يذكرها تكشف عنه، إلا أنه كان عليه ان يترك رقم هاتف حتى يمكن الردّ عليه، وكان يمكن أن تكون رسالته على هذا النحو: «أخبروا روبرت أن اسحق اتصل به» بالاضافة الى رقم الهاتف والمدينة، كما لو أن المتصل شخصا يعمل عادة في لندن لكنه الآن يتصل من لندن. ويتم ادخال الرسالة الى الكمبيوتر من قبل الضابط المناوب، وفي هذه الحالة تبينّ على الفور أن أكبر قد جاء الى لندن فعلاً ليدرس، على أمل أن يخلص من لعبة المخابرات، فقد كان عميلاً «اسود» أو «عربياً» سابقاً. ويمكن أن يظهر ملفه متى كان على اتصال لآخر مرة. كما يمكن أن يشمل صورة كبيرة له، وعلى وجه الصور واحدة كبيرة وثلاث أخرى الى الاسفل تظهر كل تفصيل،والشخص بلحية أو بلا لحية، مثلاً.

عند التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية، بغض النظر عن المسافة، فإنه يتم اتخاذ اجراءات احتياطية اضافية، لذلك لا بدّ من اتخاذ اجراءات صارمة جداً قبل اجتماع عضو الموساد مع اكبر.

وحيث ان اكبر اثبت انه نظيف فقد أخذ يخبرهم أنه تلقى تعليمات من مسؤوله في منظمة التحرير الفلسطينية للذهاب الى باريس لاجتماع. وقد اشتبه بأن ذلك عملية كبيرة ـ لذلك تم اختيار واحد بمستواه المتدني ـ لكنه حتى تلك اللحظة لم يكن لديه أية معلومات محددة.

أراد نقودا، كان متوتراً ومضطرباً، وهو فعلاً لم يرد التورط في كل هذا مرة أخرى، لكنه لم يعتقد أن لديه خيارات كثيرة، لأن منظمة التحرير الفلسطينية كانت تعرف مكانه، فأعطاه ممثل الموساد أموالاً كما أعطاه رقم هاتف ليتصل عليه في باريس.

لأن من الصعب، خاصة لضيق الوقت، استدعاء فرق من الاقطار العربية حيث الناس غير معتادين على الطرق الاوروبية ويمكن كشفهم بسهولة في ترتيب اوروبي، فإن منظمة التحرير الفلسطينية تتصل بعملائها من الطلاب والعمال الذين يعيشون في اوروبا ويملكون حرية السفر

دون اثارة الشكوك أو الحاجة الى قصة تغطيهم، ولنفس السبب فإن المنظمة تستخدم خدمات الجماعات الثورية الاوروبية في عملها حتى وان كانت المنظمة لا تثق بها ولا تحترمها.

وجاء دور اكبر، لذلك طار الى باريس لموعد في البيرامـيدز، وهي محطة مترو، مع اناس آخرين من منظمة التحرير الفلسطينية وكان على مركز الموساد في باريس أن يتبع اكبر الى اجتماعه، لكن افراد الموساد أخطأوا، فعندما وصلوا كان أكبر ومضيفوه قد ذهبوا، ولو أنهم راقبوا الاجتماع والتقطوا صوراً، لساعد ذلك في معرفة الشبكة المعقدة للمكائد التي كانت ايلول الاسود تحيكها في اندفاعتها لقتل مائير.

وكاجراء أمني داخلي سافر رجال منظمة التحرير الفلسطينية اثنين اثنين، عندما تلقوا التعليمات، لكن اكبر استطاع أن يجري مكالمة سريعة مع رقم باريس، عندما ذهب زميله الى الحمام، وقال بأن هنالك اجتماعاً آخر. وعندما سأله عضو الموساد؛ من الهدف؟ قال أكبر: «واحد من رجالكم . . لا أستطيع أن أتحدث الآن» وأغلق السماعة.

ذهل الجميع . . وانطلق الخبر إلى المرافق الاسرائيلية في كل انحاء العالم بأن منظمة التحرير الفلسطينية تخطط لضرب هدف اسرائيلي، وتأهبت كل المراكز بينما أخذ الجميع يتكهنون عن الهدف، وفي الوقت ذاته، ولأن رحلة مائير لن تتم قبل شهرين ولم يتم الاعلان عنها، فإن أحداً لم يفكّر فيها.

في اليوم التالي اتصل اكبر مرة أخرى وقال انه سيغادر بعد الظهر إلى روما، وأنه يحتاج إلى نقود ويريد الاجتماع لكنه لا يملك كثيراً من الوقت لأن عليه أن ينطلق إلى المطار. كان قريباً من محطة ميترو روزفلت لذلك تلقى تعليمات بأخذ القطار التالي إلى محطة بليس دا كونكورد ويسير في اتجاه معين، مكرراً بطريقة مختلفة الاحتياطات الأمنية السابقة.

أرادوا أن يروه في غرفة فندق، لكن استئجار غرفة أمر بالغ الصعوبة في عالم الجاسوسية، فسوف تحتاج الى غرفتين متجاورتين، مع وجود آلة تصوير تراقب غرفة الاجتماعات، ورجلي امن مسلحين يجلسان قرب باب الغرفة المجاورة ويكونان مستعدين للاقتحام إذا قام العميل بأي تصرف ازاء رجل الموساد. كما يجب اعطاء رجل الموساد مفتاحاً للغرفة قبل وقت حتى لا يضيع الوقت عند الاستعلامات.

ولأنه كان على أكبر ان يلحق طائرة إلى روما فإنه لم يكن لديه وقت كثير، لذلك تمّ التخلي عن اجتماع الفندق، وتم اخذه بالسيارة بينما كان يسير في الشارع. وقد قال أنه مهما كانت العملية فانها تشمل شيئاً فنياً وبعض المعدات التي ينبغي تهريبها الى ايطاليا. هذا القدر الغامض من المعلومات يمكن أن يثبت فيما بعد أنه عنصر رئيسي لدى تجميع أطراف الاحجية معاً، ولأن هذه العملية تخص مركز باريس فقد تقرر ارسال ضابط موساد الى روما ليعمل كمصدر معلومات لأكبر.

تم تخصيص رجلين أمنيين لنقل اكبر بالسيارة الى المطار وقد صدف انهما من ضباط تجنيد العملاء نتيجة نقص في رجال الأمن آنذاك. وقد أصبح أحدهما، إيتسيك، واحداً من أساتذتي في اكاديمية الموساد. لكن تصرفاته في ذلك اليوم لم تكن نموذجاً يحتذى به، بل كانت العكس!

لأنهما جاءا من اجتماع مأمون في سيارة مأمونة، شعر ايتسيك وشريكه انهما نظيفان، مع ان الانظمة تقول ألا يحوم ضباط تجنيد العملاء حول المطارات خوفاً من انكشافهم، وربما معرفتهم فيما بعد في عملية اخرى في مطار آخر أو في اي مكان آخر. كما تقضي الأنظمة بألا يكشفوا أنفسهم قبل تنظيف المنطقة أولاً.

عند الوصول الى مطار اورلي ذهب احد ضباط تجنيد العملاء الى مقصف لتناول القهوة، بينما اصطحب الآخر اكبر الى مكتب التذاكر وتفقد العفش، وبقي معه فترة كافية للتأكد من أنه سيركب الطائرة. فقد يكونان تصورا بأنه سيكون الفلسطيني الوحيد المتوجه الى روما، لكنه لم يكن.

وكما اكتشفت الموساد بعد سنوات، في الوثائق التي ضبطت في الحرب اللبنانية، فإن رجلاً آخر، وهو عضو في منظمة التحرير الفلسطينية، قد لاحظ اكبر مع الرجل الغريب في المطار، فلاحق الغريب ورآه وهو ينضم الى شريكه في المقصف، والأمر الذي لا يصدق أن الرجلين اللذين كان يجب ان يكونا غادرا المطار من فترة طويلة، خاصا في حديث طويل باللغة العبرية، وعندها سارع رجل منظمة التحرير الفلسطينية الى الاتصال هاتفياً مع روما ليقول ان أكبر ليس نظيفاً. وكان على أكبر والموساد أن يدفعوا غالياً ثمن حروق إيتسيك وشريكه.

* * *

كان علي حسن سلامة، المعروف بأبو حسن، والذي كانت الموساد تسميه الأمير الأحمر، كان شخصية جريئة محبة للمغامرات، وكانت زوجته الثانية اللبنانية جورجينا رزق، ملكة جمال الكون عام ١٩٧١، وعلى قدر قسوته كان ذكياً وقد دبّر عملية ميونيخ، وقرر الآن استخدام صواريخ ستريلا الروسية الصنع - التي يسميها السوفيات اس ايه ٧ والتي كان حلف الناتو يطلق عليها اسم «غريل» - وذلك لنسف طائرة غولدا مائير لدى هبوطها في مطار فيوميسينو في روما.

كانت الصواريخ، المستندة الى نظام صواريخ ردآي الاميركية، تطلق الى اهدافها عبر قاذفة زنتها ١٠,٦ كيلوغرام، تمسك باليد وتعلق على الكتف، كما ان الصاروخ الذي يزن ٩,٢ كيلوغرام له محرك صواريخ صلب يعمل على ثلاث مراحل ونظام توجيه بالاشعة فوق الحمراء ويبلغ مداه الاقصى ٣,٥ كيلومتر. ومع ان الصاروخ ليس متطوراً كثيراً إلا أنه يمكن ان يكون قاتلاً ويجد هدفه بالبحث عن انابيب العادم للمحركات الساخنة، وعند اطلاقه على طائرات سريعة ماهرة في المناورة فان افتقار الصاروخ للمرونة يجعله بلا فائدة في معظم الاوقات، لكن عند

تصويبه الى أهداف كبيرة وبطيئة، مثل طائرات الركاب فإنه يكون قاتلاً.

لم يكن العثور على عدد من صواريخ ستريلا مشكلة، فقد كانت منظمة التحرير الفلسطينية تملكها في معسكراتها التدريبية في يوغوسلافيا، لذلك كان كل ما هو مطلوب، التوصل الى طريقة لتهريبها عبر الادرياتيك الى ايطاليا. وفي ذلك الوقت كان لمنظمة التحرير الفلسطينية يخت متواضع، بغرف نوم، وكان راسياً قرب باري على ساحل ايطاليا الشرقي عبر البحر من دوبروفينك في يوغوسلافيا.

قام سلامة بجولة في بعض البارات الرخيصة في هامبورغ، وهو المرفأ الرئيسي في المانيا، الى أن وجد المانياً لديه بعض الالمام بالملاحة وكان يرغب في عمل أي شيء مقابل المال.

ثم استأجر امرأتين التقى بهما في بار آخر، وكانتا أيضاً راغبتين في عرض المال والجنس والمخدرات ورحلة بحرية ممتعة في الادرياتيك.

ثم نقل الالمان جواً الى روما، ثم الى باري، حيث ركبوا مركب منظمة التحرير الفلسطينية، الذي تم ملؤه بالاطعمة والمخدرات والمشروبات. وكانت الاوامر الوحيدة لديهم ان يذهبوا إلى جزيرة صغيرة مقابل دوبروفينك وينتظروا حتى يقوم بعض الأشخاص بتحميل صناديق خشبية في منطقة التخزين، ثم يعودوا إلى مكان على الشاطىء شمال باري، حيث سيلتقون ببعض الرجال الآخرين ويقبض كل منهم عدة آلاف من الدولارات. وقد طلب منهم أيضاً أن يستمتعوا، ويقضوا ثلاثة أو أربعة أيام، يمارسون فيها أية ملذات يريدون - وهي أوامر نفذوها بحذافيرها.

كان سلامة قد اختار الالمان لأنهم لو ضبطوا فإن السلطات ستعتقد أنهم من الجيش الأحمر أو من أية منظمة أخرى وليس لهم علاقة بمنظمة التحرير الفلسطينية. ومن سوء حظهم أن سلامة لم يكن معتاداً على اغتنام الفرص مع الغرباء في نهاية مهمة ما، فعندما وصل الالمان بالصواريخ خرجت منظمة التحرير الفلسطينية في قارب صغير لتفريغ الشحنة، ثم اخذت الالمان الثلاثة وأحدثت ثقوباً في اليخت وجعلته يغرق على بعد ربع ميل من الشاطىء.

وضعت صواريخ ستريلا في شاحنة فيات وساقها فريق منظمة التحرير الفلسطينية من باري الى افيلينو، ومنها الى تيراشينا، ثم إلى انزيو، إلى اوستيا فروما. . وكان سائقها يبتعد عن الطرق الرئيسية ولا يتحرك بها إلا في ساعات النهار ليتجنب أية شكوك، وأخيراً وصل إلى شقة في روما حيث يمكن وضع الصناديق التي تحتوي على الصواريخ الى ان تجدّ الحاجة اليها.

* * *

في بيروت، كان قد تم اعلام قائد ايلول الاسود، ابو يوسف، بان اكبر عميل مدسوس في المنظمة، لكن بدلاً من قتله على الفور مما قد يعرض العملية كلها للخطر، فقد قرر أبو يوسف ان

يستغل هذه المعلومات لاخراج الاسرائيليين عن الخط، وبينما كان يعرف انهم يدركون بانهم مستهدفون فانهم لم يكونوا يعرفون كيف لان،اكبر لم يكن لديه سوى معرفة ضئيلة بالعملية.

قال ابو يوسف لرجاله: ينبغي ان نقوم بشيء يجعل الاسرائيليين يقولون: آه.. هذا ما كنا نخشاه.

لهذا السبب، وفي ٢٨ كانون الاول ١٩٧٢، وقبل ثلاثة اسابيع من زيارة مائير المقررة لروما في ١٥ كانون الثاني، قامت منظمة ايلول الاسود بشنّ ما اعتبر في ذلك الوقت غارة لا يمكن تفسيرها على السفارة الاسرائيلية في بانكوك، تايلاند. وكان واضحا ان الحدث قد تم تخطيطه بكل سهولة، فقد اختاروا اليوم الذي كان فيه الامير فجايرا لونغورن موجودا في دار البرلمان لتنصيبه كوريث للعرش، وكان السفير الاسرائيلي رهيفام امير، مع معظم الدبلوماسيين الاجانب، يحضر الاحتفال.

وصفت مجلة التايم عملية الاستيلاء على السفارة في سوي لانغ سوان «في الشمس الاستوائية الحارة في عزّ الظهر، تسلّق رجلان يرتديان سترتين جلديتين الجدار الذي يحيط بالمبنى بينما توجه اثنان آخران يرتديان بدلتين داكنتين الى البوابة الامامية، وقبل ان يتمكن الحارس من اطلاق اي انذار كان يحملق في فوهتي الرشاشين، لقد قامت مجموعة ايلول الاسود الارهابية، التي دبرت مذبحة ميونيخ، بالضربة مرة اخرى».

لقد فعلوها حقّا، لكن ذلك لم يكن الا تحويلا للانظار، فقد سيطروا على السفارة وعلقوا العلم الفلسطيني من النافذة. وسمحوا للحارس وكل الموظفين التايلانديين بالانصراف بحرية، لكنهم احتجزوا ستة اسرائيليين كرهائن، بمن فيهم شمعون افيمور، السفير لدى كمبوديا. وبعد وقت قصير قام ٥٠٠ شرطي وجندي تايلاندي بتطويق المبنى، وطالب الارهابيون اسرائيل بالافراج عن ٣٦ سجينا فلسطينيا والا فانهم سينسفون السفارة بكل من فيها، وهم من بينهم، خلال عشرين ساعة.

وفي آخر المطاف سمح لنائب وزير خارجية تايلاند، شار تيشاي شونهافن، ومارشال الجو داوي شولاسابيا، والسفير المصري لدى تايلاند، مصطفى العيسوي، بدخول السفارة للبدء في المفاوضات، وظل السفير الاسرائيلي في الخارج، حيث وضع جهاز تلكس في مكتب قريب ليظل على اتصال مباشر مع غولدا مائير ووزارتها في القدس.

بعد ساعة من المحادثات وافق المقتحمون على عرض بالخروج سالمين من تايلاند اذا افرجوا عن الرهائن، ثم استمتعوا بوجبة من الدجاج المتبّل بالبهارات الهندية والويسكي الاسكتلندي، قدمتها الحكومة التايلاندية، وعند الفجر غادروا الى القاهرة على طائرة تايلاندية خاصة، بمرافقة السفير المصري واثنين من كبار المفاوضين التايلانديين.

لقد ذكرت رواية مجلة التايم لهذه الحادثة انه بسبب دور العيسوي «كانت مناسبة نادرة للتعاون الاسرائيلي العربي. . والاكثر ندرة ان الفدائيين اصغوا للمنطق والعقل، وقد اظهرت الحادثة، لأول مرة، تراجع رجال ايلول الاسود».

لم يستطع الصحفيون، طبعا، ان يعرفوا ان هذا الحادث يتمشى مع الخطة، ولم يصدق الاسرائيليون فيما عدا شني كولي، رئيس مركز الموساد في ميلانو، ان هذا العمل هو العملية التي تحدث لهم اكبر عنها.

ومما لا شك فيه ان الموساد انساقت مع تحويل الانظار، فقد طلب من اكبر، من قبل رفاقه في منظمة التحرير الفلسطينية قبل عملية تايلاند، ان يظل في روما في الوقت الحاضر وقيل له ان العملية نفذت في بلد خارج ساحة المعركة الارهابية المألوفة في اوروبا او الشرق الاوسط، ومن الطبيعي ان أكبر مرّر هذه المعلومات الى الموساد، لهذا عندما حدث هجوم بانكوك، لم تكن رئاسة الموساد في تل ابيب فقط مقتنعة بان هذه العملية هي نفسها العملية المقصودة، بل ابتهجت كثيرا لانه لم يمت اي اسرائيلي او حتى لم يصب احد باذى. وقد عايشت الموساد حالة هياج ازاء حقيقة انها تلقت تحذيرا من مثل هذا الهجوم لكن لم يتم تحديد المكان، بل دبّ الارتعاش داخل جهاز ابـــام - المسؤول عن امن السفارات والمنشآت الاسرائيلية في الخارج.

من المؤكد ان اكبر كان واثقا ان عملية بانكوك هي الهدف النهائي، لذلك اتصل بمسؤوله الاسرائيلي في روما لاجتماع آخر، ولأن أمن الموساد موسوس جدا فان الفلسطينيين لن يجازفوا بملاحقة اكبر الى اي موعد يضربه خوفا من انكشافهم فيعرف رجال الموساد انهم يلاحقونه فكان همهم الرئيسي اعطاءه المعلومات لتمريرها الى الموساد.

بعد ان اعتقد اكبر ان العملية تمت فقد اراد نقودا، ولانه كان سيتوجه الى لندن، فقد طلب منه ضابط تجنيد العملاء في لندن ان يحضر معه اكبر قدر من الوثائق من مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وكان الاجتماع سيعقد في قرية صغيرة جنوبي روما لكنه بدأ بالطريقة المعهودة ـ ارسال اكبر الى مكان في روما ـ واتبعت الاجراءات المعيارية للأمن العملياتي المخابراتي من هناك. ومع هذا فان ما لم يكن معياريا هو نتيجة الاجتماع.

عندما ركب اكبر في سيارة ضابط التجنيد ووضعت حقيبته اليدوية على المقعد الامامي للسيارة بالطريقة المعتادة، فتحها رجل الامن، فانفجرت السيارة على الفور، ومات اكبر وضابط التجنيد ورجلا الامن، بينما نجا السائق لكنه تضرّر كثيرا حتى انه ظل ابله حتى اليوم.

كان ثلاثة رجال موساد آخرين يتبعون بسيارة اخرى، وقد اقسم احدهم فيما بعد انه سمع، عبر جهاز الاتصال، اكبر وهو يقول بصوت محموم: «لا تفتحها» كما لو انه كان يعرف ان الحقيبة تحتوي على جهاز تفجير. الا ان الموساد لم تتأكد فيما اذا كان اكبر يعرف ان حقيبته مفخخة.

على اية حال فان الرجال في السيارة الثانية استدعوا فريقا آخر، بما فيه سيارة اسعاف معدّة للطوارىء ومعها طبيب وممرض - فريق من اليهود المتطوعين في الخارج. وتم نقل بقايا زملائهم القتلى الثلاثة، مع السائق المصاب بجروح بالغة من الساحة ثم شحنوا فيما بعد الى اسرائيل، بينما ترك جثمان اكبر المتفحم داخل انقاض السيارة لتعثر عليها الشرطة الايطالية فيما بعد.

وكما تبين فان منظمة التحرير الفلسطينية اخطأت بقتل اكبر قبل عملية مائير، فقد كان بامكانها الانتظار الى ان يعود الى لندن، ومع ان الموساد سوف تعرف من قتله الا انها لم تكن لتهتم عندئذ.

في تلك الاثناء كانت مائير قد وصلت الى فرنسا في المرحلة الاولى من رحلتها التي ستوصلها الى روما، وقد تندر مسؤولو الموساد فيما بينهم بالا تحضر مائير معها اسرائيل غليلي، وهو وزير بلا وزارة تربطها به علاقة غرامية منذ زمن طويل، فقد اعتاد الاثنان على الخلوة في اكاديمية الموساد جاعلين القصة الغرامية مادة يتحدث بها الجميع في المعهد.

* * *

لقد انخدع مارك هيسنر، رئيس مركز الموساد في روما، بخدعة بانكوك التي قامت بها منظمة التحرير الفلسطينية، لكن شاي كولي، في ميلانو، ظل مقتنعا بان هنالك ما يثير الشبهة في ذلك السيناريو. كان كولي رجلا حازما ومجدًا ذا سمعة مشهورة بحبه للتفاصيل . وكان هذا في بعض الاحيان يشكل عبئا، فقد أخر ذات يوم رسالة مستعجلة لتصحيح خطأ لغوي. لكن دقته كانت في اغلب الاحيان مصدر قوة، وبهذه المناسبة فان اصرار كولي يمكن ان ينقذ حياة غولدا مائير.

لقد واصل تقليب كل التقارير المتعلقة باكبر وبنشاطات منظمة التحرير الفلسطينية ذات العلاقة، فلم يستوعب ان الهجوم في بانكوك كان ذات الامر الذي تحدث عنه اكبر: لماذا شمل تهريب مواد فنية الى ايطاليا؟ وعندما قتل اكبر اصبح كولي اكثر تشككا. لماذا يقتلونه اذا لم يعرفوا انه عميل اسرائيلي؟ ولكن اذا كانوا عرفوا ذلك فان عملية بانكوك لا بدّ ان تكون خدعة، هذا ما توصل اليه كولي.

ومع هذا لم يكن لديه اي شيء ثابت يستند اليه. كان المكتب يلوم ضابط التجنيد في لندن ازاء الهجوم، قائلا بانه حين طلب من اكبر ان يحضر الوثائق، لم يحذّره حول كيفية التصرف حتى لا يضبط.

فيما يتعلق بهيسنر فان حقده الشخصي على كولي يمكن ان يكون عاملا بالغ التعقيد في الاحداث التي انكشفت، فعندما كان هيسنر طالبا في الاكاديمية، ضبط عدة مرات وهو يكذب عن اماكن وجوده - وذات مرة ضبطه كولي الذي كان استاذه في ذلك الوقت - عندما لم يكن يعرف انه

يخضع للمراقبة. فبدلا من الذهاب لتنفيذ مهمته، ذهب هيسنر الى البيت، وعندما طلب منه كولي ان يعطي تقريرا، اعطى تقريرا مختلفا جدا عمّا حدث فعلا. وكان عدم طرده يعني أنه يتمتع بدعم جيد وقوي في الداخل، لكنه لم يغفر لكولي انه ضبطه، كما ان كولي لم يعتبر هيسنر محترفا.

كما يحدث في مثل هذه الاوضاع، فان اسعد حظوظ كولي جاءه من مصدر غير متوقع ابدا، فقد كانت امرأةتتحدث عدة لغات وذات مواهب كثيرة تقيم في شقة في بروكسل، تحت تصرف مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية الذين يطلبون ملاذا مؤقتا في الحرب الدائرة ضد اسرائيل. كانت تتعاطى اجرا عاليا، وكانت رفيقة لهو بارعة لرجال منظمة التحرير الفلسطينية، ولان الموساد كانت تتنصّت على هاتفها وشقتها، فقد اصبحت التسجيلات الغرامية لها ولاصدقائها في اوضاع مختلفة للنشوة الجنسية، وسيلة تسلية مفضلة لمسؤولي الموساد في كل انحاء العالم. وقد قيل بانها تستطيع ان «تغنج» بست لغات على الاقل!

قبل ايام من وصول مائير المقرر الى روما، قال شخص في شقة بروكسل للمرأة بانه يريد الاتصال مع روما ـ وقد اعتقد كولي ان الشخص هو سلامه مع انه لم يكن متأكداً ابدا ـ وطلب من الطرف الذي ردّ على المكالمة «ان يخلي الشقة ويخرج الاربع عشرة كعكة» لم تكن المكالمة مع روما في الظروف العادية تثير اية شكوك، لكن مع وصول مائير المقرر وفي ضوء شكوك كولي فقد كانت المكالمة هي ما يحتاج اليه للتحرك.

كان طول كولي الالماني المولد حوالي خمسةاقدام فقط، وكان ذا ملامح بارزة، وشعر بني، وبشرة فاتحة اللون، وشخصية مكبوحة فلم تواته الفرصة للتأثير على رؤسائه، لهذا كان في ميلانو، وهي مركز ذو اهمية ضئيلة، بينما كان هيسنر في روما.

عندما سمع كولي شريط بروكسل اتصل على الفور بصديق في الملحقية، فاتصل هذا بصديقه في المخابرات الايطالية، فيتو ميشيل، وقال انه يحتاج الى عنوان رقم هاتفي حالا (لأن كولي كان في تسوميت ـ يقوم بتجنيد العملاء، فقد تم تسجيله كملحق في القنصلية، لذلك لم يكشف نفسه كضابط تجنيد للمخابرات المحلية، فلم يكن ليطلب ميشيل بشكل مباشر).

قال ميشيل بانه لا يستطيع ان يفعل ذلك دون اذن من رئيسه، امبورغو فيفاني، لذلك قال ضابط الاتصال انه سيتصل مع فيفاني، وهذا ما فعله، لم يكن كولي يكترث بالقنوات التي تستخدمها المخابرات الايطالية للحصول على المعلومات، فقد عرف ان الرجل في شقة روما قد تلقى امرا بالمغادرة في اليوم التالي مما يفسح لهم وقتا قليلا لتعقب العنوان وليقرروا فيما اذا كان للأمر علاقة بعملية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

حصل فيفاني على العنوان، لكن ضابط الاتصال، بدلا من ان يعطي المعلومات لكولي في ميلانو، فانه ارسلها الى مركز روما، التي لم تكن تعرف شيئا عن اهميتها ـ او عن العداء بين كولي

وهيسنر ـ فظلت المعلومات حتى اليوم التالي. واخيرا، تعقّب كولي العنوان بنفسه، واتصل مع مركز روما طالبـا منهم ان يذهبوا فورا الى الشقة لان من الممكن ان يكون لها علاقة بزيارة مائير. وفي تلك اللحظة كان كولي ما يزال يخمّن ـ لكنه كان واثقا من ان شيئا خطرا على وشك الحدوث.

وعلى اية حال، فانه في الوقت الذي عرفت فيه الموساد الشقة، كانت خالية لكن البحث كشف عن شيء هام من الادلة، قطعة ورق ممزقة تظهر الطرف الخلفي لصاروخ ستريلا وعدة كلمات باللغة الروسية توضح الآلية.

كان كولي كالمجنون، فقبل اقل من يومين على وصول رئيسة الوزراء، عرف بان هنالك عملية ستقوم بها منظمة التحرير الفلسطينية في المنطقة، وان هنالك رجالا للمنظمة، وان غولدا مائير على وشك الوصول. ولكن هذه الحقيقة الاخيرة هي الوحيدة التي يعرفها بدقة.

ونتيجة لذلك، تم اشعار مائير بوجود مجازفة أمنية لكنها ردّت على رئيس الموساد قائلة: سوف اجتمع مع البابا، تأكد انت ورجالك من تأمين هبوطي بسلام.

في ذلك الوقت، ذهب كولي لمقابلة هيسنر لمناقشة ما اذا كان ينبغي اشراك الامن المحلي. وفي محاولة هيسنر تمثيل دور السيد وجه الشكر لكولي على مساعدته لكنه اضاف: ان مركزك في ميلانو، وهذه روما.

وطلب منه الذهاب، وكرئيس لمركز تسوميت في روما، كان هيسنر المسؤول بشكل آلي. واذا اراد احد رؤسائه في اسرائيل ان يتولى المسؤولية فان عليه ان يأتي الى روما ليفعل ذلك. لكن ذلك لم يحدث حينئذ، وقد يحدث اليوم.

غير ان كولي كان قلقا على سلامة رئيسة الوزراء اكثر من قلقه ازاء خلاف حول السلطات، فطلب من هيسنر ان يغلق الموضوع وقال: سوف ابقى.

غضب هيسنر واتصل برئاسة الموساد ليشكو من ان كولي يسبب الارتباك في القيادة، فامرت تل ابيب كولي بالخروج من القضية والعودة الى ميلانو.

لكن كولي لم يغادر روما، وكان معه اثنان من ضباطه من ميلانو، وقد تركوا ميلانو خالية، واخبر هيسنر بانهما سيراقبان بفضول ولن يتدخلا بشيء. ولم يكن هيسنر سعيدا بذلك لكنه اورد نقطته المتعلقة بالصلاحيات، فامر جميع رجاله بالذهاب الى المطار وما يحيط به حتى يروا اذا كانوا يستطيعون مراقبة الارهابيين. لكن منظمة التحرير الفلسطينية التي افترضت ان الموساد قد تعرف عن خططها اكثر مما تعرف، اتخذت الاجراء الاحتياطي الاضافي بالذهاب الى منطقة الشاطىء خلال الليل، والاقامة في السيارات. لذلك لم يصل تفتيش الموساد لكل فندق وبيت ايواء في ليدو دي أوستيا وحولها، والاماكن التي يتردد عليها رجال منظمة التحرير الفلسطينية في الليلة التي سبقت وصول مائير في ١٥ كانون الثاني، لم تصل عمليات البحث الى اية نتيجة.

وحيث ان الموساد كانت تعرف مدى الصواريخ فقد عرفت، على الاقل، المنطقة التي يجب تفتيشها قبل هبوط طائرة مائير، مع انها كانت منطقة واسعة، طولها حوالي ١٣ ميلا وغرضها حوالي ٥ أميال، وقد تعقدت المشكلة بالقرار الغبي الذي اتخذه هيسنر بعدم اشعار الشرطة المحلية بالمشكلة المحتملة. فصواريخ ستريلا يمكن تنشيطها عن بعد، فعندما يصبح الهدف ضمن المدى، فان للصاروخ نابضا كهربائيا ينشّط جهازا يستطيع الصاروخ بموجبه ان يتعقب بنفسه الهدف، ويمكن ان يعرف الفدائيون الوقت المحدد لهبوط طائرة مائير، حيث يعرفون من عملائهم الموعد الصحيح لمغادرة الطائرة لباريس ومتى تصل. ويمكن ان تكون الطائرة تابعة لشركة العال ـ وهي الطائرة الوحيدة التي تهبط في ذلك الوقت من اليوم.

كان مطار ليوناردو دي فينشي في فيو ميشينو في روما يوصف من قبل مسؤولي ايطاليا بانه «أسوأ مطار في العالم» ففي ضوء الازدحام والارتباط فان الطائرات دائما تصل متأخرة، احيانا عدة ثلاثة ساعات، لان المطار لا يوجد فيه سوى مدرجين يستقبلان ما يصل الى ٥٠٠ طائرة في اليوم في فصل الذروة.

ومن الطبيعي ان تلقى طائرة مائير اولوية كبرى، غير ان الارتباك المستمر في المطار نفسه لم يكن يساعد مسؤولي الموساد الذين كانوا يتنقلون في محاولة العثور على مجموعة من الارهابيين وصواريخهم. فقد يكونون في اي مكان ـ في المطار نفسه، في العنابر المجاورة، او في الحقول المحيطة بالمطار.

بينما كان كولي يتجول في المطار صادف ضابط تجنيد من مركز روما وسأل عن مكان وجود رجال ارتباط الموساد، (فقد كانوا الاشخاص الذين يمكن ان يشعروا الشرطة الايطالية عند الحاجة وليس ضباط التجنيد انفسهم).

ردّ الرجل: أي ارتباط؟

قال كولي وهو متشكك في الامر: تقصد انهم ليسوا هنا!

قال الرجل: كلا.

قام كولي بالاتصال فورا برجل الاتصال في روما وطلب منه ان يتصل بفيفاني ويخبره بما يجري. «استخدم كل الاساليب الضرورية. نريد تعزيزات هنا».

بدا اكثر احتمالا ان الفدائيين خارج دائرة المطار ضمن مدى وصول الصواريخ لطائرة مائير، حيث ثبت وجودنقاط اختباء جيدةضئيلة جدا في ارض المطار، لكنهم بحثوا في كل مكان، وانضم اليهم اداغليو مالتي من المخابرات الايطالية.

لم يكن مالتي يعرف ان المكان مليء بضباط الموساد، وقد حضر لانه تلقى معلومة من ضابط الارتباط في مركز روما بان منظمة التحرير الفلسطينية، وفقا لمعلومات موثوقة، تخطط لمضايقة الايطاليين باسقاط طائرة غولدا مائير فوق المطار بصواريخ روسية الصنع. (كان يجب الموافقة على تلك الرسالة من قيادة الارتباط في تل ابيب قبل نقلها الى الايطاليين).

***

في هذه الاثناء، كان المكلفون قد انقسموا الى مجموعتين، ذهبت احداهما الى جنوب المطار ومعها اربعة صواريخ وذهبت الاخرى الى الشمال ومعها ثمانية، وقد ثبت فيا بعد أهمية حقيقة أن اثنتين من الاربع عشرة «كعكة» لم يرد لهما أي ذكر بعد العملية، لكن في ذلك الوقت ركّبت المجموعة الشمالية صاروخين قرب عربتها الفيات في احد الحقول.

لكن لم يحتج أحد رجال امن الموساد الى وقت طويل، وكان يمشط المنطقة، حتى يكتشفهما، فصرخ، وفتحوا النار وكان المشهد حافلا بالارتباك الشديد، ووصلت الشرطة الايطالية وهرب رجل الموساد، ولم يكن يتوقعهم لأن كولي هو الذي استدعاهم كما أنه لم يرد أن يروه. وفي تلك الاثناء حاول احد الفدائيين الهرب لكن ضباط الموساد الذين كانوا يراقبون ما يجري قبضوا عليه، وربّطوه والقوا به في سيارة ونقلوه بسرعة الى غرفة تخزين في المطار.

وتحت الضرب القاسي والمستمر اعترف الموقوف بانهم خططوا لقتل غولدا مائير وقال متباهيا: لن تستطيعوا أن تفعلوا شيئا.

قال الضابط، والضرب مستمر: ماذا تعني باننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً؟

كان كولي، في تلك الاثناء، قد سمع من خلال جهاز الاتصال الذي يحمله، أنه تم القاء القبض على احدهم، فشقّ طريقه على الفور الى غرفة التخزين، قال الضباط لكولي أنهم قبضوا على هذا الفدائي، كما أن الايطاليين ضبطوا عدداً آخر مع تسعة أو عشرة صواريخ.

لكن كولي تذكر المكالمة الهاتفية من بروكسل حول اخذ «جميع الكعكات الاربع عشرة»، فالموساد ما تزال أمام مشكلة فلم يبق على هبوط طائرة مائير سوى ثلاثين دقيقة، ولا بدّ أن هنالك صواريخ أخرى، لكن اين؟

في ذلك الوقت غاب الموقوف عن الوعي، ورشّ كولي الماء على وجهه، وقال له: لقد انتهى أمرك. لقد فعلتموها هذه المرة، انها ستهبط خلال اربع دقائق، لن تستطيع أن تفعل شيئا ازاء ذلك.

قال الموقوف: ان رئيسة وزرائكم ستموت، فأنتم لم تقبضوا علينا جميعاً.

تاكدت أسوأ مخاوف كولي. ففي مكان ما يوجد صاروخ سوفياتي الصنع وعليه اسم غولدا

مائير.

في تلك اللحظة قام رجل أمن بضرب الموقوف ضربة أفقدته الوعي. عندما القوا القبض عليه كان يحمل جهاز تفجير يسمى «بيتي النشيط» وهو غالبا ما يستخدم من قبل الفدائيين، فهو يلصق بالارض مثل لغم ارضي، لكنه يوصل بوتد قصير مع سلك يربط بالدبوس، وضعوا الجهاز قربه، وعملوا سلكا أطول وخرجوا من البناية وجذبوا السلك فنسفوا الرجل لتتناثر أشلاؤه.

كان التوتر شديدا، اتصل كولي مع هيسنر على جهاز الاتصال وطلب منه أن يتصل بطيار طائرة غولدا مائير ليؤجل الهبوط. ولم يتضح فيما اذا كان فعل ذلك أم لا، لكن الواضح ان احد رجال أمن الموساد، وكان يتجول بسيارته في احد الشوارع المؤدية الى المطار، لاحظ فجأة شيئا غريبا يتعلق بعربة تبيع الاطعمة تقف على جانب الطريق، وكان قد مرّ بها مرتين لكنها في المرة الثالثة اثارت دهشته، فقد كان هنالك ثلاثة عـوادم تطل من السقف، لكن واحـداً فقط كان يدخّن، وكان الفدائيون قد تخلصوا من صـاحب العربـة وثقبوا فتحتـين في السقف، وركّبوا صواريخ ستريلا عبر الفتحات. وكانت الخطة تتمثل في انه عندما تقترب طائرة مائير الى مسافة كافية فان كل ما عليهم أن يفعلوه هو سحب الزناد وبعد حوالي خمس عشرة ثانية تقريبا تكون الطائرة قد دمّرت.

دون أن يضيع ثانية واحدة، دار رجل الموساد بسيارته وتوجه نحو العربة وصدمها فانقلبت وسقط الفدائيان تحتها. وخرج من سيارته وتاكد من وجود صاروخين وسقط الفدائيان في الفخّ ثم رأى سيارات الشرطة تتجه الى طريقه فقفز عائدا الى سيارته ولفّ بها وتوجه الى روما. وعندما اشعر زملاءه في الموساد تواروا عن الصورة كما لو أن شيئا لم يحدث.

اعتقلت الشرطة الايطالية خمسة من أعضاء ايلول الاسود، لكن الغريب انه تم الافراج عنهم بعد بضعة شهور وتسفيرهم الى ليبيا، مع أنهم ضبطوا بالصواريخ وهم يحاولون اغتيـال غولدا مائير.

الفصل العاشر

كارلوس

في ٢١ شباط ١٩٧٣ بعث الاسرائيليون طائرتي فانتوم نفاثتين لاعتراض طائرة ركاب ليبية غير مسلحة من طراز بوينغ ٧٢٧ كانت في طريقها الى القاهرة لكنها ضلّت مسارها، فاسقطوها وقتلوا ١٠٥ اشخاص من الـ ١١١ شخصا الذين كانوا على متنها، وقد حدث هذا بعد اثنتي عشرة ساعة من قيام الكوماندو الاسرائيليين بغارة جريئة في بيروت، فنسفوا عدة منشآت لمنظمة التحرير الفلسطينية واستولوا على كمية كبيرة من الوثائق، وقتلوا عددا من زعماء منظمة التحرير الفلسطينية، بمن فيهم رئيس ايلول الاسود، ابو يوسف وزوجته.

كانت تدمير الطائرة المدنية غلطة فادحة، وفي تلك الايام تلقت اسرائيل تهديدات بان طائرة مليئة بالقنابل ستطير الى تل ابيب، وكانت البوينغ سيئة الحظ تتوجه مباشرة فوق واحدة من اكبر القواعد العسكرية في سيناء، وعندما لم يكن بالامكان العثور على قائد سلاح الجو فقد اتخذ قرار اطلاق النار على يد نقيب.

لقد احتاجت الموساد الى ست سنوات أخرى حتى توقع بالامير الاحمر، لكن إصرار غولدا مائير على الثأر الشخصي من ايلول الاسود أدى الى تغيير كبير في دور المؤسسة فقد أصبحت منظمة التحرير الفلسطينية أهم جزء في عمل الموساد. ولم يكن وصفها جيدا لأنها أخذت تولي اهتماما أقل لأعداء آخرين مثل مصر وسوريا اللتين كانتا تطلقان صيحات الحرب. . وفي الحقيقه، وخلال الاعداد للحرب فان انور السادات شكل لجانا في كل انحاء مصر تسمى «لجان الحرب»، لكن الموساد كانت تقضي كل وقتها ومواردها تقريبا في مطاردة فدائيي ايلول الاسود.

في ٦ تشرين الاول ١٩٧٣ وبعد بضعة شهور من حادثة ستريلا في روما، كان الجنرال الياهو زيرا، رئيس المخابرات العسكرية في اسرائيل، يقول أمام مؤتمر صحفي في تل ابيب: لن تنشب اية حرب. وفي غمرة الاجتماع دخل الغرفة ضابط اسرائيلي وسلّمه برقية، قرأها زيرا وخرج على الفور دون أن يتفوه بكلمة.

كان المصريون والسوريون قد شنوا الهجوم، فقد بدأت حرب يوم الغفران، وقد بلغت حصيلة القتلى الاسرائيليين في اليوم الاول ٥٠٠، بالاضافة الى جرح اكثر من الف، وبعد بضعة ايام استطاع الاسرائيليون أن يقفوا على أرجلهم ويصدّوا الغزاة، لكن الحرب غيرت صورة اسرائيل الى الابد ـ بالنسبة للاخرين ولنفسها ايضا ـ كقوة لا يمكن قهرها.

كانت غولدا مائير ما تزال على قيد الحياة ـ والفضل في ذلك للموساد ـ لكن إحدى نتائج الحرب كانت استقالتها من منصب رئيسة الوزراء في ١٠ نيسان ١٩٧٤ .

فيما يتعلق بشباي كولي، كان يعرف أن هنالك صاروخي ستريلا لم يرد ذكرهما بعد محاولة اغتيال مائير ومع هذا، فقد انتهى التهديد المباشر، وعاد الى ميلانو وغطى القلق من الحرب كل المشكلات الاخرى.

في وقت حادثة المطار كانت الشرطة الايطالية متضايقة جدا، فقد جرت هنا محاولة اغتيال شخصية سياسية كبيرة على مرأى من أعينهم ولم يفعلوا اي شيء سوى الوصول متأخرين وتجميع القطع التي خلفتها الموساد وراءها، ولم يكن لدى المخابرات الايطالية اي علم بخطة قتل مائير، وفي الوقت الذي لم يكن عامة الناس يعرفون فيه أي شيء عن الحدث، فان بعض رجال المخابرات عرفوا لذلك طلب الايطاليون من الاسرائيليين ألا يعلنوا التفاصيل.

كانت وجهة نظر الموساد أنّها ستكسب فائدة معينة بمساعدة طرف آخر في اخفاء شيء ما، لذلك كانت راغبة دائما في مساعدة شخص ما في حفظ ماء الوجه طالما أن ذلك الشخص يعرف بانه ما يزال أبله بالنسبة للموساد.

وهكذا طلب من «لاب» وهي دائرة الحرب النفسية التابعة للموساد، أن تطور قصة للتغطية، وكان الوضع بين اسرائيل ومصر في ذلك الوقت متوترا جدا، ولكن، لأن الموساد كانت مشغولة جدا في البحث عن مجموعة ايلول الاسود، فقد فاتتها المؤشرات الحيوية للاعداد للحرب، وبوجود ما بين ٣٥ أو ٤٠ ضابط تجنيد عملاء فقط يعملون في العالم في اي وقت معين، فان التركيز على تغطية نشاطات منظمة التحرير الفلسطينية ـ التي يقوم بمهامها آلاف الاشخاص ـ يمكن أن يشغل القوة بأسرها ويخلق فجوة كبيرة في مراقبة اعداء اسرائيل الكبار الاخرين.

وعلى أية حال فقد اخترعت «لاب» قصة تغطية للايطاليين ليعلنوها للناس، بينما قالت لوكالات المخابرات البريطانية والفرنسية والاميركية ما وقع فعلا. هنالك قاعدة في المخابرات تسمى «قاعدة الطرف الثالث»: اذا قامت الموساد، مثلا، باعطاء معلومات لوكالة المخابرات المركزية السي آي ايه، لأن بين الجانبين علاقات عمل جيدة، فان السي آي ايه لا تستطيع تمرير المعلومات الى طرف ثالث لأنها جاءت من وكالة مخابرات أخرى . . وبطبيعة الحال يمكن تجاوز القاعدة باعادة صياغة بعض المعلومات ثم تمريرها.

في وقت حادثة مطار روما والتغطية التي تلتها، قامت الموساد بين الحين والاخر بتزويد السي آي اية بقوائم من المعدات العسكرية الروسية التي يتم ارسالها الى مصر وسوريا، بما فيها الارقام المتسلسلة للاسلحة والارقام المتسلسلة الفردية، وكان لذلك هدفان: أن تبدو الموساد جيدة لأنها تستطيع أن تحصل على هذه المعلومات وان تساعد في تأكيد بناء عسكري، ويمكن لهذا أن يساعد

السي آي ايه في اقناع الحكومة الامريكية بزيادة دعمها لاسرائيل، ولم تستطع السي آي ايه أن تخبر الكونغرس بمصدر هذه المعلومات، الا أنها اكدت نفس المعلومات التي اعطيت للكونغرس من قبل جماعات الضغط اليهودية.

كان الامريكيون يعتبرون الرئيس الليبي معمر القذافي رجلاً خطرا، وبدا العالم كله، في اواسط السبعينات، في حالة فوضى، حيث كانت الجماعات الثورية الفدائية الصغيرة تظهر في كل مكان، فقد كان في فرنسا حركة العمل المباشر، وفي المانيا بادر ماينهوف، والجيش الاحمر الياباني، والالوية الحمراء الايطالية (التي قتلت رئيس الوزراء الدو مورو في عام ١٩٧٨) وحركة ايتا في اقليم الباسك في اسبانيا (التي أعلنت مسؤوليتها عن قتل رئيس الوزراء الاسباني كاريرو بلانكو في عام ١٩٧٤)، وحوالي خمس منظمات فلسطينية مختلفة، وحتى في الولايات المتحدة كانت هناك حركة ويذرمن وجيش التحرير السيمبيونيزي ـ الذين قاموا في عام ١٩٧٤ باختطاف باتريشيا هيرست، وهي وريثة ثروة ضخمة.

في غمرة هذه الثورة، تعرضت كنس ومؤسسات يهودية أخرى في اوروبا لهجمات بالقنابل، لذلك كان الوقت مناسباً لتوجه الموساد اللوم ازاء العمل الطائش الايطالي للمصريين والليبيين، مع أنهم لم تكن لهم أية علاقة بذلك.

حصلت الموساد على قائمة صواريخ ستريلا التي كان الايطاليون قد صادروها. ولم يكن منها سوى اثني عشر، لكنهم يقلقون في وقت لاحق ازاء الصاروخين المفقودين، وقد اضيفت الارقام المتسلسلة لهذين الصاروخين الى القوائم التي كانوا يرسلونها الى السي آي ايه بالاسلحة التي يرسلها الروس الى مصر، مع أن الموساد عرفت من استجوابها للفدائيين بان هذه الصواريخ نفسها قد جاءت من يوغوسلافيا.

لكن القصة التي اخترعتها «لاب» للاستهلاك العام في ايطاليا تقول بان الفدائيين، الذين حصلوا على الاسلحة من ليبيا، قد غادروا بيروت بالسيارة في أواخر كانون الاول ١٩٧٢، وهم يحملون صواريخ ستريلا، ووصلوا الى ايطاليا بقارب شحن وتوجهوا بالسيارة الى روما، ربما في طريقهم لمهاجمة هدف يهودي في فيينا. وقد تم القول بان سبب هذا المسار الدائري هو أن دخول بلد أوروبي غربي من بلد آخر أسهل من المرور عبر الجمارك لدى القدوم من بلد شيوعي. وقد قامت الشرطة الايطالية في ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٣ باعتقال الفدائيين «رسميا» بسبب نقل المتفجرات، وكانوا قد أوقفوا منه هجومهم الفاشل على المطار بينما كانت «لاب» تلفّق قصة تغطية، والامر الذي لا يصدق أن الشرطة الايطالية أفرجت عن الفدائيين، اثنين في المرة الاولى، ثم ثلاثة آخرين فيما بعد.

لكن في تلك الاثناء كان الامريكيون يدخلون كل هذه المعلومات المأخوذة من الموساد في

نظام حاسوبهم العسكري، وعندما أعلن الايطاليون أخيرا، يوم ٢٦ كانون الثاني، بانهم اعتقلوا الفدائيين وصادروا اسلحتهم فقد قاموا، ايضا، بتمرير الارقام المتسلسلة لصواريخ ستريلا الى السي آي ايه، التي قامت بدورها باعطاء المعلومات لمخابراتها العسكرية. وعندما قورنت تلك الارقام المتسلسلة مع تلك التي قدمتها الموساد على أنها قادمة من روسيا عبر مصر وليبيا، فقد أظهر الكمبيوتر الامريكي صحة الارقام، فآمن الامريكيون عندئذ ان الروس قد زودوا مصر بالصواريخ والتي قامت بدورها باعطائها للقذافي، الذي سلح الفدائيين، وهو دليل آخر على أن الزعيم الليبي يجسّد ما كانت تظنه الولايات المتحدة فيه، وكانت الموساد وحدها التي تعرف الحقيقة.

يبدو أن السبب الرئيسي الذي جعل الايطاليين يفرجون عن الفدائيين هو أنهم كانوا خائفين من وصول القضية الى المحكمة فتنكشف الحقيقة: ان المخابرات الايطالية كانت قد سمحت لخلية من الفدائيين بالوصول الى نقطة كادوا معها أن يغتالوا زعيما عالميا.. انها فضيحة كبيرة.

كانت الموساد قلقة لأن اثنين من الصواريخ لم يرد لهما أي ذكر. لكن الايطاليين كانوا سعداء لأن انزعاجهم لم ينكشف بينما اعتقد الامريكيون ان القذافي كان وراء الأمر كلّه.

بينما كان الفدائيون ما يزالون في السجن، قام رجال الامن من جهاز شاباك باستجوابهم وتوصلوا إلى أن علي حسن سلامه، الامير الاحمر، كان متورطا، لذلك أصبح مطلوبا جدا للموساد.

كانت الشرطة الايطالية قد سمحت لرجال شاباك باستجواب الفلسطينيين في روما، وعلى الاغلب فان فريقا من اثنين من اعضاء شاباك يدخلان الى غرفة يوجد فيها سجين واحد جالس على كرسي، ويداه مقيدتان وراء ظهره، وساقاه مقيدتان ايضا بسلسلة مربوطة بالقيد، واول ما يطلبه رجلا الشاباك من الشرطة الايطالية هو مغادرة الغرفة: «هذه غرفة اسرائيلية الان. سنكون مسؤولين عن السجين». ومما لا شك فيه ان السجين من منظمة التحرير الفلسطينية، يصاب بالذعر، فبعد كل ذلك فانه ربما كان ذهب الى اوروبا لتجنب الوقوع في ايدي الاسرائيليين.

بعد اغلاق الباب، يمكن لضابطي الشاباك، اللذين يتحدثان العربية، أن يكونا قالا شيئا مثل: «اننا صديقان من المخابرات».

ولا بدّ أن يتاكدا من ان السجين يعرف هوية من يتعامل معهما ويعرف وضعه، ثم يقومان بنزع القيود العادية واستبدالها بنوع أقسى يفضلانه، ولأن القيود مصنوعة من البلاستيك فانها تبدو مشابهة لحبال الشد البلاستيكية التي تستخدم لربط شارات الاسماء على الحقائب، لكن هذه أقوى ولها شفرات صغيرة لتمسك المرابط، وعلى عكس القيود العادية التي تعطي مجالا للحركة

فان هذه يمكن شدها فتقطع الدورة الدموية وتسبب ألما شديداً.

بعد تقييد ذراعيه وساقيه بهذه القيود، وبينما يتحدث ضابطا الشاباك عن وضعه المحزن، فانهما يضعان كيساً من الخيش على رأس السجين، ثم يفكّان ازرار البنطلون ويخرجان قضيبه، ويتركانه جالساً هناك مقيد اليدين ومعصوب العينين وعلى رأسه كيس خيش واعضاؤه الجنسية بارزة، ثم يقولان له ساخرين: انك الان تشعر بانك في بيتك! لنبدأ بالحديث.

في تلك اللحظة لم يحتاجا الى وقت طويل لفهم الحديث، وفي هذه الحالة ومن سوء حظ الشاباك أنهما لم يكونا يعرفان بان السجناء سيتم الافراج عنهما، لذلك طرحا اسئلة كثيرة عن سلامة، وكانت الاسئلة كثيرة جدا الى درجة ان الخبر وصل الى الامير الاحمر، عندما خرج السجناء، بانه هدف الموساد رقم واحد.

في ذلك الوقت كانت ايلول الاسود تضرب بقسوة، فكانت الرسائل الملغومة ما تزال شائعة، وكانت الهجمات بالقنابل اليدوية وعمليات التفجير تجري بشكل منتظم في كل انحاء اوروبا، وبينما كانت الموساد متلهفة جدا للوصول الى سلامة، كان قادة ايلول الاسود في بيروت متلهفين لانقاذه، فقد كان ابنهم المفضل، لذلك حذوره وطلبوا منه الاختفاء عن الانظار في الوقت الحالي.

لكن زعيم أيلول الأسود، أبو يوسف، الذي كتب له أن يقتل بعد بضعة أسابيع على يد كوماندو اسرائيليين في ٢٠ شباط ١٩٧٣ خلال غارة على مقرّه في بيروت، قرر أن على المنظمة استبدال سلامة، ولو مؤقتا، في ادارة العمليات الاوروبية، لذلك استقروا على محمد بودية، وهو جزائري المولد، ومعروف جيدا في المجتمع الباريسي العصري، وبدأ بخليته التي تحمل اسمه: خلية بودية.

كانت فكرة بوديه تنسيق جميع الجماعات الفدائية التي تعمل في اوروبا في جيش سري واحد مرعب، فرتب لتدريب اعضاء جماعات مختلفة في لبنان، وبين عشية وضحاها أوجد منظمة انتحارية كبيرة، وهي نوع من دور المقاصات لجميع الفئات، ومع ان الفكرة كانت جيدة من ناحية نظرية، الا ان المشكلة الرئيسية تمثلت في ان تنظيمات منظمة التحرير الفلسطينية كانت من القوميين المتطرفين بينما كانت معظم الجماعات الاخرى من الماركسيين الراديكاليين، والاسلام والماركسية لا يمتزجان بسهولة.

كان لبودية ضابط ارتباط يسافر بين باريس وبيروت، وهو فلسطيني اسمه مغربل، وفي غارة الكوماندو الاسرائيليين على مقر ايلول الاسود في بيروت كان ملف مغربل، مع صورته، بين الملفات الكثيرة التي ضبطت وأخذت الى تل ابيب.

ودخل اللعبة رجل الموساد اورين ريف، وكان كل شيء ساخنا، لم يكن هنالك أي وقت

للتشكيلات الحذرة المألوفة، فقد طلب من ريف الذي كان يتحدث العربية، في حزيران ١٩٧٣؛ أن يقوم بجهود لمواجهة لتجنيد مغربل، أي مواجهته مباشرة وتقديم عرض له (هنالك الكثير من الفوائد لهذا الاسلوب: فهو في بعض الاحيان يجلب العملاء، واذا أخفق فانه قد يخيف الشخص المعني الى درجة أنه يتوقف عن العمل مع الجانب الاخر أو يتم وقفه بالقوة كما حصل مع الفيزيائي المصري، المشد).

كان مغربل يقيم في فندق ضخم في لندن، وتمت ملاحقته ليوم ونصف اليوم، وكان الفندق مطوقا، واخيرا، كان على ريف أن يطرق بابه لدى عودته من نزهة، وكانت غرفته قد تم تفتيشها بحثا عن اسلحة مخبأة، ولم يكن هنالك اية اسلحة أو أي شخص آخر. في طريق مغربل الى غرفته بالمصعد، باغته رجل، صدفة، وأخذ يفتشه بحثا عن اسلحة مخبأة كما فعل من قبل، ولان مغربل كان من رجال منظمة التحرير الفلسطينية فقد اعتبر بالغ الخطورة، لكن بعد اتخاذ كل الاحتياطات التي سمحت بها الظروف، انتظر ريف دخول الرجل الى غرفته ثم ذهب الى الباب.

نظر بسرعة الى الرجل الاخر ليتأكد من أنه لم يذهب لاحضار سلاح، سرد ريف محتويات ملف مغربل في ايلول الاسود: اسمه وعنوانه وعمره وكل ما كان الملف يحويه.

ثم قال: انني من المخابرات الاسرائيلية، ونرغب في ان ندفع لك مبلغا محترما، نريد منك أن تعمل معنا.

أخذ مغربل، وهو رجل أنيق ومتطور ويرتدي ملابس ثمينة، أخذ ينظر الى ريف محدقا، وابتسم ابتسامة عريضة وقال: ما الذي جاء بك كل هذه المسافة؟

عقد الرجلان اجتماعا سريعا استغرق خمس دقائق، وربّما لاجتماع آخر، يمكن أن يكون اكثر رسمية وأمنا، ولم يكن المال هو الذي اثار اهتمام مغربل، مع أنه كان في حاجة اليه، لكنه كان يريد غطاء مزدوجا حتى اذا حدث شيء لأحد الطرفين فانه يظل في أمان، لقد كانت القضية بقاءه الشخصي، واذا كان الطرفان يريدان أن يدفعا له فهذا رائع.

أعطى لريف معظم الاماكن الذي يقيم فيها بودية، وكان بوديه يحب النساء وكان له عدد من الخليلات في كل انحاء باريس. كان يعرف انه هدف، لذلك استخدم شقق النساء كبيوت مأمونة، يقيم كل ليلة في شقة مختلفة، لكن حيث أن مغربل يحتاج الى ان يكون على اتصال معه فقد كان يعرف كل العناوين وعندما مرّرها ريف الى متساداه* بدأت الدائرة تتعقب بودية في جولاته. وعلمت أنه كان مشغولا في تحويل بعض المال لعملية مقبلة الى شخص فنزويلي اسمه ايليش راميريز سانشيز، ينحدر من اسرة غنية، ودرس في لندن وموسكو وكان يعيش في باريس ويقوم بعمل لحساب منظمة التحرير الفلسطينية.

---

* متسادا: لمعرفة معنى الكلمات العبرية انظر المسرد في نهاية الكتاب.

اكتشفت متسادا على الفور ان بودية رجل حريص، وما تبحث عناية وكالة مخابرات في مثل هذه الامور هو الشيء الثابت - اي ما يفعله الهدف بانتظام. فمثل هذا العمل لا يمكن ان يتم وليد اللحظة، «انه هنا. . هيّا نقتله». فذلك لا يحدث، بل ينبغي التخطيط لتجنب اية تعقيدات، والشيء الثابت ازاء بودية انه كان يقود سيارته الرينو ١٦ الزرقاء اينما يذهب، وكان يزور مكانا واحدا اكثر من الاماكن الاخرى، انه يقع في شارع فوسيه سانت بيرنار.

ومع هذا لم يكن بوديه يدخل سيارته قبل ان يفتح غطاءها الامامي، ويتفقد تحتها وينظر في الصندوق الخلفي وعلى ماسورة العادم بحثا عن متفجرات محتملة. ونتيجة لذلك فقد قررت متسادا ان تزرع لغم ضغط داخل مقعد سيارته، ولأنها لم ترد ان يشك الفرنسيون في الموساد تم صنع القنبلة لتبدو وكأنها محلية الصنع، حشيت بالصواميل وخردة الحديد، وركّبت القنبلة على لوحة معدنية ثقيلة عند القاع حتى تنفجر الى الاعلى وليس الى الاسفل عندما تتعرض للضغط.

في ٢٨ حزيران ١٩٧٣ ترك بودية شقته بالبناية، وقام بعملية التفقد المعتادة، ثم فتح باب السيارة ورمى بنفسه على المقعد. وبينما كان يغلق الباب، انفجرت السيارة فمات على الفور. وكان قوة الانفجار شديدة حتى ان كثيرا من الصواميل والمسامير الملولبة اخترقت جسده وخرقت سقف السيارة.

اعتقدت الشرطة الفرنسية، التي كانت تعرف علاقته بالجماعات الارهابية، ان الانفجار وقع صدفة عندما انفجرت المتفجرات التي كان يحملها، وهو استنتاج ترويه دوائر الشرطة في اغلب الاحيان بدلا من ايراد تفسيرات اخرى.

ومع ان ايلول الاسود لم يكن لديها اي دليل مباشر على ان الموساد قتلت بودية، فانها عرفت ذلك. فامرت بالانتقام الفوري بقتل شخص اسرائيلي، وصدر امر لطالب فلسطيني يدرس في جامعة كاليفورنيا للحصول على سلاح والتوجه الى السفارة الاسرائيلية في واشنطن، وعللوا ذلك بان شخصا غير معروف ابدا يمكن ان يضرب ويهرب بسهولة اكثر من شخص ذي علاقة بمجموعة ارهابية قد تتعقبه المخابرات الاميركية. . وهكذا، في الاول من ايلول ١٩٧٣ توجه شاب غير معروف الى العقيد يوسف الون، مساعد الملحق الجوي في السفارة، وارداه قتيلا في الشارع، وهرب، ولم يتم القاء القبض على الرجل المسّلح ابدا. وقد علمت الموساد بعلاقة هذا الشخص بعملية بودية فيما بعد، من بعض الوثائق التي ضبطت بعد حرب يوم الغفران.

بعد اغتيال بوديه، قام مغربل باشعار ريف بان ايلول الاسود قد احضرت الفنزويلي، سانشيز، الى باريس ليدير عمليتها الاوروبية، ولم تكن الموساد تعرف الا القليل عنه، لكنها اكتشفت بسرعة ان اسمه المستعار المفضل هو كارلوس راميريز، او كارلوس كما اصبح يعرف فيما بعد. وخطط له لأن يصبح سريعاً واحدا من اشهر الرجال في العالم واكثرهم اثارة للخوف.

* * *

كان علي حسن سلامة، وهو ليس شخصا غبيا، مشغولا باقامة امنه الشخصي، فقد اراد ان يتجنب الموساد وان يجعل أسرائيل تبدو سيئة، في الوقت نفسه، لذلك رتّب مع متطوعين ان ينخرطوا مع الموساد من خلال سفارتين مختلفتين، وكانت مهمتهم تزويد الاسرائيليين بسلسلة من التواريخ والمواقع التي تظهر تحركاته، ليست تحركاته الحقيقية طبعا وانما التحركات التي اراد من الموساد ان تصدقها. وقد ادى هذا في نهاية الامر لتتوجّه الموساد الى بلدة صغيرة في النرويج تسمى ليليهامر، على بعد حوالي ٩٥ ميلا شمالي اوسلو، حيث كان هنالك نادل في مطعم، يحمل ملامح الامير الاحمر*.

كان رئيس متسادا، مايك هاراري مسؤولا عن عملية النيل من سلامة، وقد تأكد سلامه من توجه رجاله نحو النادل الذي لم يكن يشكّ في شيء والذي يتعرض لمراقبة الموساد، والتحدث معه مما يؤكد انه الشخص الذي تظنه الموساد. ومع انه لم يكن ذلك الشخص، ففي ٢١ تموز ١٩٧٣ قتلت الموساد النادل البريء وذهب ثلاثة اشخاص الى السجن، وقد تحدث احدهم كثيرا، وهو دافيد آربل، وربما اصبحت «قضية ليليها مر» اكبر فضيحة وازعاج في تاريخ الموساد.

وفي باريس كان كارلوس يتولى الامور، ولم يكن مجتمع المخابرات الاوروبية يعرف اي شيء عنه، لم يكن يتحدث العربية، بل لم يكن يحب العرب. لكن مغربل، الذي تم تجنيده مؤخرا كعميل للموساد على يد اورين ريف ظل ضابط اتصال لكارلوس.

في عملية ترسيخ عملية باريس، حظي كارلوس بالسيطرة على مخزون اسلحة ايلول الاسود في كل انحاء اوروبا، ومن بين اشياء كثيرة، ورث صاروخي ستريلا «المفقودين» اللذين كانا جزءا من المحاولة الفاشلة لاغتيال غولدا مائير.

بالاضافة الى عمل مغربل كرجل اتصال مع ايلول الاسود فقد كان يقوم بنفس المهمة لمجموعتين فلسطينيتين اخريين: الجبهةالشعبية لتحرير فلسطين ومنظمة الشباب الفلسطيني، وكان حجم المعلومات الواردة منه للموساد مذهلا واخذت الموساد، بعد تقليب المعلومات وابقاء ما تريد منها لنفسها، في تغذية المخابرات الاوروبية والسي آي ايه بكثير من المعلومات فلم تكن تعرف ما تفعل بها كلها. وقد اضحت نكتة داخلية يرددها ضباط المخابرات الاخرى الذين كانوا يتساءلون: هل وصلنا كتاب الموساد هذا اليوم؟ وكانت العلاقة مع السي آي ايه وثيقة في ذلك الوقت فكان الاميركيون يتندرون حول «مقعد الموساد في لانجلي» (مقر السي آي ايه في فرجينيا). ان اغراق السوق بهذه المعلومات ربما لم ينفع احدا، مع ان احدا لا يمكن ان يقول فيما بعد بانه لم يتم إعلامه. وكان نظاما استخدمته الموساد بنجاح فيما بعد.

---

* النادل الذي قتل هو احمد بوشيكي مغربي الجنسية للمزيد انظر كتاب «امراء الموساد» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩١).

لقد اهتم كارلوس بصاروخي ستريلا اللذين خلفتهما عمليةروما، والظاهر انه عندما قسم الفريقان الصواريخ تركا اثنين في مكان مأمون لم تكن الموساد تعرفه، ولو انها لم تقتل الارهابي الذي قبض عليه في وقت محاولة الاغتيال لاستطاعت العثور عليه، فقد كان واحدا من الفريق الذي كان يستخدم ذلك البيت المأمون بعينه.

مع ان كارلوس لم يقم بأية عملية ضد اي هدف يهودي بعد، فقد بدأت الموساد تدرك انه شخص خطر. وقد علمت بالصاروخين من خلال مغربل، لكن لم يكن هنالك اية وسيلة للوصول اليهما، فالموساد لا تستطيع ان تقوم باي تحرك نحو البيت دون حرق مغربل الذي كان يتصل هاتفيا كل يومين او ثلاثة ايام ليقدم المعلومات، وفي وقت من الاوقات خصصت الموساد له عامل مقسم مدة ٢٤ ساعة في اليوم.

كان كارلوس يريد استخدام الصاروخين ضد طائرة اسرائيلية لكنه لن يشارك في عملية تستدعي تخطيطا معقدا، كانت تلك قاعدته ـ كما كانت جزءا من سبب عدم القبض عليه. فقد يخطط عملية ويرى فيما اذا كانت قد نفذت لكنه لا يشارك.

كانت الموساد تعاني من مشكلة مع الصاروخين، ومن الواضح ان مغربل كان اثمن من حرق في هذه العملية لكن اذا سمح للفلسطينيين بالوصول الى المطار بالاسلحة فانهم سيستطيعون ان يدمروا طائرة اسرائيلية.

كان اورين ريف يدير الامور، وكان شخصا عاقلاوواضحاً، وفي نهاية عام ١٩٧٥ كان واحدا من الاحد عشر شخصا السيئي السمعة الذين وقعوا رسالة الى رئيس الموساد وقالوا فيها ان المنظمة جامدة ولا فائدة منها وتقف موقفا خاطئا من الديمقراطية. وهي رسالة تعرف على نطاق داخلي فقط باسم «رسالة الاحد عشر» وكان ريف الشخص الوحيد الذي بقي من الاحد عشر، إذ تم طرد الاخرين ومع هذا تم تجاوزه مرتين وحرمانه من الترقية. وفي عام ١٩٨٤ عندما طلب ملفه ليرى سبب عدم ترقيته قيل له ان الملف غير موجود، وهي قصة غير محتملة لأن المنظمة تضم ١٢٠٠ شخص فقط بمن فيهم السكرتيرات والسائقون.

ونتيجة لتلك الرسالة تم تغيير انظمة «ناكا» حتى لا يقوم اكثر من شخص آخر في الموساد بالمشاركة في توقيع رسالة.

وعلى اية حال فقد اتصل ريف بالملحقية في روما وطلب منهم ان يتصلوا بصديقهم في المخابرات الايطالية، امبورغو فيفاني، ويعطوه عنوان البيت المأمون الذي يوجد فيه الصاروخان. قال ريف «اخبروه بانكم ستتصلون به في الوقت الذي يكون فيه جميع المعنيين هناك وان عليه الحضور الى الشقة في ذلك الوقت بالذات. وبتلك الطريقة يستطيع القبض عليهم».

كانت وحدة من ضباط تجنيد العملاء تطوق المكان، وفي ٥ ايلول ١٩٧٣ عندما رأوا جميع

الفدائيين يدخلون، اتصلوا بالمخابرات الايطالية، وكان الايطاليون يتفرجون ـ وكذلك رجال الموساد الذين رأوا الايطاليين لكن الايطاليين لم يروهم ـ ودخلوا الشقة واعتقلوا الرجال الخمسة ـ من لبنان وليبيا والجزائر والعراق وسوريا ـ وصادروا الصاروخين.

تقول القصة التي رويت ان الخمسة خططوا لاسقاط طائرات مدينة من على سطح شقتهم خلال اقلاعها من مطار فيو ميشينو في روما، وكانت القصة مضحكة لأن الطائرات لا تطير فوق تلك الشقة، لكن ذلك لم يكن مهما مع أن الناس صدقوها.

في ذلك الوقت كان رئيس المخابرات الايطالية قريبا جدا من الموساد، وفي الحقيقة، فان الايطالي، الذي يحمل آلة تصوير مخفية، اعتاد على السفر الى الاقطار العربية وتصوير المنشآت العسكرية العربية للموساد.

ومع ان الايطاليين قبضوا على الفدائيين وبايديهم صاروخان فانهم اطلقوا سراح اثنين منهم على الفور، بكفالة، فغادرا روما، وتم اطلاق سراح الثلاثة الآخرين وارسلوا الى ليبيا، لكن في الاول من اذار ١٩٧٤، وبعد ان طاروا الى هناك انفجرت طائرة إلداكوتا التي اقلّتهم وهي في طريق عودتها الى روما فقتل الطيار والفريق، ولا يزال هنالك تحقيق تقوم به الشرطة حول الانفجار.

يقول الايطاليون ان الموساد هي التي فعلتها، لكنها لم تفعلها، واغلب الظن ان منظمة التحرير الفلسطينية هي التي دبّرت الانفجار. فقد تكون اعتقدت ان الفريق رأى شيئا عندما انزلوا الفدائيين في ليبيا او خافت من ان يعرفوهم في عملية اخرى، ولو ان الموساد نسفت الطائرة لقامت بذلك خلال وجود الفدائيين على متنها.

في ٢٠ كانون الاول ١٩٧٣ كان كارلوس في باريس وكان له بيت في ضواح المدينة، وهو مكان تخزين لذخيرة منظمة التحرير الفلسطينية وكانت الموساد تبحث عن سبب لتعطي العنوان للفرنسيين دون حرق عميلها الثمين، مغربل.

وفي صباح ذلك اليوم قام كارلوس بنمطه المعهود من الاعمال الارهابية ـ التفجير والهروب ـ فقد ترك شقته وهو يحمل قنبلة يدوية وركب سيارته وساقها في احد الشوارع وقذف القنبلة اليدوية على مكتبة يهودية فقتل رجلا وجرح ستة اشخاص آخرين. وكان ذلك السبب كافيا لتقوم الموساد بتمرير عنوان مخزن الذخيرة لكن عندما هاجمته الشرطة الفرنسية وجدت اسلحة وبنادق وقنابل يدوية واصابع تي ان تي ومنشورات دعائية وحوالي دزينة من الرجال، لكن لم تجد كارلوس، فقد غادر فرنسا في نفس اليوم.

في اليوم التالي اتصل مغربل من لندن وطلب لقاءه هناك، فقال مغربل انه لا يستطيع

الذهاب لان الشرطة البريطانية تطلبه، وحاولت الموساد ان تقنعه بالذهاب لكنه لم يوافق، لذلك فقدت الاتصال مع كارلوس لبعض الوقت.

في ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٤ اتصل كارلوس مرة اخرى مع مغربل، وقال: انني إليش. سآتي الى باريس. عليّ ان اوقع اتفاقية غدا او بعد غد.

اعلنت جميع المواقع الاسرائيلية في بريطانيا حالة التأهب لكنه لم يكن تأهبا واضحا خوفا من ان تكون المكالمة امتحانا من كارلوس لاخلاص مغربل. فقد كانت الموساد تعرف ان كارلوس يسبق الجميع بخطوة الى الامام.

بعد يومين، في ٢٤ كانون الثاني، مرت سيارة عن بنك اسرائيلي في لندن وقام الرجل الوحيد في السيارةبالقاء قنبلة يدوية على البنك فجرحت امرأة.

في اليوم التالي طلب كارلوس الاجتماع مع مغربل في باريس وقال له بانه يريد ان يتغاضى عن الاهداف الاسرائيلية في الوقت الحاضر، لان الامور ساخنة جدا، لكن عليه بعض الديون التي يجب تسديدها للعصابات اليابانية والالمانية. والتي يجب انجازها قبل اي شيء آخر لمنظمة التحرير الفلسطينية.

لقد جعلت هذه المكالمة الموساد تشعر بالارتياح، وربطتها بمعلومات اخرى كانت لديها. لكن مع كارلوس لا يمكن الشعور بالارتياح طويلا، ففي ٣ آب من تلك السنة، انفجرت ثلاث سيارات ملغومة في باريس، اثنتان خارج مكاتب جرائد، وواحدة (كشفت قبل الانفجار) خارج محطة اذاعة وقد اعتقدت الشرطة الفرنسية ان العمليات من تدبير «الفعل المباشر»، وكانت كذلك لكن كارلوس ساعد في توفير القنابل وزرعها، ثم توجه بسيارته ألى جزء آخر من باريس حتى يكون بعيدا عن العملية الحقيقية.

وعلمت الموساد ان كارلوس تلقى مجموعة من قاذفات الصواريخ المضادة للدروع اربي جي ٧ الروسية الصنع، والآر بي جي سلاح فعال يسهل حمله ولا يزن سوى ١٩ باوندا وأقصى مدى له ٥٥٥ ياردة على هدف ثابت، و ٣٣٠ ياردة على هدف متحرك. وهو يستطيع خرق الصفيح الذي يبلغ سمكه ١٢ انشا.

في ١٣ كانون الثاني ١٩٧٥، توجه كارلوس وزميله ويلفرد بوز الى مطار اورلي بحثا عن المتاعب، (كان بوز عضوا في بادر ماينهوف وقد قتل في ٢٧.حزيران ١٩٧٦ في عملية تحرير الرهائن المشهورة في عنتيبي، اوغندا) وعلى اية حال فان الرجلين لاحظا ذيل طيارة اسرائيلية على المدرج.

قاد كارلوس سيارته مرة اخرى لالقاء نظرة ثانية، واوقف السيارة وقذف زجاجة حليب صغيرة على الطريق، ناثرا السائل كاشارة له للمكان الذي يستطيع منه ان يرى الطائرة الاسرائيلية بشكل افضل، وجلس كارلوس في السيارة وقد رفع قدميه الى سقفها، وسار بوز بسيارته ثم تقدم

ببطء بسرعة حوالي عشرة اميال في الساعة، وعندما اقترب من بقعة الحليب نهض كارلوس واطلق النار فأخطأ الطائرة الاسرائيلية لكنه اصاب طائرة يوغوسلافية واحد مباني المطار. ثم ساق السيارة مسافة بضعة ياردات وتوقفا. وقفز كارلوس منها وجلس في المقعد الآخر وانطلقا.

عندما عاد الى الشقة اخبر مغربل بما فعل، لكن مغربل قال له انه سمع بذلك من الاذاعة وانه اخطأ الطائرة الاسرائيلية.

قال كارلوس: نعم، لقد اخطأناها هذه المرة لكننا سنعود في التاسع عشر ونفعلها مرة اخرى.

ومن الطبيعي ان مغربل اوصل هذه المعلومة الى اورين ريف، ومرة اخرى لم ترد الموساد حرق مثل هذا العميل الحيوي، لذلك امر بمضاعفة الاجراءات الامنية ونقل جميع الطائرات الاسرائيلية الى الجهة الشمالية من المطار حتى لا يكون هنالك سوى مجال واحد للاقتراب منها اذا ما وفى كارلوس بتهديده.

في ١٩ كانون الثاني وبعد تحذير الفرنسيين من احتمال وقوع هجوم ارهابي، وصل كارلوس مع ثلاثة رجال في السيارة، مروا ثلاث مرات ثم توقفوا، لكن الشرطة الفرنسية حضرت وقداطلقت صفارات الانذار، لم يطلق الرجال النار، بل تظاهروا بانهم يلقون اسلحتهم وفروا تاركين سيارتهم خلفهم. وامسك كارلوس بامرأة مارّة وصوب مسدسا الى رأسها، وحذا احد زملائه حذوه ولحوالي ثلاثين دقيقة لم يصلوا الى نتيجة للمفاوضات.

ومع انه لم يتم اطلاق النار فانهم انسحبوا، وظلت اسلحتهم وراءهم، واختفى كارلوس، ولم يعرف مغربل مكانه.

* * *

طوال الشهور الخمسة التالية كانت الامور هادئة، كان مغربل ما يزال يقدم المعلومات القيّمة، لكنه لم يسمع اي شيء عن كارلوس، وعندها اصبح عصبيا، فقد اخبره اصدقاؤه ان البعض في بيروت يشتبهون في نشاطاته ويريدون التحدث معه، وفي هذا الوقت كانت الموساد قد قررت ضرب كارلوس، لكن كل ما اراده مغربل هوية جديدة والخروج من اللعبة باسرع ما يستطيع. فقد بدأ يخشى من ان كارلوس يقصده.

لم ترد الموساد ان يتولى ريف نفسه قضية كارلوس، ولم ترد من متسادا ان تصفّيه، لذلك تقرر ان تترك الامر كله للفرنسيين مع انها كانت مستعدة للمساعدة بتقديم بعض المعلومات.

في ١٠ حزيران ١٩٧٥، اتصل كارلوس مع مغربل، الذي تحدث مع كارلوس بذعر وقال له بان عليه ان يغادر باريس، لكن كارلوس دعاه الى شقة في شارع توليبيه في المنطقة الخامسة، وكان

البيت واحدا من تلك البيوت المتلاصقة التي لا يمكن الوصول اليها الا بدخول اقرب بيت الى الشارع المواجه وعبر حديقة او بصعود بعض السلالم واجتياز ممر مشّاة. ولان له مدخلا واحدا فقط لذلك فان له مخرجا واحدا. لقد كان مكانا غريبا لاقامة كارلوس فيه.

من خلال متطوع يهودي محلي، استطاع ريف ان يستأجر الشقة امام المبنى الذي يطل على الساحة وعلى شقة كارلوس. كان مكانا صغيرا من النوع الذي يستأجره السياح ليوم او لاسبوع، وكان ريف في الشقة العليا يشرف على ما تحته.

تم اشعار الشرطة الفرنسية بان في الشقة رجلا على علاقة مع تاجر اسلحة معروف، ورجلا آخر(مغربل) يريد ان يتخلص من وضع شائك ويريد ان يتحدث بما عنده، ولم يتم اعلام الشرطة بان الشخص هو كارلوس، وبان مغربل عميل.

قال ريف لمغربل بانه سيحضر الشرطة الفرنسية اليه: «قل لهم انك تريد الخروج والسفر الى تونس، سوف تتأكد من انهم لن يكون لديهم شيء ضدك. انك تعلم انك غير مأمون طالما ان كارلوس طليق. سوف يطلعونك على صورة كارلوس وصورتك ويسألونك عن الرجل الاخر. حاول أن تتهرب من ذلك، قل لهم انه لا شيء. سوف يصرون على رؤيته لذلك ستأخذهم الى كارلوس. سوف يعتقلونه لاستجوابه. وعندها تتأكد من حصولهم على المعلومات عنه، وسوف يسجن الى الابد، بينما تكون حرا وتعيش في تونس».

كان للخطة بعض الثغرات الكبيرة، لكن اذا ادت الى القبض على كارلوس، فان الموساد لن تكترث.

طلب ريف الاذن من تل ابيب لتحويل معظم ملف كارلوس الى الشرطة الفرنسية، حتى يستطيعوا ان يعرفوا مع من يتعاملون. وكانت حجته ان الموساد تسلمهم عميلا، واذا لم يكونوا يعرفون من هو كارلوس، فان مغربل، عميلهم، سيكون في خطر كبير. والاكثر من ذلك انه كان يخشى من ان يكون الفرنسيون في خطر اذا لم يكونوا مستعدين جيدا لكارلوس، وعلاوة على ذلك فانهم كانوا ما يزالون يعرفون القليل جدا عنه.

كان الجواب الذي تلقاه ريف انه يستطيع ان يحول المعلومات عند الحاجة، بعد احتجاز كارلوس، وبناء على امور يجب التفاوض حولها مع الفرنسيين. وبكلمات اخرى، اذا اراد الفرنسيون معلومات فان عليهم ان يدفعوا ثمنا لها.

كان سبب عدم اعلام الفرنسيين حول كارلوس قضية بسيطة تتمثل في التنافس والحسد بين دائرتي الموساد: تسوميت، او ميلوخا كما اصبحت تسّمى فيما بعد، التي كانت تتولى ال ٣٥ ضابط تجنيد التابعين للموساد، وكانت الجهة الرئيسية لتجنيد العملاء من الاعداء، وتيفيل، او كايسروت، دائرة الارتباط.

كانت تيفيل تكافح مع تسوميت لاعطاء معلومات اكثر. وكانت وجهة نظرها انها تستطيع ان تعطي للوكالات الاخرى التي تصبح اكثر ودّا، وتحصل منها على معلومات اكثر مقابل هذا. لكن تسوميت كانت دائما ترفض، قائلة بانه لا ينبغي اعطاء المعلومات بسهولة، وانه يجب تلقي شيء ما، بشكل مباشر، مقابل اي شيء يتم اعطاؤه.

وبهذه المناسبة، عندما كان رئيسا الدائرتين يجتمعان لمناقشة طلب اورين ريف (الذي كان مع تسوميت في ذلك الحين) لاعطاء الفرنسيين معظم ما في ملف كارلوس، انقلب الوضع المألوف، فقد ارادت تسوميت اعطاء التفاصيل، لكن تيفيل رفضت. لذلك قال رئيس تيفيل، استغلالا للفرصة لتحقيق نقطة داخلية «ما هذا؟ انهم يريدوننا ان نعطي الفرنسيين معلومات؟ عندما نريد اعطاء المعلومات ترفضون، لذلك لن نسمح لكم الآن».

واستطاعوا ان يفعلوا ذلك لان احدا آخر لن ينظر الى القضية مرة اخرى. وليس عليهم ان يردّوا على اي استفسار. فقد كانوا قانونا بحدّ ذاتهم.

في اليوم المحدد، راقب ريف كارلوس وهو يدخل شقته، وكان ضباط الارتباط قد تحدثوا مع الفرنسيين واخبروهم اين يستطيعون ان يعثروا على مغربل، وهذا ما فعلوه، وكان في شقة كارلوس مجموعة من الاميركيين الجنوبيين، كانوا يقيمون حفلة.

وصل مغربل بسيارة شرطة ليس عليها علامات، مع ثلاثة رجال شرطة فرنسيين، بقي اثنان منهم معه قرب السلالم، بينما دق الثالث على الباب. فتح كارلوس الباب وقدم الشرطي بلباس مدني نفسه فدعاه كارلوس للدخول. تحدثا لمدة حوالي عشرين دقيقة وبدا كارلوس شخصا جيدا، لا مشاكل، لم يكونوا رأوه او سمعوا به وفيما يتعلق بهم فقد كانوا يتصرفون بناء على تبليغ، لا صفقة كبيرة!

وكان يمكن لريف ان يقول فيما بعد انه اصبح عصبيا وهو يراقب الامور حتى انه اراد ان يندفع ويحذر الشرطة.. لكنه لم يفعل.

واخيرا لا بد ان الشرطي قال لكارلوس ان معه شخصا آخر قد يعرفه. اريد منك ان تتحدث معه. هل تمانع بالذهاب معي؟

في تلك اللحظة أشار الشرطي لزميليه باحضار مغربل. وعندما رآه كارلوس افترض انه احترق. لكن كانت خطة مغربل ان يقول لكارلوس الا يقلق وان الشرطة لا تملك شيئا ضدهما. فقال كارلوس للشرطي: اكيد.. سوف اذهب معك.

في هذا الوقت كان كارلوس يحمل الغيتار الذي كان يعزف عليه عندما دق الشرطي على الباب. ولم يكن الاخرون في الغرفة يعرفون ما يجري، لذلك استمرت الحفلة. تساءل كارلوس فيما

اذا كان يستطيع ان يخبىء القيثار ويحضر جاكيتا، ولم ير الشرطي اي مانع، وفي تلك الاثناء كان الرجال الثلاثة الاخرون يقتربون من الباب.

دخل كارلوس الى الغرفة الاخرى، ورمى القيثار والتقط جاكيتته، وفتح حقيبة القيثار واخرج رشاشا عيار ٣٨، واقترب من الباب وفجأة فتح النار فجرح الشرطي الاول جراحا بليغة برصاصة اخترقت العنق، ثم قتل الشرطيين الاخرين في مكانهما، وضرب مغربل بثلاث رصاصات في الصدر وواحدة في الرأس ـ وكانت الاخيرة من مكان قريب جدا للرأس حتى يضمن موت مغربل.

جن جنون ريف وهو يرى كل هذا من شقته، لم يكن لديه اية اسلحة، راقب يائسا وهو يرى كارلوس يقضي على مغربل ثم يغادر المكان بهدوء.

لكن ريف عرف شيئا واحدا: ان الشرطة الفرنسية عرفت من هو، وعرفت انه جرّ رجالها الى هناك، وبدا الامر لها كأنه فخّ نصب لها. وبعد ساعتين ونصف الساعة، ركب ريف في طائرة العال متوجها الى اسرائيل وهو يرتدي زي مضيف طائرة.

قام الناس الذين كانوا في الحفلة بمساعدة الشرطي الجريح، وطلبوا سيارة اسعاف. لم يكونوا يعرفون شيئا عن كارلوس، وظل الشرطي على قيد الحياة وقد قال فيما بعد ان كارلوس عندما كان يطلق النار كان يصرخ: انا كارلوس. . انا كارلوس. اعادها مرات ومرات.

وأصبح كارلوس مشهورا في ذلك اليوم.

* * *

في ٢١ كانون الاول ١٩٧٥ كان من المعتقد ان كارلوس مشارك في عملية في مقر الاوبيك في فيينا حيث اقتحم ستة مسلحين مؤيدين لمنظمة التحرير الفلسطينية مؤتمر اوبيك وقتلوا ثلاثة اشخاص، وجرحوا سبعة اخرين، واحتجزوا ٨١ رهينة. وخلال السنوات القليلة التالية نسبت اليه عشرات العمليات الارهابية والقاء القنابل وفي ٧٩ ـ ١٩٨٠ وحدها ـ وهي آخر مرة سمعت الموساد فيها عنه ـ وقعت حوالي ١٦ عملية تفجير نسبت الى «الفعل المباشر»، وقد تم كلها على طريقة كارلوس.

ان احدى مشكلات وكالات المخابرات انها تتصرف وراء الابواب المغلقة مما يؤثر على الناس على نطاق عالمي، لكن، لانها تتصرف وراء ابواب مغلقة فانها لا تتحمل اية مسؤولية، فوكالة مخابرات دون هيئة اشرافية اشبه ما تكون بمدفع فالت، مع فارق واحد فقط انه مدفع فالت بحقد مدبّر ويمكن خداعه بالمنافسات الداخلية.

لم يكن هنالك اي مبرّر لموت اولئك الشرطة الفرنسيين، او موت الناس الاخرين الذين

قتلوا على يد كارلوس. وما تفعله الموساد حاليا، لأنها ليست مسؤولة امام احد، لا يضرّ فقط بالجهاز وانما يضرّ باسرائيل ايضا.

لا يمكن الحفاظ على التعاون على اساس شيء مقابل شيء، فعلى مرّ الزمن، سوف تتوقف بعثات وكالات الدول الاخرى عن الثقة بالموساد، ويعدئذ تبدأ بفقدان المصداقية داخل مجتمع المخابرات. وهذا هو ما تفعله، يمكن ان تكون اسرائيل اعظم بلد في العالم لكن الموساد تحطمها باحتكار السلطة لمصلحتها وليس لمصلحة اسرائيل.

الفصل الحادي عشر

اكسوسيت

في صباح ماطر يوم ٢١ ايلول/ سبتمبر ١٩٧٦، ترك اورلاندو ليتلييه ٤٤ سنة، منزله في حي السفارات الأنيق في واشنطن، وكما يفعل عادة فقد جلس خلف مقود سيارته الشيفرولية الزرقاء. وكان يصحب ليتلييه، الذي شغل منصب وزير في حكومة الرئيس التشيلي الماركسي سيء الطالع سلفادور الليندي، زميل بحث اميركي هو روني موفيت، ٢٥ سنة.

وبعد لحظات، مزقت السيارة بقنبلة فجرت عن بعد، وقتل الرجلان على الفور.

وكما هو الحال في مثل هذه القضايا، توجهت اصابع الاتهام الى المخابرات المركزية الاميركية. وكان قد نسب الى هذه الوكالة دور اكبر من الدور الحقيقي الذي لعبته في اسقاط الليندي عام ١٩٧٣ والتي كانت كبش الفداء المفضل دولياً لتفسير كل اعمال العنف. واشار البعض الأخر، عن صواب، الى الشرطة السرية التشيلية «دينا» DINA، والتي كانت قد حُلت قبل عام واحد بضغط كبير من الولايات المتحدة (رغم اعادة احيائها بتنظيم مختلف). وبأمر من رئيس البلاد الجديد، الجنرال اوغوستو بينوشيت اوغرات.

ولم يشر أي واحد الى الموساد.

ورغم ان الموساد لم تتورط مباشرة في العملية التي امر بها رئيس «دينا» مانويل كونتريراس سيبولفيدا فقد لعبت دوراً هاماً غير مباشر في التنفيذ من خلال صفقة سرية مع كونتريراس لشراء صاروخ بحري سطح ـ سطح فرنسي الصنع من طراز «اكسوسيت» من التشيلي.

ولم تستخدم المجموعة التي نفذت عملية قتل ليتلييه عناصر من الموساد لكنهم استخدموا بالتأكيد اساليب الموساد التي درّست لهم كجزء من صفقة عقدها كونتريراس لتزويد اسرائيل بالصاروخ.

وفي اب/ اغسطس ١٩٧٨، وجهت هيئة محلفين كبرى فدرالية اميركية التهمة الى كونتريراس، ومدير عمليات «دينا» بيدرو اسبينوزا برافو، وعميل «دينا» ارماندو فيرنانديز لاريوس، واربعة من اللاجئين الكوبيين هم اعضاء في منظمة كوبية متطرفة مناهضة لكاسترو، مقرها الولايات المتحدة، وكانت تهمة الرجال السبعة هي القتل.

وكان الشاهد الرئيسي في قرار الاتهام المؤلف من ١٥ صفحة هو ميشيل فيرنون تاونلي الأميركي المولد، والذي كان قد رحل الى التشيلي مع ذويه حين كان في الخامسة عشرة من عمره، واقام هناك وعمل

ميكانيكي سيارات، وتم تجنيده من قبل «دينا». وقد اعتبر طرفاً مساعداً في المؤامرة وتعاون مع الادعاء العام في مقابل ان يحكم حكماً مخففاً بالسجن مدته ثلاث سنوات واربعة اشهر. وسلم نظام حكم بينوشيت التشيليين الى المدعي العام الأميركي - وفرّ اللاجئون الكوبيون وقبض على احدهم يوم ١١ نيسان/ ابريل ١٩٩٠، وكان يقطن سان بيترسبورغ، فلوريدا - الا ان التشيلي رفضت باصرار تسليم كونتريراس منسق عملية اغتيال ليتلييه. ولم يحاكم كونتريراس قط على جريمته، رغم انه اجبر، في تشرين اول/ اكتوبر ١٩٧٧، على التخلي عن منصبه بضغط من بينوشيت، في محاولة لتحسين صورة الحكومة العسكرية التشيلية المهتزة.

تجتمع المنظمات الاستخبارية العسكرية الاسرائيلية مرة في كل عام للتخطيط للأحداث القادمة. وثمة اجتماع سنوي لجميع وكالات الاستخبارات في البلاد المدنية والعسكرية يطلق عليه اسم «تسوريخ يديعوت هاسوفوت» او «تسبياخ» على سبيل الاختصار، ومعناها البسيط «معلومات ضرورية». وفي الاجتماع يستعرض «زبائن» المعلومات - مثل «امان»، ومكتب رئيس الوزراء، ووحدات الاستخبارات العسكرية - نوعية المعلومات التي تلقوها خلال العام المنصرم وما هو مطلوب للعام المقبل، وترتب هذه حسب الأهمية ويطلق على الوثيقة التي يصدرها هذا الاجتماع اسم تسبياخ ايضا، وهي تجمل «طلبات الشراء» من الموساد والمزودين الآخرين - مثل اسلحة الاستخبارات العسكرية - من المعلومات الاستخبارية للعام الذي يلي.

ويوجد ثلاثة انواع من مصادر تزويد المعلومات الاستخبارية: هومانت (Humant) او تجمع استخباري والمكون من اشخاص مثل كاتسات الموساد الذين يعملون بالتعاون مع عملائهم المختلفين، والينت (Elint) او الاشارات، وهي مهمة تقوم بها الوحدة ٨٢٠٠ التابعة لأسلحة استخبارات الجيش الاسرائيلي، وسيجنت (Signt) او التجمع الاستخباري من وسائل الاعلام العادية، وهو عمل يشغل مئات الأشخاص في الوحدات العسكرية الخاصة الأخرى.

وفي التسبياخ لا يقرر الزبائن ما يريدونه من الاستخبارات فحسب، بل يصنفون العملاء على اساس انجازهم خلال العام المنصرم. ويحمل كل عميل اسمين رمزيين. اسماً للعمليات، واسماً للمعلومات. وتقارير العمليات التي يصنفها كاتسات الموساد لا يطلع عليها زبائن الاستخبارات. وهم لا يعلمون حتى بوجودها. اما تقرير المعلومات الذي يجري تقسيمه الى عدة ابواب، فيرسل كل باب بشكل منفصل.

وعلى ضوء هذه التقارير، يصنف زبائن الاستخبارات العملاء بمراتب من الألف الى الهاء. ولا ينال أي عميل المرتبة «أ» حتى وان كان مؤهلاً لها؛ اما المرتبة «ب» فتعني مصدراً موثوقاً جداً، والمرتبة «ت» متوسط؛ والمرتبة «د» خذ كلامه بحذر؛ اما المرتبة «هـ» فتقول لا تتعامل معه. وكل كاتسا يعرف مرتبة عملائه ويحاول ان يحسن تلك المرتبة. وتبقى مرتبة العميل على ما هي طيلة العام ويدفع له حسب مرتبته.

وعلى سبيل المثال، اذا صنف عميل بالمرتبة «ت» ثم رفع الى «ت» فانه ينال زيادة في مخصصاته.

عندما يعد الكاتسات هذه التقارير فانهم يسجلون المعلومات ضمن اطار من مربعين صغيرين في اعلى التقرير. يسجل الى اليسار مرتبة العميل، والى جانبها رقم يبدأ بالعدد ١ وهو يعني ان العميل سمع او رأى موضوع التقرير، ثم العدد ٢ والذي يعني انه سمع عنه من شخص موثوق لكنه لم يره شخصياً، ثم العدد ٣ ويعني انه سمعه من شخص نقلاً عن شخص ثالث كأشاعة. اما التقرير الذي يسجل في اعلاه ب - ١ فيعني انه يضم معلومات من عميل جيد رأى او سمع الحادثة شخصيا.

وفي حين ان مدير استخبارات الجيش هو صاحب المنصب الأعلى في الاستخبارات العسكرية، فان لكل فرع من القوات المسلحة الاسرائيلية وحدتها الخاصة. وهكذا، توجد وحدة استخبارات لكل من سلاح المشاة، وسلاح المدرعات، وسلاح الجو، والبحرية. (جمعت استخبارات سلاحا المشاة والمدرعات في وحدة واحدة الآن هي استخبارات القوات البرية). وقائد الجيش الاسرائيلي، الذي يطلق عليه رسمياً اسم جيش الدفاع الاسرائيلي يحمل رتبة فريق، والذي يحمل شارة على كتفه تمثل سيفاً يتقاطع مع غصن زيتون وثلاثة اوراق تين.

وخلافاً للولايات المتحدة، وقواتها المستقلة، فان جيش الدفاع الاسرائيلي هو في الأساس جيش واحد له علة افرع، مثل البحرية، وسلاح الجو وقادة هذه الفروع يحملون رتبة لواء، ويضعون شارة من سيف وغصن زيتون وورقة تين واحدة. والرتبة الأدنى هي رتبة عميد، وهي رتبة مختلف مدراء فروع الاستخبارات العسكرية. والرتبة الأدنى هي رتبة عقيد - وهي رتبتي يوم انضممت الى الموساد، ورفعت رتبة واحدة.

وما يظهر اهمية الاستخبارات للاسرائيليين هو حقيقة ان قائد سلاح الاستخبارات العسكرية يحمل الرتبة ذاتها - لواء - مثل قادة القوات البحرية، والجوية، والبرية والدروع، والقضاء العسكري. ويحمل مدير الاستخبارات البحرية رتبة ادنى بدرجة واحدة.

ومدير «امان» او الاستخبارات العسكرية، يحمل الرتبة ذاتها مثل مدراء الخدمات الأخرى، الا انه في الواقع يفوق جميع مدراء الاستخبارات العسكرية الاخرين رتبة لأنه مسؤول مباشرة امام رئيس الوزراء في تسلسل القيادة. والفرق بين «امان» واجهزة الاستخبارات الأخرى هو ان جهاز «أمان» يتلقى المعلومات الاستخبارية، في حين ان باقي الأجهزة مكلفين بجمع المعلومات التكتيكية في الميدان.

وفي نهاية العام ١٩٧٥، ذهبت الاستخبارات البحرية إلى الاجتماع السنوي لاجهزة الاستخبارات واعلنت انها بحاجة الى صاروخ «اكسوسيت». وهذا الصاروخ تصنعه شركة ايروسبا سيال الفرنسية، ويطلق عليه اسم كاشط الأمواج لأنه يطلق من سفينة، ويرتفع حتى يجد هدفه بواسطة جهاز تبييت، ثم يهبط الى ارتفاع بسيط على سطح الماء مما يجعل من الصعب كشفه بواسطة الرادار ومن ثم التصدي له.

والطريقة الوحيدة للتصدي لهذا الصاروخ هي في الحصول عليه وتفحصه.

وكان همّ اسرائيل الرئيسي ان بعض الدول العربية مصر على وجه التحديد، قد تشتري صواريخ اكسوسيت. فإن حدث ذلك، فان البحرية تريد ان تكون مستعدة. والواقع، انهم في البحرية لا يريدون الصاروخ كاملاً - الرأس فقط، حيث توجد جميع الأجهزة الالكترونية.

والشخص الذي يبيع صاروخاً لا يعطي جميع المعلومات عنه. ولا يختبر الجانب الدفاعي الخاص بـه، ويكتفي بالتحدث عن مزاياه الهجومية وحتى اذا حصلت على المواصفات من مؤسسة مثل ايروسباسيال، فانهم سيظهرون اقصى اداء للصاروخ، فهم يسعون لبيعه على اية حال.

ولهذا السبب ارادت اسرائيل الحصول على صاروخ لاختباره، لكنهم لا يستطيعون شراءه مباشرة من الفرنسيين، ففرنسا تفرض حظراً على بيع الأسلحة الى اسرائيل وما زال العديد من البلدان يفرض هذا الحظر، لأنها تعلم انه في اللحظة التي تحصل فيها اسرائيل على سلاح معين فانها ستصنع نسخة عنه.

وقد مررت مهمة الحصول على رأس لصاروخ «اكسوسيت» الى رئيس الموساد، والذي بدوره امر التفل (Tevel) بالاهتمام بطلب سلاح البحرية.

وكان لدى الموساد ، بالفعل، قدراً كبيراً من المعلومات عن «الاكسوسيت» ويعود الفضل جزئياً الى سابان الذى كان يعمل لدى ايروسباسيال ومرر الكثير من التفاصيل. كما قام الموساد بعملية صغيرة، حيث ارسل فريقاً من العملاء لاقتحام المعمل خلسة بصحبة خبير صواريخ طار من اسرائيل خصيصاً لهذه المهمة. واخذ الى المعمل مع المنفذين والمواد التي احضرت له من اجل رأيه كخبير. وكانت مهمته ان يقرر ما الذي يجب ان يصوروه. وقد امضى الجميع اربع ساعات ونصفاً داخل المعمل قبل ان يغادروه دون ان يتركوا أي أثر.

لكن رغم الصور التي التقطت للصاروخ والمخططات الكاملة، فان الحصول على نموذج حقيقي عامل كان ضرورياً. وكان البريطانيون يملكون الصاروخ الا انهم لم يكونوا مستعدين لاعطاء واحد لاسرائيل.

وكانت اوروبا طريقاً مسدوداً بالنسبة لهذا المشروع، لكن الموساد كان يعلم بأن عدداً من دول اميركا اللاتينية يمتلك صاروخ «اكسوسيت».وفي ظروف عادية، كان من الممكن ان تكون الأرجنتين مصدراً جيداً، لكن الأرجنتين كانت قد عقدت صفقة مع اسرائيل لشراء محركات نفاثة من صنع اسرائيلي، وكان جهاز الموساد قلقاً من اية عملية قد تعرّض هذا العقد المربح للخطر.

وكانت تشيلي هي الرهان الأفضل. فقد حدث انها تقدمت في ذلك الحين بطلب الى اسرائيل لتدريب عناصر الشرطة السرية المحلية - ومن المعروف ان لدى اسرائيل خبرة خاصة في هذا المجال . وهو

امر قد لا تتباهى به اسرائيل علناً، لكنها دربت وحدات مختلفة مثل عناصر جهاز السافاك الايراني الرهيب، وقوات امنية من كولومبيا، والأرجنتين، وجنوب افريقيا، وعدة دول افريقيه اخري بما في ذلك الشرطة السرية لديكتاتور اوغندا عيدي امين. كما دربت الشرطة السرية لرجل بنما القوي مانويل نورييغا الذي خلع مؤخراً (*) والواقع ان نورييغا الذي تدرب شخصياً في اسرائيل، كان يضع دوماً شارة المظليين الاسرائيليين على الجهة اليمنى من صدر بزته العسكرية (وهي توضع عادة على الجهة اليسرى). ولاظهار مدى عدم تمييز الموساد، فقد دربت كلا طرفي النزاع في الاضطراب الأهلية الدامية، والتي ما زالت قائمة، في سريلانكا: التاميل، والسنهاليين اضافة الى الجنود الذين ارسلوا الى هناك لحفظ النظام.

ويسبب من السمعة الدولية السيئة لجهاز «دينا» التشيلي، فقد تطلع بينوشيت الى اصلاح هذا الجهاز، وعين الجنرال مانويل كونتريراس رئيساً له كي يهتم بالتفاصيل.

ولأن كونتريراس كان تقدم الى اسرائيل بهذا الطلب، فقد طلب ناحوم ادموني، الذي كان ضابط الارتباط المسؤول من فرع «مالات» (MALAT)في دائرة الارتباط ان يتابع طلب سلاح البحرية. وفرع مالات الذي كانت مهمته تغطية اميركا اللاتينية، هو فرع صغير مكون من ثلاثة ضباط ورئيس. وقضى اثنان من الضباط فترة من الوقت في التنقل عبر اميركا الجنوبية محاولين ايجاد روابط تجارية للعمل مع اسرائيل. وأحد هذان الشخصان رجل اسمه امير، كان في بوليفيا في ذلك الوقت يبحث عن مصنع بناه صناعي اسرائيلي اسمه شاؤول ايزنبرغ(**)، وهو رجل بلغ من قوته ان الحكومة الاسرائيلية حررت قانوناً خاصاً يستثنيه من العديد من الضرائب العالية مقابل ان ينقل ادارة اعماله الى اسرائيل. وتخصص ايزنبرغ في المشاريع التي تسمى مشاريع «تسليم مفتاح» - وهي اقامة المصانع ثم تسليم مفتاح مشروع جاهز متكامل الى صاحبه.

وفي العام ١٩٧٦، كان ايزنبرغ هو الشخصية الرئيسية في فضيحة سياسية، واستجوب من قبل الشرطة الكندية بعد ان استوضح تقرير لمدقق الحسابات العام الفدرالي عن دفعة لا تقل عن ٢٠ مليون دولار له ولشركاته المختلفة لدورهم كوكلاء لمؤسسة «الطاقة النووية الكندية المحدودة» (AECL)في اثناء محاولاتهم بيع مفاعلات (CANDU) النووية الى الأرجنتين وكوريا الجنوبية. واعترف مدير مؤسسة الطاقة النووية الكندي في ذلك الحين، لورين ل. جرى، ان احدا «في كندا لم يعلم اين ذهبت النقود».

وقبل ان يترك امير بوليفيا، قدمت له في السفارة جميع المعلومات الهامة المحيطة بالموضوع، اكبر قدر ممكن من المعلومات، حول الذين سيقابلهم، قوتهم، ونواحي ضعفهم - اي شيء قد تعتقد القيادة انه سوف يساعده. كما رتبت تل ابيب رحلاته الجوية، واقامته في الفندق وكل التفصيلات الضرورية الأخرى - وحتى اختيار زجاجة النبيذ الفرنسي المفضلة لدى كونتريراس، كان نوعها مسجلاً في ملف كونتريراس لدى الموساد.

(*) انظر الفصل الخامس Rookies

(**) انظر الفصل السادس The Belgian Table

وطلب من امير ان يحضر مقابلة سانتياغو لكن من دون ان يقلم اية التزامات.

وكانت القيادة في تل ابيب قد ردت على الطلب التشيلي لتدريب الشرطة السرية، قائلة بأنها سوف ترسل امير، الضابط الاداري، لبحث المشروع، ونبهت بعلم اقتراح اية التزامات بطريقة او اخرى. وقالت بان الهدف من المقابلة هو ببساطة وضع تقديرات اولية.

وفي مطار سانتياغو، استقبل امير احد مسؤولي السفارة الاسرائيلية الذي اصطحبه الى غرفته في الفندق. وفي اليوم التالي، التقى كونتريراس وبعض اركان قيادته. وكشف كونتريراس النقاب بانهم يتلقون مساعدة من وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) لكنهم لا يعتقدون بأن الوكالة ستساعدهم في امور معينة يحتاجونها. وبشكل اساسي فهم يريدون تدريب وحدة أمن داخلي للسيطرة على الارهاب المحلي - اي عمليات الاختطاف والتفجيرات - اضافة الى حماية الزوار من كبار الشخصيات.

وبعد المقابلة، طار امير الى نيويورك لرؤية رئيس دائرة مالات في منزل امنه الموساد هناك. (وهو في الواقع اعير لفرع مالات من دائرة اخرى هي «أ ١»، والمختصة بالعمل في الولايات المتحدة فقط، ولديها منازل امنة هناك، وهذا يجعل المقابلة هناك اكثر امناً، من ارسال رجل اخر للمقابلة في تشيلي).

وبعد الاستماع الى وصف امير المفصل عن المقابلة، قال رئيسه: «اننا نريد شيئاً من هؤلاء الأشخاص. دعنا نورطهم في البدء. دعنا نبدأ شيئاً ثم نلتف ونقدم طلبنا، سنرخي لهم الحبل ثم نشدهم الينا».

وتم القرار على ان يقابل امير كونتريراس مرة اخرى لعقد صفقة تدريب وحدة الشرطة وفي ذلك الحين لم تكن دورات التدريب هذه تقدم الا في اسرائيل. وفي مناسبات لاحقة ارسل مدربون اسرائيليون الى الخارج الى جنوب افريقيا وسري لانكا، على سبيل المثال. لكن في الفترة من ١٩٧٥ - ١٩٧٦ اصبحت السياسة ان يأتي المتدربون اليهم.

والتدريب ما زال يجري في قاعدة جوية بريطانية سابقة الى الشرق من تل ابيب اسمها كفار سركين. وكانت اسرائيل قد استخدمتها ذات مرة كقاعدة لتدريب الضباط، ثم اصبحت قاعدة للخدمات الخاصة تستخدم بشكل اساسي لتدريب عناصر الشرطة السرية الأجانب.

وتستمر الدورات عادة ما بين ستة اسابيع وثلاثة اشهر. حسب مدى التدريب المطلوب. وهي مكلفة ايضاً. وكانت اسرائيل في ذلك الحين تتقاضى رسوماً تتراوح بين ٥٠ - ٧٥ دولاراً في الليلة لكل متدرب اضافة الى ١٠٠ دولار في اليوم للمدربين. (لا يرى المدرب اي شيء من هذا المبلغ، بالطبع، وعليهم ان يتدبروا امرهم بالمرتبات العادية التي يتقاضونها من الجيش). وكان هناك نفقات اخرى، ٣٠ - ٤٠ دولاراً في اليوم عن كل متدرب ثمناً للطعام، وحوالي ٥٠ دولاراً في اليوم للأسلحة والذخيرة

والمتطلبات الأخرى. وعلى سبيل المثال كانت وحدة من ٦٠ متدرباً تتكلف ٣٠٠ دولار في اليوم لكل متدرب اي ١٨٠٠٠ دولار يومياً، واذا ما استمرت الدورة ثلاثة اشهر فان المبلغ يصل الى ١٫٦ مليون دولار.

واضافة الى ما تقدم ،كان يفرض عليهم دفع مبلغ ٥٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ دولار كايجار لطائرة هيلوكبتر في الساعة، وكان من الممكن استخدام ١٥ طائرة في تمرين تدريبي، وزيادة على ذلك تضاف تكلفة الذخائر الخاصة التي قد تستخدم في التدريب: وعلى سبيل المثال، ثمن قذيفة البازوكا ٢٢٠ دولار الواحدة، في حين يبلغ ثمن قذيفة الهاون الثقيل حوالي ١٠٠٠ دولار الواحدة، والمدافع المضادة للطائرات، وبعضها مزود بثماني سبطانات ويستطيع اطلاق الاف الطلقات خلال بضع ثوان ـ يبلغ سعر الطلقة الواحدة ما بين ٣٠ و ٤٠ دولاراً.

وقد كان ذلك ربحاً خالصاً. فهم يجنون مبالغ طائلة من عمليات التدريب تلك، حتى قبل ان يبيعوا اي سلاح. وما ان يتدرب هؤلاء على استخدام الأسلحة الاسرائيلية، حتى يصبح من الطبيعي ان يرغبوا في شراء تلك الأسلحة والذخائر اللازمة لها.

وقد طلب امير من كونتريراس ان يختار ٦٠ من افضل رجاله للبرنامج التدريبي. سيتم فرزهم حسب ثلاثة انساق: جنود ورقباء وقادة، مع منهج تدريبي خاص لكل مستوى. وسوف تصل ثلاث مجموعات، كل مجموعة من ٢٠ رجلاً لتلقي التدريبات الأولية. ومن بين هؤلاء سيتم اختيار افضل ٢٠ رجلاً لمواصلة تدريباتهم، ومن هؤلاء سيخرج الرقباء والرتب الأعلى.

وعندما قدم امير العرض كاملاً لكونتريراس، قال التشيلي دون تردد: «نقبل بذلك»، كما طلب شراء جميع المعدات التي سيتدرب عليها رجاله، اضافة الى تزويده اما بمعمل صغير للذخائر يقام لديه، او مخزون من الذخائر وقطع الغيار يكفي لمدة ست سنوات.

وبعد ان قرر كونتريراس شراء تلك الرزمة، بدأ يساوم في السعر قليلاً، وحاول في احدى المراحل ان يرشو امير ببضعة آلاف من الدولارات كي يخفض السعر، الا ان امير رفض، وقبل كونتريراس في نهاية الأمر السعر.

وقبل نهاية مرحلة التدريب الأولى من البرنامج، طار امير الى سانتياغو لمقابلة كونتريراس.

وقد اخبره امير بان «التدريب يسير بشكل حسن جداً»، «وقد شارفنا على اختيار الرجال الذين سيدربوا كرقباء. وكانوا جيدين، ولم نصرف منهم سوى اثنين».

وقد سرّ كونتربراس، الذي اختار الرجال بنفسه للتدريب، لذلك وبعد ثرثرة قصيرة حول البرنامج، قال امير : «اسمع، هناك شيء نطلبه منك».

فسأل كونتريراس: «ما هو؟».

«رأس صاروخ «اكسوسيت».

فرد عليه كونتريراس: «هذه ليست مشكلة»، ابق في فندقك لمدة يوم ريثما اجري بعض الاتصالات، وسوف اتصل بك».

وبعد يومين دعا كونتريراس امير الى لقاء.

قال كونتريراس: «لن يعطوك واحداً، لقد طلبت لكنهم لم يوافقوا».

فاجابه امير: «لكن هذا شيء نحتاجه»، «لقد قدمنا لكم خدمة بتدريب هؤلاء الرجال، وكنا نأمل في ان تتمكنوا من مساعدتنا الآن ونحن بحاجة لشيء منكم».

فرد عليه كونتريراس: «اسمع»، «سوف احصل عليه لك شخصياً واتجاوز القنوات الرسمية. ادفع مليون دولار نقداً، وسوف تحصل عليه».

«يجب ان احصل على موافقة على هذا» قال امير.

فرد كونتريراس «افعل ذلك. وانت تعرف اين تجدني».

اتصل امير برئيسه في نيويورك واخبره عن صفقة كونتريراس، وكانوا يعلمون ان الجنرال قادر على التسليم، لكن مدير الفرع لا يستطيع ان يعطي الموافقة باتمام الصفقة على مسؤوليته، لذلك تحدث مع ادموني في تل ابيب، وسألت الموساد بدورها الاستخبارات البحرية حول ما اذا كانت البحرية مستعدة لدفع مبلغ مليون دولار للصاروخ. وكان الجواب انهم مستعدون .

لقد إتفقنا، قال امير لكونتريراس.

حسناً، احضر رجلاً يعرف ما الذي نريده وسوف نذهب سوية الى قاعدة بحرية هنا. ويستطيع ان يريني بالضبط ما الذي تريدونه. ومن ثم تأخذونه».

وطار من تل ابيب خبير صواريخ اسرائيلي من «بارنتام» وهو مصنع صواريخ اسرائيلي في عتليت، وهي بلدة الى الجنوب من حيفا، حيث طور صاروخ «غابرييل». ولأنهم يريدون صاروخاً عاملاً، فقد اصر على اخذ واحد من احد الزوارق - مزود برأس جاهز للاطلاق. وبهذه الطريقة يتأكدون من انهم لم يتعرضوا للخداع برأس مزيف او رأس بحاجة الى اصلاح، وبالتالي لا يعمل.

وبأمر من كونتريراس انزل الصاروخ عن الزورق ووضع على مقطوره. وكان الاسرائيليون قد دفعوا مقدماً مبلغ المليون دولار.

«هل هذا ما تريدون»؟ سألهم كونتريراس.

وبعد ان تفحص الضابط البحري الاسرائيلي الصاروخ، قال امير: «نعم، هذا هو».

فرد كونتريراس: «جيد»، ما سنفعله الأن هو وضع الرأس في قفص، نشده بالأسلاك والملازم، ومن ثم قبل ان نأخذه الى غرفة في سانتياغو، تستطيعون حراسته ان اردتم، لا يهمني ذلك. لكن قبل ان تأخذوه، هناك شيء اريده».

«ماذا؟» رد امير باهتمام. «لقد عقدنا صفقة ونفذنا الجزء الخاص بنا منها».

«وهذا ماسأفعله انا»، قال كونتريراس، «لكن قبل ذلك استدع رئيسك واخبره انني اريد التحدث اليه».

«لا داعي لأن افعل ذلك، استطيع التحدث اليك انا» قال امير.

«لا، اخبر رئيسك اني اريده هنا. اريد ان اكلمه وجهاً لوجه».

ولم يكن امام أمير من خيار. فمن الواضح ان كونتريراس ايقن ان امير صغير الرتبة نسبيا، وكان يضغط للحصول على كل ما يستطيعه من مكاسب. وهكذا، اتصل امير من غرفته في الفندق برئيسه، في نيويورك، الذي اتصل بدوره مع ادموني في تل ابيب لشرح الموقف، وفي اليوم نفسه استقل ادموني طائرة الى سانتياغو لمقابلة الجنرال التشيلي.

***

«اريدك ان تساعدني على بناء قوة امن شخصي»، قال له كونتريراس.

«لكننا نقوم بذلك فعلا» رد عليه ادموني واضاف، «ورجالك يؤدون تدريباتهم بشكل جيد جدا».

«لا، لا، لم تفهمني، اريد قوة تساعدني على القضاء على اعدائنا، اينما كانوا. كما تفعلون انتم مع منظمة التحرير. فليس كل اعدائنا موجودون في تشيلي. نريد ان نتمكن من ضرب الناس الذين يشكلون خطرا مباشرا علينا. هناك مجموعات ارهابية في الخارج تهددنا، كما ان هناك مجموعات تهددكم. ونريد ان نكون قادرين على القضاء عليهم».

«والان، نحن نعلم ان لديكم طريقتان للقيام بذلك، تستطيعون الموافقة على ان يقوم رجالكم بالمهمة عندما تنشأ مشكلة. وعلى سبيل المثال، نعلم ان تايوان طلبت منكم انجاز خدمة من هذا القبيل وانكم رفضتم».

«نحن نفضل ان تستخدم رجالنا ـ وان تقوموا بتدريب مجموعة من رجالنا على كيفية التعامل مع التهديدات الارهابية من الخارج. فان فعلتم ذلك، فالصاروخ لكم».

وكانت هذه العقبة الجديدة بمثابة صدمة لادموني وامير، ونظرا لطبيعة الطلب. فقد اخبر ادموني كونتريراس بان عليه الحصول على موافقة رؤسائه قبل ان يلزم نفسه بشيء.

ومن اجل ذلك، عاد ادموني الى تل ابيب من اجل مقابلة على مستوى عال في قيادة الموساد. وقد غضب قادة الموساد لان كونتريراس اضاف هذا الشرط، غير المتوقع، الى الصفقة وقالوا ان المطلوب قرار سياسي، وليس قرار أمني: أي ان تقرر الحكومة ما اذا كانت ستعطي كونتريراس ما طلبه ام تلغي المشروع باكمله.

وقد انزعجت الحكومة بشدة لتوريطها في هذا النوع من الصفقات، لذلك كان قرارها ما معناه: «لا نريد ان نعرف شيئاً عن هذه الامور».

وكان لا بد من استئجار شخص مدني لاتمام الصفقة. واختير لاتمام العمل مدير احدى شركات التأمين الاسرائيلية الكبرى، هو مايك هاراري، وهو مدير دائرة الموساد الذي تقاعد حديثا والذي كان مسؤولا عن عملية ليلي هامر الخرقاء، ويعتبر واحدا من اكثرمستشاري الديكتاتور نوريغا نفوذا، فقد ساعد هاراري ايضا في تدريب وحدة النخبة الخاصة بمكافحة الارهاب البنمية ك ـ ٧.

واضافة الى مساهماته في تثبيت اتفاقية مع الجنرال التشيلي، اصبح هاراري شريكا مباشرا في عدد من شركات الشحن، وكانت تلك وسيلة ممتازة لنقل رأس الصاروخ بأمان وهدوء الى اسرائيل.

وكضابط في الموساد،فقد كان هاراري مديرا «للمتسادا»، وهي الدائرة المسؤولة عن المقاتلين، ووحدتها التابعة «كيدون» واعطي تعليمات ان يخبر كونتريراس بانه مستعد لان يعلّم وحدته الخاصة بمكافحة الارهاب كل شيء يعرفه. في حين انه قد لا يعلمهم كل شيء ـ فهو يحتاج الى موافقة الموساد لما سيعلمه، والموساد يفضلون ان يحفظوا ببعض التقنيات لانفسهم ـ ومن المؤكد انه علمهم ما يكفي لتنظيم ضربة لاعدائهم، سواءمنهم الاعداء الحقيقيين او الوهميين في الخارج. وقد سددت تكاليف هذا التدريب بدفعة ارسلت مباشرة الى هاراري من اموال مخصصة للرشوة تديرها الشرطة السرية التشيلية «دينا».

وكانت تلك المجموعة الخاصة من اعوان كونتريراس. ولم يكونوا مجموعة رسمية على الاطلاق. اختارهم هو، ودفع لهم بنفسه، وكانوا يقومون بالعمل لحسابه. وربما كانت وسائلهم في الاستجواب تتجاوز ما تعلموه، لكن لا شك ان وحدته الخاصة قد دربت، وبالمقابل حصلت اسرائيل على صاروخها «الاكسوسيت». وقد دربهم هاراري على التقنيات الخاصة بالتعذيب مثل الصدمة بالسلك الكهربائي. وعرّفهم على المواضع التي تولد الالم، والمواضع التي تسبب الضيق، ومدى تحمل الضحايا، والهدف الرئيسي للاستجواب الحصول على معلومات لكن التشيليين انحرفوا عن الهدف. وبدا انهم يحبون الاستجواب لمجرد الاستجواب. وكانوا يستمرون فيه حتى بعد حصولهم على المعلومات. فقد احبوا ايقاع

الالم بالاخرين.

***

وفي ذاك اليوم الممطر في واشنطن من شهر ايلول/ سبتمبر ١٩٧٦، عندما قاد ليتليه سيارته لاخر مرة، لم يكن لدى اي شخص ادنى فكرة ان القاتل قد تدرب لدى الموساد. ولم تظهر اية علاقة للموساد بالموضوع. كما ان احدا ما لم يعرف بان اسرائيل قد حصلت على صاروخ «اكسوسيت».

واختبر الاسرائيليون رأس الصاروخ عن طريق تثبيته تحت جذع طائرة فانتوم النفاثة، وربطت جميع المقابس التي تغذي الصاروخ بالتوجيهات الى مجموعة من أجهزة الاستشعار التي يمكن قراءاتها تحت مختلف الظروف. وقامت الطائرة بطيران منخفض مشبهة طيران الصاروخ. وهكذا اختبروا كيف يلتقطه الرادار، وكيف يمكن للزوارق ان تتبعه وكيف يعمل جهاز القياس عن بعد الخاص به. واستمرت عملية الاختبار اربعة اشهر كاملة، قامت بها طائرات نفاثة انطلقت من قاعدة هاتسريم قرب بئر السبع.





الى اليمين افراهام اهيتفو Avraham Ahitvu
عمل مديرا لجهاز الشين بيت (١٩٧٤ - ١٩٨١)
وتعرض لاشكالات مع بيغن بسبب العمليات
الارهابية اليهودية.

الفصـل الثاني عشـر

كش شاه

كان حلم ماجد، منذ ان كان فتاً يافعاً في سوريا، ان يلعب الشطرنج في يوم من الايام في منافسة دولية. فقد عاش الشطرنج وتنفسه، ودرس تاريخه وحفظ عن ظهر قلب اشهر حركات ابطال اللعبة.

وماجد مسلم سني، عاش في مصر منذ تلك الايام العنيفة في اواخر الخمسينيات حين اصبح جمال عبد الناصر، الذي كان يسعى لاقامة وحدة عربية شاملة بقيادة مصر، رئيسا للوحدة الرسمية بين مصر وسوريا في العام ١٩٥٨ واللتان اصبحتا تعرفان باسم الجمهورية العربية المتحدة.

واليوم اصبحنا في صيف العام ١٩٨٥، وقد وصل ماجد لتوه الى كوبنهاجن، املا في اقامة عمل له كصاحب بنك خاص للاستثمار. وفي اول يوم لـه هناك، لاحظ جلوس رجـل حسن المظهـر في ردهة الفندق يقرأ كتابا عن الشطرنج وينظر الى رقعة شطرنج امامه. وقد كان ماجد متأخرا عن موعد، ولم يكن لديه وقت للتوقف. على اية حال، في اليوم التالي، كان الرجل جالسا هناك مرة اخرى. وكانت رقعة الشطرنج اشبه بمغناطيس جذب ماجد اليه، فتقدم نحو الرجل، ونقر باصبعه على كتفه، وقال بلغة انجليزية جيدة بشكل ملحوظ: «عفواً».

فهمهم الرجل قائلا: «ليس الآن، ليس الآن».

فجفل ماجد وتراجع الى الخلف للحظة، وراقب بهدوء لفترة قصيرة، ثم اقترح حركة دفـاعية مناسبة.

عندها بدأ الاهتمام على الرجل الغريب، وتساءل: «هل تعرف الشطرنـج جيداً؟» وتجـاذب الرجلان اطراف الحديث، وكان ماجد يستثيره دوما الحديث عن الشطرنج، وطيلة الساعتان والنصف التاليتين، تحدث مع صديقه الجديد، مارك، الذي قدم نفسه على انه مقاول كندي - من اصل لبناني مسيحي - عن اللعبة التي يحبها.

وكان مارك في الواقع، هو يهودا جيل، وهو واحد من مجموعة من الكاتسات المتمركزين في بروكسل ومهمتهم اجراء اتصالات اولية مع ماجد، ليس لان ماجد هو هدفهم، بل شقيقه جديد، وهو عسكري سوري على مستوى مسؤول وزاري كان الاسرائيليون يحاولون تجنيده. وقد حاولوا مرة قبل ذلـك في فرنسا، لكن الوقت لم يكن كافيا، ولم يتمكنوا من انجاز العمل. وكما هي الحال في اغلب هذه العمليات،

فان جديد لم يعلم انه جرت محاولة من هذا القبيل ـ ولا ان الموساد قد اطلقت عليه الاسم الرمزي «كروكسكرو».

***

وقد بدأت هذه القصة بالفعل يوم ٣١ حزيران/ يونيو ١٩٨٥، عندما تلقى كاتسا اسمه آمي والذي يعمل في شعبة الدانمارك في الطابق السابع في قيادة الموساد في تل ابيب (والتي كانت في عمارة هادار دافنا في شارع الملك شاؤول) اشارة روتينية من ضابط ارتباط الموساد في الدانمارك. يعرض طلبا من «وردي أ» (PurpleA) وهو الاسم الرمزي لجهاز الامن المدني الدانماركي (DCSS) لاجراء كشف على قائمة من حوالي ٤٠ اسما عربيا او من اصل عربي تقدم بطلب تأشيرات دخول لزيارة الدانمارك او الاقامة فيها.

وما لا يعرفه الجمهور الدانماركي ـ وما يعرفه عدد قليل من المسؤولين الحكوميين الدانماركيين ـ هو ان الموساد تدقق بشكل روتيني جميع هذه الطلبات لصالح الدانمارك، وتضع شارة الى جانب الاسم على نسخة طلب التأشيرة ان لم يكن هناك اية مشكلة تخص مقدم الطلب. وحين يكون هناك اية مشكلة فهم اما ان ينبهوا الدانماركيين اليها، او ان يوقفوا الطلب لمزيد من الدراسة، ان كان ذلك لصالح اسرائيل.

والعلاقات بين الموساد والمخابرات الدانماركية حميمة ولا تنقصها اللياقة، لكنها ليست فضائل الموساد التي اوصلت الى هذه الترتيبات، بل فضائل الدانماركيين، الذين لديهم انطباع خاطيء بان الاسرائيليين يحفظون لهم جميلا لانهم انقذوا حياة اعداد كبيرة من اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، وبالتالي فانهم يستطيعون الوثوق في الموساد.

وعلى سبيل المثال، يجلس احد رجال الموساد «مارات»، في قيادة جهاز الامن الدانماركي ينصت الى جميع الاشارات التي لها علاقة بالعرب او الفلسطينيين التي تصل الى الدائرة ـ وهو ترتيب غير عادي لجهاز مخابرات اجنبي. وبصفته الشخص الوحيد الذي يتكلم العربية هناك، فهو يفهم كل ما في الاشارات، لكنه يرسل الاشرطة الى اسرائيل للترجمة (يمر كل شيء من خلال اسم رمزي للارتباط هو «هومبره» الى محطة الموساد المفتوحة في كوبنهاجن) وفي اغلب الاحيان لا يجري تقاسم هذه المعلومات مع الدانمارك عند اعادة نسخ ترجمة الاشرطة التي غالبا ما تصاغ بلغة صعبة. ولا تعيد الموساد الاشرطة الاصلية الى مصدرها.

ومن الواضح ان الموساد لا يكنون تقديرا عظيما للدانماركيين. فهم يطلقون عليهم لقب «فيرتسالاخ» وهو التعبير العبري الذي يعني دفقة من الغازات يخرجها الانسان، ضرطة ـ وهم يطلعون الموساد على كل ما يفعلونه، في حين لا تطلع الموساد احدا على اسرارها.

وفي العادة، لا يحتاج تدقيق اربعين اسما على جهاز الكومبيوتر لدى الموساد لاكثر من ساعة. لكن حدث ان كانت تلك اول مرة يتعامل فيها آمي مع الدانماركيين، لذلك بدأ في استحضار معلومات عن

جهاز الامن المدني الدانماركي من جهاز الكومبيوتر الذي امامه. وفجأة ظهرت رسالة تحمل الرقم ٤٦٤٧. وتحمل شارة «سري»، مع تفصيلات مفصلة عن مهمات جهاز الامن الدانماركي، وعناصره، وحتى بعض عملياته.

ويحضر مسؤولو الاستخبارات الدانماركيين الى اسرائيل مرة كل ثلاث سنوات لندوة يعد لها الموساد لمناقشة اخر التطورات في النشاطات الارهابية والتقنيات المضادة للارهاب. ومن خلال هذه اللقاءات تتلقى اسرائيل صورة كاملة عن الجالية الفلسطينية في الدانماركوعددها حوالي/٥٠٠ شخص مع «تعاون كامل حول موضوع الرقص (اي ملاحقة الناس) الذي ينسقه الدانماركيين عند الحاجة».

وضمت الرسالة قائمة شملت هيننغ فود، وكان عمره ٣٨ سنة في ذلك الحين، كرئيس لجهاز الامن المدني الدانماركي، وكان قد عين في تشرين الثاني/نوفمبر١٩٨٤، ومن المقرر ان يزور اسرائيل في خريف العام ١٩٨٥. وميشيل لينجبو الثاني في قيادة الجهاز، ورغم افتقاره للخبرة في مجال الاستخبارات فهويدير الشعبة الخاصة بالكتلة السوفياتية في المنظمة. ويول موزا هانسن المستشار القانوني لفود، ورجل الاتصال مع الموساد، والذي كان من المقرر ان ينهي فترة خدمته بمدة قصيرة. وكان هالبرت وينتر هيناغاي رئيس دائرة مكافحة الارهاب والاشراف عليه. وقد شارك هوايضا في الندوة حول الارهاب التي جرت في اسرائيل.

(الواقع، ان الموساد يقيم سلسلة من هذه الندوات، يدعو اليها احد اجهزة الاستخبارات في كل مرة، تكون حصيلتها اتصالات مفيدة ويؤكد الانطباع الأولي انه لا تُوجد اي منظمة تتعامل مع الارهاب افضل من منظمتهم).

واظهرت شاشة كومبيوتر آمي وثيقة اخرى هي الاسم الكامل لجهاز الاستخبارات الدانماركي: (PEP) Politiets Efterreting Sjtnest Politistatonen. مع قائمة الدوائر التابعة له.

وتختص الدائرة «س» باشرطة التسجيل التلفونية؛ وفي وثيقة تاريخها ٢٥ آب/ اغسطس ١٩٨٢، اخبر الدانماركيون هومبره (ضابط الارتباط) انهم يخططون لنظام كمبيوتر جديد وانهم على استعداد لاعطاء الموساد ٦٠ «قناة استماع» (٦٠ موقعا تركب فيها اجهزة استماع للموساد). كما ركبوا عددا من اجهزة الاستماع على اجهزة هاتف عامة« في مواقع اقترحها الموساد معروف بانها حساسة للنشاطات التخريبية».

ويحمل رئيس الجهاز الدانماركي رتبة تدعى مفتش مباحث ـ وهي تعادل رتبة وكيل منطقة في اسرائيل. ويمضي تقرير الموساد في الشكوى من ان الوحدات التابعة لهم رديئة النوعية «وان من السهل كشف عناصرها، وهؤلاء لا يأتلفون بشكل جيد مع عملهم، ربما بسبب سرعة نقل العناصر من تلك الوحدة.. حوالي عامين ويذهبون الى اعمال اخرى».

والشرطة مسؤولة عن تجنيد الناس للخدمة، الا ان ذلك كان صعبا بسبب عدم وجود مجال للترفيه.

وفي ٢٥ تموز/ يوليو ١٩٨٥ ، سأل «هومبره» عن عملية سرية كورية شمالية في الدانمارك، الا انه اعلم بانها تمت لحساب الاميركيين، وطلبوا منه بالتالي «الا يعيد السؤال».

كان آمي ما زال بدقق في جهاز الكمبيوتر بحثا عن مزيد من المعلومات، عندما سحب ورقة اسمها «وردي ب» التي تبين تفاصيل جهاز الاستخبارات الدفاعية الدانماركي (DDIS) ، وهو الذراع الاستخباري للقوات المسلحة الدانماركية ويخضع مباشرة لقائد الجيش ووزير الدفاع. وهذا الجهاز مكون من اربع وحدات هي: الادارة، والتنصت، والبحث، وجمع المعلومات.

وتشتمل مهمات الجهاز على حلف شمالي الاطلسي بولندا، والمانيا الشرقية، وتحركات السفن السوفياتية في بحر البلطيق. ويقوم بعمله بمساعدة اجهزة الكترونية غاية في التطور زوده بها الاميركيين.

وداخليا، هو مسؤول عن البحث السياسي والعسكري، التجميع «الايجابي» للمعلومات ضمن الحدود الدانماركية (معلومات من مواطنين دانماركيين عما رأوه)، وهذا بعكس التجميع «السلبي» للمعلومات، والذي يعني الحصول على معلومات من خارج الحدود. كما يقوم باعمال ارتباط دولية ويقدم تقييمه للاوضاع في البلاد الى الحكومة. وكان يجرى التخطيط في ذلك الحين، لاقامة وحدة تختص بالشرق الاوسط (تبدأ برجل واحد يعمل مدة يوم واحد في الاسبوع).

وجهاز الاستخبارات الدفاعية مشهور بالصور الواضحة التي يلتقطها للنشاطات السوفياتية الجوية، والبرية، والبحرية. وهو اول جهاز استخبارات يزود اسرائيل بصور عن نظام الصواريخ «س س سي - ٣» (او صواريخ سطح - سطح). وترأس جهاز «وردي ب» موجن تيلنغ منذ العام ١٩٧٦ . وزار اسرائيل في العام ١٩٨٠ وكان ايب بانغزبور رئيسا للقسم البشري، وكان من المقرر ان يحال على التقاعد في العام ١٩٨٦ . وللموساد مصادر جيدة داخل جهاز الاستخبارات الدفاعية، وايضا ضمن مؤسسة ابحاث الدفاع الدانماركية (DDRE). وتعمل المخابرات الدانماركية ايضا بشكل جيد مع السويد (واسمها الرمزي «بورغوندي») اكثر مما تعمل مع شريكتها في حلف شمالي الاطلسي، النرويج. وبالمناسبة، التقت «وردي ب» مع «كاروسيل» وهو اسم رمزي لوحدة استخبارات بريطانية وتعاونت معها في عدة عمليات ضد المخابرات الروسية على اساس كل قضية على حدة وليس تعاون شامل.

وقد استرجع آمي كل هذه المعلومات وقرأها قبل ان يطلب بيان المرجع، والذي يتطلب «تلقيم المعلومات المتوافرة لجهاز الكمبيوتر: الاسم، والرقم، واي شيء لديه للبحث في بنك معلومات الكمبيوتر فاذا كان الشخص المعني فلسطينيا، ولم تظهر اية معلومات عنه على شاشة الكمبيوتر عندها يحول آمي البيان الى القسم الخاص بالفلسطينيين في الموساد. وقد يدققون اكثر في الطلب، او ان يخزنوا الاسم في كمبيوتر الموساد. وتتصل جميع دوائر الموساد بجهاز كمبيوتر ضخم في مركز القيادة في تل ابيب. وفي كل ليلة تسجل نسخة عن المعلومات التي تم جمعها ذلك اليوم على قرص صلب يحفظ في مكان امن.

ولم يكن قد بقي سوى اربعة اسماء من القائمة التي يدقق فيها آمي عندما ظهر اسم ماجد فجأة، ورنّ اسم عائلته في اذنه. فقد كان آمي يتجاذب اطراف الحديث مع صديق في دائرة البحث في وقت سابق ورأى صورة لرجل يحمل ذلك الاسم ويقف الى جانب الرئيس السوري حافظ الاسد. وفكر ان العديد من الاسماء العربية يتشابه، لكن الامر يستحق دوما المحاولة. ولم يكن هناك اي شيء في الكمبيوتر فيما يخص ماجد، لذلك اتصل آمي بدائرة البحث وطلب من صديقه في القسم السوري احضار نسخة من الصورة عند حضوره للغداء في غرفة الطعام الواقعة في الطابق التاسع، كي يقارنها مع صورة ماجد الموجودة على طلب الفيزا الدانماركيّ.

وبعد الغذاء، بحث آمي في جهاز الكمبيوتر وهو يحمل صورة جديد في يده عن مزيد من التفاصيل، وتفحص ما اذا كان لجديد اقارب، وهكذا اكتشف ان له شقيق فعلا وان اوصافه وتاريخه ينطبق على ماجد.

وفتح هذا الباب امام امكانية الحصول على «ليد»: تجنيد شخص من اجل اصطياد اخر، لذا اعد آمي تقريره ووضعه في البريد الداخلي اليومي. وفي الوقت نفسه ارفق الطلب بالملف دون اجابة عليه، مما يعني عند الدانماركيين بان لا غبار على طلب التأشيرة، والا فان الموساد كانوا سيعلمونهم.

وفي كتاب «تسيياخ»، وهو كتاب الموساد السنوي الخاص «معلومات ضرورية»، كان للمعطيات العسكرية السورية الاولوية طيلة سنوات عديدة. ونتيجة لذلك جعل الموساد الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية «امان» تعد قائمة بما تريد معرفته عن الجاهزية العسكريةالسورية، تتدرج حسب اهميتها فقدم «امان» استيبان* من ١١ صفحة يتضمن: عدد الكتائب السورية المتوفرة؛ الوضع الحقيقي للوائين المدرعين ٦٠، ٦٧ واللواء الميكانيكي ٨٧؛ عدد الالوية الموجودة في الفرقة ١٤ قوات خاصة؛ وسلسلة كاملة من الاسئلة المتعلقة بها، وتفاصيل عن اشاعات استبدال احمد دياب رئيس مكتب الامن القومي، برفعت الاسد، شقيق الرئيس الاسد.

وكان لدى الموساد عدد من المصادر في مواقع في سوريا ـ الذين كانوا يسمونهم جهاز انذارهم المبكر ـ في المستشفيات واعمال الانشاءات، اي مكان يستطيع فيه الناس ان يمرروا نتفة من المعلومات التي لو تجمعت فقد تزود اسرائيل بمعلومات عن الاستعداد للحرب.

ومن جهتهم، يتخذ السوريون في مرتفعات الجولان مواقع هجومية منذ سنوات، لذلك اعتبر الحصول على استخبارات عسكرية موثوقة عن اخر المعلومات امرا حيويا ـ وتجنيد مصادر سورية على مستوى عال حدث في غاية الاهمية.

* انظر الملاحق في نهاية الفصل.

وقد اعتبر الموساد سوريا بلد «نزوة»، والمعنى البسيط لهذا التعبير، هو انه طالما انها تقاد من قبل رجل واحد، الاسد، فان في امكانه ان يستفيق ذات يوم ليقول «انا ذاهب الى الحرب». والطريقة الوحيدة لمعرفة احتمال حدوث امر كهذا، هو ايجاد مصدر يكون قريبا من القمة بقدر المستطاع. وفي الوقت نفسه، يعلم الموساد بان الاسد يسعى لاستعادة مرتفعات الجولان، وهو يعرف بان في استطاعته احتلال الارض بضربة سريعة، لكنه لن يستطيع الصمود فيها امام الاسرائيليين طويلا. لذلك سعي وطيلة سنوات خلال الثمانينات للحصول على ضمانة من الروس بان يتدخلوا من خلال الامم المتحدة او بأية طريقة اخرى، لوقف رد الفعل الاسرائيلي. الا انهم لم يوافقوا، وبالتالي لم يرسل الاسد دباباته.

* * *

كان هذا هو الموقف الحساس الذي جعل تجنيد شقيق ماجد امرا في غاية الاهمية، وخلال ساعات كان يهودا جيل (او مارك كما عرفه ماجد) يتجه الى كوبنهاجن لانتظار وصول الرجل. وخصص فريق اخر لغرفة ماجد في الفندق حيث ركبت اجهزة التنصت والتلصص اللازمة ـ واي شيء يساعد في تجنيده من اجل تجنيد شقيقه من خلاله.

وكانت فكرة استخدام لعبة الشطرنج لتكون وسيلة التعارف الاولي مع ماجد هي فكرة جيل، رغم انها طورت خلال لقاء طويل متوتر في احد البيوت الآمنة في كوبنهاجن.

وخلال المحادثة الطويلة الاولى مع مارك، لا بد ان ماجد احس انه وجد صديقا يستطيع ان يثق به. وقد اخبر مارك الكثير عن قصة حياته واقترح عليه ان يلتقيا للعشاء سويا تلك الليلة.. ووافق مارك، وعاد الى البيت الآمن لمناقشة العشاء المنتظر مع زملائه.

وكان على مارك ان يكتشف خلال العشاء ما الذي لدى ماجد، وما الذي يعرفه. وفي الوقت نفسه، ان يقدم مارك نفسه على انه مقاول ثري (وهي قصته المفضلة التي يستخدمها للتغطية) ولديه مجال للعمل في مجالات البيع والشراء المختلفة.

وشرح ماجد بان عائلته موجودة في مصر وانه يريد احضارها الى الدنمارك، ليس على الفور، بل بعد فترة؛ وانه يريد ان يقضي وقتا ممتعا حتى ذلك الحين. وانه يبحث عن شقة يستأجرها في الوقت الحاضر، وحين تلتحق به زوجته فيما بعد ويستقر فانه قد يشتري شقة. فعرض عليه مارك المساعدة ووعد بارسال وكيل عقارات اليه في فندقه في اليوم التالي. وخلال اسبوع واحد كان لدى ماجد شقة. زرعها الموساد بالاجهزة ووضع حتى اجهزة تصوير دقيقة في ثقوب بقدر طبعة الدبوس في السقف.

وخلال الجلسة التالية لمجموعة الموساد في البيت الآمن، استقر الرأي على ان يخبر مارك ماجد بانه مضطر للعودة الى كندا لمدة شهر لبعض الاعمال، مما يعطي الموساد الوقت لاستخدام اجهزة المراقبة الى اقصى حدّ. وقد علموا ان ماجد لا يتعاطى المخدرات لكن من المؤكد انه مولع بالجنس، والكثير من

الجنس، وكانت شقته الباذخة تعج بأحدث الآلات الالكترونية، اجهزة فيديو، وتسجيل، وما الى ذلك.

ولحسن حظ الموساد، كان ماجد يتصل هاتفيا بشقيقه مرتين في الاسبوع، وسرعان ما تبين ان جديد لم يكن ملاكا هو ايضا، بل كان يعمل في بعض الصفقات المالية المشبوهة مع ماجد. فقد كان جديد يشتري كميات كبيرة من المواد الخلاعية (بورنو) من الدانمارك، ويبيعها في سوريا باسعار خيالية. وفي احدى المكالمات، اعلم ماجد انه سيزوره في كوبنهاجن خلال ستة اسابيع.

وحضّر مارك لمقابلة اخرى مع ماجد، وقد تسلح بهذه المعلومة، واستمر في لعب دور المدير التنفيذي لاحدى الشركات الكندية (وليس المدير العام، لان ذلك سوف يفوت عليه فرصة كسب الوقت بالادعاء بضرورة مراجعة رئيسه، الذي هو في الحقيقة مجموعة البيت الآمن)، وبدأ في زيادة الضغط عليه لعقد صفقة عمل.

«ما نفعله في العادة، هو تقديم استشارات استثمارية لعملائنا»، قال مارك، ثم اردف «ونحن ننصحهم في ان يستثمروا او لا يستثمروا في هذا البلد او ذاك، لذا يتوجب علينا جمع معلومات عن البلد، اننا اشبه ما نكون بوكالة استخبارات مركزية خاصة».

ولم يكن لذكر وكالة الاستخبارات المركزية اي رد فعل على وجه ماجد، وهو امر اقلق الاسرائيلي في بداية الامر. لان ذكر وكالة الاستخبارات المركزية للعرب تعطي رد فعل سلبي عنيف وفوري، وقد ابتدأ الموساد يخشى من ان يكون ماجد قد جند من قبل جهة اخرى. الا ان ذلك لم يحدث، وكان مجرد زبون هادىء.

وواصل مارك حديثه، «بالطبع، نحن مستعدون لدفع ثمن المعلومات التي تمكننا من تحليل ما اذا كان الاستثمار آمنا في ذاك البلد ـ وان كان بالامكان ضمانه في مختلف انحاء العالم. نحن نتعامل مع لاعبين كبار، هل تفهمني، وبالتالي فنحن نطلب معلومات موثوقة ومفصلة، وليس اية معلومات يستطيع اي شخص التقاطها عن جانب الشارع».

واورد مارك العراق كمثال، وهو المعروف بتموره في مختلف انحاء العالم. «لكن هل تشتري تموراً والحرب [العراقية ـ الايرانية] دائرة؟ لن تفعل ذلك الا اذا ضمنت الشحنة. لكن ضمانها يحتاج ان يكون لديك معلومات عسكرية وسياسية عن السوق هناك، وهذا هو ما نفعله».

وبدا الاهتمام على ماجد. «اسمع، هذا ليس عملي بالضبط» قالها ماجد وتابع، «لكني اعرف شخصاً قد يهمك، استطيع ان اقدمك اليه، لكن ماذا ساستفيد انا من هذا العمل؟».

«حسناً، نحن في العادة ندفع اجراً للوسيط اضافة الى نسبة مئوية على اي شيء نحصل عليه، وهذا يعتمد على اهمية المعلومات، وعن اي بلد تتحدث. فقد تساوي بضعة آلاف من الدولارات او مئات الالوف من الدولارات، الامر حسب اهمية الامر».

فسأل ماجد «واي البلاد موضع اهتمامكم».
«في الوقت الحاضر، نريد معلومات عن الاردن، واسرائيل، وقبرص، وتايلاند».
«وماذا عن سوريا؟»
«محتمل، لكن علي التأكد من ذلك،وسوف اخبرك، اكرر، الامر يعتمد على احتياجات عميلنا، ومستوى الشخص الذي تأتي المعلومات من عنده».
فقال ماجد «حسناً تأكد من ذلك، لكن رجلي ذو منصب عال جداً في سوريا».
وهكذا اتفق الرجلان على الالتقاء مرة اخرى بعد يومين. وكان مارك ما زال يمارس لعبته ببرود، فاخبر ماجد بان لهم بعض الاهتمام بسوريا. «ليس لها الاولوية»، «الا انها قد تكون مربحة ان كانت المعلومات جيدة فعلاً».
وكان ماجد قد اتصل بشقيقه قبل يوم من اللقاء، واخبره ان هناك امراً يهمه، وان عليه ان يبكر في الحضور الى كوبنهاجن، وقد وافق جديد على ذلك بكل سرور.
وفي اليوم التالي لوصول جديد، التقى مارك بالشقيقين في شقة ماجد. ولم يحاول ان يظهر معرفته بمنصب جديد، بل سأل سلسلة من الاسئلة حول نوع المعلومات التي يتوقعها منه بحيث يكون في وسعه ان يخمن العرض الذي قد تقدمه شركته. وتحدث مارك عن المسائل العسكرية، بخلطها بالكثير من المعلومات غير العسكرية للتعمية على مبتغاه، وبعد عدة جلسات من المفاوضات ـ اتبعت كل جلسة بتقرير الى البيت الآمن ـ عرض مارك مبلغ ٣٠٠٠٠ دولار على ماجد اجره كوسيط، و ٢٠٠٠٠ دولار شهرياً لجديد، اضافة الى ١٠ بالمئة، او ٢٠٠٠ دولار شهرياً لماجد. وان تدفع الاشهر الستة الاولى مقدماً، بايداعها في حساب بنكي في كوبنهاغن يقوم بفتحه مارك لجديد. واذا ما خرج جديد من سوريا بعد ذلك وقدم المزيد من المعلومات، عندها تدفع له اجوره عن ستة اشهر اخرى، وهكذا.
وكانت الخطوة التالية هي تعليم جديد كيفية كتابة الرسائل السرية باستعمال قلم خاص معالج بمواد كمياوية. على ان يقوم بارسال المعلومات بهذه الوسيلة على ظهر الرسائل العادية التي يكتبها لاخيه.
وقد عرضوا على جديد اعطاءه «عدة الشغل» ليأخذها معه الى سوريا، لكنه رفض فوافقوا على ارسالها اليه الى دمشق. مما حدا به الى القول في احدى المرات «ان جماعتك يعملون فعلاً كانهم وكالة استخبارات».

فرد عليه مارك، «بالضبط ، حتى اننا نستخدم اناساً ممن عملوا في الاستخبارات سابقاً. والفرق اننا ندير هذا العمل من اجل المال. ونحن نتقاسم المعلومات مع من يستعد لدفع ثمنها ويستخدمها في اغراض الاستثمار».

وكان على مارك ان يراجع الاسئلة مع جديد. فقد طُرح العديد من الاسئلة الغريبة: مثل قيمة العقارات والتغييرات في دوائر الحكومة. وللتمويه على الاستبيان لم تكن الاسئلة ذات الطبيعة العسكرية طاغية عليه وبعد عدة محاولات جرب خلالها القلم الخاص وقدمت له التأكيدات من انهم سيتصلون به في

دمشق ويطلعونه على الجهة التي سيتسلم منها قائمة الاسئلة. بدا جديد راضياً، وان كل شيء على ما يرام.

وطيلة فترة التمرين شك عناصر الموساد في ان كلا الاخوين يعلم بانهم يعملون لاسرائيل، لكن اللعبة استمرت على اية حال. وبسبب هذه الشكوك زيدت احتياطات الحماية «للكاتسا» (ضابط تجنيد العملاء الاسرائيلي ـ «مارك»).

وفي حين بدا الوعد بتسليم «عدة الشغل» أمراً سهلاً، فقد كان في الحقيقة، يتضمن سلسلة من الصعوبات والمناورات لتجنب ادنى احتمال لكشفها.

ويستخدم الموساد عميلا ابيض، او غير عربي في تلك الحالات: وفي هذه الحالة استخدموا احد مراسليهم المفضلين، وهو ضابط كندي يعمل مع قوات الامم المتحدة ومقره نهاريا، وهي مدينة ساحلية شمال اسرائيل، وقريبة من المنطقة المحايدة التي تفصلها عن سوريا. ولدى هؤلاء الضباط حرية عبور الحدود دون قيود. ودُفع للكندي الاجر المعتاد وقدره ٥٠٠ دولار مقابل ترك صخرة مجوفة تضم اوراقاً في بقعة محددة على جانب الطريق الى دمشق: خمس خطوات بالضبط من مكان فيه اشارة كيلو مترية محددة.

وما ان عاد الكندي بسلام عبر الحدود، حتى قام احد مقاتلي الموساد بالتقاط الصخرة، وأخذها الى غرفته في الفندق، وقام بفك الجانب المزيف وأخرج الاستبيان، والقلم، وبعض نقود جديد. واودع الرزمة بكاملها في قسم للطرود البريدية، ووضع ايصال المطالبة بالرزمة في جيبه وطار الى ايطاليا، ومن هناك ارسل الايصال الى قيادة الموساد في تل ابيب. والذين بدورهم ارسلوه الى ماجد الذي ارسله بالبريد لشقيقه.

وهكذا وصل الايصال الى جديد ضمن رسالة عادية من شقيقه، دون ان تثير اية شكوك. ولم تلبث الرسائل ان بدأت في الورود، وراح جديد يعبىء بجد التفاصيل في الاستبيان، مخبراً الاسرائيليين كل شيء يريدون معرفته عن الاستعدادات العسكرية السورية.

وسار هذا المخطط بشكل حسن لمدة خمسة اشهر تقريباً، والموساد مقتنع بان لديه متعاوناً غير عالم انه يعمل لصالح اسرائيل في مركز عال سوف يبقى فيه لفترة طويلة وبعد ذلك تغيرت الامور، مما يحدث غالباً في دنيا الاستخبارات.

وفي حين لم يكن لدى السوريين اية فكرة عن تجسس جديد لصالح الاسرائيليين فقد كان هناك شكوك متنامية انه متورط في تجارة المخدرات والمواد الخلاعية (البورنو). وللتأكد من ذلك نصبوا له شركاً: وهو ان تعتقل الشرطة السورية جديد وهو يحمل شحنة من الهيروين من لبنان في اثناء مغادرته البلاد في رحلة لعدد من العواصم الاوروبية. وكان من المفروض ان يشارك في فريق يدقق الدفاتر التي تسجل العمليات العسكرية لعدد من السفارات السورية.

ومما يدعو الى السخرية، ان جديد انقذ من الشرك بسبب جشع سوري اخر، رجل اسمه خالد الذي كان مساعداً للملحق العسكري في سفارة بلاده في لندن. وكان خالد قد جند للعمل مع الموساد في

عملية سابقة، وكان يبيع رموز الشيفره الخاصة بالسفارة، والتي تتغير كل شهر. وبالتالي يمكنهم من قراءة المراسلات من المراسلات من السفارات السورية وإليها في أي مكان في العالم.

وقد حذرتهم احدى هذه الرسائل من انه من المقرر ان يكون جديد عضواً في فريق التدقيق. لكن رسالة اخرى ارسلت من دمشق الى بيروت قالت بان جديد سوف يقبض عليه بتهمة تهريب الهيروين من البلاد. وكان للرسالة تشعبات خطيرة بالنسبة لجديد وخالد.

وكان على الموساد ان توصل رسالة الى جديد. ولم يكن قد بقي امامها سوى ثلاثة ايام لتنفيذ الضربة. فارسلوا احد مقاتلي الموساد الى سوريا الذي تنكر في شكل سائح انجليزي. ومن غرفته في الفندق اتصل الرجل هاتفياً بجديد، واخبره ببساطة بانه قد حدثت بعض المعوقات وانه يجب الا يذهب الى اللقاء المنتظر مع موزعي المخدرات والا يلتقط الشحنة وانها ستسلم له بعد وصوله الى وجهتـه في هولندا.

وحين وصل الموزعون الى مكان اللقاء، وجدوا الشرطة في اعقابهم، التي قامت باعتقالهم. وهكذا اصبح جديد مطلوبا من موزعي المخدرات أيضا، الذين لا بد انهم افترضوا انه قد اوقع بهم.

في ذلك الحين، لم يكن جديد يعلم شيئاً من كل هذا الذي حدث، لذلك عندما وصل الى هولندا ولم يتصل به احد بخصوص الصفقة، اتصل بسوريا ليعرف ما الذي حدث. عندها علم بانه كان مشبوها بالتعامل بالمخدرات واصبح الان مطلوباً من الحكومة والمهربين، وان من الافضل له الا يعود الى سوريا. وهكذا وبعد ان اصبح غير قادر على تقديم المزيد من المعلومات ـ بعد ان قدم معلومات هامة ـ اوجدت له الموساد هوية جديدة واسكنته في مكان جديد في الدانمارك حيث ما زال يعيش.

* * *

اما في لندن، فكان لخالد قصة اخرى. . فعندما حضر المدققون وضعوا امراً بالتعتيم على احدى السفارات، وهذا يعني عدم السماح بالاتصال بها حتى يرفع امر التعتيم. وكما هو الحال في العديد من الدول، فالملحقيات العسكرية السورية مستقلة عن تلك الدبلوماسية. وكمساعد للملحق العسكري كان في امكان خالد الوصول الى الخزنة العسكرية، واستغل الوضع كي «يقترض» مبلغ ١٥٠٠٠ دولار لشراء سيارة جديدة، ورغم انه خطط لاعادة «القرض» من الراتب الذي يدفعه له الموساد شهرياً، فانه لم يحسب حساب مفاجأة المدققين.

ومن حسن حظ خالد، ان كانت الموساد على علم بأمر المدققين. وللاطمئنان اتصل به الكاتسا الذي جنده على رقمه الهاتفي الخاص في السفارة، مستخدما اسمه الرمزي المعتاد لتحديد موعد للقاء. وقد عرف خالد ان الاشارة تعني الالتقاء في مطعم معين ـ كان يتغير باستمرار لتجنب انكشافه ـ وفي وقت يكون قد جرى الاتفاق عليه مسبقا. وكان يعلم ان عليه الانتظار هناك لمدة ١٥ دقيقة؛ فان لم يظهر الكاتسا الذي جنده، فان ذلك يعني الاتصال برقم معين. فان لم يكن

هناك اي جواب فهذا يعني ان عليه الذهاب الى مكان اخر للقاء، اتفق عليه مسبقاً ـ هو مطعم في اغلب الاحيان. لكن ان كان هناك من يتتبع خالد، او ان هناك اي سبب لتحاشي اللقاء في اي من المكانين، فان الكاتسا يرد على التلفون ويعطيه الاشارات اللازمة.

وفي هذه الحالة لم يكن هناك اية مشكلة بالنسبة للمطعم الاول: فقابل الكاتسا خالد واخبره ان فريقا من المدققين سيصل في اليوم التالي، وتركه بعد ان اكد له خالد ان ليس هناك ما يدعو للقلق. او هذا ما اعتقده.

وبعد ساعة، من عودة الكاتسا الى البيت الآمن لكتابة تقريره، اتصل خالد بالرقم الخاص الذي اعطي له. وكان ذلك رقماً داخل السفارة الاسرائيلية، رغم انه لا يعرف ذلك (لكل سفارة عدد من الخطوط السرية). وكانت رسالته الرمزية تقول شيئاً مثل: «ميشيل ينادي البرت». وحين دفع الرجل الذي استلم الرسالة بالرمز الى جهاز الكمبيوتر تبين انها تعني الدعوة الى اجتماع طارىء. ولم يستخدم خالد، الذي هو برتبة عقيد، رمز الطوارىء قط، خلال السنوات الثلاث التي تعاون فيها مع الموساد؛ وحسب التقارير النفسية الاسرائيلية عنه، فهو شخص متوازن جدا، ومن الواضح ان هناك خطأ ما.

وحيث انهم يعرفون ان كاتسا خالد ما زال في «البيت الآمن» فقد ارسل اليه بودل. وبعد ان تأكد ان لا احد يتبعه، اتصل البودل بالبيت الآمن مستخدما رسالة رمزية مثل: «سوف اقابلك في محل جاك خلال ١٥ دقيقة». وقد يكون مكان جاك هو هاتف عام تم الاتفاق عليه مسبقا.

وعلى الفور غادر الكاتسا البيت الآمن، وبعد ان قام بجولة كي يتأكد ان لا احد يتبعه، ذهب الى كشك الهاتف المحدد كي يتصل بالبودل، الذي اخبره بالشيفرة ايضا ان خالد يريد ان يقابله في مطعم محدد.

وفي الوقت نفسه، غادر اثنان من الكاتسا المناوبين السفارة، وقاموا بالجولة المعتادة، وذهبوا الى المطعم للتأكد من عدم وجود شرك فدخل احدهم المطعم وذهب الاخر الى نقطة معينة يمكن ان يقابله فيها كاتسا خالد ويعرف ما الذي يجري. ونظرا لان خالد سوري، ولا يعلم عناصر الموساد بعد ما القضية فان ذلك اللقاء يعتبر خطرا. ومما يزيد الامر غموضا ان الكاتسا كان قد قابل خالد قبل ساعة واحدة فقط وكان كل شيء يبدو على ما يرام.

وبعد ان تكلم كاتسا خالد مع الرجل المنتظر في الخارج، اتصل بالمطعم وطلب التحدث معه ـ مستخدما اسمه الرمزي ـ طالبا منه الذهاب الى مطعم اخر للقاء. وتأكد الكاتسا الموجود داخل المطعم من ان خالد لم يجر اية مكالمات قبل ان يغادر الى الموقع الجديد.

وفي العادة، لا يقوم افراد الكاتسا المناوبون بهذا النوع من العمليات، لكن كونها حالة طارئة فقد قاموا «بتمرين في المحطة» للاعداد للقاء؛ وهذا يعني بان كاتسات من محطة الموساد قد

قاموا بالعمل.

وعندما التقى الرجلان، اخيرا. كان خالد شاحبا يرتجف. وكان خائفا لدرجة انه تغوّط في سرواله، وكانت تنبعث منه رائحة كريهة.

«ما الذي حدث؟» سأل الكاتسا، «لقد التقينا منذ فترة وكان كل شيء على ما يرام».

الا ان خالد ظل يردد «لا اعرف ماذا افعل، لا اعرف ما افعل!». «سوف يقتلونني». قال «انا رجل ميت».

«من الذي سيقتلك؟» ، «ولماذا؟».

«لقد خاطرت بحياتي من اجلكم. ويجب عليكم ان تساعدوني».

«سوف نساعدك، لكن ما هي المشكلة؟».

«انها سيارتي. النقود من اجل السيارة».

«هل جننت؟ أتطلبني في منتصف الليل لانك تريد شراء سيارة؟».

«كلا، كلا، ان السيارة لدي».

«حسنا اذا، ما قصة السيارة؟».

«لا شيء، لكني اخذت النقود لشرائها من خزنة السفارة. واخبرتني انت اليوم ان هناك جرد. وسوف اذهب غدا صباحا الى العمل، وسوف يقتلونني».

لم يشعر خالد بالقلق، في بداية الامر، لان له صديقاً غنياً كان ينقذه من مثل هذه الورطات في السابق. حيث كان يستلف النقود منه قبل الجرد لمدة يوم او يومين، وحين ينصرف المدققون كان يأخذ النقود ويعيدها الى صديقه، ثم يسدد ما اخذه بالتدريج من المخصصات التي تدفعها له الموساد. الا ان خالد اكتشف ان صديقه موجود خارج المدينة. وليس لديه من وسيلة لجمع ذلك المبلغ في لٰيلة واحدة لوضعه في خزنة السفارة. وطلب من الكاتسا دفعه مقدما واكدّ قائلا: «سوف اسددها خلال ستة اشهر، هذا كل ما اريد».

«اسمع، سوف نحل هذه المشكلة، لا تقلق، لكن عليّ ان اكلم احدهم اولا».

وقبل ان يغادر الكاتسا مع خالد استدعى زميله الى جانب كشك الهاتف وسلمه رسالة بالشيفرة والتي تعني انه يجب عليه الذهاب بسرعة الى فندق قريب وحجز غرفة باسم اتفق عليه. وما ان وصل خالد والكاتسا الى الفندق حتى ارسله الى الحمام كي يغتسل.

وفي تلك الاثناء، وبسبب من ذلك الظرف الطارىء، بقيت محطة الموساد ساهرة. واتصل كاتسا خالد بمدير المحطة في البيت الآمن، واوجز له المشكلة بشكل عام، وطلب ١٥٠٠٠ دولار

نقدا. ومن الناحية التقنية، فان اي دفعة تزيد عن عشرة آلاف دولار لا بد ان توافق عليها تل ابيب. لكن في هذا الظرف بالذات اجاز مدير المحطة الدفعة، واعلم الكاتسا انه سيقابله في غضون ٩٠ دقيقة، واضاف «انه حمارك ان حدث خطأ ما».

وكان مدير محطة الموساد يعرف سايان يدير كازينو ولديه دائما مبالغ نقدية كبيرة بين يديه (كانوا يستخدمون المبلغ اولا ويدفعون له في اليوم التالي)، وهكذا اقترض المبلغ. واعطاه السايان مبلغ ٣٠٠٠ دولار زيادة قائلا «ربما تحتاجون اليها».

وحدث في تلك الاثناء، ان كان القائد الثاني للمحطة يقابل «كاتسا مهاجم» اسمه باردا، والذي كان موجودا في لندن في مهمة اخرى. وكان باردا الذي انتحل صفة ضابط من سكوتلنديارد قد جند اثنين من الحرس الليليين في السفارة السورية، في اثناء تحضيره لعملية اخرى تضمنت اقتحام السفارة.

والآن، بعد ان حصلوا على النقود، فان المشكلة هي اعادتها الى الخزنة قبل الصباح، وحيث ان خالد هو الذي يعرف الرقم السري للخزنة ويستطيع التعلل بعذر ما للدخول الى السفارة في الليل فقد اوكلت اليه تلك المهمة.

وقد رتب باردا، لقاء مع الحارس الليلي الاول، ثم مع الثاني في مطاعم مختلفة (بحيث اعتقد كل واحد ان زميله ما زال في الخدمة)، وبذا فتح المجال لخالد للدخول الى السفارة ليلا واعادة النقود.

واخبر الكاتسا خالد، فيما بعد، في غرفة الفندق بان المبلغ ليس دفعة مقدما (وبرر ذلك بانهم لو دفعوا له مقدما، فلن تكون لديه الدوافع للتعاون)، لكن مبلغ ١٠٠٠ دولار ستقتطع من مخصصه شهريا وطيلة الاشهر الخمس عشرة المقبلة.

واخبره الكاتسا «اذا احضرت شيئا ما غير عادي، فسوف تضاعف المكافأة بحيث تستطيع التسديد في فترة اسرع». «لكن اذا فعلت اي شيء غير قانوني في السفارة مرة اخرى، فسوف اقتلك انا».

ويبدو ان خالد صدقه، وكان يجب ان يصدقه. ويبدو انه لم «يقترض» بنسا واحدا منذ ذلك الحين.

الفصل الثالث عشر

مساعدة عرفات

كان العام ١٩٨١ عاماً صاخباً. ففي يوم واحد تقلد رونالد ريغان رئاسة الولايات المتحدة، واطلقت ايران ٥٢ رهينة بعد ٤٤٤ يوماً من الاسر. وفي ٣٠ اذار/مارس اطلق جون هنكلي النار على ريغان، وفي بولندا، واصل ليش فاليسا بطل نقابة التضامن سعيه للحرية. وهو سعي ساعد في فتح الباب امام التغييرات السياسية الواسعة في اوروبا الشرقية في نهاية العقد. وفي ٢٩ تموز/يوليو، وصبيحة يوم مشرق في لندن، استقطب الامير تشارلز والليدي ديانا سبنسر انظار الرومانسيين وعشاق المظاهر الملكية بعرس بثته شاشات التلفزيون في مختلف انحاء العالم. وفي اسبانيا، خاض ارهابيو الباسك معارك عنيفة مع السلطات الحكومية. وفي واشنطن تعرض وليم كاسي مدير وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية لضغط كبير كي يستقيل بسبب دعمه الجهود السرية الفاشلة لاغتيال الزعيم الليبي معمر القذافي، ومن اجل تعيين زميله ماكس هوغل كمدير لعمليات الوكالة السرية، رغم عدم وجود اية مؤهلات معروفة لهوغل لتولي هذا العمل. وقد اضطر هوغل نفسه الى الاستقالة يوم ١٤ يوليو/تموز، عندما أتهمه اثنان من زملائه في العمل بالتلاعب غير المشروع في اسعار الاسهم.

اما في اسرائيل، فقد كان عاماً مضطرباً حتى بالنسبة لمقاييس هذا البلد. فقد تصاعد التضخم بنسبة ٢٠٠ بالمئة في العام ١٩٨٠. وكان ما زال يتصاعد بسرعة عام ١٩٨١، وقد كان هناك نكتة تقول ان في استطاعتك شراء بعض جبنة الحلوم بستة إضعاف سعرها الاصلي، وهي ما زالت طازجة. هذا هو التضخم!

وكان مناحيم بيجن، ٦٧ سنة، رئيس الوزراء، وحزبه الحاكم، كتلة الليكود يواجهون تحدياً شديداً من شمعون بيرس ٥٧، وحزب العمل، وزاد من تعقيد الوضع ان احد وزراء بيجن، ابو حصيره، قد قبض عليه في فضيحة دفع رشوات للانتخابات واودع السجن. وانتهت انتخابات ٢٩ حزيران/يونيو بنتائج متعادلة ٤٨ مقعداً لكل من الحزبين. الا ان بيجن تمكن من الاستعانة ببعض الاحزاب الصغيرة، والتحالف معها للحصول على الاغلبية البسيطة، ٦١ مقعداً من اصل ١٢٠ هي عدد مقاعد الكنيست.

وقبل ذلك بفترة وجيزة، وفي يوم ٧ حزيران / يونيو، اثارت اسرائيل حنق الولايات المتحدة بمهاجمة المفاعل النووي العراقي وتدميره. وفرض الاميركيون حظراً مؤقتاً على شحنة من

طائرات «ف ـ ١٦» المقاتلة الى اسرائيل، وايدوا قراراً للامم المتحدة يدين الهجوم. كما زادت اسرائيل من هجماتها ضد لبنان، وفي اواخر تموز/يوليو بدا انها تتجه لحرب شاملة ضد سوريا. وكان مبعوث الولايات المتحدة الخاص، فيليب حبيب، وهو دبلوماسي متقاعد، لبناني الاصل، يجوب الشرق الاوسط محاولاً التفاوض على خطة لحل سلمي. وفي تموز ايضاً ارسل وزير الخارجية الاميركي روبرت ماك فارلين لمقابلة بيجن في محاولة لاقناعه بكبح جماح آلته الحربية.

ولم يكن هذا وضعاً سيئاً بالنسبة للموساد. فالشيء الوحيد الذي لا يتمنون حدوثه، هو ان يعم السلام المنطقة. لذلك، كانت هناك نشاطات مكثفة تهدف الى منع قيام مفاوضات جدية ـ وهذا مثال آخر على مدى خطورة وجود منظمة كهذه غير مسؤولة تجاه احد.

وبالمثل، لم يكن عاماً هادئاً بالنسبة لياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية، ففي العام ١٩٧٤، اعلن عرفات نبذ الاعمال الارهابية خارج اسرائيل، وبشكل رئيسي في اوروبا. الا ان العمليات الفلسطينية استمرت في اوروبا، وقام بها عدة جماعات من المعارضين لعرفات. والواقع ان عرفات لا يشكل قوة خارج الاراضي المحتلة بين المجموعات الوطنية الفلسطينية، ومصدر قوته هو الضفة الغربية وقطاع غزة حيث يتمتع بشعبية شخصية عظيمة، باستثناء بعض المسلمين الاصوليين.

واحد اكبر مشاكل عرفات هو «منظمة حزيران الاسود» التي يرأسها صبري البنا، المعروف بابي نضال. وهذه المنظمة المكونة من فلسطينيين مسلمين متعصبين يجعلهم اخطر من اية جماعة اخرى. وشارفت هذه المنظمة على النهاية في اواخر السبعينات حين هاجمتها قوات سورية ولبنانية مسيحية، الا ان ابو نضال تمكن من النجاة، وصدر حكم عليه بالاعدام من عرفات. وصارت توجه اليه تهمة قتل اي فلسطيني، لا يمكن عزو مقتله الى اسرائيل، واعتبر ابو نضال رجل عالم الارهاب السيء.

وكانت منظمة حزيران الاسود هي التي حاولت اغتيال شلومو ارجوف، السفير الاسرائيلي في لندن عام ١٩٨٢. وهي العملية التي اتخذتها اسرائيل ذريعة لشن هجومها الشامل ضد لبنان. وقد اطلق عليها بيجن اسم «حرب الخيار»، ويقصد بذلك، ان اسرائيل خاضت هذه الحرب ليس لانها مضطرة لذلك ـ كما هو الحال في الحروب السابقة ـ بل لانها اختارت ذلك. وربما كان خياراً ضعيفاً، لكنها ديماغوجية بيجن التي تلقفته. على اية حال، لم تقض المحاولة على ارجوف الا انها تركته في غيبوبة تامة. والقيت مسؤولية العملية على عرفات، رغم انه لا دخل له فيها البتة.

وقبل حادثة ارجوف، كانت اسرائيل تتفاوض سراً وبشكل غير رسمي مع منظمة التحرير الفلسطينية من اجل وقف لاطلاق النار، يوقف بموجبه عرفات اطلاق القذائف الصاروخية من طراز كاتيوشا الروسية الصنع من جنوب لبنان ضد اسرائيل. على اساس ان يبدو الامر وكأنه

مبادرة من جانب واحد هو منظمة التحرير. وكان عرفات في ذلك الحين يبحث في عدد من دول الكتلة الشرقية عن مزيد من الدعم له. وكانت الموساد على علم بانه سيحاول شراء كمية كبيرة من الاسلحة الخفيفة من اوروبا لشحنها الى لبنان. وكان هذا يدعو للتساؤل. فهو، على سبيل المثال يستطيع الذهاب الى تشيكوسلوفاكيا، ويقول انه يريد اسلحة. فيردون عليه، «وقّع هنا»، ويرسلون له كل ما هو بحاجة اليه. لقد كان الامر اشبه بمن يعيش الى جوار نبع ويسير خمسة اميال كي يحصل على الماء. فاما ان يكون هذا النبع مالحاً والا فلا معنى لعمله ذاك.

اما ماء عرفات المالح فكان جيشاً من ٢٠ الف مقاتل، جيد التدريب اسمه جيش التحرير الفلسطيني، بقيادة العميد طارق الخضرا، الذي اعلن في العام ١٩٨٣ عن سحب تأييده لعرفات كقائد لمنظمة التحرير الفلسطينية والحقت هذه القوات بالجيش السوري مما حدا بعناصر الموساد الى القول في ذلك بان «السوريين سوف يحاربون اسرائيل حتى اخر فلسطيني».

وكانت دول الكتلة الشرقية على استعداد دائماً لتزويد الفلسطينيين بالاسلحة. برغم ان ذلك كان يتم من خلال القنوات الرسمية. وهذا يعني بالنسبة لهم، انه لو طلب عرفات، في العام ١٩٨١، اسلحة فانها ترسل الى جيش التحرير الفلسطيني.

وبعد عملية ميونخ في العام ١٩٧٢ شكل عرفات قوة أمن خاصة. وكان في استطاعة عرفات من خلال خط تلفوني خاص رقمه ١٧ ان يتصل بقواته الخاصة من مقر قيادته في بيروت. واطلق على هذه القوة اسم القوة ١٧، وكان يرأسها في ذلك الحين ابو الطيب، وكان عددها يتراوح ما بين ٢٠٠ او ٦٠٠ مقاتل. كما اعتمد عرفات كثيراً على ابو الزعيم رئيس الامن والاستخبارات.

وبالنسبة للموساد، كان اللاعب الاهم من بين جميع هؤلاء اللاعبين شخصا اسمه ضرار قاسم، وهو سائق عرفات وحارسه الشخصي واحد عناصر القوة ١٧. وكان قاسم قد جند عميلاً للموساد في العام ١٩٧٧ عندما كان يدرس الفلسفة في بريطانيا. وهو شخص جشع، كان يرسل التقارير في كل يوم تقريباً، ويبعث الرسائل من خلال نظام اتصال لاسلكي ويتلقى ٢٠٠٠ دولار عن كل تقرير. وكان يرسل المعلومات بواسطة الهاتف ويرسلها ايضاً بشكل دوري بالبريد. وفي احدى المرات ظهر في «الغواصة» ـ المقر السري للموساد في بيروت ـ وهو عمل طائش منه، وكان صدمة للمسؤولين عنه معرفة قاسم للعنوان. وخلال حصار بيروت، كان قاسم مع عرفات يقدم التقارير للموساد من داخل قيادة منظمة التحرير.

وكان قاسم اقرب معاوني عرفات اليه، ورغم ذلك لم يستطع تقديم اي دليل يدعم ما كانت الموساد تحاول جاهدة الصاقه بعرفات، وهو الادعاء بانه شاذ جنسياً، وكان يمكن لامر كهذا ان يشوه صورة عرفات؛ كما فعلوا مع قادة عرب اخرين حين اظهروا الحياة المترفة التي كانوا

يعيشونها مستغلين سلطاتهم. لكنهم لم يستطيعوا قول الشيء ذاته عن عرفات الذي كان يعيش حياة متواضعة وسنحت له عدة فرص للهرب خلال حصار بيروت الا انه رفض ان يغادر الا مع ابناء شعبه، وهكذا لم يكن في وسع الموساد الادعاء بانه يعمل بوحي من مصلحته الشخصية. فلجاؤا الى محاولة ربطه بقضية الشذوذ كبديل.

في ذلك الحين، كان الجناح اليميني في الموساد يطالب بقتل عرفات. وحجتهم في ذلك انهم اذا اغتالوا عرفات فان الفلسطينيين سوف يولّون بعده شخصا ذا نزعة عسكرية اقوى لن يكون مقبولاً من الغرب، او من اليسار في اسرائيل. وبالتالي لن يكون هناك حل سلمي للقضية، وستحدث صدامات عنيفة ومن ثم استسلام دون قيد او شرط وهو الطريقة الوحيدة التي يتصورها الموساد لتحقيق السلام.

اما حجة الرافضين لاغتيال عرفات فتقول بانه الافضل وسط مجموعة من الاشرار فهو شخص مثقف، ويشكل مركزاً لتوحيد الفلسطينيين، وبالتالي اذا كان هناك من محادثات ستجري، فلا بد من شخص ما نتحدث اليه، يكون ممثلاً شرعياً للفلسطينيين. ورغم ان الاستخبارات في اسرائيل، سواء الموساد او الشاباك (الشين بيت) يعلمان ان عرفات يحظى باحترام وتقدير كبير في المناطق، فانهم لا ينقلون هذه الصورة الى مسؤوليهم السياسيين.

وفي اواسط العام ١٩٨٦ انتهى هذا النقاش، ورجحت كفة الجناح اليميني. الا ان عرفات كان قد اصبح شخصية شعبية قوية. ولم يكن لدى الموساد اي عذر للنيل منه. لكنه ما زال على القائمة، وحين يكون الوقت ملائماً فسوف ينفذون عملية القتل.

ومن الشخصيات الرئيسية ايضاً في ذلك الوقت مصطفى خليل المعروف بابي طعان. قائد جماعة الكفاح المسلح الفلسطيني. وهي مجموعة التنسيق الخاصة بعرفات، وكان يطلق عليه مجلس التنسيق الفلسطيني لكن بعد نبذ عرفات في العام ١٩٧٤ استخدام القوة ضد اسرائيل خارج حدودها فقد تبنى العديد من تنظيمات منظمة التحرير اسماء لها صبغة عسكرية قوية ربما للايحاء بعدم نيتها التقاعس عن اهدافها.

ومجموعة اخرى يجدر ان نتذكرها هي جبهة التحرير العربية التي يرأسها عبد الوهاب كيالي، والذي اغتيل في بيروت في كانون اول/ديسمبر ١٩٨١ وخلفه في القيادة عبد الرحيم احمد.

على اية حال، اراد عرفات الاسلحة الخفيفة لتوسيع القوة ١٧، وكان الصراع على السلطة يدور داخل المنظمة، واحس عرفات انه بحاجة الى قوة نارية خاصة اكبر. لكنه عندما طلب اسلحة من العميد الخضرا، رئيس اركان جيش التحرير الفلسطيني لم يستجب لطلبه. واخبر الخضرا عرفات بالا يقلق فهو سيحميه، وهذا ما اثار قلق عرفات.

ولان الخضرا كان يسيطر على جميع شحنات السلاح الواردة من الكتلة الشرقية الى منظمة

التحرير فقد توجهت جميع التنظيمات الصغرى في المنظمة الى ليبيا والعراق للحصول على اسلحة شرقية.

في ١٧ كانون الثاني/يناير ١٩٨١ طار عرفات الى برلين الشرقية لمقابلة الرئيس الالماني الشرقي ايريك هونيكر الذي اعطاه ٥٠ «مستشاراً» المانيا للمساعدة في تدريب رجال منظمة التحرير في لبنان. وفي ٢٦ كانون الثاني قابل عرفات عدداً من الموفدين الالمان الشرقيين في بيروت هذه المرة. وطلب اسلحة وحاول ترتيب الصفقة بحيث تصله مباشرة دون المرور من خلال العميد الخضرا. وبفضل التقارير المستمرة من قاسم، عرف الموساد ان عرفات قلق جداً من مشاكل داخلية ومن هجوم اسرائيلي محتمل.

وفي ١٢ شباط/فبراير، قابل عرفات ممثلين فيتناميين في دمشق، وحاول ترتيب صفقة معهم. وقد عرضوا صواريخ الا انه كان يريد اسلحة خفيفة. وبعد ثلاثة ايام ذهب الى طرابلس، لبنان، الى لقاء مع قادة التنظيمات الفلسطينية، محاولا اقناعهم بالتوقف عن التقاتل فيما بينهم والتركيز على العدو الحقيقي، اسرائيل. وفي ١١ اذار/مارس كانت عصبية عرفات في تزايد مستمر، فقد كان يسعى جاهداً للحصول على التزام بتوريد هذه الاسلحة قبل ١٥ نيسان/ابريل موعد الاجتماع العام لمنظمة التحرير الفلسطينية في دمشق. لدرجة انه عقد في ذلك اليوم بالذات ثلاثة اجتماعات منفصلة مع سفراء كل من هنغاريا، وكوبا، وبلغاريا لكنه فشل في الحصول على تعهدات بالحصول على الاسلحة المطلوبة.

وفي ذلك الوقت، كان الموساد شديد العصبية ايضاً، الذي افترض ان عرفات سيحصل على اسلحته في نهاية الامر. وروعهم ان رئيس منظمة التحرير قد بدأ يقول انه يبحث عن شخص يقابل دبلوماسيين اسرائيليين مندوبين عنه للبدء في مفاوضات تستهدف وقف الهجمات على لبنان. وقد علمت الموساد بهذا الخبر قبل وقت طويل من معرفة الحكومة الاسرائيلية به، كما هي الحال دائماً.

وفي ١٢ اذار /مارس قابل عرفات في بيروت نعيم خضر، ممثل منظمة التحرير في بلجيكا، طالباً منه ان يفيد من قنواته هناك للاتصال بوزارة الخارجية الاسرائيلية لاجراء مفاوضات وتجنب حمام دم. وكان الموساد في غاية القلق بسبب ذلك. والسبب في ذلك انهم ان ارادوا التورط في لبنان لمساعدة المسيحيين، فان في امكانهم ضرب الفلسطينيين هناك. لكن اذا بدأت الحكومة في التفاوض فلن تتاح لهم تلك الفرصة. ودار صراع خفي حقيقي بين الموساد ووزارة الخارجية، لم تشعر به وزارة الخارجية لكن جهاز الموساد كان يحاول اشعال الحرب، في حين تسعى وزارة الخارجية ناشطة لتجنبها.

وعلم الموساد ان عرفات يحاول الافادة من فرانس غانو، وكان عمره ٦٥ سنة في ذلك

الحين، وهو مصرفي سويسري مؤيد وممول لكارلوس. وتقضي فكرة عرفات، التي مررها قاسم الى الموساد، بالحصول على المال من غانو لشراء اسلحة من المانيا بمساعدة جماعة اطلق عليها «الكتلة السوداء»، احد فروع عصابة الجيش الاحمر، التي تلقت تدريبات في لبنان من قبل المستشارين الالمان الذين ارسلهم هونيكر.

لم يكن الاسرائيليون سعداء بالتقدم الظاهر الذي احرزه موفد الولايات المتحدة فيليب حبيب في مهمته السلمية، لذلك كانت فكرتهم هي توريط وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية باخبارهم ان منظمة التحرير تعد للحرب في حين انها تتحدث عن السلم، على امل ان يقضي ذلك على مبادرة حبيب او على الاقل ان تجمدها. وفي ذلك الحين، كان بيجن يسعى لاعادة انتخابه ولم يكن لديه ادنى فكرة عن خطط الموساد. واصبح للعملية العسكرية المنتظرة اسم هو «ارز لبنان»، وبدأوا في تزويد عناصر ارتباط وكالة الاستخبارات المركزية بالمعلومات. لكن في ٣٠ اذار/مارس، وبعد محاولة جون هنكلي اغتيال الرئيس ريغان تحول انتباه الوكالة عن العملية وجرى تجميد جزء منها.

وفي ١٠ نيسان/ابريل قابل عرفات هونيكر للمرة الثانية في برلين الشرقية وعاد في اليوم التالي الى دمشق للدورة الخامسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني.

وفي ١٥ ايار /مايو اجرى الموساد اتصالاً مع الوحدة «جي س جي ـ ٩» (GSG-9) الالمانية المتخصصة في مكافحة الارهاب، التي اراد جذبها للعمل معه والاستفادة منها في العمليات المستقبلية.

ويوم ١ حزيران/ يونيو، وبعد ثلاثة اشهر من لقاء عرفات مع نعيم خضر، اجرى الاخير مكالمة هاتفية مبكرة من منزله مع احد المسؤولين في مكتب وزارة الخارجية الاسرائيلية في بروكسل لترتيب اجتماع يوم ٣ حزيران لبحث امكانية البدء في مفاوضات سلام. وفي اثناء ذهابه الى عمله قام رجل اسمر البشرة ويرتدي سترة بنيّة وشاربين رفيعين بالاقتراب من خضر واطلق عليه خمس رصاصات في القلب ورصاصة واحدة في الرأس، وسار الى زاوية الشارع، ثم صعد الى احدى سيارات «التاكسي» المارة، واختفى عن الانظار. وكانت ضربة وجهتها الموساد رغم ان عرفات لم يكن يعرف ذلك في حينه.

وبعث قاسم بتقارير تفيد ان عرفات كان مضطربا للغاية في ذلك الحين. فلم يكن يستطيع النوم ليلا، وبدا عليه الارهاق. وكان يريد الحماية، والحصول على صفقة الاسلحة للقوة ١٧.

في بداية تموز/ يوليو، جرت سلسلة من المظاهرات في المانيا ضد الصواريخ الاميركية المرابطة هناك. وفي ٩ تموز زار عرفات بلغاريا ويوغسلافيا مواصلا سعيه للحصول على اسلحة. وفي تلك الفترة تحطمت طائرة ارجنتينية محملة بالاسلحة قادمة من اسرائيل ومتجهة الى ايران

بعد اصطدامها بطائرة روسية فوق المجال الجوي السوفياتي. فقام الاميركيون الذين اغضبهم تزويد اسرائيل لايران بالاسلحة، بارسال روبرت ماك فارلين لمقابلة بيجن. وكانت الحادثة ايذانا ببداية فضيحة ايران ـ كونترا التي كان لها تفاعلات شعبية على مدى عدة سنوات لاحقة.

وفي ذلك الحين ايضا ادخل السوريون صواريخهم الى لبنان، واضافوا بذلك ازمة جديدة، وحذر بشير الجميل سوريا من ان هذا الامر قد يقود الى نشوب حرب.

وكان السوريون يبدلون دائما دعمهم العسكري في لبنان من مجموعة الى اخرى، بناء على ما اسموه «ميزان الضعف». حيث اعتقدوا انه اذا ما قويت احدى الجماعات او الطوائف المتصارعة، فان عليهم دعم مجموعة اخرى كي تحاربها. وبذلك لا تقوى طائفة او جماعة على اخرى، وتبقى سوريا مسيطرة على الوضع.

وواصل الموساد مساعيه لخداع الاميركيين، وامر يتسحاق حوفي رئيس الموساد دائرة الحرب النفسية (LAP) بتلفيق سيناريو يقنع الاميركيين بان منظمة التحرير كانت تعد للحرب، وليس السلام. والغرض من ذلك ان يبرر للولايات المتحدة اجتياح الجنوب اللبناني.

وقامت دائرة الحرب النفسية باعداد صور عن مخزونات اسلحة العميد الخضرا قائد جيش التحرير الفلسطيني. وحيث ان هذا الجيش هو احدى وحدات الجيش السوري فلم يكن مفاجئا ان يكون لديه مخزونات من الاسلحة لقواته، لكن ذلك كان يمكن ان يفيد في تقديم «دليل» بان جيش التحرير الفلسطيني يخطط لمهاجمة اسرائيل، رغم معرفة الموساد بالجهود المضنية التي يبذلها عرفات لتجنب الحرب.

وعرضت دائرة الحرب النفسية ايضا وثائق لوكالة الاستخبارات المركزية التي تم الاستيلاء عليها من منظمة التحرير وتظهر خططا حقيقية لمهاجمة شمال اسرائيل. والواقع ان هذا ليس امرا غير عادي ولا يعني بالضرورة التوعد بمهاجمتها. وتستطيع ان تجد في اية قاعدة عسكرية مثل هذه الخطط المفصلة. ولا فرق ان كانت منظمة التحرير تنوي تنفيذ هذه الخطط، او ان تكون حتى قد صادقت عليها. لم يكن لدى الموساد أية نية في السماح لتلك الاعتبارات ان تقف في طريق خططها الشريرة.

وحتى قبل بداية الاعمال العدائية، أُعدت منشورات وصور جديدة، واصبح من السهل تقديم وثائق مؤكدة عن «التهديد» الذي ينتظر اسرائيل من الفلسطينيين.

بتعليمات من عرفات، ارسل ابو طعان رئيس وحدة التنسيق اثنين من رجاله الى فرانكفورت لترتيب صفقة الاسلحة الخفيفة. وكان المسؤول عن هذه المهمة الرائد جواد احمد حميد علوني، وهو خريج الكلية العسكرية الجزائرية في العام ١٩٦٩، وتلقى تدريبا سياسيا في الصين خلال العامين ١٩٧٨، و ١٩٧٩، وتخرج في العام ١٩٨٠ في مدرسة عسكرية هنغارية. وصحبه

في هذه المهمة الرقيب عبد الرحمن احمد الشريف. وهو خريج الكلية العسكرية الكويتية عام ١٩٧٩، ومن المدرسة ذاتها التي تخرج منها علوني في هنغاريا.

لم تكن العلاقات بين الموساد والشرطة الفدرالية الالمانية حسنة في ذلك الوقت. لكن وحدة مكافحة الارهاب الالمانية (GSG-9) التي تدربت في اسرائيل، كانت متعاونة جدا، كما كانت وحدة هامبورغ الخاصة بمكافحة الارهاب، والتي اطلق عليها الموساد الاسم الرمزي «توغانيم» او «البطاطا المقلية».

وكان التوغانيم على استعداد لتزويدالموساد ببطاقات هوية، كما لو كانوا يعملون لانفسهم. الم يدربهم الموساد، بل ان الموساد ساعدهم في التحقيق مع بعض العرب.

ولان التوغانيم كانوا متعاونين جدا، فقد اراد الموساد ان تتم العملية بالكامل في هامبورغ. كما هو الحال مع الشرطةالفدرالية، كانت علاقات الموساد مع الاستخبارات المركزية الفدرالية الالمانية فاترة ايضا. لكن كان لكل مقاطعة المانية شرطتها الخاصة، وجهاز استخباراتها، لذلك اتجهت علاقات الموساد مباشرة الى هؤلاء.

وعرفت الموساد ايضا بان عرفات يخطط لاشراك عصام سالم، وهو طبيب كان يعمل ممثلا لمنظمة التحرير في برلين الشرقية، في الصفقة لاخذ قرض من المصرفي السويسري غانو، لشراء الاسلحة الخفيفة اللازمة للقوة ١٧. وابلغ غانو بان يبقى على استعداد في حالة احتياج منظمة التحرير لقرض مؤقت. وحيث ان الاسلحة هي بضائع «خطرة»، لا يريد احد ان تبقى لديها لفترة طويلة، لذلك كان القرض المؤقت ضروريا لاتمام الصفقة باقصى سرعة ممكنة.

وفي الوقت نفسه ، قيل ان عرفات احضر شحنة كبيرة من الحشيش من لبنان(*) وكان من المفروض ان يقوم اعضاء من الكتلة السوداء الذين انهوا تدريبهم في لبنان بنقله وتفريغه بواسطة عناصر من عالم التهريب الاوروبي ، للحصول على سيولة نقدية ، ومن ثم اعطاء المال الى عصام سالم ، الذي يقوم بدفع ثمن الأسلحة او يعيد المال الى غانو ، اذا ما تم اخذ القرض المؤقت . وقرر عرفات ايضاً استخدام اعضاء الكتلة السوداء هؤلاء من اجل نقل الاسلحة الى لبنان .

ووردت جميع هذه المعلومات الى قيادة الموساد بواسطة شبكة «ياهالوميم» (Yahalomim) ومعناها «الماسات» وهي الشبكة المسؤولة عن اتصالات العملاء. فما ان يذهب اي عميل الى البلد الهدف، فان الكاتسا الذي جنده لا يكون مسؤولا عنه، وانما تتم اتصالاته من خلال القيادة في تل ابيب.

---

* يلاحظ القارىء أن اوستروفسكي يحاول بدون نجاح اقحام رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بموضوع لا اخلاقي. ان عدم الترابط الواضح بين مشتريات الاسلحة التي كان يسعى الرئيس عرفات للحصول عليها وقصة مخدرات جماعة الكتلة السوداء تظهر عدم صحة الرواية.

(الناشر)

وتلقفت قيادة الموساد هذه المعلومات وجلست مع رؤساء «تسوميت»، وتيفيل، وعمليات الامن لرسم خطوط استراتيجيتهم. وكان لديهم اربعة اهداف رئيسية: منع عرفات من الحصول على الاسلحة؛ ومنع المحاولات الجارية للتفاوض بين منظمة التحرير ووزارة الخارجية الاسرائيلية؛ والحصول على شحنة الحشيش وتوزيعها للحصول على المال، وانتزاع القرض من غانو، تاركة لمنظمة التحرير عبء تسديده. وذلك اضافة للفوائد السياسية والاستراتيجية الواضحة من هذه العملية، وكان الموساد يعاني في ذلك الحين من ضائقة مالية خطيرة، كما هو الحال بالنسبة لاسرائيل، وكان يبحث عن مصادر جديدة للدخل.

* * *

للاعداد لهذه العملية الكبيرة، ارسل فريق « «نيفيوت» (القوس) الى هامبورغ في ايار / مايو ١٩٨١ للبدء في تحضير رصيف ومستودع امنين. وارسل كاتسا من محطة لندن الى هناك للمشاركة في اعداد الشرك.

وفي ذلك الوقت، ارسل فريق من «الميتسادا» الى نعيم خضر في بروكسل للتأكد من عدم قيامه بمفاوضات سلام. وكان لا بد من تصفيته. اما كيف اعدوا لتلك الضربة فيمكن تخمين ذلك. لكنها نفذت بطريقة تحمل بصمات الموساد: بسيطة، وسريعة، وقاضية؛ وسط الشارع وفي وضح النهار، وكلما زاد عدد الشهود كلما كان ذلك افضل. وكل ما بقي للتعريف على القاتل هو بضع طلقات فارغة من دون اية علامات وجثة هامدة.

ويحتمل ان القاتل استخدم مسدسا محشوا بتسع رصاصات، يستخدم منها ست رصاصات فقط للعملية. وكل من يحاول، في الفترة ما بين تنفيذ العملية ووصول القاتل الى السيارة، اعتراض القاتل، فانه سيلحق بالجثة الملقاة على الارض.

وتم الاعداد للعملية بحيث يوجه الاتهام الى جماعة ابو نضال في المسؤولية عنها، ليس من الجهات الاجنبية فحسب، بل ومن قبل عرفات ووزارة الخارجية الاسرائيلية. وكان هذا ما حصل بالفعل، فبعد اغتيال خضر بدأت القصص التي تشير الى ابي نضال كاخطر الارهابيين المطلوبين تظهر في وسائل الاعلام.

وكان يرأس فريق النيفيوت المكون من خمسة عناصر شخص اسمه موسى م. وهو من رجال الموساد الجدد نسبيا، وانتقل الى الموساد من الشاباك. وله سجل جيد في الوحدة ٥٠٤. واقام الفريق في فندق اتلانتك كيمبنكسي الفخم، على بحيرة الستر، في هذه المدينة التي تعتبر ثاني اكبر المدن الالمانية الغربية.

ورجال الموساد يحبون هامبورغ، بسبب علاقات العمل الجيدة مع شرطة مكافحة الارهاب المحلية ومع الاستخبارات. والسبب الاخر عروض الجنس الحية الشهيرة فيها، والمنطقة ذات

الاضواء الحمراء حيث تعرض بنات الهوى مفاتنهن في النوافذ اوحتى بالسير عاريات في الشوارع. وبالطبع كان ذلك تسليتهم المسائية، اما في النهار فكان الفريق منهمكا في البحث عن مستودع ملائم بعيد عن الانظار في منطقة الارصفة على الشاطىء الجنوبي لنهر الالب، يسهل الدخول اليه نسبيا، ويسمح لهم بمراقبته والتقاط الصور الفوتوغرافية دون ان يكتشفوا.

وقد كانت مهمة بطيئة بالفعل، فلم يكن عرفات حتى ذلك الحين قد وضع الترتيبات الخاصة باسلحته. لذلك قرر موسى الذي يتجنب بنات الهوى وعروض الجنس عادة، ان يحظى بشيء من المتعة هو واحد رجاله. وحيث ان العملية لم تبدأ فعلا، فلم يكن الرجال يقومون بالاعمال الامنية الخاصة بالعمليات الاستخبارية (APAM). وقد تبع موسى احدى الغانيات الى فندق وهناك قابل زميله غانية راقية. وعندما ذهب زميل موسى الى الحمام، قام موسى بتصوير الغانية وهي تجلس وحيدة على البار، ثم غادر المكان. وفي الليلة التالية، قابل الرجل الغانية ذاتها وامضى قسطا كبيرا من الليل معها.

وفي صباح اليوم التالي، عندما وصل الرجل الى اجتماع في غرفة موسى في الفندق، كان باقي اعضاء الفريق موجودين هناك. وقد جلسوا يدخنون والاهتمام بادٍ عليهم. وكان في الامكان الاحساس بذلك الجو المتوتر.

فسأل الرجل: «ما الامر؟».

فرد عليه موسى: «ان لدينا حالة طارئة هنا». «وعلينا ان نقلب المدينة رأسا على عقب، فقد تلقينا اشارة من القيادة بان عميلة سوفياتية سوداء تنكرت على انها غانية وقامت باتصالات مع احد افراد الموساد، ويجب علينا ان نقبض عليها ونستجوبها، ونقبض عليه ونضعه على ظهر سفينة عائدة الى اسرائيل حيث ستوجه لذلك الوغد تهمة الخيانة».

كان الرجل ما زال متعبا ويعاني من اثار الكحول ولم يكن هناك من سبب يدعوه الى القلق، على الاقل الى ان اخرج موسى صورة كبيرة ٨ × ١٠ بوصة «للعميل السوفياتي» عند ذلك تغير لونه وشحب.

فهمهم قائلا «موسى، هل استطيع ان اكلمك لحظة؟».

«بالطبع، ما الامر؟»

«اريد ان اكلمك على انفراد».

«نعم، بالطبع».

«هل انت متأكد ان هذه هي العميل؟»

«نعم، لماذا؟».

«متى تمت مشاهدتها مع الرجل؟»

«هذا الاسبوع، على ما اعتقد»، «واكثر من مرة».

واستغرق الامر بضع دقائق قبل ان يعترف الرجل في النهاية، بانه هو الذي كان مع الغانية، الا انه اصر بانه لم يخبرها اي شيء، وانها لم تسأله اي شيء. واستحلف موسى ان يصدقه ويساعده. وفي النهاية، نظر موسى اليه مباشرة وانفجر ضاحكا. كان ذاك هو موسى، ينتظر دوما ويخفي شيئا ما في جعبته.

وعثر الفريق في نهاية الامر على مخزن مناسب، ونبه موسى كاتسا لندن بقوله: «من الافضل لك ان تنتهي من هذا الامر بسرعة، كي اتمكن من اخراج رجالي من هنا قبل ان يصابوا بوباء ما».

***

تعرف الموساد من خلال علاقته بالملياردير السعودي عدنان خاشقجي، الذي كان قد جند كعميل(*)، على شخص سعودي آخر كان يتاجر بالاسلحة الاوروبية بشكل مشروع وكان لديه حقوق توريد رشاشات عوزي واسلحة اخرى الى القطاع الخاص الاوروبي. وكانت الخطة تقضي بأن يقوم صديق خاشقجي بعرض الاسلحة التي هي من صنع اميركي تلبية لطلب عرفات، وتقدم على انها مسروقة من مخزونات عدد من القواعد العسكرية الاوروبية.

وفي الوقت نفسه قام كاتسا للموساد اسمه دانييل ايتان بالاتصال بعصام سالم رجل عرفات في برلين الشرقية مستخدما اسما للتغطية هو هاري شتولر. ولم يكن عرفات قد طلب من سالم الاسلحة بعد، لكن بفضل اتصالات قاسم المستمرة كان الموساد على ثقة بأنه سيفعل ذلك قريباً، وتم القرار على التقدم خطوة واحدة الى الأمام.

وهكذا قدم ايتان، وهو شخص يسير الى هدفه مباشرة ويتكلم الالمانية، نفسه الى سالم باسم هاري شتولر، رجل اعمال يتعامل «بمختلف المعدات والمواد». والاهم من كل ذلك انه يستطيع عرض اسعار جيدة، ويضمن التسليم. كما اخبر سالم، انه رغم تجنبه الخوض في السياسة، فهو يعتقد ان القضية الفلسطينية عادلة، وتمنى لها النجاح.

واتفق الاثنان على لقاء آخر، رغم ان سالم عضو في منظمة التحرير وهو بالتالي يعتبر خطراً لعلمهم بأن ليس له نشاطات ارهابية في اوروبا. لذلك لم يكن هناك خوف على سلامة الكاتسا، كما يبدو ان سالم قد ابتلع الطعم تماماً.

وفي اللقاء السري التالي ـ الذي يطلق عليه «لقاء الاربع عيون» او الاحرى عينان اثنتان فقط ـ ذكر شتولر بأنه ترده اخبار بين الحين والآخر عن «معدات متفرقة» مسروقة من القواعد

(*) انظر الفصل ١٧: بيروت.

العسكرية الاميركية في المانيا ـ وهي معدات لا تبقى طويلاً في السوق. واخبره انه على استعداد لتلقي «طلبات جانبية» من هذا النوع ان كان سالم مهتماً.

وفي تلك الاثناء، كان الموساد يؤكد لوحدة مكافحة الارهاب بأن لديه اشرطة عن الكتلة السوداء، وسوف يشعرهم اين يستطيعون القبض عليهم ومتى مع كافة الادلة التي تدينهم.

وأخيراً مرر عرفات طلب شراء السلاح الى سالم في برلين الشرقية، الذي حمله الرائد علوني والرقيب الشريف من عناصر الكفاح المسلح بقيادة ابو طعان. وسلموا سالم قائمة المعدات اللازمة للقوة ١٧ مع اوامر باتمام الصفقة بأقصى سرية ممكنة ؛ وان تأتي الأسلحة من الغرب ؛ وان يكون اتصال مبعوثي عرفات مع ابو طعان مباشرة. وطلب من سالم الاتصال بأصدقاء المنظمة من الكتلة السوداء، أو اي مصدر معروف لاتمام صفقة الاسلحة لعرفات.

وجاء في الطلب «سوف نرسل اليكم» «تبغاً» من الدرجة الاولى لاستخدامه كنقود»، «وادا لزم الامر نستطيع الحصول على قرض مؤقت من ابو طعان». واضاف الطلب «حاملاً هذه الرسالة جديدان في الميدان وبالتالي يمكن استخدامهما كوسطاء وهما بالتالي تحت امرتك».

حين تلقى سالم الرسالة كان من الطبيعي ان يستدعي دانييال ايتان ـ او هاري شتولر ـ واعلمه سالم بضرورة ترتيب الصفقة بسرعة وهدوء، وانه قد يرسل مندوبا عنه (علوني) مع قائمة بالمعدات المطلوبة. واراد معرفة الوقت اللازم لتلبية الطلب وشحنه.

وكانت خطة الموساد، حتى ذلك الوقت، هي الاستيلاء على نقود منظمة التحرير وحشيشهم بعملية ذكية، لكن معلومة صغيرة من قاسم نبهتهم بأن لدى عرفات خطة بديلة.

فقد خطط لطلبية مماثلة مع غازي حسين ممثل منظمة التحرير في فيينا، في حالة فشل سالم في اتمام الصفقة. وارسلت وحدة اخرى الى فيينا لمراقبة حسين. وقد كانت فيينا منطقة حساسة بالنسبة للموساد فهي تشكل محطة ترحيل اليهود السوفيات الى اسرائيل. وكانت العلاقات بين اسرائيل والنمسا في ذلك الحين ودية للغاية. اما الموساد فلم يكن لهم من يتحدثون اليه هناك. وكان النمساويون متمسكين بحيادهم بشدة. وبالكاد كان لديهم قوات امن.

وعبىء الحشيش الذي كان من المقرر ان يحمله ارهابيو الكتلة السوداء حسب الطريقة المعتادة، مجموعة من الرزم يطلق عليها «النعال» لأنها تشبه نعال الاحذية. وكانت الخطة تقضي بشحنهم بحرا من لبنان الى اليونان، حيث سيستخدم عناصر الكتلة السوداء اتصالاتهم برجال الجمارك لتحميلها في سيارات، بحيث يحمل كل واحد من الارهابيين الاوروبيين وعددهم يتراوح ما بين ٢٥ الى ٣٠ شخصا بعض الحشيش في سيارته ويقودها عائدا عبر اوروبا الى مستودع في فرانكفورت.

وكان من المفروض ان يتولى احدهم بيع الحشيش والتعامل مع سالم. لكن وحدة مكافحة الارهاب الالمانية، التي تلقت تحذيرا من الموساد اعتقلته بتهمة ملفقة هي القيام بنشاطات تخريبية تستهدف القواعد العسكرية الاميركية. ولم يجر اطلاع الالمان على موضوع الحشيش، لكن ما ان تم اعتقال الرجل حتى سمح للموساد باستجوابه. وقام احد رجال الموساد ممن يتقنون اللغة الالمانية بانتحال صفة رجل امن الماني، وتمكن من معرفة الشخص الذي يليه في القيادة مقابل عرض بحكم مخفف ومن ثم اجروا ترتيبا مع الالمان يبقى الرجل بمقتضاه في الحبس الانفرادي حتى يتم كشف أمر «الصفقة».

«انا اعرف بأمر المخدرات» قالها رجل الموساد للسجين، «فان لم تخبرني مع من ستتعامل فسوف تقضي ما تبقى من حياتك هنا، ليس بتهمة القيام بأعمال تخريبية، بل بتهمة الاتجار بالحشيش».

وهكذا، وصلت قائمة الاسلحة التي طلبها عرفات الى ايدي الموساد(*)، الذين ذهبوا الى التاجر السعودي صديق الخاشقجي لتلبية الطلب. وكان قد اوكل الى علوني، بصفته رجلا عسكريا، مهمة الكشف على المعدات والتأكد من انها مغلفة بشكل جيد لشحنها الى بيروت.

واحضرت الاسلحة بالشاحنات الى هامبورغ. ولم يبلغ الموساد الالمان بالامر. لكنهم كانوا قد اعدوا تفسيرا للامر في حالة اذا كشفهم الالمان.

وفي ذلك الوقت، تحدث شتولر مع سالم حول عنوان في بيروت لشحن الاسلحة اليه. وقد كانت هذه الفكرة طلقة في الظلام؛ ففي تلك المرحلة لم يتوقع الموساد ان يصل الشرك الى درجة شحن الاسلحة. الا ان شتولر اخبر سالم بأن الشحنة بحاجة الى تغطية من نوع ما لأنها ستمر عبر الجمارك اللبنانية، وان هذه الترتيبات ضرورية في مثل هذه المسائل لجعل الشحنة تبدو وكأنها قانونية. ورد سالم بأن لديه قريبا في لبنان يعمل في تجارة الزبيب قد يعطيهم عنوانا للشحن.

«زبيب من المانيا؟» قال شتولر، «أليس ذلك اشبه باستيراد المعجنات من السنغال؟».

ولم يكن ذلك دقيقاً، حيث يبدو ان هناك صادرات من الزبيب والفواكه الاخرى المجففة المغلفة يتم احضارها الى المانيا بكميات كبيرة ثم يعاد شحنها بسعر افضل من سعر المنتجات اليونانية او التركية.

لذلك، طلب شتولر من سالم تزويده بطلبية «قانونية» لشراء الزبيب. واضاف، «بهذه الطريقة استطيع ان اسيّر الأمور».

(*) لاحظ محاولة الربط الضعيفة في قوله هذا، فقد قال في صفحة سابقة بأن سالم اخبر شتولر بأن القائمة ستسلم له عن طريق (علوني).

وكانت الفكرة من هذا الطلب اشغال سالم في التخطيط للشحن بقدر الامكان كي لا يتنبه للشرك المنصوب. وبعد ذلك، قال شتولر انه لم يجد باخرة للشحن، الا ان سالم اخبره بأن ذلك ليس مشكلة، لأن البضاعة ستشحن بواسطة حاوية واضافة حاوية الى سفينة متجهة الى لبنان ليس مشكلة.

وفي تلك الاثناء، مرر احد عناصر الارتباط لدى الموساد معلومة من تسومات الى كاتسا آخر بغرض اجراء اتصال مع الثاني في قيادة الكتلة السوداء. فقابل الرجل، واخبره بأن زميله السجين قد سلمه رسالة كي يوصلها اليه من خلال اتصاله به في السجن. واعلمه بأن الخطة قد تغيرت. وبدلا من بيع الحشيش فانه سوف تتم مقايضته بالسلاح.

وكان يوم الحسم يقترب، فضابط الموساد طلب الاسلحة، وعلم بأن سالم قد حصل على النقود من ابو طعان، لأنه لا يستطيع الحصول عليها من الحشيش. وقد اصبح عناصر الموساد يسيطرون على الوضع. وسالم على قناعة بأنه يستطيع الحصول على القرض المؤقت «واعتقد» ان في استطاعته تسديده بعد بيع الحشيش. اضف الى ذلك وعد رجال الموساد اعضاء الكتلة السوداء ببعض الصواريخ، وخططوا لتسليمهم صواريخ دمية ـ المصنوعة من البلاستيك، من النوع المخصص للعرض والذي يبدو تماما مثل الصواريخ الحقيقية، الا انه لا ينطلق لعدم وجود اي شيء داخله.

كانت القطع تتجمع بتناسق جميل في هامبورغ وفرانكفورت، لكن غازي حسين ما زال مشكلة. ولحسن الحظ فقد اتصل حسين بسالم عند استلامه طلبية السلاح من عرفات، واخبره ان ليس لديه اية اتصالات في هذا المجال، رغم انه لم يخبر عرفات بذلك. ورد عليه سالم بأنه يعرف شخصا ما يستطيع المساعدة. وكانا يعرفان انه يجب عليهما الا يقوما بأي اتصال بينهما بخصوص هذا الامر، لكن ماذا في وسعهم ان يفعلوا؟

* * *

كانت عناصر امن الموساد يجمعون خيوط العملية، التي بدأت تتضح. كانوا هناك، في وسط عملية كبيرة مع اكثر عناصر منظمة التحرير غدراً ـ ودون اية حماية على الاطلاق. لكن اذا نحينا جانباً المقابلات في المحلات العامة والمقاهي، وتجنب اية اجتماعات مع رجال منظمة التحرير في مناطق مغلقة، فلم يكن لديهم الكثير ليفعلوه تحت تلك الظروف سوى الشكوى وارسال الرسائل التي تلعن هذا النوع من النشاطات غير المأمونة، والقول بأنهم لا يتحملون اية مسؤولية اذا سارت الأمور بشكل غير مُرضي.

في بداية حزيران/ يونيو، كانت الخطة قد اتضحت. وتطلب جمع الاسلحة بعض الوقت، لكن الانتظار جعل الجميع في حالة عصبية. وفي نهاية حزيران ابلغ كل من حسين في فيينا، وسالم

في برلين الشرقية، عرفات بأن طلبه قد تمت تلبيته وسوف يكون جاهزاً في غضون اسبوعين او ثلاثة أسابيع.

وفي الوقت نفسه، بدأ الرائد علوني يشعر بالقلق بخصوص النقود التي كان ينتظرها من صفقة الحشيش. فهو لم يتلق شيئا من عناصر الاتصال. وهو لا يعرفهم ولا يعرف مكانهم. ووسيلة الاتصال الوحيدة لديه كان عنوان ورقم هاتف احد عناصر الكتلة السوداء. لكن قائد المجموعة كان في السجن، وكان الثاني في القيادة قد اتصل به احد عناصر الموساد الذي ادعى انه صديق واخبره بأن يتصل بأفراد الوحدة ويخبرهم انه اذا ظهر اي شخص يلقي الكثير من الاسئلة، فان عليهم ان يحذروا القول انهم يقايضوا الحشيش بالاسلحة. واذا ما طرأت اية مشكلة، او اتصل بهم اي شخص، فان عليهم الاتصال به فورا.

وهكذا، عندما اتصل علوني، اعلمه حلقة الاتصال بأن قائد وحدة الكتلة السوداء قد اعتقل، وان شخصاً آخر يتولى الصفقة. عندها اتصل علوني بالثاني في القيادة، حسب التعليمات. وكان كاتسا الموساد الذي يعمل مع تاجر الاسلحة السعودي يضغط على التاجر من اجل الحصول على الاسلحة بسرعة، لأن هناك من يستعجلهم.

عرف عنصر الموساد ان اتصال علوني سوف يتبعه الكثير من الاسئلة، الا ان ذلك لا يشكل مشكلة كبيرة، لأنه سوف يتلقى الاجوبة التي يريدها الموساد. واكد الرجل، الذي كان الموساد يعمل من خلاله، لعلوني انه لا توجد اية مشكلة، وانه يتدبر الامر جيدا. وقد اعطي تعليمات لقول ذلك دون زيادة، عدا عن انه سوف يخبر علوني حين تكون الصفقة جاهزة. وكان علوني يعلم ان هذا النوع من الصفقات يستغرق بعض الوقت، لذلك لم يبد عليه القلق الذي لا داعي له. كما يعلم ان منظمة التحرير زرعت الخوف في عقول الالمان اثناء تدربهم لديها، بأنهم اذا حاولوا خداع المنظمة فانهم سوف يقتلون. وانهم ان تمكنوا من الهرب فلن يستطيعوا الاختباء.

ومما ساعد على سير الامور على هذا النحو ان لاعبي منظمة التحرير لم يكونوا يعرفون ما الذي يحدث، خلافاً لعناصر الموساد. وعلى سبيل المثال، لم يكن سالم في برلين الشرقية يعلم بأن الطلب الذي ارسل الى حسين في فيينا هو طلب بديل. فهو لم يقدم عن طريق ابو طعان، الذي يتعامل مع سالم. بل عن طريق ابو الزعيم مدير الامن الشخصي لعرفات. وفي حين يعلم سالم بأن الاسلحة هي للقوة ١٧ الخاصة بعرفات. فلم يكن لدى حسين اية فكرة لمن هي الاسلحة.

على أية حال، اعد رجل الموساد وحسين في فيينا ترتيباتهم الخاصة، للدفع وتسليم الاسلحة. وكان لدى حسين امكانية في ان يقوم بشحن الاسلحة بواسطة طائرة ليبية وتمريرها دون تفتيش، وهو لم يوضح كيف سيمررها، الا انه طلب وضع الاسلحة في حاوية، سوف يأخذها فيما بعد الى بيروت. وكانت الخطة تقضي بتزويده «ببعض» الاسلحة الحقيقية. اما الصواريخ التي

تطلق من الكتف الخاصة بجماعة الكتلة السوداء فسوف تكون صواريخ دمية، كما هو الحال في هامبورغ وفرانكفورت.

ومفتاح الخطة هو ضمان ان تتزامن الخطوات في كل من فيينا، وفرانكفورت، وهامبورغ، وهي اذا ما فشلت في اي من المواقع الثلاثة، فان ذلك لن يهدم المخطط بأكمله فحسب، بل ويتسبب في خلق مخاطر كبيرة.

في هامبورغ، حيث خزّنت الاسلحة في واحد من سلسلة من المستودعات المتشابهة، كانت الخطة تقضي بعرض الاسلحة على علوني والرقيب الشريف وهي معبأة داخل الحاوية، وفي صناديق وضعت فيها الاسلحة بين طبقتين من الزبيب، في اعلى الصندوق واسفله. ثم يقومون باغلاق الحاوية بشكل محكم، ويغلقون المستودع، ويسلمون مفاتيحه الى علوني، ويحددون موعداً لاحضاره الى هناك في اليوم التالي. وبعدها يجري تحميل الحاوية على شاحنات وارسالها الى السفينة المغادرة الى بيروت.

وبعد ايصال علوني الى شقته، يعود عناصر الموساد الى المستودع، وينزعون القفل ورقم باب المستودع، ويضعون الاثنين على باب المستودع المجاور الذي يشبه المستودع الأول تماماً. وهناك يقومون بملء حاوية مماثلة للاولى بزبيب رديء النوعية ليقوم علوني بشحنه الى عرفات.

وطلب شتولر (او ايتان) من علوني احضار النقود معه، لأنه يحتاج لعدة ساعات كي يبتعد. «لا مشكلة في ذلك» قالها علوني واردف «سوف احضر النقود لكني سوف انام مع الزبيب في المستودع».

«حسنا» قال شتولر، وقد توقف قلبه للحظة، «سوف امر وآخذك الساعة السادسة مساءً».

«لكنك قلت في الصباح» قال علوني:

«اعرف، لكنها ليست فكرة حسنة الذهاب الى هناك في وضح النهار مع الاسلحة. فالمكان يعج بالناس».

وبعودة ايتان والآخرين الى البيت الآمن، علموا بأن لديهم مشكلة، فكيف سيبدلوا الحاوية في المستودع اذا كان علوني نائماً قربها؟

وفي ذلك الحين، كان هناك منزل عائلي صغير خارج فيينا قد امتلأ بالاسلحة التي طلبها حسين، واشعره الكاتسا ان في وسع مساعده عمل التحويل، طالباً منه احضار مبلغ ٣,٧ مليون دولار الى مكان الاجتماع، سيعطي بعدها مفتاح المنزل وعنوانه. وكانت الخطة تقضي بأخذ احد رجال حسين، بعد تغطية عينيه، الى المنزل ليتفحص المعدات. وسوف يسمح له باجراء مكالمة

واحدة الى حسين (ثم يقطعون الخط بعدها)، ويخبره بأن كل شيء على ما يرام. ثم يغلقون الباب عليه، ويحول بعدها حسين النقود ويعطي المفتاح والعنوان. وقد ابتلع حسين الطُعم.

اصبحنا اليوم في السابع والعشرين من تموز/ يوليو ١٩٨١. وعودة الى هامبورغ نجد ان الموساد ما زال في صراع مع علوني. والاسلحة التي ستعبأ في حاوية كانت في المستودع وكان فوقها حاوية مماثلة، ترتفع حتى سقف المستودع بواسطة واحدة من تلك الرافعات المتحركة التي تسير على سكتين والمخصصة لرفع الاحمال والصناديق الثقيلة. وفي جنيف، كان غانو قد اعد مبلغ ٥ ملايين دولار على شكل قرض مؤقت لصفقة هامبورغ، و٣,٧ مليون دولار لصفقة فيينا.

وفي الساعة السادسة مساءً يوم ٢٨ تموز التقطت سيارة شتولر علوني واخذته الى المستودع. وطلب الأخير ان يتفحص عدداً من الصناديق. وبعد ان اطمأن عبثت البضاعة في الحاوية بعد وضع الزبيب على وجهها، واحكم اغلاقها. واراد علوني تسليم النقود لشتولر، الا ان الأخير اعترض قائلاً، «ليس هنا، فالمكان يعج بالناس، دعنا نذهب الى السيارة، فهناك أفضل»(*).

وفي اثناء جلوسهم في السيارة، قام شتولر بتفحص النقود، مستخدما جهازاً الكترونيـاً للتأكد من انها ليست دولارات مزيفة. وفي الوقت نفسه ربطت الحاوية المماثلة للحاوية الاصلية بالسلسلة التي في الرافعة الموجودة في المستودع وانزلت بسرعة، ثم رفعت حاوية الاسلحة الى السقف وسحبت الى الجزء الخلفي من المستودع وألقيت هناك بين بعض الحاويات.

لم يستغرق تبديل مكان الحاويات اكثر من ١٠ الى ١٥ دقيقة. لكن عندما عاد علوني رأى ما بدا انه الحاوية الاصلية. اما ما لم يره فهو محتوياتها الجديدة. وفي اليوم التالي ابحر عالوني مع زبيبه بسلام الى بيروت.

وبعد مغادرة علوني. ذهب رجال الموساد الى المستودع، وحمّلوا الاسلحة الموجودة في الحاوية الاولى في شاحنات واعادوها الى التاجر. اما بالنسبة للزبيب الزائد فقد اعيد الى اسرائيل.

وفي الليلة ذاتها، تمت صفقة مبادلة الحشيش بالصواريخ في فرانكفورت، وطلب الى رجل الكتلة السوداء احضار فريقه في اليوم التالي لاخذ الاسلحة. وسلم الحشيش الى رجل من وحدة الامن الخاصة البنمية «ف ـ ٧» (التي دربها هاراري). وشحن الى بنما في مقابل قرض قيمته ٧ ملايين دولار. وكانت الخطة ان يتم بيعه في السوق الاميركي حيث سيحصل على سعر اكبر بكثير

(*) تجدر الملاحظة هنا ان مبلغ ٥ ملايين دولار يحتاج الى حقيبتين كبيرتين من حقائب الملابس لوضعها فيه، فهو يتكون من ٥٠٠ رزمة في كل واحدة ١٠ آلاف دولار. كما ان هناك مبالغة واضحة في قيمة الصفقة المزعومة، فحاوية كبيرة سعة ٤٠ قدما لا يمكن ان تحمل اكثر من ٣٤ طنا، ومن الصعب بمكان ان تزيد قيمة هذه الاسلحة الحقيقية عن عشر المبلغ السابق مهما كانت الاسعار.

من السعر في السوق الاوروبي . وعندما يبيعه البنميون فسوف يدفعون للموساد ٧ ملايين دولار ، ويحتفظون بالارباح الباقية لانفسهم ، مهما بلغت .

وفي اليوم التالي، عندما حضر رجال الكتلة السوداء لاخذ صواريخهم المزيفة كانت الشرطة في انتظارهم. وتم اعتقال ما يقارب العشرين رجلاً منهم.

وفي يوم ٢٩ تموز/ يوليو، اعتقل ثلاثة رجال في مطار فيينا، وفي حوزتهم جزء من طلبية الاسلحة التي اخذت من البيت الريفي، من قبل الشرطة المحلية التي ابلغت عن طريق الموساد بأن ممثل المنظمة حسين ومساعديه قد وصلوا من لبنان وانهم يهربون الاسلحة الى فيينا للقيام بضربة ضد احد الاهداف اليهودية. وقد تم ابعاد حسين، واعتقل مساعداه الاثنان. اما الجزء الاكبر من السلاح الذي كان في البيت الريفي فقد استعادته الموساد، وتركوا اشياء قليلة منه كي تكشفه الشرطة، عند تحقيقها في ان حسين كان يخزن الاسلحة.

وهكذا استولى الموساد على ما مجموعه ١٥ ـ ٢٠ مليون دولار، وحرّموا مناطق هامة على منظمة التحرير، وقتلوا خضر، وابعد حسين عن فيينا، واعتقل اثنان من مساعديه، اضافة لاعتقال حوالي ٢٠ رجلا من الكتلة السوداء. وادرج اسم منظمة التحرير على القائمة السوداء في عدد من البلدان.

كان النجاح رائعا بالنسبة لمعنويات الموساد، ليس لأن المنظمة خسرت كل شيء، فهي ما زالت مدينة بكل شيء للمصرفي السويسري. وابقت هذه المكيدة عناصر القوة ١٧ دون سلاح لفترة من الوقت، وجعلت عناصر منظمة التحرير يشعرون بأنهم خدعوا. اما ما حدث للزبيب الذي ارسل الى اسرائيل فبقي سراً غامضاً.

* * *

والملحق الضروري لاكمال هذه القصة، هو مصير سائق عرفات وحارسه الشخصي، عميل الموساد ضرار قاسم، الذي فقد ساقه في هجوم جوي اسرائيلي على قاعدة فلسطينية في تونس، حيث كان يعد تقريراً في القاعدة، ولم يجر ابلاغه بالغارة المتوقعة، وهكذا ترك قاسم، الذي انتابه غضب عارم، عمله في الموساد والمنظمة وهاجر الى اميركا الجنوبية.

---

* حسب رواية الموساد كان المفروض ان يسدد الحشيش ثمن اسلحة المنظمة لا ان تشتري اسلحة اخرى لجماعة الكتلة السوداء.

الفصل الرابع عشر

في اميركا فقط

عندما اعتقل جوناثان جي. بولارد، ٣١ سنة، وزوجته آن هندرسون - بولارد، ٢٥ سنة، في اواخر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥، بعد محاولة فاشلة للحصول على حق اللجوء السياسي في السفارة الاسرائيلية في واشنطن، تركز الانتباه في الأحداث السياسية المتوقعة، على سؤال محرج ومتفجر:

هل ينشط الموساد في العمل داخل الولايات المتحدة؟

رسميا، تقول الموساد لا، ولا، والف مرة لا. ليس له اي نشاط مطلقا. والواقع ان كاتسات الموساد ممنوعة حتى من حمل جوازات سفر اميركية مزورة، او استخدام اية تغطية اميركية لاعمالهم، فالموقف دقيق جدا بين دولة اسرائيل واكبر مقدم للدعم لها واكثرهم نفوذاً.

فكيف نفسر قضية جوناثان بولارد اذن؟ الأمر بسيط، فهو لم يكن عضواً في الموساد، بل كان يتلقي راتباً شهرياً مقداره ٢٥٠٠ دولار منذ اوائل العام ١٩٨٤ من منظمة «لاكام» (LAKAM)، (ومعناها، مكتب ارتباط وزارة الدفاع الاسرائيلية للشؤون العلمية) وكان يسرب وثائق سرية الى منزل اريت ارب، وهي سكرتيرة في السفارة الاسرائيلية. وكان يرأس منظمة لاكام رفائيل ايتان، الذي انكر علناً اية صلة له بالموضوع. والقى اللوم على كاتسا سابق للموساد ممن شاركوا في اختطاف ادولف ايخمان من الارجنتين عام ١٩٦٠.

وبولارد، يهودي يعمل في الابحاث في مركز دعم الاستخبارات، التابع لجهاز التحقيقات البحرية في سويتلاند، من ولاية ميريلاند بالقرب من واشنطن وفي العام ١٩٨٤ نقل الى مركز تنشيط مكافحة الارهاب التابع لقسم تحليل التهديدات. وكان نقلاً مستغرباً نظراً لأن بولارد كان قد حذر في وقت سابق من قبل ضباط الأمن لتسريبه معلومات الى الملحق العسكري لسفارة جنوب افريقيا - وكان عمله الجديد يتيح له الاطلاع على الكثير من المواد المصنفة.

ولم يتطلب الأمر وقتاً طويلاً قبل ان يتقرر تقاسم بولارد هذه المعلومات مع الاسرائيليين، وعندما واجهه رجال مكتب التحقيقات الفدرالية (FBI) وافق بالفعل على التعاون معهم للوصول الى حلقات اتصاله الاسرائيليين. وفرض عليه رجال مكتب التحقيقات الفدرالية رقابة على مدار الساعة. الا انه خاف وحاول الحصول على حق اللجوء السياسي في السفارة الاسرائيلية. وقد اعتقل هو وزوجته، التي اعتبرت متواطئة معه، لدى مغادرتهم السفارة.

وكما هو متوقع، طالب الاميركيون بتفسير للأمر. وبعد مكالمة هاتفية من وزير الخارجية الاميركي، في ذلك الحين، جورج شولتز، اجراها من مقره في كاليفورنيا مع رئيس الوزراء الاسرائيلي شمعون بيرس الساعة الثالثة والنصف ظهراً حسب توقيت القدس يوم ١ كانون اول/ ديسمبر، اعتذر بيرس الذي انشأ منظمة لاكام هو شخصياً يوم كان وكيلاً لوزارة الدفاع في الستينات، بقوله: «ان التجسس على الولايات المتحدة يتعارض تماماً مع سياستنا، وهذا النشاط والحدّ الذي بلغ اليه، كان خطأً، وحكومة اسرائيل تقدم اعتذارها».

ومضى بيرس في القول انه اذا كان هناك اي تورط لمسؤولين حكوميين «فان هؤلاء المسؤولين سوف تتم محاسبتهم، والوحدة المتورطة. . سيتم حلها بالكامل وبشكل نهائي، وسوف تتخذ الخطوات التنظيمية لضمان الا تتكرر مثل هذه النشاطات» (وكان كل ما فعله الاسرائيليون هو تغيير عنوان لاكام البريدي والحاقها بوزارة الخارجية).

لكن رغم ان بيرس لم يكن يقصد ذلك، فقد بدا بيانه مرضياً للادارة الاميركية. وقال مدير وكالة الاستخبارات المركزية ريتشارد هيلمز انه ليس امراً غريباً ان تتجسس الدول الصديقة على بعضها البعض. وقال «انت تفعل كل ما في وسعك، اما اذا ضبط، فتلك هي الخطيئة».

وفي حين تم ايداع بولارد وزوجته السجن بتهمة التجسس ـ فقد اعتبر الموساد عناصر لاكام هواة مبتدئين في المهمة ـ واخبر شولتز الصحفيين فيما بعد، «لقد قبلنا تفسير اسرائيل واعتذارها». وبعد فورة قصيرة من الانتقادات غير السارة لاسرائيل، انتهى الجدل، وتناسى الجميع المسألة.

وقد حامت الشكوك، بالطبع، حول الوضع الحقيقي لبولارد، لكن يبدو ان وكالة الاستخبارات المركزية صدقت بالفعل انه فيما عدا هذه الممارسة المشكوك فيها، وبعض اعمال الارتباط، فليس للموساد اي نشاط في الولايات المتحدة.

وقد اخطأوا في ذلك.

لم يكن بولارد عضواً في الموساد، لكن هناك الكثيرين غيره ينشطون في التجسس، وتجنيد العملاء، وتنظيمهم، والقيام بنشاطات سرية ـ خاصة في نيويورك وواشنطن اللتين يشار اليهما بانهما «ملعبهم» ـ وينتظمون في قسم خاص من الموساد، سري للغاية، يطلق عليه ببساطة اسم «آل» (AL) ومعناها بالعبرية «فوق» او «على رأس».

والوحدة في غاية السرية، ومنفصلة تماماً عن التنظيم الرئيسي، بحيث ان الغالبية العظمى من مستخدمي الموساد لا يعرفون ما الذي تفعله، ولا يستطيعون الوصول الى وثائقها على جهاز الكمبيوتر.

لكنها موجودة، وتستخدم ما بين ٢٤ و ٢٧ شخصاً من المتمرسين في هذا المجال. ثلاثة منهم كاتسات نشطون. واغلب نشاطهم، وليس كله، داخل حدود الولايات المتحدة. ومهمتهم

الرئيسية هي جمع المعلومات عن العالم العربي ومنظمة التحرير الفلسطينية، وليس جمع معلومات استخبارية عن النشاطات الاميركية. لكن كما سوف نرى، فان الخط الفاصل بين الامرين غير واضح، وعندما يكون هناك اي شك في الفصل بين المجالين فان آل لا تتردد في القفز فوق هذا الخط.

والقول ان الوحدة لا تجمع معلومات عن الاميركيين هو مثل القول ان الخردل ليس هو الطبق الرئيسي، الا انك قد ترغب في القليل منه على شطيرة «الهوت دوغ». ولنفرض على سبيل المثال، ان هناك سيناتوراً اميركيا يهم الموساد هو عضو في لجنة خاصة بالتسلح. ووحدة آل نادراً ما تستخدم السايانيم (اي اليهود الذين يتطوعون للمساعدة خارج اسرائيل)، لكن اعمال ذلك السيناتور الكتابية، وكل ما يجري في مكتبه، قد يشكل معلومات هامة. لذلك فان ايجاد مساعد يصبح امراً مطلوباً. فاذا كان المساعد يهودياً او يهودية فانه يتم استخدامه كسايان وخلاف ذلك يتم تجنيده كعميل، او حتى كصديق تندمج معه وتستمع اليه.

وحفلات الكوكتيل في واشنطن، مكان هام لمثل هذه الأمور. وبعض الملحقين يواظبون على مثل هذه الحفلات فما المانع من دس شخص ما في مثل هذه الاجتماعات ليتلقط الاخبار بشكل مشروع.

ولنفرض، على سبيل المثال، ان مؤسسة ماكدونالد دوغلاس ترغب في بيع طائرات اميركية الصنع الى المملكة العربية السعودية، فهل هذا موضوع يهم الولايات المتحدة ام يهم اسرائيل؟ بالنسبة للموساد هذا الأمر يهم اسرائيل، وعندما يكون لديك وحدة مثل آل موجودة في المكان، فان من الصعب عليك الا تستخدمها. لذلك فهم يستخدمونها.

وفي اشهر النشاطات التي قامت بها وحدة آل هو سرقة مواد ابحاث من واحدة من اكبر مؤسسات انتاج الطائرات الاميركية لمساعدة اسرائيل في ضمان عقد مدته ٥ سنوات، بقيمة ٢٥ر٨ مليون دولار بتاريخ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦، لتزويد بحرية الولايات المتحدة بواحد وعشرين طائرة بدون طيار، من طراز «بايونير - ١» وانتاج مصانع مازلات البالغ طولها ١٦ قدماً، وتطلق من ظهر السفن. وذلك اضافة الى معدات السيطرة الأرضية ومعدات الاطلاق. والأدوات الخاصة باستعادة الطائرات. ولهذه الطائرات جهاز مراقبة تلفزيوني مركب اسفلها، وهي تستخدم لاغراض الاستطلاع العسكري. ومازلات Mazlat هي جزء من الصناعات الجوية الاسرائيلية وتاديران اللتان تديرهما الدولة، وقد «فازت» بالعقد بعد ان نافست شركات اميركية في مناقصة عام ١٩٨٥.

والواقع ان آل سرقت البحث. وقد كانت اسرائيل تسعى لانتاج طائرة بدون طيار الا انها لم تكن متقدمة بما يكفي للدخول في منافسة. وعندما لا تتحمل صناعة ما تكاليف الأبحاث فانها

تكون قادرة على المنافسة ويكون لديها فارق جيد في السعر.

وبعد الفوز بالعقد، عقدت مازلات شراكة مع مؤسسة (AAI) في بالتيمور، ميريلانـد، لاتمامه.

ووحدة آل شبيهة بوحدة «تسوميت» (دائرة تجنيـد العملاء). الا انها لا تخضـع لرئيس تسوميت. بل ترسل تقاريرها مباشرة الى رئيس الموساد. وخلافاً لمحطات الموساد العادية، فهي لا تعمل داخل السفارات الاسرائيلية. ومحطاتها موجودة في بيوت امنة او شقق.

ويشكل كل ثلاثة عناصر من آل فريقاً ويقيمون محطة، او وحدة، ولنقل على سبيل المثال، ان العلاقات بين بريطانيا العظمى واسرائيل قد انهارت لسبب من الأسبـاب واضطر عنـاصر الموساد الى مغادرة المملكة المتحدة. فان في وسعهم ارسال فريق من آل الى لندن وان يقيم تنظيماً سرياً في اليوم التالي. ويعتبر كاتسات آل من اكثر الرجال خبرة في الموساد.

والولايات المتحدة مكان لا حدود فيه للعواقب التي تنتج عن الفوضى. والعمل من خارج السفارة يخلق الكثير من الصعوبات، خاصة في مجال الاتصالات. واذا ما قبض على عناصر آل في الولايات المتحدة فانهم سيعتقلون بتهمة التجسس. فليس لديهم حصانة دبلوماسية. واسوأ ما يمكن ان يحدث لكاتسا في محطة عادية هو الابعاد، لأن لديه حصانة دبلوماسية. وليس لدى الموساد بشكل رسمي في واشنطن سوى محطة ارتباط، ولا شيء غير ذلك.

ومسألة اخرى تمنع العمل من خلال السفارة الاسرائيلية في واشنطن هي انها تقع خلف مركز تسويق على جانب طريق يتجه صعداً الى تل ويتفرع عن طريق دولي، وليس حوله من شيء سوى السفارة الأردنية الموجودة في مكان ابعد قليلاً اعلى التل وتشرف على السفارة الاسرائيلية. وهو مكان لا يصلح للقيام بنشاطات سرية.

وليس للموساد محطة في الاتحاد السوفياتي، رغم الشائعات المخالفة لذلك. و ٩٩ر٩٩ بالمئة من المعلومات التي تجمع عن الكتلة الشرقية تأتي مما يعرف باسم «الاستجواب الايجابي» والذي يعني ببساطة مقابلة اليهود المهـاجرين من الـدول الشرقيـة وتحليل المعلومـات التي يقدمـونها ومعالجتها. ويمكن جمع صورة جيدة عما يجري في الاتحاد السوفياتي بهذه الطريقة بدل اقامة وكالة استخبارات تعمل بنشاط لجميع المعلومات هناك. فالعمل الاستخباري في الاتحاد السوفياتي خطر جداً. والنشاط الوحيد الممكن هو مساعدة الناس في الخروج ـ بايجاد طرق للهرب، واشياء من هذا النوع. وتقوم منظمة مستقلة بهذا العمل برعاية الموساد، يطلق عليها اسم «ناتف» (Nativ) وتعني بالعبرية «درب» او «ممر». وللمعلومات من الكتلة الشرقية قيمة تبادلية جيدة. وهي اذا ما اضيف اليهـا المعلومات المجمـوعة من دول اخـرى ـ مثل المعلومـات الراداريـة التي يقدمهـا الدانماركيون ـ فانها تساعد في تقديم معلومة واضحة.

ولا يعي الاميركيون كمية المعلومات التي تعطى الينا من خلال حلف شمالي الأطلسي(*) وهي معلومات يمكن معالجتها لتقديم صورة حية. وفي حقبة ما قبل غورباتشوف لم تكن المعلومات المستقاة من وسائل الاعلام السوفياتية بذات شأن، لكن في امكانك دوماً الحصول على معلومات من الاشاعات ومما يتفوه به الناس. معلومات تشمل حتى التحركات العسكرية. فقد يتذمر البعض من ان ابن عمه العسكري قد انتقل الى مكان ما، ولم يسمعوا عنه شيء. فحتى لو وصل الى اسرائيل ١٠ اشخاص يومياً من الكتلة الشرقية، فان في الامكان الحصول على كمية غير عادية من المعلومات من ذلك.

وفي حين ان محطات آل موجودة خارج السفارة، فانها تعمل كمحطات عادية طيلة الوقت. وتتصل مباشرة مع القيادة في تل ابيب اما هاتفياً او بواسطة التلكس او الفاكس ولا تستخدم انظمة الاتصال اللاسلكية، فهي وان لم يستطع الاميركيون فك رموز رسائلها، فسوف تكشف عن وجود نشاط سري في الجوار، وهو امر تريد الموساد تجنبه. اضف الى ذلك ان لبعد المسافة دوراً في ذلك.

وكاتسات آل هم الوحيدون في منظمة الموساد الذين يستخدمون جوازات سفر اميركية. وهم بذلك يخرقون قاعدتين هامتين: فهم يعملون في الدولة الهدف، وهم يستخدمون هوية البلد الذي يعملون فيه. والقاعدة الأولى تقول لا تنتحل صفة رجل انجليزي في انجلترا. او فرنسي في فرنسا، فان ذلك يجعل من السهل على السكان المحليين كشف هويتك. فاذا سلمت شرطياً باريسياً رخصة قيادة السيارة خاصتك، فان في امكانه التأكد فوراً من صلاحيتها.

ووحدة آل تتدبر امرها في هذا المجال، فالوثائق التي في حوزتهم مزورة بشكل دقيق للغاية. ولا بد ان تكون كذلك. ولا يرغب المرء في ان يقبض عليه في ارض «معادية»، لأنهم سيطلقون النار عليه. اما في «الولايات المتحدة» اكثر البلدان صداقة لاسرائيل، فان المرء لا يرغب في ان يقبض عليه لأنهم سيطلقون النار على بلده كله. ولا بد ان المباحث الفدرالية الاميركية (FBI) كانت تشك في امر ما بين الحين والآخر، الا انهم لا يعلمون بالضبط ما الذي يجري.

***

القصة التالية اخبرني بها اوري دينور في احدى المناسبات وهو شخص دربني على نظام ناكا (NAKA) والذي كان مسؤولا عن محطة ال في نيويورك. وقد تورط دينور في عملية اثرت على سياسة الولايات المتحدة الدولية، وخلقت ازمة داخلية للرئيس الاميركي في ذلك الحين، جيمي كارتر. واثارت نزاعات عرقية بشعة بين اليهود الاميركيين والاميركيين السود. ولو عرف الاميركيون بمدى تورط الموساد وطبيعته، لتعرضت للخطر العلاقات التاريخية الحسنة بين البلدين

---

*يبدو ان الكاتب يقصد حلف وارسو

ـ وربما تدهورت هذه العلاقات.

في البدء، نلقي نظرة على العام ١٩٧٩. كان اخطر احداث ذلك العام هو المحصلة النهائية للاتفاق على «اطار للسلام» في كامب ديفيد، في ايلول/سبتمبر ١٩٧٨ والذي وقعه كارتر، والرئيس المصري انور السادات، ورئيس الوزراء الاسرائيلي ميناحم بيجن. وقد احدث موجة من الغضب والصدمة في العالم العربي ضد السادات. اما بالنسبة لبيجن، فقد ندم على العمل كله فور مغادرته كامب ديفيد.

وحاول وزير الخارجية الامريكي سايروس فانس ان يقوم في اخر لحظة بجولات مكوكية للوصول الى اتفاق قبل السابع عشر من كانون الأول/ديسمبر موعد توقيع المعاهدة المقرر في كامب ديفيد. الا ان المفاوضات فشلت في اخر لحظة بسبب رفض بيجن التفاوض بجدية، وخلق بذلك ازمة ثقة بين واشنطن وتل ابيب. وفي بداية العام ١٩٧٩ ارسل بيجن وزير خارجيته موشي دايان الى بروكسل لمقابلة فانس ووزير الخارجية المصري مصطفى خليل للبحث عن طرق لمواصلة المحادثات التي وصلت الى طريق مسدود. وقد اعلن بيجن بفظاظة ان دايان قد يبحث «اين، وكيف، ومتى» تجري المفاوضات، وليس مناقشة المضامين الحقيقية لاتفاق كامب ديفيد.

وفي اواخر كانون الثاني/ديسمبر ١٩٧٨ صوت الكنيست الاسرائيلي، المنقسم عادة على نفسه، بغالبية ٦٦ صوتاً مقابل ٦ اصوات لصالح موقف بيجن المتشدد تجاه واشنطن والقاهرة. ولاظهار غضبها، اوقفت اسرائيل سحب بعض المعدات العسكرية من سيناء، التي كان مخططاً لها للتعجيل في الانسحاب بعد توقيع اتفاقية السلام. وفي الوقت نفسه، زادت اسرائيل من هجماتها على المخيمات الفلسطينية في لبنان. مما حدا بنائب فلوريدا الديموقراطي ريتشارد ستون رئيس اللجنة الفرعية في مجلس الشيوخ لشؤون الشرق الادني وجنوب اسيا الى القول يبدو ان الاسرائيليين قد «وضعوا عرباتهم على شكل دائرة»*.

وبعد تصويت الكنيست اتصل بيجن بقادة الجماعات اليهودية في اميركا، وناشدهم ان تقوم الجماعات المؤيدة لاسرائيل بحملة من الرسائل والبرقيات الى البيت الابيض والكونجرس. وبعثت مجموعة من ٣٣ مفكراً يهودياً، تضم الكاتبين شاؤول بيللو وايرفنغ هو، اللذين سبق وان انتقدا تصلب بيجن برسالة وصفت فيها دعم واشنطن لموقف القاهرة بانه «غير مقبول».

وفي شباط /فبراير ١٩٧٩، طلبت الولايات المتحدة من كل من مصر واسرائيل الاجتماع بسايروس فانس في كامب ديفيد، على امل تحريك عجلة المفاوضات مرة اخرى، رغم ان اسرائيل كانت غاضبة من تقرير للكونجرس حول حقوق الانسان اعدته وزارة فانس والذي يشير الى تقارير عن عمليات «منظمة» لاساءة معاملة العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين.

---

* كما كان يفعل الامريكيون الاوائل عند مهاجمة الهنود الحمر لهم ـ اي استعدوا للقتال..

وقبل اسبوعين من نشر صحيفة «الواشنطن بوست» لهذا التقرير، تحركت دبابات الجيش الاسرائيلي عند الفجر الى بعض قرى الضفة الغربية ودمرت اربعة بيوت عربية. واقامت الحكومة مواقع امامية جديدة، هي نواة لمستعمرة مدنية في النعيمة شمال شرق مدنية اريحا ـ هي المستعمرة الحادية والخمسون في الضفة الغربية ـ حيث يعيش حوالى ٥٠٠٠ يهودي وسط ٦٩٢ الف فلسطيني.

وفي خضم هذه الفوضى، اعلن كارتر، في اذار/مارس، عن قيامه بجولة لمدة ستة ايام الى كل من القاهرة وتل ابيب. ورغم الاختلاف على الزيارة، فقد تمكن من اقناع الجانبين بالموافقة على تسوية اميركية مكتوبة تقرب الشعبين من السلام اكثر مما حدث طيلة الثلاثين عاماً الماضية. والثمن الذي دفعه كارتر لذلك هو اكثر من ٥ مليارات دولار كمعونات اضافية تدفع خلال السنوات الثلاث المقبلة الى كل من مصر واسرائيل. وكانت العقبتان الرئيسيتان هما نقص النفط الذي سوف تعاني منه اسرائيل اذا ما اعادت الى مصر ابار النفط التي سبق واحتلتها في سيناء، اضافة الى المشكلة التي لم تحل حتى هذا التاريخ، الحكم الذاتي للفلسطينيين.

وفي ايار/مايو عين كارتر التكساسي روبرت س. شتراوس، ٦٠ عاماً، الرئيس السابق للجمعية الوطنية الديموقراطية كمبعوث فوق العادة للمرحلة الثانية من مفاوضات السلام. ورغم موافقة اسرائيل الشكلية على وقف العمليات، فقد واصلت شن الهجمات على قواعد منظمة التحرير في لبنان. وصوت مجلس وزراء بيجن باغلبية ثمانية اصوات ضد خمسة على اقامة مستوطنة يهودية اخرى في إلون موريه في الضفة الغربية، مما حدا بتسعة وخمسين شخصية يهودية اميركية الى ارسال رسالة مفتوحة الى بيجن تنتقد سياسته في اقامة المستوطنات اليهودية في المناطق العربية ذات الكثافة السكانية العالية.

ولتعقيد المسائل اكثر، اصيب بيجن بنوبة قلبية، واكتشف أن دايان مصاب بالسرطان، وازداد التضخم في اسرائيل بنسبة ١٠٠ بالمئة. واقترب العجز في ميزان المدفوعات من ٤ مليارات دولار، وتضاعفت الديون الخارجية خلال خمس سنوات لتصل الى ١٣ مليار دولار، منذرة بأزمة سياسية داخلية. وتفاقم هذا بالغضب الاسرائيلي بسبب مقارنة كارتر تطلعات الفلسطينيين بحركة الحقوق المدنية الاميركية.

وبدأ كل من السادات وكارتر في الضغط على اسرائيل للموافقة على خطة لمنح الفلسطينيين حكماً ذاتياً. وحبذت الدول العربية دولة مستقلة ذات سيادة في الضفة الغربية وغزة، تكون وطناً للفلسطينيين المقيمين هناك وللملايين في المنفى. وقد عارض الاسرائيليون تماماً فكرة اقامة دولة معادية ـ خاصة دولة يديرها ياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ـ تقف على حدودها وقد بدأت اسرائيل تشك في ان اعتماد الولايات المتحدة على البترول العربي، يجعلها تميل لتفضيل المصالح العربية.

وفي اثناء غياب بيجن، الذي كان ما زال يتعافى من الازمة القلبية التي المت به، حاول دايان تسيير دفة الحكم. وفي آب/اغسطس، حذر الولايات المتحدة من مغبة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية او تعزيز فرص قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة. وبعد جلسة عاصفة لمجلس الوزراء الاسرائيلي استمرت ٤ ساعات، صوت الاسرائيليون لصالح توجيه تنبيه للولايات المتحدة بضرورة الالتزام بتعهداتها السابقة، وخاصة وعدها باستخدام حق الفيتو ضد اي محاولة تقوم بها الدول العربية لتعديل قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ الذي يعترف بحق اسرائيل في البقاء. وهددت بالانسحاب من المفاوضات المتوقفة حول الحكم الذاتي اذا ما زاد الاميركيون ضغطهم لاقامة علاقات مع منظمة التحرير.

ومما زاد في حنق الاسرائيليين، مسرحية استعراض القوة التي اطلقها في بداية الصيف كل من السعودية، والكويت، ومنظمة التحرير في محاولة لتسيير الامور على هواهم. وقد بدأت اللعبة بان رفعت السعودية انتاجها من النفط بمقدار مليون برميل يومياً في شهر تموز/يوليو، على ان يستمر معدل الانتاج هذا لمدة ثلاثة اشهر، لتخفيف النقص في المنتوجات النفطية الذي اصاب الولايات المتحدة خلال شهري ايار/مايو، وحزيران/يونيو. كما تبنت منظمة التحرير موقفاً معتدلاً، بشكل علني على الاقل، على امل تحسين صورتها المهتزة في الغرب؛ وقام الدبلوماسيون الكويتيون بتقديم مشروع قرار يربط بين حق اسرائيل في الوجود (القرار ٢٤٢) والاعتراف الدولي بحق الفلسطينيين في تقرير المصير.

وقد تبلورت الخطة خلال لقاء في شهر حزيران/يونيو، عندما استدعى وليّ العهد السعودي الامير فهد ياسر عرفات الى الرياض ونصحه باقامة علاقات افضل مع الولايات المتحدة، تبدأ بتقليل النشاطات الارهابية، مؤقتاً على الاقل. واختيرت الكويت بسبب القدرات الدبلوماسية التي تحظى باحترام كبير لسفيرها عبد الله يعقوب بشارة، والتي كانت يومها عضواً في مجلس الامن، للقيام بالدور الدبلوماسي.

ولاسترضاء اسرائيل، رفض الاميركيون صراحة التصويت على اي مشروع قرار يؤيد قيام دولة فلسطينية مستقلة. لكنهم لم يستبعدوا الموافقة على قرار مخفف يؤكد الحقوق السياسية المشروعة للفلسطينيين، موفقة بذلك بين لغة القرار ٢٤٢ واتفاقات كامب ديفيد.

وعندما اعلن رئيس الوزراء المصري، مصطفى خليل، في مفاوضات الحكم الذاتي، التي جرت في فندق جبل الكرمل الذي يشرف على ميناء حيفا، بان بلاده سوف تؤيد قراراً للامم المتحدة حول الحقوق الفلسطينية، اتهم وزير العدل الاسرائيلي شاموئيل تامير مصر «بانها تعرض للخطر عملية السلام برمتها».

وبالطبع، كان الموساد قلقاً من الطريقة التي بدأت تتكشف فيها الامور، خاصة بسبب

تنامي الدور الذي يلعبه وزير الدفاع الاسرائيلي عزرا وايزمان، على الساحة المحلية. فالموساد لم يكن يثق بوايزمان، وهو طيار سابق، كان الثاني في قيادة القوات المسلحة الاسرائيلية خلال حرب الايام الستة، وقائد بطل، والاب الروحي لسلاح الجو الاسرائيلي الاسطوري. وهم ينظرون اليه على اساس انه محب للعرب لدرجة اعتبار انه خائن. وقد كان حقدهم تجاهه مضحكاً، فرغم انه كان وزير الدفاع فانهم لم يكونوا يطلعونه على اية معلومة سرية. ووايزمان رجل متحرر، وهو من ذلك النوع من الناس الذي قد يتفق معك في امر ويختلف معك تماماً في امر اخر. وهو لم يلتزم ابداً بخط الحزب. فهو يفعل ما يراه صواباً. ورجال من هذا النوع خطرون، لانه لا يمكن التنبؤ بمواقفهم المقبلة.

الا ان وايزمان اثبت جدارته وفي بلد يؤدي كل فرد فيه الخدمة العسكرية، فان الجيش مهم ولهذا السبب ينتهي الامر بان نجد ان حوالي ٧٠ بالمئة من اعضاء الحكومة هم جنرالات. ويبدو ان الناس هناك لا يفهمون وجه الخطأ في ذلك ـ فهم اناس تتوهج أنوفهم عند شم رائحة البارود.

وحتى بيجن ودايان كان لديهم خلافاتهم. فدايان عضو في حزب العمل منذ زمن الا انه ترك الحزب للانضمام الى جناح بيجن اليميني. الا ان نظرتها الى الفلسطينيين كانت مختلفة تماماً. فدايان مثله مثل اعضاء حزب العمل ومنذ نشأته، كانوا ينظرون اليهم كخصوم، الا انهم بشر. اما بيجن وحزبه فانهم حين ينظرون اليهم لا يرون بشراً، بل مشكلة. وقد يقول دايان «قد اعقد سلاماً مع هؤلاء الناس، واذكر اياماً كنا نعيش بسلام». اما بيجن فقد يقول «اتمنى الا يكونوا موجودين، لكن ليس في وسعي عمل شيء ازاء ذلك». وهذه وجهة نظر مختلفة تماماً. وبالتالي لم يكن مفاجئاً ان تتسع شقة الخلاف فيما بينهم.

وفي خضم كل هذا، اجرت الموساد اول اتصال لها مع مزارعي الافيون في تايلند. وكان الاميركيون يحاولون اجبار المزارعين على وقف انتاج الافيون وزراعة البن بدلاً منه. وكانت خطة الموساد الدخول الى هناك، ومساعدة التايلنديين على زراعة البن، ومساعدتهم في الوقت نفسه على تصدير الافيون كوسيلة لجمع المال لعمليات الموساد.

واحدى هذه العمليات كانت من ضمن الجهود المتصلة التي يبذلها فريق آل في نيويورك وواشنطن لتقويض الاصرار العربي الرامي الى تجنيد الجهود الامركية لمساعدة منظمة التحرير ـ او الفلسطينيين بشكل عام ـ على الحصول على وضع قانوني افضل في الامم المتحدة.

ومن المفهوم ان الاسرائيليين لم يكونوا سعداء جداً لهذا الوضع. فقد كانت هناك هجمات عديدة على المستعمرات الاسرائيلية، وحالة رعب من خطر ماثل دوماً، وحتى لو توقف القصف لفترة ما، فان الشعور بالخوف لا يتغير. وكان يجري تفتيش الحقائب قبل الدخول الى المخازن

التجارية ودور السينما. واذا رأى شخص ما حقيبة متروكة داخل حافلة فانه يخبر السائق الذي يتوقف فوراً ويُنزل جميع الركاب. واذا ما نسي شخص حقيبته صدفة فان الجميع يتوقعون ان تنفجر.

تتدفق اعداد كبيرة من الفلسطينيين من الضفة الغربية للعمل في اسرائيل، وكان العديد من الاسرائيليين قد خدموا في الضفة وقاموا باعمال الدورية هناك، ويعلمون بان الفلسطينيين يكرهونهم، وحتى لو كنت من الجناح اليساري الاسرائيلي واعتقدت ان لديهم الحق في ان يكرهوك، فانك لا ترغب في ان تطالك متفجرة تقطعك إرباً.

ومن العادي جداً ان يبدي اليمينيون الاسرائيليون عدم ثقتهم بالفلسطينيين، وكانوا يشعرون ان التعامل معهم امر لا طائل تحته. وقد يقول شخص يساري، «لنعطهم حق الانتخاب»، فيرد عليه يميني، «انس الامر. فسوف ينتخبون شخصاً لا احب التحدث معه». وقد يرد عليه اليساري، «لكنهم اعلنوا عن وقف لاطلاق النار» فيرد عليه اليمني «اي وقف لاطلاق النار؟ نحن لا نعترف بالفلسطينيين كمجموعة تستطيع وقف اطلاق النار». وقد ينفجر شيء ما في اليوم التالي فيقول اليمنيني، «هل رايت، الم اقل لك انهم لا يستطيعون المحافظة على وقف اطلاق النار!».

بدأت منظمة آل العمل في نيويورك حوالي العام ١٩٧٨. محاولة فتح خط على النشاطات العربية الخاصة بمحادثات السلام التي يرعاها كارتر. وفي ايلول/سبتمبر ١٩٧٥، تعهد وزير الخارجية الامريكية انذاك هنري كيسنجر بان الولايات المتحدة لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية او تتفاوض معها حتى تؤكد هذه الاخيرة حق اسرائيل في البقاء. وكان الرئيس السابق جيرالد فورد ومن بعده كارتر قد اعلنا دعمهما لهذا التعهد. ومع ذلك، بقي الاسرائيليون غير مصدقين له.

وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٨، وبعد محادثات كامب ديفيد، قام عضو الكونجرس الجمهوري بول فندلي عضو لجنة الشؤون الخارجية، بحمل رسالة من كارتر الى لقاء مع عزفات في دمشق، قال خلاله عرفات ان منظمة التحرير سوف تنبذ العنف اذا ما اقيمت دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة مع ممر يصل بينهما.

وكان كارتر قد دعا لايجاد «وطن» للفلسطينيين في بداية العام ١٩٧٧. وفي ربيع ١٩٧٩ قابل السفير الامريكي في النمسا ميلتون وولف، وهو زعيم يهودي بارز ممثل منظمة التحرير هناك، عصام سرطاوي، اولاً في منزل للضيافة تابع للحكومة النمساوية، ثم في حفلة كوكتيل في احدى السفارات العربية. وكان وولف يعمل بموجب تعليمات من واشنطن لمقابلة السرطاوي، دون مناقشة اي امر محدد. وفي اواسط تموز/يوليو عندما ذهب عرفات الى فيينا للقاء المستشار

النمساوي برونو كرايسكي، والمستشار الالماني السابق ويلي برانت، عقد وولف والسرطاوي لقاءً هاماً لمناقشة مسألة المفاوضات. وعندما تسربت الانباء حول ذلك اللقاء، قالت وزارة الخارجية الامريكية انه قد جرى «تنبيه» وولف رسمياً الى سياسة الولايات المتحدة المعارضة للتفاوض مع المنظمة، لكن الموساد كان يعلم ان وولف كان يعمل بتعليمات مباشرة من واشنطن.

كان هناك اندفاع متعاظم في الولايات المتحدة نحو تحقيق نوع من الجنوح للسلام وبدا انه حتى العرب بدأوا يدركون ميزاته، وعلمت الموساد من خلال شبكات التجسس الالكترونية التي زرعتها في مختلف بيوت ومكاتب السفراء والقادة العرب في نيويورك وواشنطن، بان منظمة التحرير ايضاً بدأت تميل الى الموافقة على موقف كيسنجر للعام ١٩٧٥ والاعتراف بحق اسرائيل في الوجود.

وفي ذلك الحين، كان اندرو يانغ هو سفير الولايات المتحدة لدى الامم المتحدة، وهو جنوبي اسود ليبرالي وصديق لكارتر، وكان احد اوائل المؤيدين للرئيس، واعتبر القناة الرئيسية للادارة الامريكية للوصل بين البيت الابيض وجماعات السود.

ويانغ الذي كان شخصاً صريحاً وسفيراً مثيراً للجدل في اغلب الاحيان، هو نتاج حركة الحقوق المدنية الاميركية، ونقطة الضعف فيه هي احساسه بالظلم والاضطهاد كونه اسود، وهي نقطة اعتبرها الاسرائيليون مناهضة لاسرائيل اكثر مما هي موالية للعرب. وقد اعتقد يانغ بان كارتر يريد حلا، يخفف عن الفلسطينيين المأزق الذي هم فيه، ويخلق وضعاً سلمياً في المنطقة.

وقد عارض يانغ اقامة مستوطنات جديدة في الضفة الغربية، الا انه اراد تأجيل العرض الذي يخطط العرب لتقديمه من اجل الوصول الى قرار يتم بموجبه الاعتراف بمنظمة التحرير في الامم المتحدة. وكانت حجة يانغ ان ذلك العرض لن يؤدي الى اية نتيجة، لذلك فقد كان من الافضل صياغة قرار مخفف يمكن ان يحقق الهدف في النهاية، وتكون له فرصة افضل في الموافقة عليه.

وكان السفير الكويتي عبد الله بشارة هو القوة المحركة للقرار العربي وكان على اتصال دائم مع المندوب غير الرسمي لمنظمة التحرير زهدي لبيب الطرزي. ولأن جماعة آل كانوا قد استأجروا شققاً في مختلف انحاء نيويورك وواشنطن، وقاموا بوضع العديد من اجهزة الاستماع فيها، فقد سمعوا يوم ١٥ تموز/ يوليو محادثة بين بشارة ويانغ تفيد بأن العرب لا يستطيعون تأجيل نقاش مجلس الامن حول القرار، ويقترح ان يقوم يانغ بمناقشة الموضوع مع شخص من منظمة التحرير.

وابلغ يانغ بشارة انه «لا يستطيع مقابلة ممثلي منظمة التحرير» الا انه اضاف: «ولا استطيع ان ارفض دعوة من عضو في مجلس الامن يدعوني الى بيته للتحدث في العمل». وقد كان بشارة،

بالطبع، عضواً في مجلس الأمن وقال عدا عن انه لا يستطيع رفض الدعوة «لا استطيع ان اخبرك من سيكون موجوداً في بيتك».

وفي ٢٥ تموز/ يوليو ١٩٧٩ وصلت برقية من قيادة الموساد في نيويورك الى تل ابيب تقول: «السفير الاميركي الى الامم المتحدة سيقابل ممثل منظمة التحرير الى الامم المتحدة». وكانت البرقية تحمل اشارة «عاجل. نمر. اسود». والتي تعني انها لاطلاع رئيس الوزراء وعدد من كبار المسؤولين لديه ـ لا يزيد عددهم عن خمسة اشخاص.

وكتبت بالشيفرة وسلمت لمكتب رئيس الموساد يتسحاق حوفي. وقام حوفي شخصياً بحمل الرسالة الى رئيس الوزراء بيجن بعد ان حلت رموزها. وقد ذعر كبار المسؤولين الاسرائيليين لمعرفة ان يانغ سوف يقابل طرزي. وقد ذكرت الرسالة مصدر المعلومات وهو تسجيل من الخط الهاتفي لبشارة في مكتبه في الامم المتحدة، ويكشف النقاب عن ان يانغ قد دعي الى منزل بشارة وانه قبل الدعوة.

واصبحت القضية الآن ما اذا كان من الواجب منع المقابلة او السكوت عنها. والقرار بالسكوت عن المقابلة سوف يؤكد المخاوف الاسرائيلية من ان هناك تبدلاً في السياسة الاميركية تجاه اسرائيل. كما سيساعد في ان يؤكد لاصدقاء اسرائيل الاميركيين ممن يشغلون مناصب عالية، بأن ذلك الخطر قائم من هذه الادارة بالذات. وبالتالي خلق تغيراً مؤيداً لاسرائيل. وسوف تظهر ان العملية كلها تعرض امن اسرائيل للخطر. اضافة الى انها قد تساعد في التخلص من يانغ الذي يشكل تهديداً كبيراً بسبب اسلوبه المنفتح واتجاهاته الايجابية نحو منظمة التحرير. وبالتالي فهو لا يتلاءم مع احتياجات اسرائيل.

ويوم ٢٦ تموز/ يوليو، سار يانغ مع ابنه البالغ من العمر ٦ سنوات الى منزل بشارة في ضاحية بيكمان. وكانت ميكروفونات آل تلتقط كل كلمة يتفوه بها. واستقبل يانغ من قبل بشارة والسفير السوري. وبعد خمس دقائق وصل طرزي، وفيما ترك الصبي يلعب وحده لمدة ١٥ دقيقة تقريباً، تحدث الدبلوماسيون الثلاثة مع يانغ ويبدو ان الجميع اتفقوا على ضرورة تأجيل جلسة مجلس الامن من ٢٧ تموز الى ٢٣ آب/ اغسطس (وقد اجلت الجلسة).

وبعد ذلك مباشرة، غادر يانغ وابنه. وخلال ساعة واحدة اعدت نسخة كاملة عن اللقاء حملها كاتسا هو رئيس محطة آل اوري دينور على متن طائرة ال عال من نيويورك الى تل ابيب. وقابله في المطار يتسحاق حوفي، بناء على البرقية التي سبقته: «العنكبوت ابتلع الذبابة». ومن ثم حمل الرجلان النسخة الى بيجن مباشرة. وفي الطريق الى هناك قرأها حوفي.

وبقي دينور ست ساعات في اسرائيل قبل ان يعود الى نيويورك حاملاً معه نسخة من

الرسالة الى سفير اسرائيل لدى الامم المتحدة، يهودا بلوم، التشيكي المولد، والخبير في القانون الدولي.

لم يرد حوفي ان تتسرب اخبار الاجتماع الى وسائل الاعلام، لأنه لا يريد ان يحرق الفخ الذي سينصبه في نيويورك. وجادل ان في وسع بيجن ان يحقق نتائج افضل بالذهاب الى الادارة الاميركية - وهو الاسلوب ذاته الذي اتبع بعد اجتماع ملتون وولف مع ممثل المنظمة في النمسا. وقال حوفي ان الاساءة الى يانغ، الذي يحظى بشعبية بين السود، لن تكون سياسة جيدة في الولايات المتحدة، ومهما يكن من امر فإن في الامكان الحصول على تنازلات افضل من الأميركيين بالعمل خلف الستارة.

الا ان بيجن لم يكن مهتماً بالدبلوماسية. وكان يريد دماً «اريد ان اكشف كل شيء» قالها بيجن. واتفقوا ان من الخطأ كشف كل المعلومات، والمجازفة بحرق المصدر، لذلك جرى اعلام مجلة «نيوزويك» بأن يانغ وطرزي قد تقابلا وأثار هذا بالطبع التساؤلات في وزارة الخارجية الاميركية. وطلب من يانغ تقديم تفسير. وكانت روايته الاولى انه خرج للنزهة سيراً على الاقدام مع ابنه وقرر التوقف لرؤية بشارة، حيث فوجىء بوجود طرزي، وقال بأنهما تحادثا «حديث مجاملات اجتماعية» لمدة ١٥ الى ٢٠ دقيقة»، ولا شيء غير ذلك.

وابرق تفسير يانغ الى وزير الخارجية فانس الذي كان يطير عائداً من الاكوادور. وشعر بالارتياح لأنه كان لقاء مصادفة لا غير، وهكذا اوعز فانس للناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية، توم رستون الى اعلان رواية يانغ مساء يوم الاثنين ١٣ آب/ اغسطس.

وحين بدا ان الامور بدأت تهدأ، رتب الموساد تسريب للمعلومات الى يانغ انه اذا اعتقد بأن اسرائيل ستسكت على هذا الامر فهو مخطىء.

وقد شعر يانغ بالقلق وطلب مقابلة يهودا بلوم، واجرى معه لقاء بالفعل استمر لمدة ساعتين. ولم يكن يعلم بأن لدى بلوم نسخة من وقائع لقائه مع بشارة وطرزي. وهكذا تمكن بلوم من جعل يانغ يعترف بأكثر مما قاله لوزارة الخارجية.

ولم يكن بلوم مغرماً بيانغ على اية حال، ولم يكن يانغ يحظى بتقدير كبير في جميع تقاريره. الا انه كان ديبلوماسيا مجربا، وبوجود نسخة الوقائع لديه فقد كان على علم بما جرى بالضبط، وكان قادرا على انتزاع اعتراف بالقصة الحقيقية، وهذا بهدف جعل يانغ مصدر الرواية، ولا يكشفوا بالتالي حقيقة انهم يعرفون كل شيء.

اما يانغ الذي كان ما زال يعتقد ان نية اسرائيل الرئيسية هي الاستمرار في التفاوض معه، لم يحس بالشرك المنصوب. وبعد لقائه مع بلوم واعترافه استدعي السفير الاميركي في اسرائيل

لمقابلة بيجن وسلم شكوى رسمية. ووصلت الشكوى الى السفير ووسائل الاعلام في الوقت ذاته تقريبا، حتى لا تضيع في الفوضى القائمة.

وفي السابعة صباح يوم ١٤ آب/ اغسطس، وضعت على مكتب وزير الخارجية فانس برقية مستعجلة مرسلة من السفارة الاميركية في اسرائيل الى واشنطن، تبين ما يدعي الاسرائيليون انّ يانغ اخبر به بلوم، والذي يناقض تماما ما قاله لوزارة الخارجية. وما ابلغت به هذه الاخيرة وسائل الاعلام في اليوم الذي سبق. فذهب فانس الى البيت الابيض وابلغ كارتر ان يانغ يجب ان يستقيل. ووافق كارتر بتردد، وقال «دع المسألة حتى الغد».

وصل يانغ الى الجناح العائلي في البيت الابيض الساعة العاشرة صباح اليوم التالي، ١٥ آب/ اغسطس، ١٩٧٩ حاملاً كتاب الاستقالة. وبعد جلسة دامت ٩٠ دقيقة، غادر لفترة، ثم انضم الى كارتر. ومن ثم ذهبا الى مكتب جوردن هاملتون، حيث اجتمع كبار مسؤولي البيت الابيض. وابلغ يانغ اصدقاءه بأنه قد استقال في حين كان كارتر يقف وذراعه تلف كتف يانغ. وبعد ساعتين ابلغ السكرتير الصحفي جودي باول وهو يحاول الاحتفاظ بهدوءه، وسائل الاعلام ان يانغ قد استقال.

وبهذا الصدد قال مبعوث السلام الاميركي شتراوس وهو على متن طائرة متجهة الى الشرق الاوسط، «لقد عززت قضية يانغ الشكوك التي لا أساس لها من ان الولايات المتحدة تتعامل في الظلام مع منظمة التحرير الفلسطينية».

وحاول يانغ فيما بعد الدفاع عن تصرفه، بقوله «انا لم اكذب، انا لم اقل الحقيقة كاملة فقط. وقد استهليت ملاحظتي [الى وزارة الخارجية] بعبارة: سوف اقدم لكم رواية رسمية، وقدمت رواية رسمية لم تكن كاذبة بأي حال من الأحوال».

الا ان الضرر قد حصل، وأوقف يانغ، وسوف تمضي فترة قبل ان يحاول اي اميركي التعامل مع منظمة التحرير مرة اخرى. وهكذا، تمكنت آل من خلال شبكتها الواسعة من النشاطات السرية، من انهاء خدمة واحد من اقرب اصدقاء كارتر ـ لكنه رجل كان ينظر اليه على انه ليس صديقا لاسرائيل.

* * *

وفي الأيام القليلة التالية، شغلت قضية يانغ العناوين الرئيسية في الصحف. وقدم اوري دينور تقريرا بأن البقاء في المنطقة اصبح خطرا جدا، وطلب الانتقال، فأغلقت جميع بيوت الموساد الآمنة، وانتقلت عمليات نيويورك بكاملها الى شقق جديدة. وكان عناصر الموساد على ثقة من ان اجراءات صارمة سوف تتخذ ضدهم، الا ان شيئا ما لم يظهر. وكان الأمر اشبه بسماع صفير قنبلة

ساقطة، تجلس في انتظار وصولها الى الارض وانفجارها، الا ان شيئا لم يحدث.

اما النتائج السياسية لهذه المغامرة فسرعان ما تحولت الى واحدة من أبشع الفصول في العلاقات اليهودية مع السود في الولايات المتحدة.

وقد روّع القادة الاميركيون السود لتنحية يانغ. واخبر المحافظ ريتشارد هاتشر من بلدة غاري، انديانا، مجلة «تايم» بأنها كانت «اقالة قسرية. وانها اهانة للسود». وقال بنيامين هوكس، المدير التنفيذي للجمعية الوطنية لتقدم الملونين (NAACP) بأن يانغ كان «كبش الفداء لظروف فوق طاقته». وقال «كان من الواجب ان يتلقى يانغ وساماً رئاسياً، «لجهوده الدبلوماسية الرائعة» بدلاً من ان يفقد عمله بسبب هذه الجهود.

وقال القس جيسي جاكسون، والذي اصبح فيما بعد احد مرشحي الرئاسة الاميركية، «هناك توتر فظيع في الجو يعم الامة بكاملها بسبب اجبار يانغ على الاستقالة». ووصف العلاقات بين اليهود والسود «بأنها لم تكن بهذا القدر من التوتر منذ ٢٥ عاماً».

وقال يانغ نفسه انه لن يكون هناك استقطاب بين القادة السود والقادة اليهود، لكنه تنبأ بأن يكون هناك «نوع من المواجهة بين اصدقاء». وقال ان تطور توجهات الجالية السوداء تجاه الشرق الاوسط «يجب الا ينظر اليه بأي حال من الاحوال انه ضد اليهود. وقد تكون مؤيدة للفلسطينيين اكثر مما كان في السابق، وفي هذه الحالة تقع على الجالية اليهودية مسؤولية ايجاد طريقة لمعرفة اسباب ذلك دون ان يكونوا مناهضين للسود».

واراد بعض القادة السود الآخرين معرفة كيف يصرف يانغ من الخدمة لانه قابل ممثل منظمة التحرير، في حين ان سفير الولايات المتحدة في فيينا، وولف، وهو من القادة اليهود البارزين لم يطرد، رغم قيامه بعدة لقاءات مع ممثل المنظمة. والسبب الوحيد، بالطبع، هو ان وولف لم يكذب عليهم.

والواقع، ان الرابح الحقيقي من هذه المكيدة كان منظمة التحرير الفلسطينية. وليس اسرائيل، فقد تزايد دعم منظمات الاميركيين السود ليانغ والقضية الفلسطينية، التي كانت وسائل اعلام هذه المنظمات تتجاهلها على نطاق واسع، وفجأة اصبحت تحظى باهتمام وتعاطف. وفي اواخر آب/ اغسطس، قام القس جوزيف لوري رئيس مؤتمر القيادة المسيحي الجنوبي بترأس وفد الى نيويورك اعرب لطرزي عن دعمه الكامل «للحقوق الانسانية لجميع الفلسطينيين بما في ذلك حق تقرير المصير في وطنهم». وقال في اليوم التالي، في اثناء لقائه مع السفير الاسرائيلي بلوم «ليس لدينا اعذار نقدمها لدعمنا للحقوق الانسانية للفلسطينيين، كما انه ليس لدينا اعذار نقدمها لدعمنا المستمر لدولة اسرائيل». وذكر ان بلوم قد رد على ذلك بقول «من

المضحك مساواتنا بمنظمة التحرير. فذلك اشبه بالمساواة بين المجرمين ورجال الشرطة».

وبعد اسبوع التقت مجموعة تضم ٢٠٠ من القادة السود في مقر قيادة الجمعية الوطنية للملونين (NAACP) في نيويورك وصرحوا «بأن بعض المنظمات والمفكرين اليهود الذين ايدوا في السابق تطلعات السود الاميركيين. . . اصبحوا اليوم من الباحثين عن اعذار للتفرقة العنصرية القائمة. . . ويجب على اليهود ان يظهروا المزيد من الاحساس، وان يكونوا مستعدين للمزيد من المداولات قبل اتخاذ موقف معارض من اكثر مصالح الجالية السوداء اهمية».

وردت مجموعة من احدى عشرة منظمة يهودية بقولها «علمنا بمزيد من الغضب والاسف عن تلك البيانات. ونحن لا نستطيع ان نعمل مع هؤلاء الذين يلجأون الى نصف الحقيقة، والاكاذيب، والتعصب الاعمى، بأية صورة ومن اي مصدر. . . ولا نستطيع ان نعمل مع هؤلاء الذين يرضخون للابتزاز العربي».

وفي ٨ تشرين الأول/اكتوبر ظهرت صورة للقس جيسي جاكسون في مجلة «تايم» وهو يعانق ياسر عرفات، في جزء من مهمة الى الشرق الاوسط بمبادرة شخصية منه، وعندما رفض بيجن استقباله لأنه من المتعاطفين مع منظمة التحرير، وصف جاكسون الرفض «بأنه رفض للسود في اميركا، رفض لدعمهم، ونقودهم». وخلال تلك الزيارة مع جاكسون اشترك لوري مع عرفات في غناء الاغنية الشهيرة «سوف نفوز».

وفي اواخر ذلك الشهر حاول رئيس اللجنة القومية للمدينة فيرنون ي. جوردان الابن ان يهدىء العاصفة في خطاب القاه في مدينة كانساس: «يجب ان لا تعرض علاقات السود واليهود للخطر بسبب هزات عابرة يساء تفسيرها عن الجماعات الارهابية التي تكرس نفسها للقضاء على اسرائيل. وليس هناك ما يجمع بين حركة الحقوق المدنية ومجموعات ترتبط مطالبهم في ان يكون لهم وضع شرعي بقتل المدنيين الابرياء وطلبة المدارس بدم بارد».

وقابل القس جاكسون، الذي اطلق على منظمة التحرير اسم «حكومة في المنفى»، جوردن في شيكاغو، وقال جوردن بعد اللقاء «لقد اتفقنا على الا نتفق دون ان ننفي امكانية الاتفاق».

اما موشى دايان الذي تعب من سياسات بيجن المتشددة في التعامل مع الفلسطينيين، فقد استقال في تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٩ـ في اثناء جلسة لمجلس الوزراء صباح يوم الاحد ـ تاركاً وزارة الخارجية كي يتولاها بيجن شخصياً. وقال في مقابلة صحفية مع رئيس مكتب مجلة «تايم» في القدس دين فيشر، والمراسل دافيد هاليفي «الفلسطينيون يريدون السلام، وهم جاهزون لحل من نوع ما، وانا مقتنع ان في الامكان تحقيق ذلك».

ربما كان ذلك صحيحا، لكنه لم يعش ليرى ذلك.

وقد ادى مجمل الوضع الى وقف بضع عمليات اخرى لجمع المعلومات من شيوخ ونواب اميركيين، الذين بدا انهم احسوا بما يجري. فلا بد انهم عرفوا شيئاً عن تورط الموساد، ورغم ذلك لم يحدث شيئاً. ولم يقل اي شخص اي شيء. وفي لعبة الاستخبارات، اذا رأيت شخصا ما يعمل ونظرت الى جهة مختلفة عن اتجاهه فسوف يتشجع للقيام بعمل ما اشد جرأة الى ان تضربه على يده او على رأسه، ايهما يمده اولاً.

وقد يكون عناصر فريق آل ما زالوا يجمعون التسجيلات من مختلف المنازل، ويحصلون على البيانات من الشيوخ والنواب، ويتقربون من مصادر المعلومات، ويتسللون ويجندون، ويحصلون على نسخ من الوثائق، ويفتحون الحقائب الدبلوماسية الغربية، وكل العمليات العامة التي تقوم بها المحطات. فالكاتسات يحضرون الحفلات في واشنطن ونيويورك. والجميع يقومون بأعمالهم. وواحد منهم فقط فر من نوبة حراسة ما زالت قائمة.

وما زال الموساد ينكر وجود فريق آل. وفي داخل جهاز الموساد يقال نحن لا نعمل داخل الولايات المتحدة. لكن اغلب عناصر الموساد يعلمون ان فريق آل موجود، وان كانوا لا يعرفون ما الذي يقوم به بالضبط. والنكتة الكبرى في كل هذا انه عندما انفضح امر لاكام بقضية بولارد، واصل رجال الموساد القول «هناك شيء واحد مؤكد هو، اننا لا نعمل داخل الولايات المتحدة».

وهذا ان دل على شيء، فإنما يدل على انك لا تستطيع ان تثق بكلام جاسوس.

الفصل الخامس عشر

عملية موسى

كان الجميع هناك: دبلوماسيون اجانب فروا من حرّ الخرطوم اللاهب، وسياح من مختلف انحاء اوروبا متلهفين لتعلم فنون الغطس في البحر الاحمر، او التمتع بجولات جماعية في صحراء النوبة، وعدد من كبار المسؤولين السودانيين، يجلسون باسترخاء في المنتجع السياحي الذي شيدّ حديثاً على بعد ٧٥ ميلاً الى الشمال من بور سودان في مواجهة مكة على الشاطىء الاخر من البحر الاحمر.

فمن كان يعلم ان المكان كان جبهة للموساد؟ ففي صباح يوم من اوائل كانون الثاني/يناير ١٩٨٥، استيقظ ما يقارب الخمسين شخصاً من زبائن المنتجع ليجدوا ان الموظفين قد اختفوا ـ باستثناء بعض العمال المحليين بقوا لتقديم طعام الافطار ـ ولم يعلم اي منهم بما حدث. وقلة من الناس تعرف ما الذي حدث حتى هذا اليوم. وكل ما يعرفه السياح ان مالكي المنتجع الاوروبيين قد افلسوا، كما تقول الملاحظات التي تركها «الموظفون»، والتي تؤكد للنزلاء بان نقودهم سوف تعاد اليهم (وقد اعيدت لهم بالفعل) وقد كان الموظفون من عناصر الموساد، او بحارة اسرائيليون، اختفوا بهدوء خلال الليل، بعضهم بواسطة القوارب، والبعض الاخر جواً وتركوا خلفهم الكثير من الطعام، مع اربع شاحنات لأعادة السياح الى بورسودان.

وما حدث في ذاك المعسكر هو واحد من اكبر قصص الهروب الجماعي في التاريخ، وهي قصة معروفة جزئياً في العالم باسم «عملية موسى»: انقاذ الالافِ من اليهود الاثيوبيين السود، او الفلاشا، من اثيوبيا التي خربها الجفاف، ومزقتها الحرب، الى اسرائيل.

وسجل العديد من الروايات، وحتى الكتب، وقائع ذلك الجسر الجوي الجسـور والخفي الذي نقل الفلاشا من معسكرات للاجئين في اثيوبيا والسودان. وقامت طائرة «بوينـغ ٧٠٧» استأجرتها بلجيكا من الخطوط الجوية الاوروبية برحلات غير مباشرة من الخرطوم او اديس ابابا عبر اثينا، او بروكسل، او روما، او بازل، ومن ثم الى تل ابيب.

وادعت تلك الروايات ـ التي غذاها اخصائيون في التضليل من الموساد ـ ان ١٢٠٠٠ من اليهود الاثيوبيين السود قد تم انقاذهم في تلك العملية الاستعراضية القصيرة. والواقع ان العدد هو ١٨٠٠٠، وان ٥٠٠٠ شخص منهم فقط تم انقاذهم عن طريق الطائـرة البلجيكية. امـا الباقون فعبر البحر الاحمر «والمنتجع السياحي».

في بداية هذا القرن، كان هناك بضع مئات الالاف من الفلاشا في اثيوبيا. لكن هذا العدد تضاءل في الثمانينات الى عدد لا يزيد عن ٢٥٠٠٠ مبعثرين في انحاء اثيوبيا النائية وخاصة مقاطعة غوندار الواقعة شمالي غرب البلاد. وطيلة قرنين من الزمان تطلع الفلاشا الى العودة الى ارض الميعاد، لكن لم يعترف بهم رسميا كيهود من قبل اسرائيل الا في العام ١٩٧٢. عندما اصدر كبير الحاخامين السيفارديم عوفاديا يوسف مرسوماً يقول ان الفلاشا هم «دون شك من قبيلة دان» وهذا يجعلهم سكان ارض هافيله (Havileh) التوراتية التي تشكل الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية اليوم. والفلاشا يؤمنون بالتوراة، الكتاب المقدس الاساسي لليهود، ويطهرون الذكور، ويحافظون على حرمة يوم السبت، والقواعد الخاصة بالطعام. وما يدعو للسخرية ان احد الاسباب التي جعلت الحاخامية تتوصل الى النتيجة التي مفادها ان الفلاشا يهود حقاً، هو انهم لا يحتفلون بالهانوكا (Hanukkah) وهو عيد يحيي ذكرى انتصار يهودا الميكابي على انتيوكوس الرابع في العام ١٦٧ قبل الميلاد. جرى بعدها تطهير الهيكل واحياء الديانة اليهودية. الا ان ذلك لم يكن جزءاً من تاريخ الفلاشا، لانهم تركوا اسرائيل مع ملكة سبأ قبل ذلك بفترة طويلة ايام مملكة سليمان.

ونتيجة لما توصل اليه المجلس الحاخامي الاعلى قررت لجنة حكومية ان هؤلاء الاثيوبيين يخضعون لقانون العودة الاسرائيلي. والذي يسمح لليهود بان يصبحوا مواطنين فور وصولهم للعيش في اسرائيل.

وفي العام ١٩٧٧، عندما اصبح مناحم بيجن رئيساً للوزراء وعد بمساعدة هؤلاء الفلاشا بالعودة الى ارض الميعاد. الا ان الزعيم الاثيوبي منغستو هيلا ميريام الذي كان يخوض حرباً اهلية قاسية منذ بداية السبعينات، امر بانزال عقوبات قاسية باي اثيوبي يحاول الهرب. لذلك وضع بيجن خطة لعقد صفقة اسلحة سرية مع اثيوبيا في مقابل السماح بعمليات سرية لتهريب الفلاشا من اثيوبيا وعبر السودان. ولم يكن قد غادر اديس ابابا سوى ١٢٢ شخصاً من اليهود السود عندما ابلغ موشي دايان مراسل احدى الاذاعات السويسرية في زيوريخ يوم ٦ شباط/فبراير ١٩٧٨ بان اسرائيل تبيع اسلحة الى اثيوبيا. وهكذا فان ميريام الذي طلب بان تبقى الصفقة سرية امر بوقف العملية على الفور.

وفي العام ١٩٧٩، عندما وقع بيجن وانور السادات اتفاق كامب ديفيد، اقنع بيجن السادات ان يكلم الرئيس جعفر النميري بشأن السماح للفلاشا بالطيران من معسكر للاجئين في السودان الى اسرائيل. وخلال السنوات القليلة التالية، تمكن عدد قليل من الفلاشا، لا يزيد عن ٤٠٠٠ شخص من الوصول الى اسرائيل، ولم تلبث هذه الخطة ان ماتت ايضاً بعد اغتيال السادات عام ١٩٨١، وسقوط النميري.

وبحلول العام ١٩٨٤، اصبح الموقف خطيراً، واصبح الفلاشا مع مجموعات غفيرة من الاثيوبيين يعانون من جفاف ومجاعة رهيبين. وقد بدأوا في التسلل الى السودان سعياً وراء الطعام. وفي ايلول/سبتمبر ١٩٨٤ قابل نائب رئيس الوزراء في ذلك الحين، يتسحاق شامير، وزير الخارجية الاميركي جورج شولتز، في واشنطن وطلب من الاميركيين ان يستخدموا نفوذهم لدى مصر ودول عربية لاقناع النميري في السماح بعمليات انقاذ على اساس انها عمليات اغاثة دولية. وهكذا وجدت السودان، التي كانت تعاني من مشاكل الجفاف هي ايضاً، اضافة للحرب الاهلية في الجنوب، في ذلك فرصة للتخلص من بضعة الوف من الافواه الجائعة. ومرة اخرى اشترط السودانيون والاثيوبيون السرية المطلقة في تنفيذ هذه العملية.

والواقع، انه في الفترة ما بين تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤، وكانون الثاني/يناير ١٩٨٥ بقيت العملية سرية. وخلال الاسبوع الاول من كانون الثاني ١٩٨٥، امر جورج بوش الذي كان نائباً للرئيس الامريكي، طائرات هيركوليز الاميركية بالطيران الى الخرطوم، بعد الحصول على موافقة النميري، حيث التقطت ٥٠٠ من الفلاشا وطارت بهم مباشرة الى اسرائيل.

وقد ورد هذا الجزء من العملية في العديد من الكتب وروايات الصحف. وكان العديدون يعرفون عنها، بما في ذلك الاميركيون والبريطانيون والمصريون والسودانيون والاثيوبيون انفسهم اضافة الى مسؤولي العديد من شركات الطيران الاوروبية. وقد بقي الامر سراً الى ان اخبر يهودا دومينتز، وهو مسؤول كبير في الوكالة اليهودية المتحدة، محرراً في صحيفة «ناكودا» وهي صحيفة صغيرة خاصة بالمستوطنين اليهود في الضفة الغربية بان عملية الانقاذ مستمر. ولم ينه تلك العملية التي كان يتحدث عنها فحسب، بل والعملية السرية التي نظمتها الموساد على شواطىء البحر الاحمر.

وكما هي العادة في مثل هذه المسائل، كان اتحاد الصحفيين في اسرائيل على علم بالعملية منذ بدايتها ـ او على الاقل، كانوا يعرفون ما يسمح لهم الموساد ومكتب رئيس الوزراء بمعرفته ـ الا انهم وافقوا على كتم الخبر حتى يسمح لهم بنشره. وهناك لجنة للمحررين يطلق عليها اسم «فعدات اورخيم» والتي تحظى من بين جميع وسائل الاعلام الرئيسية في اسرائيل بلقاءات دورية منتظمة مع المسؤولين الحكوميين لاطلاعهم على مجمل الاحداث الجارية. وتدير الدولة البث التلفزيوني والاذاعي، فيما عدا محطة اذاعة شاردة واحدة، لذلك لم يكن هناك مشكلة في السيطرة عليها.

ويزود الصحفيون بالروايات الرسمية بطريقة تجعلهم يحسون انها صادرة عنهم هم شخصياً وقد يصطحبونهم في جولات شريطة انه اذا كان نشر القصة في صالح اسرائيل فسوف تقدم لهم كل المعلومات التي يرغبون. ويعتقد البعض ان هذا افضل من فرض الرقابة على الصحف (رغم ان اسرائيل تفرض الرقابة ايضاً).

وكان لنشر اخبار العملية السرية، رد فعل سريع ومحسوب. وطلبت ليبيا عقد جلسة خاصة للجامعة العربية، وادانت الصحف في العديد من الدول العربية الحكومة السودانية لتعاونها مع اسرائيل. وقد انكرت هذه الحكومة من جانبها اي دور لها في الجسر الجوي ودعا وزير الخارجية السوداني هاشم عثمان الدبلوماسيين العرب، والافريقيين، والاسيويين الى اتهام اثيوبيا «التي اغمضت عينيها» عن هجرة الفلاشا في مقابل الاسلحة والمال من اسرائيل. ورد وزير الخارجية الاثيوبي «غوشو ولدي» بان الحكومة السودانية قد قدمت رشوات «لعدد كبير من اليهود الاثيوبيين للفرار من اثيوبيا». وقالت صحيفة الرأي العام الكويتية في مقال شديد اللهجة «ان تهريب اليهود الاثيوبيين عبر السودان لا يمكن اعتباره حدثاً عابراً، بل هزيمة جديدة حاقت بالامة العربية».

فتصور كم سيكون غضبهم لو عرفوا القصة كاملة.

* * *

في اثناء تنفيذ عملية التهريب، صرح رئيس الوزراء الاسرائيلي شمعون بيرس علنا: «لن نرتاح حتى يعود جميع اخواتنا واخوتنا من اثيوبيا الى وطنهم بسلام». وفي ربيع العام ١٩٨٤، وبعد تفاقم مشكلة مجاعة الفلاشا، شرع بيرس في تحقيق ذاك الحلم. وفي حين توالت المحادثات مع حكومات اخرى لاقامة جسر جوي من خلال بروكسل، استدعى بيرس ناحوم ادموني، الذي كان مديراً لجهاز الموساد، واسمه الرمزي «روم» (ROM) لمعرفة ما اذا كان في وسعه وضع مخطط يسمح بانقاذ المزيد من الفلاشا.

وحين توضحت لادموني دقة الموقف، استأذن من بيرس في استخدام مصادر من خارج الموساد، اذا ما احتاج لذلك، سواء كانت هذه المصادر مدنية او عسكرية.

وبعد هذا اللقاء، استدعى ادموني دافيد اربيل، الذي كان رئيساً لدائرة «تسافريريم» ومعناها «نسيم الصباح» وهدفها الوحيد انقاذ اليهود اينما تعرضوا لخطر، كما سبق ورأينا، بنى لنفسه سمعة سيئة في عملية ليليهامر المنكودة.

ودائرة اربيل مسؤولة عن تشكيل جماعات الدفاع اليهودية في جميع انحاء العالم، والتي تدعى «ميسجيروت» اي «هياكل»، والتي تشمل الان بعض انحاء الولايات المتحدة حيث يخشى من ظهور اللاسامية. والتي تضم حتى اناساً على قدر عال من التأهيل، مثل الاطباء، الذين يشكلون احتياطي لهذه الجماعات يستدعون لفترات قصيرة للمساعدة. ورؤساء محطات هذه «الهياكل» في مختلف البلدان هم في العادة من عناصر الموساد المتقاعدين. وينظر الى عملهم بنوع من التقدير والاكبار. وطالما انهم موجودون ولديهم كل هؤلاء الخبراء، فلم لا يستفيدوا منهم؟

والعمل الرئيسي لهذه «الهياكل» هو مساعدة قادة الجماعات اليهودية خارج اسرائيل في تأمين الحماية لهم. ويتم جزء من هذا العمل بواسطة ما يعرف باسم «هيتس فاكيشيت» ومعناها

«القوس والسهم» وهي الوية الشبيبة شبه العسكرية الاسرائيلية. في حين ان جميع الاسرائيليون ذكوراً واناثاً هم اعضاء في «ايدوداي نوار ايفري» ومعناها «كتائب الشبيبة اليهودية»، ويشارك في نشاطات هذه الكتائب حتى شبان من بلدان اخرى يحضرون لقضاء الصيف ويتعلمون اموراً عن الامن، ويتدربون على مهارات مثل سباق الحواجز، ونصب الخيام، وكيفية استخدام البنادق القناصة وبنادق الاقتحام «عوزي». ويتدرب اخرون على مهارات امنية اعلى مثل بناء المخابىء لاخفاء الاسلحة والوثائق، وكيف يقومون بالتحقيقات الامنية واين يقوموا بها ومتى، علاوة على تدريبهم على مبادىء الاستجواب وجمع الاستخبارات.

ولم يوافق اي مسؤول حكومي ابداً على استخدام «الهياكل» في مهمات عدا الحماية الشخصية، رغم ان جميع مسؤولي الموساد يعرفون انه يجري استخدامهم في مهمات اخرى. وهكذا، فان يتسحاق شامير يعرف. اما بيرس الذي لم يخدم في الموساد ابداً فقد لا يعرف، رغم انه كان رئيساً للوزراء. ولا تبيع اسرائيل اية اسلحة الى «الهياكل» الاجنبية مباشرة، لكنها تزودهم بالاسلحة بطريقة غير مباشرة بترتيبات ملتوية مع تجار اسلحة معروفين.

ولا يرى الموساد في هذه الهياكل جامعي معلومات، رغم ان رؤساء المحطات يعلمون من خبرتهم ان افضل طريقة لتلقي المديح هي تزويد الموساد بالمعلومات المفيدة. والعديد من الشبان الذين يتدربون في معسكرات الشبيبة خلال الصيف يصبحون سايانات. وهذه المعسكرات تخلق دون شك جماعات قوية من المتطوعين، حسني التدريب، لا تعيقهم لغة البلد الذي يعملون فيه، وهم ممن ابدوا رغبة في المخاطرة. وباستثناء كندا واغلب انحاء الولايات المتحدة، فان للجاليات اليهودية خارج اسرائيل «هياكل» مدربة ومسلحة، ومستعدة للدفاع عن نفسها.

ولهذه العملية بالذات، كان الموساد بحاجة لتجنيد مساعدين. وبعد لقاء اربيل مع ادموني، دعا الاول كبار الموظفين في دائرة تسافريريم الى الاجتماع.

قال: «أريد عينتا بيأ خاصة بي»، «اريد ان يدخل اسمي التاريخ».

كما اخبر اربيل المسؤولون لديه انه يريد اكبر عدد ممكن من الفلاشا خارج السودان: «كلهم ان امكن». ثم طلب منهم ان يضعوا تصوراً حول كيفية تنفيذ ذلك.

تعمل دائرة اربيل بميزانية متواضعة نوعاً ما، الا انه بدا واضحاً هذه المرة انه يستطيع الحصول على كل ما يطلبه. وهكذا، عين حاييم الياز، الذي ترأس القسم المتخصص في العمليات السرية لانقاذ اليهود من خلف خطوط الاعداء لتنفيذ هذه العملية، ووجهت اليه الاوامر بان يضع في اسرع وقت ممكن خطة عمل «لمشروع موسى».

وفي غضون ثلاثة ايام، جمع إلياز فريقه لاجتماع مطول في مكاتب الدائرة خارج مبنى قيادة الموساد، في حي ابن جيفيرول والذي يقع في الطابق الذي يعلو سفارة جنوب افريقيا في تل ابيب.

بدأ الرجال، في المكتب الذي علّقت على جدرانه خرائط مفصلة لعمليات الاغاثة، وامام كل واحد منهم المعلومات التي جمعوها عن السودان. نقول بدأ كل واحد منهم في عرض تصوره للموقف وافضل طريقة لمعالجته. وكان القسم الاكبر من الفلاشا موجودين في معسكرات تقع في مناطق كسالا والاطرش الى الغرب من الخرطوم، قرب الحدود الاثيوبية ولم يكن في الامكان الاعتماد على المتمردين السودانيين في الجنوب، والذين كانوا يحاربون الحكومة المركزية منذ سنوات، لتقديم اية مساعدة.

وخلال احدى الجلسات، قال احد الرجال وهو ينظر بتمعن الى خارطة المنطقة، بان الامر يذكره بحادث قرب ماغنه الواقعة شمال غرب البحر الاحمر، تعرض له زورق صواريخ اسرائيلي في اثناء عودته من قناة السويس، حين تعطل الرادار، وتوقفت بوصلته الجيروسكوبية، مما جعل الزورق يخرج عن مساره ويجنح الى الشاطىء العربي في منتصف الليل، وكاد ان يتسبب في ازمة دولية.

ولحسن الحظ، وجد الزورق، الذي كان يبحر بسرعة ٣٠ عقدة في الساعة ثغرة في الشعاب البحرية المرجانية قبل ان يستقرّ على الشاطىء. وخلال ساعات، وبعد اتصالات لاسلكية من القارب ارسلت وحدة من كوماندوس البحرية الاسرائيلية الى المنطقة، اتخذت مواقع لها على الشاطىء لحماية الزورق اذا لزم الامر. وجرى سحب جميع الوثائق من الزورق، ونقل افراد الفريق الى زورق صواريخ اخر.

وفكر الاسرائيليون في البدء بنسف الزورق، الا ان البحرية اعترضت على هذه الفكرة (بيع العديد من هذه الزوارق الى بحرية جنوب افريقيا، التي ما زالت تستخدمهم حتى هذا التاريخ). وبدلاً من ذلك، احضرت طائرة هيلوكبتر كمية من سائل الاستايروفوم، الذي يتحول بعد رشه الى مادة شبيهة بالمطاط مقاومة للماء والاحماض، رش به بدن الزورق بالكامل، ثم ربط سلك فولاذي قوي بمقدمة الزورق الجانح وشد الى اثنين من الزوارق جروه عن رمال الشاطىء ومن ثم قطروه طيلة الطريق الى ميناء ايلات.

وكما يحدث عادة في مثل الاجتماعات الطارئة، فقد اوحت رواية هذه الحادثة بفكرة، او افكار اخرى. فخلال روايتها توقف رجل وقال: «انتظر لحظة، ان لنا ممرا قريبا من شواطىء السودان، ونستطيع الاقتراب من الشاطىء بزوارقنا الصاروخية، فلماذا لا نخرج الفلاشا بواسطة السفن؟».

قلّب الجميع الفكرة لبعض الوقت، لكنهم في النهاية رفضوها لعدة اسباب. فتحميل الناس في السفن يتطلب الكثير من الوقت، وقد يكون من الصعب انجازه دون ان يلاحظ شخص ما الذي يجري. «حسناً نستطيع على الاقل اقامة محطة ما هناك».

فرد عليه احد الرجال، «ما الـذي ستفعله؟ هل ستضـع لافتة تقـول (قاعـدة عمليات الموساد، ممنوع الدخول)؟».

فاجاب «لا، فلنقم نادياً للغطس، فالبحر الاحمر جنة للغطاسين».

استبعد الفريق الفكرة في بداية الامر، لكن بمرور الوقت، وتوارد الافكار ورفضها، بدا ان فكرة اقامة ناد ومدرسة للغطس، لا بأس بها. وكانوا يعرفون شخصاً على ذلك الشاطىء يدير شيئاً ما يشبه النادي. ورغم انه يمضي في الغطس والاسترخاء على رمال الشاطىء اكثر مما يمضي في تأجير معداته او تعليم الغطس، فان له على الاقل وجوداً فعلياً في المنطقة. وبتخطيط مناسب، وبعد الحصول على الموافقة اللازمة من الخرطوم، يمكن تحويل المكان الى منتجع حقيقي محترم.

وهكذا، ارسل يهودا جيل الذي يتكلم العربية، وهو احد اكثر كاتسات الموساد خبرة الى الخرطوم وانتحل صفة ممثل شركة سياحية بلجيكية ترغب في تنظيم رحلات سياحية يتمتع الرواد فيها بالغطس في البحر الاحمر، ومشاهدة الصحراء السودانية، وفي العادة، لا يرسل كاتسات الموساد الى بلدان عربية بسبب حجم المعلومات التي يطلعون عليها، وخوفاً من ان يؤدي القبض عليهم الى اجبارهم على البوح بها للاعداء. لكن خطورة الوضع اجبرت الموساد على ركوب هذه المخاطرة.

واقتصر عمل جيل على الحصول على الاذونات اللازمة، والتي قد تتطلب تقديم رشاوى لعدد من المسؤولين للتعجيل باجراءات ترخيص شركته السياحية. ثم استأجر منـزلاً في الجزء الشمالي من الخرطوم، وباشر عمله.

وفي الوقت نفسه، طار رجل اخر من التسافريريم الى الخرطوم، ومن هناك الى بورسودان، ومن ثم قاد السيارة على طول الشاطىء الى الرجل الذي يدير نادي الغطس الصغير. وشاء الحظ ان يكون الرجل قد ملّ المكان، وبعد مساومة مطولة وافق الرجل على الذهاب الى بنما، واصبح لناديه مالك جديد.

بدأ الموساد يرى في هذه العملية «بساطا سحريا» اخر (وهي عملية انقاذ شهيرة لليهود من اليمن في اوائل الخمسينات، حملتهم طائرات هيركوليز الى اسرائيـل). وقد قـرروا استخدام طائرات هيركوليز لاخراج الفلاشا جواً، لكن ذلك يتطلب توسيع المخيم السياحي بشكل كبير للتغطية على العملية، وفي الوقت ذاته، رتب جيل المسائل المتعلقة بتسجيل شركته الجديدة، وبدأ يعدّ لاستقدام افواج سياحية لزيارة الموقع. وقد اكتشفوا فيها بعد وجود سفينة غارقة على بعـد حوالي ١٠٠ يارد من الشاطىء على عمق يقارب ٦٥ قدماً: وكان هذا عاملاً جيداً للغطس في المياه الضحلة، وجاذباً جيداً للسياح.

وفي الموقع، باشروا جولة للبحث عن عمال من بين السكان المحليين. وفي الوقت نفسه، قام مسؤولوا تسافريريم في تل ابيب بتجنيد الطباخين ومدربي الغطس، وباقي الطاقم اللازم لادارة المنتجع، ارادوا اناساً يتحدثون الفرنسية او الانجليزية، ويفضل ان كان لهم المام باللغة العربية، التي قد تمكنهم من فهم المحادثات بين الدبلوماسيين والرسميين العرب الذين قد يحلّون ضيوفاً على المنتجع.

وتم انتخاب المجندين من اولئك الذين سبق وشاركوا في عمليات سابقة للتسافريريم، ومروا من خلال الاستخبارات البحرية لإيجاد الغواصين الضروريين للعمل كمدربي غطس للسياح.

تم جمع فريق من ٣٥ اسرائيلياً للاسراع بضبط اوضاع المنتجع، وكان لكل منهم مهمته الخاصة، لكن نظراً لضيق الوقت فقد تم تقسيم العمل على فرق. وقسم العمال المحليون الى اربعة فرق يعمل كل فريق يوماً كل اربعة ايام. وقد يأتي فريق اسرائيلي في اثناء الليل للعمل على انجاز البناء بسرعة. ونظراً لان كل فريق من العمال المحليين كان يأتي للعمل مرة كل اربعة ايام، لذلك كان طبيعياً ان يعودوا ويجدوا احد اجزاء البناء قد اكتمل.

اما بالنسبة للعمال الاسرائيليين، فقد كانوا يتغيرون بانتظام هم ايضاً؛ لكن بدلاً من الدخول في اجراءات الحصول على وثائق خاصة لكل واحد منهم؛ لذلك تم عمل وثائق لكل فريق تحمل الاسماء ذاتها لجميع الفرق. وهكذا فحتى لو تبدل الاشخاص كانوا يبدون رسمياً وكانهم الفريق ذاته.

وقد حصلوا على اذن باحضار ثلاث سيارات لاندروفر، وشاحنتي بيك آب صغيرتين ـ لكن في الحقيقة كان لديهم ٩ سيارات. فقد قاموا باستنساخ نسختين عن كل رخصة او لوحة للسيارات الاضافية.

وكادت العملية ان تنهار برمتها بسبب خطأ سخيف. فقد قرر احدهم ان يحضر شحنة من السجاد الاصطناعي الذي يشبه العشب الاخضر بواسطة سفينة انزال خلال الليل، وحين حضر فريق من العمال المحليين صباح اليوم التالي وجدوا امامهم حقلا اخضر واسعا، في مكان لم يكن فيه سوى الرمل منذ مئات السنين. كيف تستطيعون انبات العشب هكذا في ليلة واحدة؟ فحتى لو شرحت لهم بان هذا مجرد سجاد اصطناعي، فقد كان سؤالهم اين تستطيعون الحصول على هذا في السودان؟ لكن لحسن الحظ تابع العمال عملهم دون كلام، فيما عدا بعض النظرات الفضولية.

وفي الخرطوم، قام جيل بطباعة بعض النشرات الاعلامية عن النادي، وقام بتوزيعها على وكالات السياحة في اوروبا، عارضا اسعارا خاصة للافراد. ولم يفسح المنتجع اي مجال للمجموعات، والحكمة من ذلك، ان افراد المجموعات غالبا ما يكونوا من اناساً يعرفون بعضهم البعض، وبالتالي فهم اشد فضولا وحبا لمعرفة ما يجري حولهم.

استغرق بناء المنتجع ما يقارب الشهر. واضافة الى البناء الرئيسي الخاص بالسواح، والمطبخ، وغرف النوم، وما الى ذلك، كان هناك عدة اماكن لوضع اجهزة الاتصال والاسلحة فيها (الموساد لا يذهبون الى مكان كهذا دون سلاح). كما احضروا سرا كل ما يلزم من ادوات لانارة مدرج المطار المرتجل في الصحراء. الفنارات، والاضواء، والاضواء الجانبية، واجهزة الرقابة الجوية، ومبينات اتجاه الريح، واجهزة تحديد المسافات التي تعمل باللايزر.

اما الطعام والامدادات الضرورية الاخرى، فكان يتم احضارها من اسرائيل بواسطة زوارق الصواريخ التي كانت تصل لمسافة بضع يارادات عن الشاطيء وعلى بعد حوالي نصف ميل من المنتجع. ونظرا لوجود نصف دزينة من العمال المحليين يعملون في المنتجع، فقد كان من الضروري معرفة مكان وجودهم قبل احضار اية شحنة، حتى لا يفاجئوا اية سفينة اسرائيلية في اثناء تفريغها.

وبينما كانت هذه العملية ماضية حسب المخطط، كانت عملية الموساد الاخرى الخاصة بالطائرة البلجيكية المستأجرة تسير حسب المخطط ايضا. وكانت الموساد تدفع مبالغ طائلة لرشوة المسؤولين السودانيين. واحد هؤلاء الفريق عمر محمد الطيب، وهو نائب سابق للرئيس نميري، والذي اصبح مسؤولا عن الامن في عهده، صدر ضده في نيسان/ ابرايل ١٩٨٦ حكمان بالاعدام مع فرض غرامة مقدارها ٢٤ مليون جنيه سوداني، لدوره في مساعدة الفلاشا على الهرب.

وخلال هذه الفترة، ارسلت لقيادة الموساد اشارة تفيد ان احد المسؤولين السودانيين يريد دراجة سباق مقابل المساعدة في نقل الوثائق للفلاشا. ولان الامر يبدو وكأن لا علاقة له بهذا الموضوع، فقد اربك هذا الطلب مسؤولي الموساد فردوا برسالة الى حلقة الاتصال يطلبون توضيحا. وعادت الرسالة تؤكد ان المسؤول يريد دراجة سباق. وقد حاول مسؤولوا الموساد تفسير ما يعنيه هذا، هل يريد وزن الدراجة ذهبا؟ هل هذه شيفرة لا يعرفونها؟ فعادوا مرة اخرى يطلبون توضيحا، فجاءهم الجواب مرة اخرى دراجة سباق، ولا شيء سوى ذلك.

عندها تأكدوا انه يريد دراجة فقط، وارسلوا له واحدة من نوع «رالي»، وكان ذلك اقل ما يستطيعون عمله.

في المنتجع، كان الاسرائيليون يدرسون الاستخبارات الخاصة بنظام الرادار السوداني. ووجدوا في نهاية الامر ثغرة صغيرة في ذلك النظام. تغطيها بشكل جزئي انظمة الرادار المصرية والسعودية، في منطقة رؤوس الحداربة، وهي منطقة جبلية قرب الحدود الفاصلة بين مصر والسودان. حيث يمكن لطائرة تحلق على ارتفاع منخفض ان تمر دون ان تكتشف.

لذلك، استقر الرأي على ان تغادر طائرة هيركوليز القاعدة الجويه في ايلات وهي قاعدة

عوفدا، محلقة فوق خليج العقبة والبحر الاحمر نزولا الى تلك الثغرة في التغطية الرادارية المعادية، قبل ان تطير متجهة الى ممرات الهبوط التي جرى اعدادها في الصحراء. ولايجاد اماكن ملائمة لهبوط الطائرات فقد احضروا اربعة طيارين اسرائيليين الى المنتجع انتحلوا صفة ادلاء سياحيين للصحراء. وبهذه الطريقة كان في وسعهم التجول في الصحراء بشكل قانون، وتحديد المواقع اللازمة على خارطة معهم. كما اوضحوا للعاملين في المنتجع كيفية اعداد ممرات الهبوط، وارشدوهم الى الابعاد المطلوبة والانوار والاتصالات.

حتى الجواسيس يتمتعون بروح النكتة من وقت الى اخر. فقد اصطحب احد رجال التسافريريم طيارا اسرائيليا في عمل له في الخرطوم، وانتهوا في فيلا يملكها احد رجال الاعمال المحليين. وقد كان جيل هناك ايضاً، وكان جيل ورجل التسافريريم يعرف احدهما الآخر والعمل الذي يقومان به، اما الطيار فقد اعتقد ان جيل رجل اعمال عادي. وعندما استأذن المضيف في الخروج للحظة سأل مسؤول التسافريريم جيل عن العمل، بعد ذلك سأله جيل «وانت ماذا تعمل؟».

فجاءه الجواب «انا، انا جاسوس اسرائيلي».

فامتقع لون الطيار، وضحك جيل، ولم يقل الطيار شيئا حتى غادروا واصبحوا على بعد عدة اميال من الخرطوم. حين صرخ الطيار فجأة في زميله «ايها الاحمق! اياك ان تفعل مثل هذه الامور حتى ولا على سبيل المزاح!» وتطلب الامر من مسؤول التسافريريم اكثر من ١٥ دقيقة لتهدئة الطيار واطلاعه على حقيقة الامر.

وبقيت عملية اخراج الفلاشا تحديا صعبا بالنسبة لمنظمي العملية على الرغم من كل الصعوبات التي ذللت. ففي ذلك الحين كان هناك مئات الوف الاثيوبيين السود الذين فروا من الحرب والجوع في بلادهم وتدفقوا الى معسكرات اللاجئين في السودان، لذلك كانت هناك مشكلة اخرى هي كيفية معرفة اليهود من بينهم.

للقيام ذلك، وافق بعض الفلاشا الشجعان ممن وصلوا الى اسرائيل في وقت سابق ـ والذين قد يتعرضون للقتل اذا ما قبض عليهم ـ على الذهاب الى المعسكرات لتنظيم شعبهم هناك في مجموعات. وسرعان ما انتشر خبر هذا المشروع بين الفلاشا الذين احتفظوا به سرا مغلقا فيما بينهم. ولم يطل الامر حتى كانت المرحلة التالية من المشروع جاهزة للتنفيذ.

وفي اذار / مارس ١٩٨٤ وصلت الدفعة الاولى من السياح الاوروبيين، وبدأ الحديث يدور بين الدبلوماسيين والمسؤولين الحكوميين السودانيين في الخرطوم عن هذا المنتجع الرائع. ومنذ افتتاحه حتى تاريخ مغادرة عناصر الموساد له، كانت جميع الغرف فيه محجوزة بكاملها، وكان نجاحا تجاريا باهرا. حتى انهم في بعض المراحل راودتهم فكرة دعوة بعض قادة منظمة التحرير

لعقد مؤتمر فيه، الذين لا بد سيشعرون بآمان تام في السودان، بعد عبورهم اليه من مكةعبر البحر، ومن ثم احضار قوات كوماندوس الى هناك يجمعون قادة المنظمة على ظهر زورق صواريخ، وشحنهم الى اسرائيل اسرى. من يدري فلربما نجحت خطةكهذه.

* * *

الآن اصبحت الخطة جاهزة لتنفيذ المرحلة النهائية. فقد اعد ممر لهبوط الطائرات في الصحراء، ومكان لقاء يتجمع فيه اللاجئون، ثم يؤخذون في رحلة مرهقة مدتها ٦ ساعات للوصول الى ممر هبوط طائرة الهيركوليز. وكان من المفروض ان يكون هناك ١٠٠ شخص للرحلة الواحدة، لكن غالبا ما كان يتجمع ضعف هذا العدد في الشاحنات. اناس ضعاف هزيلوا الجسم يتكومون تحت خيمة في رحلة طويلة قاسية. ماتْ المئات من هؤلاء الفلاشا الذين هدهم الجوع والمرض خلال هذه المرحلة من الرحلة، ومات مئات اخرون على متن طائرة الهيركوليز المزدحمة. لكن لانهم يهود فقد اخذوا، بقدر ما سمحت الظروف، الى اسرائيل لدفنهم بطريقة لائقة.

قبل كل رحلة، كانت طائرات استطلاع اسرائيلية تحلق على ارتفاع عال تحدد مواقع حواجز الطرق السودانية (التي كانت تقام في العادة في فترة ما بعد الظهر) وتُشعر مركز الاتصال في المنتجع بموقعها بواسطة اجهزة اشارة لاسلكية.

في الليلة الاولى، كان يبدو ان الامور تسير دون اي عائق. وكان من المفروض ان يلتقي الجميع في البقعة المتفق عليها. وبعد ان تجنب منظمو العملية جميع حواجز الطرق السودانية، وصلوا الى المدرج قبل هبوط طائرة الهيركوليز. وما ان ظهرت الطائرة في عتمة الليل وسط انوار المدرج، واستدارت متجهة نحو الفلاشا، حتى تملك هؤلاء الذين لم يسبق ان شاهدوا مثل هذا الشيء عن قرب، ولم يسمعوا مثل ازيز تلك المحركات التي كانت تعفر الرمال والغبار، رعب عظيم.

وهكذا تفرق الفلاشا المئتان الذين تملكهم الرعب، في مختلف الاتجاهات الى أي مكان يخفيهم عن هذه الآلة المرعبة. ولم يستطع الاسرائيليون ان يعثروا على اكثر من ٢٠ شخصاً منهم. وبعد تفتيش لفترة اخرى، اتخذ القرار بإقلاع الطائرة. على ان يأخذوا باقي الفلاشا في اليوم التالي.

وبحلول الصباح، كانوا قد تمكنوا من العثور على الجميع، باستثناء شخص واحد ـ امرأة عجوز تمكنت باعجوبة من العودة الى معسكر اللاجئين بعد مسيرة استمرت ثلاثة ايام، وذهبت الى اسرائيل في رحلة لاحقة. وبعد هذه التجربة قرر الاسرائيليون ان يبقوا الفلاشا في السيارات حتى تهبط الطائرة وتتوقف وتفتح ابوابها الخلفية. ثم يقودو بعدها السيارات ويقتربو من الطائرة وينزلوا الركاب ويصعدوهم اليها.

حتى وقت انتشار اخبار عملية موسى الاخرى استمرت عملية النقل الجوي الصحراوية هذه دون صعوبات تذكر. كانوا ينقلون الفلاشا كل ليلة تقريبا، وفي بعض الليالي كانت تقلع طائرتان او ثلاث طائرات دفعة واحدة، بهدف اخراج اكبر عدد ممكن من الفلاشا في اقصر وقت ممكن.

لم يخل الامر من صعوبات غير متوقعة، ففي احدى المرات فوجئت شاحنة فارغة بحاجز طرق سوداني، وبما ان السائق والجالس الى جانبه لم يكونا يحملان بطاقات هوية، فقد اوقف الرجلان من قبل الجنديين السودانيين المناوبين، وقيدا ووضعا في الخيمة المجاورة. والهدف من حواجز الطرق هذه هو تتبع نشاطات متمردي الجنوب، وتتكون في العادة من جنديين لا يحملان اية اجهزة اتصال. وكانوا يتركون في موقعهم لعدة ايام في بعض الاحيان.

وحين تأخر الرجلان في العودة الى المنتجع، ارسل فريق للبحث عنهما. وحين جرى رصد مكان شاحنتهما، اعدت على عجل، خطة لانقاذهما. وهكذا سارت شاحنة المنقذين بشكل طبيعي الى الحاجز، وصرخ السائق على السجينين في الخيمة بان ينبطحا ارضا، لحظة اقتراب الجنديين السودانيين من الشاحنة، وفتح الباب الخلفي وانطلقت منه رشقات من بندقية رشاشة اردتهما قتيلين. ثم اشعل الاسرائيليون النار في الخيمة وثبّتوا صخرة على دعّاسة البنزين في الشاحنة الاخرى واطلقوها في اتجاه الصحراء ـ كي يجعلوا الامر يبدو وكأنه هجوم للمتمردين. على اية حال، مرّ الحادث دون اية مضاعفات.

والاصابة الاسرائيلية الوحيدة في هذه العملية، كان راكبا في شاحنة متجهة الى الخرطوم. مرة اخرى، فوجئت الشاحنة بحاجز للطرق، لكن عندما لم يتوقف السائق، فتح جنود العدو النار على الشاحنة، مما ادى الى مقتل الراكب، في حين واصل السائق سيره. ولم يكن لدى الجنديين السودانيين، اللذين ليس لديهما اجهزة اتصال، او وسيلة مواصلات، من امر يفعلونه اكثر من فتح النيران على الشاحنة حتى تبتعد عن الأنظار.

وفي تلك الليلة بالذات، في بداية كانون الثاني/ يناير ١٩٨٥، وصلت رسالة من اسرائيل تحمل اوامر «بطيّ» الموضوع فورا. وفي الخرطوم، حزم يهودا جيل بضع اشياء شخصية بسرعة، اضافة الى جميع وثائقه، وصعد الى اول طائرة مسافرة الى اوروبا، ومن هناك عاد الى اسرائيل. وبينما كان السياح نائمين في منتجع البحر الاحمر، حمّل الاسرائيليون جميع معداتهم على ظهر احدى السفن، ووضعوا سيارة لاندروفر وشاحنتين على متن طائرة الهيركوليز، وانسلوا بهدوء خارج البلد دون ان يلحظهم احد. اما حاييم الياز، الذي كان مسؤولا عن المنتجع فقد سقط من شاحنة في اثناء تحميلها في الطائرة وكسرت ساقه.

وبعد ساعتين ونصف، عاد الياز الى اسرائيل. ليستمتع بتملق زملائه، ويأسف لان

مسؤولا ثرثارا ومراسلا صحفيا قد اوقفا فجأة واحدة من انجح عمليات الانقاذ السرية.

ولسوء الحظ، بقي بضعة الاف من الفلاشا، دون ان تطالهم «عملية موسى». ونسب الى باروش تانغا، احد الفلاشا النشطين، قوله «لقد كان خروجنا صعباً طوال كل تلك السنين. . والآن، ونصف اهلنا ما زال هناك، فقد كشفوا سر العملية، فكيف تجرؤوا على فعل ذلك؟» .

ولم يكن ذلك شعوره وحده.

الفصل السادس عشر

تأمين ميناء

ما أن حل صيف العام ١٩٨٥، حتى أصبح الرئيس الليبي معمر القذافي عدو المصالح الغربية الأول في نظر اغلب الدول الأوروبية. وكان الرئيس ريغان هو الوحيد من بين الجميع الذي سمح للطائرات الحربية الاميركية بمهاجمته. أما الاسرائيليون فقد اعتبروه مسؤولاً عن تسهيل امدادات الاسلحة للفلسطينيين والعرب الآخرين المعارضين لهم.

ومن الصعب تجنيد الليبيين كعملاء. فالحكومات الغربية لا ترغب بوجودهم على أراضيها وهذه مشكلة في حد ذاتها. فالضرورة تتطلب تجنيدهم في اوروبا، إلا أنهم قليلوا السفر.

ولليبيا ميناءان رئيسيان: واحد في طرابلس العاصمة؛ والثاني في بنغازي على خليج سدرة شمال غربي البلاد. وكانت البحرية الاسرائيلية تراقب النشاطات الليبية، ويتم اغلبها من خلال دوريات منتظمة على طول الساحل الليبي على البحر الابيض المتوسط. وتعتبر اسرائيل مضيق جبل طارق على انه الرئة التي تتنفس منها، فهو منفذها للاستيراد والتصدير الى اميركا واغلب اقطار اوروبا.

وفي العام ١٩٨٥، كان لاسرائيل علاقات هادئة نسبياً مع الدول الواقعة على الشاطىء الجنوبي للبحر الابيض المتوسط: مصر، والمغرب، وتونس، والجزائر، لكن ليس ليبيا.

ولدى الليبيين سلاح بحري كبير فعلاً، إلا انه كان يعاني من مشكلة اساسية هي نقص القدرات البشرية الكافية لكل القطع البحرية التي اشترتها. وربما بسبب هذا النقص، اضافة لاعتبارات دولية اخرى، كان الليبيون يتجنبون الاشتباك مع الزوارق الاسرائيلية التي صادف ان تواجهوا معها في مناسبتين على الاقل.

ولدى الإسرائيليين محطة استماع فرعية في صقلية، يشاركهم فيها الايطاليون الذين يملكون محطة استماع خاصة بهم. إلا أنها لم تكن كافية، لأن الليبيين بمساندتهم لمنظمة التحرير الفلسطينية والنشاطات الفدائية الاخرى كانت تهدد السواحل الاسرائيلية. وتعتبر اسرائيل هذه السواحل «البطن الرخو» والجانب الهش من الحدود وهو المكان الذي يتجمع فيه اغلب سكانها وصناعاتها.

والجزء الاكبر من الاسلحة والذخائر التي تزود بها منظمة التحرير يأتي بالسفن من ليبيا، ويمر العديد منها عبر قبرص - او يمر عبر ما يسمى طريق المتفجرات: من طرابلس/ ليبيا الى طرابلس/ لبنان. وكان الاسرائيليون يجمعون «بعض» المعلومات عن النشاطات الليبية في ذلك الوقت عن طريق جمهورية وسط افريقيا وتشاد التي كانت تشتبك مع القوات الليبية في مناوشات حدودية.

وكان لدى الموساد بعض «المراقبين البحريين» وهم في اغلب الاحيان مدنيين يجري تجنيدهم في محطات الموساد الاوروبية كي يقوموا بالتقاط الصور في اثناء عبور سفنهم الموانىء الليبية. ولم يكن هناك خطر حقيقي من هذه العمليات التي كانت تعطي ايضاحات منظورة عما يجري داخل الميناء. لكن ما ان يصادفوا شحنة اسلحة - بطريق الصدفة ليس إلا - تصبح هناك حاجة واضحة للحصول على معلومات مفصلة عن حركة الدخول من والى مينائي طرابلس وبنغازي.

وفي لقاء ضم دائرة ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية التابعة للموساد ومدير فرع تسومات المختص بفرنسا، والمملكة المتحدة، وبلجيكا، اتخذ قرار بمحاولة تجنيد احد مراقبي الحركة في الميناء، او اي شخص آخر يعمل في مكتب رئيس المرفأ في طرابلس يمكن الوصول الى معلومات اكثر تحديداً عن اسماء واماكن تواجد السفن. ورغم ان الموساد يعرف اسماء السفن الخاصة بمنظمة التحرير فإنه لا يعرف الاماكن التي قد تتواجد فيها في تاريخ معين.

وإذا اردت اغراق هذه السفن او الاستيلاء عليها، فيجب ان تجدها اولاً. وهذا صعب ان كنت لا تعرف خط سير السفينة، أو موعد ابحارها بالضبط. فأغلبها يبقى قريباً من الشاطىء - لذلك يطلق عليها الموساد اسم «حاكّة الشاطىء» - وتتجنب الابحار في عرض البحر حيث يمكن للرادار التقاطها. ويصعب على الرادار تحديد مكان السفن القريبة من الشاطىء لأن اشارات الرادار قد تضيع بسبب التشويش الناتج عن اصطدامها بالجبال، او ان تكون السفينة في احد الموانىء خلف احد هذه الجبال ولا يمكن رؤيتها. وحتى اذا ظهرت احدى السفن على شاشة الرادار فإن هويتها تبقى غير معروفة، فهناك العديد من السفن في البحر الابيض المتوسط. فهناك الاسطول السادس الاميركي، والاسطول الروسي، وجميع انواع السفن، بما في ذلك السفن التجارية من مختلف انحاء العالم. لذلك فإن الموساد ليس حراً في فعل ما يريد. وجميع دول البحر الابيض المتوسط لديها اجهزة رادار خاصة بها، لذلك فإن الموساد ملزم ان يتوخى الحرص فيما يفعله.

اما الحصول على معلومات من داخل ليبيا، فكان الحديث عنه اسهل بكثير من تنفيذه. فإرسال شخص ما الى ليبيا لمحاولة تجنيد البعض امر في غاية الخطورة. وكان الموساد، في ذلك

الحين، قد وصل مرحلة ضرب رأسه بجدار من الطوب لشدة غيظه وانعدام حيلته في هذا المجال. وفي النهاية، اقترح احد الموجودين في الاجتماع، وهو شخص كان قد عمل «مراسلاً صحفياً» في تونس والجزائر لصحيفة «افريك ـ آسيا»، وهي صحيفة تصدر باللغة الفرنسية وتغطي الاحداث العربية، ان افضل طريقة للبدء هو الاتصال هاتفياً بميناء طرابلس لمعرفة من يستطيع تقديم المعلومات المطلوبة. وبذلك يستطيعون على الأقل حصر الهدف في نطاق اضيق.

لقد كانت واحدة من تلك الافكار البسيطة التي غالباً ما يتناساها الناس عندما ينهمكون في تفاصيل العمليات المعقدة والمضللة. لذلك تم حجز خط تلفوني، يمكن الاتصال بواسطته من تل ابيب بحيث يبدو وكأنه يعمل من خلال مكتب/ دائرة في باريس، في حالة قيام اي شخص بتتبع المكالمة. وربط بشركة تأمين فرنسية يمتلكها سايان.

قبل ان يجري الكاتسا اي اتصال مع ميناء طرابلس، اعد تغطية كاملة له على أساس انه «محقق تأمين»، وكان لديه مكتب مع سكرتيرة، تكون ما يطلق عليه اسم «بات ليفيبا» ومعناها «مرافقة»، وتكون امرأة محلية، ليس من الضروري ان تكون يهودية. تجند كعميل مساعد، وتعطى عملاً خاصاً بالنساء، وقد تكون على علم بأنها تعمل لصالح الاستخبارات الاسرائيلية من خلال سفارة البلد الذي تعمل فيه.

وترتكز فكرة العمل على مفهوم «ميكريم فِ تغوفوت» اي «الفعل ورد الفعل». وقد عرفوا الفعل لكن عليهم ان يستبقوا تصور رد الفعل. ولكل رد فعل محتمل، هناك خطة لفعل جديد. والامر اشبه بلعبة شطرنج عملاقة، باستثناء انك لا تخطط لاكثر من اثنين من ردود الفعل التاليين، لأنك ان فعلت فسوف يصبح الأمر في غاية التعقيد. وكل اللعبة جزء من مخطط عمليات منظم، يشمل كل خطوة تنفذ.

كان في الغرفة مع الكاتسا شخصان يضعان سماعات على اذانهما، مناحم دوزف رئيس شعبة منظمة التحرير التابعة للموساد، وجدعون نفتالي رئيس المحللين النفسيين في الموساد، ومهمته الاستماع ومحاولة عمل تحليل فوري للشخص الذي سيجيب على الهاتف.

لم يكن الشخص الذي أجاب على الهاتف في المرة الاولى يفهم الفرنسية، لذلك مرر المكالمة الى شخص آخر. اما الشخص الثاني الذي تكلم على الخط، فأعطى اسم الرجل المسؤول، وقال انه سيعود خلال نصف ساعة، ثم اغلق الخط.

وعندما اعاد الكاتسا المكالمة سأل عن مدير الميناء بالاسم، وحين حول الخط له قدم نفسه على انه محقق تأمين مع شركة ضمان فرنسية.

كانت تلك طلقتهم الوحيدة، ويجب ان تصيب الهدف. ويجب الا تبدو القصة قابلة

للتصديق فحسب، بل وان يبدو راوي القصة مصدقاً لها أيضاً. لذلك اخبر الكاتسا مستمعة عن نوع العمل الذي يقوم به، وانهم بحاجة للحصول على تفاصيل مختلفة عن بعض السفن في الميناء. ويريدون ان يعرفوا من هو المسؤول.

«أنا المسؤول» قالها الرجل واردف «كيف يمكنني ان اساعدك؟».

«نحن نعلم انه بين الحين والآخر تدخل سفن الى الميناء لديكم ويدعي اصحابها بأنها فقدت ان اعطبت، ونحن الشركة الضامنة، إلا اننا لا نستطيع دائماً التحقق من هذه الادعاءات مباشرة، لذلك نحتاج الى معرفة المزيد».

«وما الذي تريدون معرفته؟».

«حسناً، نريد أن نعرف ما إذا كانت قد أصلحت، وما إذا كانت محملة او غير محملة. وكما تعلمون، فليس لدينا مندوب هناك، لكننا نرغب في ان نجد شخصاً ما يرعى مصالحنا. فإن استطعت ان تجد هذا الشخص لنا فسوف نكون مستعدين ان ندفع له بسخاء».

فرد عليه الرجل، «اعتقد انني استطيع مساعدتكم»، «فهذا النوع من المعلومات لدي، ولا ارى اية مشكلة في ذلك، طالما اننا نتحدث عن حركة السفن المدنية وليس السفن العسكرية».

«ليس لدينا اي اهتمام ببحريتكم» قال الكاتسا، «فنحن لا نضمن تأمينها».

استمرت المحادثة حوالي ١٠ او ١٥ دقيقة سأل خلالها الكاتسا عن خمس او ست سفن. واحدة منها فقط من سفن منظمة التحرير كانت هناك ويجري اصلاحها. وسأل الكاتسا عن عنوان يرسل النقود اليه، وأعطى عنوانه ورقم هاتفه لمدير الميناء، وطلب منه الاتصال في اي وقت يكون لديه معلومات يعتقد انها مفيدة.

سارت الأمور بشكل جيد، وبدا مدير الميناء لطيفاً لدرجة ان الكاتسا وجد في نفسه الشجاعة ليسأله ان كان يسمح له بقبول عمل آخر، مثل وكيل لشركة التأمين خارج عمله الرسمي في الميناء.

«قد اتمكن من القيام ببعض المبيعات»، رد مدير الميناء لكن على أساس دوام جزئي، على الاقل حتى ارى كيف ستسير الأمور».

«حسناً، سوف ارسل اليك كتيباً، وبعض بطاقات العمل، وحين تسنح لك فرصة الاطلاع عليها، سوف نتحادث ثانية».

انتهت المحادثة. واصبح لديهم الآن عميل بأجر في الميناء، رغم انه لا يعلم بأنه قد جند.

كانت المهمة التالية هي دعوة دائرة المتسادا الخاصة بالاعمال لوضع تصميم لكتيب التأمين الذي وعد به الكاتسا، يكون معقولاً ويسمح لهم بجمع نوع المعلومات التي يرغبون. وخلال ايام كان الكتيب في طريقه الى طرابلس. ومن مبادىء العمل الاستخباري انك اذا اعطيت رقم هاتف وعنوان لشخص ما في عملية تجنيد، فإن الاصول تقضي بأن يبقيا حيينّ لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات، حتى وان لم تتم المرحلة الاولى من عملية التجنيد ابداً ـ ما لم يكن هناك مواجهة تعرض الكاتسا للخطر، ففي هذه الحالة يجري اغلاق كل شيء على الفور.

خلال الشهران القادمان، كان المجند الجديد يقدم تقاريره بانتظام، إلا أنه خلال احدى المكالمات ذكر انه قرأ الكتيب لكنه غير واضح في النقطة الخاصة بوكالة الشركة.

«أنا افهم ذلك»، قال الكاتسا، «اذكر اول مرة رأيتها فيها، ولم تكن مفهومة بالنسبة لي أيضاً، اسمع، متى ستأخذ اجازتك؟».

«خلال ثلاثة أسابيع».

«عظيم، بدلاً من محاولة بحث هذا الأمر على الهاتف، لماذا لا تحضر الى فرنسا على نفقتنا؟ سوف ارسل اليك التذكرة. لقد أديت لنا خدمات جيدة حتى الآن، بحيث يسرنا ان ندعوك لقضاء بعض الوقت في جنوب فرنسا، ننجز خلالها بعض الأعمال بكل سرور. وكي اكون صادقاً معك، فإن من الافضل بالنسبة لوضعنا الضرائبي ان تحضر انت الى هنا».

جرى تدريب المجند، وكان الموساد يدفع له ١٠٠٠ دولار شهرياً فقط. وخلال فترة عمله معهم قام بما لا يقل عن ثلاث رحلات الى فرنسا. كان مفيداً، إلا انه لم يكن لديه اية اتصالات خارج نطاق معرفته بالسفن التي في الميناء، لذلك كانت الفكرة هي عدم تعريضه للخطر. وبعد مقابلته شخصياً، بدا ان افضل خطة هي محاولة جره للقيام بأعمال اخرى، ومواصلة استخدامه لتقديم معلومات عن سفن منظمة التحرير.

في البدء، سألوا عن بعض السفن الداخلة الى الميناء، بزعم انها من السفن التي تضمنها شركتهم. ثم وضعوا خطة يقوم مدير الميناء بموجبها بإعطاء قائمة كاملة بجميع السفن الراسية في الميناء. ووعدوا بأن يدفعوا له ما يتلاءم مع هذه المعلومات. وقالوا بهذا الصدد، ان في امكانهم مشاطرة هذه المعلومات مع شركات ضمان التأمين الاخرى التي سيسعدها ان تدفع في مقابلها؛ ويقوموا بعد ذلك بتقاسم العائدات معه.

وهكذا عاد سعيداً الى طرابلس كي يواصل تقديم المعلومات عن حركة الميناء. وفي احدى المرات، صادف وجود سفينة لابي نضال، الذي يتزعم جبهة النضال الشعبي احدى مجموعات منظمة التحرير الفلسطينية، في الميناء يجري تحميلها بالمعدات العسكرية ـ بما في ذلك صواريخ

مضادة للطائرات تطلق من الكتف واسلحة اخرى لا ترغب اسرائيل في رؤيتها في ايدي المقاتلين الفلسطينيين قرب حدودها.

كان عناصر الموساد يعلمون عن سفينة ابي نضال من خلال تنصتهم على اتصالات منظمة التحرير، والفضل في ذلك لزلة لسان من أبي نضال الذي هو شخص متكتم في العادة. وهكذا لم يبق لديهم سوى سؤال مدير الميناء عن مكان رسو تلك السفينة وكم من الوقت ستبقى هناك. وقد بين لهم موقع السفينة، وسفينة اخرى كان يجري تحميلها بالمعدات المتجهة الى قبرص.

في ليلة صيف دافئة من عام ١٩٨٥، توقف زورقا صواريخ اسرائيليان من فئة «ساعر-٤»، كان يبدو انهما يقومان بأعمال الدورية العادية، لفترة تكفي لانزال ستة من جنود الكوماندوس، وغواصة صغيرة تدفع بالطاقة الكهربائية لها غطاء علوي، شبيهة في مظهرها باحدى طائرات الحرب العالمية الثانية المقاتلة لكن من دون الاجنحة - او طوربيد طويل له مروحة خلفية. كان يطلق عليها اسم الغواصة المبتلة، ويجلس رجال الكوماندوس تحت الغطاء وهم يرتدون ملابس الغطس ويضعون أنابيب الاوكسجين.

بعد نزولهم من زورقي الدورية، لحقوا بسرعة احدى السفن الداخلة الى الميناء وتعلقوا بها بواسطة اقراص مغناطيسية، وتمتعوا «بتوصيلة» مجانية الى الميناء.

كان غطاء الغواصة يؤمن لرجال الكوماندوس حماية ضرورية. فقد عرف الموساد من خلال حديثهم مع مدير الميناء ان قوات الأمن الليبية تقوم مرة كل خمس ساعات بقذف قنابل يدوية في الماء يؤدي انفجارها الى احداث ضغط هائل - يكفي للقضاء على اي من رجال الضفادع البشرية قد يتواجد في المنطقة. وقد عرفوا عن هذا الاجراء الامني في اثناء احدى المحادثات عندما سمع الكاتسا صوت انفجارات قريبة على الهاتف وسأل مدير الميناء عن مصدر هذه الأصوات، فأخبره بأنه اجراء روتيني في العديد من الموانىء التي هي في حالة حرب، وان سوريا واسرائيل يتبعون هذا الاجراء ايضاً.

وهكذا، انتظروا داخل غواصتهم حتى قام رجال الأمن بجولتهم المعتادة. ثم انزلقوا الى الماء بهدوء حاملين معهم الغامهم اللاصقة. وبعد لصقها بسفينتي المنظمة المحملتين، عادوا الى الغواصة. ولم يستغرق الامر اكثر من ساعتين ونصف الساعة. ورغم معرفتهم للسفن التي ستغادر الميناء تلك الليلة، فقد اتجهوا الى ناقلة نفط قرب مدخل الميناء، لكنهم قرروا ألا يتعلقوا بها لأنه سوف يصعب عليهم فك غواصتهم الصغيرة عنها اذا ما سارت الناقلة بأقصى سرعة لها.

لسوء الحظ، فقد نفذ الاوكسجين من الغواصة، وفرغت البطارية، ولم يكن حملها معهم الى ان يصلوا عرض البحر، معقولاً. لذلك ربطوها الى طافية، بحيث يستطيعوا استعادتها فيما

بعد. ثم ربطوا انفسهم بحبل واحد، وقاموا بعمل يطلق عليه اسم «عباد الشمس» والذي يعني ان يقوموا بنفخ الهواء داخل بزات الغطس بحيث تتوسع وتصبح مثل البالون، مما يسمح لهم بأن يطفوا على وجه الماء دون بذل اي جهد. حتى انهم تناوبوا النوم، وابقوا احدهم مستيقظاً للمراقبة. وبعد بضع ساعات تسلل زورق صواريخ اسرائيلي اليهم، استجابة لاشارة متصلة كانوا يطلقونها والتقطهم واعادهم آمنين.

في الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم، حدثت اربعة انفجارات قوية في الميناء، واغرقت سفينتان للمنظمة محملة بالمعدات العسكرية والذخيرة.

وقد افترض الكاتسا، بأن مدير الميناء ستنتابه الشكوك بسبب هذه التفجيرات الا ان ذلك لم يحدث، واستمر في العمل معهم مدة ثمانية عشر شهراً، الى ان اختفى في احد الأيام، دون ان يعرفوا اي خبر عنه.

الفصل السابع عشر

بيروت

لم يكن اواسط ايلول/سبتمبر ١٩٨٢ افضل ايام اسرائيل، فقد كانت صور المذبحة تعرض في كل مكان في العالم، على شاشات التلفزيون وفي الصحف والمجلات. كانت الجثث في كل مكان، رجال، ونساء، واطفال. حتى الجياد ذبحت. بعض الضحايا اطلقت النار على رؤوسهم عن قرب، والبعض الاخر ذبح ذبحا، والبعض مثل في جثثهم. بعض الشبان حشدوا في مجموعات من ١٠ او ٢٠ شخص واطلقت عليهم النار في مجموعات. والقسم الاعظم من الفلسطينيين الثمانمائة الذين قتلوا في مخيمي صبرا وشاتيلا كانوا غير مسلحين، مدنيين ابرياء سقطوا ضحية انتقام اجرامي بيد حزب الكتائب اللبناني.

رد الفعل ضد اسرائيل كان بالاجماع. ففي ايطاليا، على سبيل المثال، رفض عمال الميناء تحميل السفن الاسرائيلية. وادانت بريطانيا اسرائيل رسميا، واستدعت مصر سفيرها من اسرائيل. وكان هناك معارضة واسعة حتى داخل اسرائيل نفسها.

* * *

عند قيام دولة اسرائيل، كان لدى الاسرائيليون حلما في ان يتمكنوا من العيش بسلام وتعاون مع الدول العربية - بان تصبح دولتهم جزءا من المنطقة، يستطيع شعبها ان يعبر حدود تلك الدول فيقابلهم هؤلاء كاصدقاء. الا ان فكرة قيام حدود مفتوحة مثل الحدود الاميركية - الكندية ما زال امرا عصيا على الفهم بالنسبة للاسرائيليين.

هكذا كان الوضع في اواخر السبعينات، وفي ذلك الوقت اجرى ادموني مدير الارتباط في الموساد اتصالات متواصلة عن طريق وكالة الاسخبارات المركزية، ووسطاء اوروبيين مع الكتائبي اللبناني بشير الجميّل، وهو شخص فيه من الوحشية بقدر ما لديه من القوة. وقد اقنع الجميّل الموساد بان لبنان بحاجة الى مساعدتهم. وقام الموساد بدوره باقناع الحكومة الاسرائيلية بأن الجميّل مخلص في طلبه. وهي صورة عملوا على ترسيخها من خلال تقديم المعلومات الاستخبارية بشكل انتقائي للحكومة.

كان الجميّل يعمل لصالح الاستخبارات المركزية الاميركية، ومع ذلك كانت فكـرة ان يكون للموساد «صديق» في دولة عربية امرا مثيرا - بغض النظر عن تعامله المزدوج. اضف الى ذلك فان اسرائيل لم تخشى لبنان قط. وكانت هناك نكتة، انه لو نشبت الحرب بين البلدين فان اسرائيل سترسل فرقة موسيقى عسكرية لمحاربة لبنان.

على اية حال، كان اللبنانيون منشغلون في محاربة بعضهم البعض لدرجة لا تمكنهم من الالتفات لحرب اخرى. وكانت القوات المسيحية والاسلامية تقاتل من اجل السيطرة، وفي هذا الوضع، وبسبب الحصار المفروض على قواته، قرر الجميّل طلب المساعدة من اسرائيل. ورأى الموساد في هـذه المساعـدة فرصـة للتخلص من عدو اسـرائيل رقم واحـد، منظمـة التحريـر الفلسطينية. وطيلة الفترة التي تلت، وبعد فترة طويلة من العملية الاسرائيلية والنتائج العكسية التي تمخضت عنها بقيت الاتصالات اللبنانية في غاية الاهمية للموساد، لان رئيسه ادموني، كان الشخص الذي بدأ العملية كلها وكان يعتبرها تتويجا لانجازاته.

ولبنان اليوم، يشبه في وجوه عدة شيكاغو ونيويورك في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن، حين كانت عصابات الاجرام، او عائلات المافيا تتقاتل فيما بينها من اجل فرض سيطرتها. حين كان العنف والتفاخر هما القاعدة، ومضت فترة بدا فيها ان المسؤولين الحكوميين غير قادرين، او غير راغبين في عمل اي شيء تجاه ذلك.

وللبنان عائلاته ايضا، ولكل عائلة جيشها او مليشياتها الموالية «للشيخ». لكن الاعتبارات الدينية والولاء للعائلة كان لهما المرتبة الثانية بعد السلطة والمال المتأتي من تجارة المخدرات والعديد من النشاطات المشابهة لنشاطات المافيا، التي غذت آلة الفساد في لبنان وحـافظت عـلى حالـة الفوضى القائمة هناك.

فهناك الدروز، وهـم رابع اكبر طائفة في لبنان، وهم فرع من الطائفة الاسماعيلية، ويبلغ عددهم حوالي ٢٥٠ الف نسمـة في لبنان (و ٢٦٠ الفـا في سوريـا يدعمـونهم، و ٤٠ الفا في اسرائيل)، يتزعمهم وليد جنبلاط.

ويقوم نظام الحكم على احصاءات العام ١٩٣٢، يوم كان المسيحيون يشكلون اغلبية، لذلك ينص الدستور على ان يكون رئيس الجمهورية مسيحيا، رغم ان هناك اقرارا عامـا بان المسلمين يشكلون اليوم ٦٠ بالمئة من سكان البلاد البالغ عـددهم ٣,٥ مليون نسمـة، واكثر الطوائف عددا هم المسلمون الشيعة وتبلغ نسبتهم حوالي ٤٠ بالمئة من مجموع السكان، ويقودهم نبيه برّي. ومن القوى الهامة المقاتلة على الساحة اللبنانية منذ اوائل الثمانينات المسلمون السنة الذين [كان] يقودهم رشيد كرامي.

تنقسم القوات المسيحية الى عائلتين رئيسيتين، الجميّل، وفرنجية. وقد اسس بيار الجميّل حزب الكتائب، وكان سليمان فرنجية في يوم من الايام، رئيسا للجمهورية. وحين كان بشير الجميّل يناور كي يصبح رئيسا للجمهورية، فقد قضى على خصمه الرئيسي، طوني فرنجية، اثر هجوم في حزيران/ يونيو ١٩٧٨، على قصر العائلة الصيفي في اهدن.

وقتل الكتائبيون طوني، وزوجته، وابنتهما البالغة من العمر سنتين، وعدد من الحراس الشخصيين. والجميّل، المقاتل ذو الثقافة اليسوعية، الذي اصبح «صديقا» لاسرائيل بفضل جهود الموساد، اعتبر الحادث «ثورة اجتماعية ضد الاقطاع». وفي شباط/ فبراير ١٩٨٠ قتل انفجار سيارة ابنة الجميل البالغة من العمر ١٨ شهرا مع ثلاثة من رجال حرسه الشخصي. وفي تموز/ يوليو ١٩٨٠، قضت قوات الجميل على المليشيا المسيحية للرئيس السابق كميل شمعون زعيم حزب الوطنيين الاحرار.

وقد حكم الجميل من خلال امتياز لعائلته منذ ٣٠٠ عام في بكفيا، على الجبال شمالي شرق بيروت. وقد جمعت العائلة ملايين لا حصر لها من عملية احتيال بدأت عندما فازت العائلة بعقد لانشاء طريق يمر عبر الاراضي الجبلية. واشتمل العقد طويل الامد على فرض رسوم للصيانة للحفاظ على الطريق واصلاحه. وقد قبضت العائلة الاموال اللازمة لانشاء الطريق، وطيلة سنوات، كانت تحصل الاموال من اجل صيانتها. لكن المشكلة الوحيدة كانت انهم لم ينشئوا ذلك الطريق قط. وكانوا يحصلون الاموال الخاصة بالصيانة بحجة انهم ان لم يفعلوا ذلك، فسوف يأتي شخص ما ليحقق ويكتشف ان لا وجود لذلك الطريق.

على اية حال، كان الجميل في الخامسة والثلاثين من عمره فقط عندما انتخبه البرلمان لفترة رئاسة مدتها ست سنوات في ايلول/ سبتمبر ١٩٨٢. الا انه لم يعش طويلا ليمارس مهام المنصب. وقد كان في ذلك الوقت المرشح الوحيد. وعندما لم يحضر الجلسة الخاصة لانتخابه سوى ٥٦ نائبا ـ اقل من النصاب القانوني بستة نواب ـ قامت الميليشيا التابعة له بجمع ستة من النواب الرافضين بالقوة، وفاز باغلبية ٥٧ صوتا مقابل لا شيء، وامتناع ٥ عن التصويت. وقد بعث اليه بيجن ببرقية تهنئة بدأها بجملة «صديقي العزيز».

واضافة الى العائلات الحاكمة، كان هناك حشد من العصابات المستقلة. يقود اغلبها شخصيات نابضة بالحياة والوحشية في الوقت نفسه، مثل الالكتروني، والشواية (Toaster)، والكاوبوي، وكرة النار (Fireball)، والملك. وحصل الالكتروني على اسمه بعد اصابته برصاصة في عنقه من قبل السوريين. فارسل الى اسرائيل للعلاج وركب له جهاز صوت الكتروني في حنجرته. اما الشواية، فكان عندما يقبض على شخص لا يعجبه يربطه الى مصدر كهربائي عالي التوتر ويشويه فعلا. اما كرة النار فاسمه ينطبق عليه تماما، فقد كان مهووسا بالحرارة،

ويحب ان يرى المباني تحترق. اما كاوبوي، فيبدو كاحد شخصيات افلام هوليود عن الغرب الاميركي. وهو يرتدي قبعة رعاة البقر ويضع على وسطه حزاما مع مسدسين. اما الملك، فصدق او لا تصدق، انه يعتقد نفسه الفس بريسلي، تصفيفة شعره مثله، ويحاول ان يتكلم الانجليزية بنخّنة مماثلة لنخّنته، واعتاد ان يشنف اذان عائلته باغاني الفيس.

وكان افراد العصابات هذه يتجولون في سيارات مرسيدس و «بي م دبليو». ويرتدون افضل الملابس الحريرية الباريسية. وهم دوما يتناولون افضل الاطعمة. ولا يهم ان كانوا تحت الحصار طيلة ستة اشهر، فهم ما زالوا يتناولون المحار في وجبات الافطار. وفي ذروة حصار بيروت عام ١٩٨٢، حاول صاحب مطعم لبناني شراء غواصة المانية غير صالحة، ليس للمشاركة في الحرب، بل لاحضار الاطعمة الطازجة والنبيذ من اوروبا لمطعمه.

واضافة للنشاطات الاجرامية التي كانوا يقومون بها لحسابهم، كانت هذه العصابات تؤجر نفسها للعائلات الرئيسية، وتقوم بمهام مثل اقامة حواجز الطرق. وعلى سبيل المثال، كان الوصول الى مقر الحكومة في تلك الايام يتطلب من الرئيس المرور خلال حاجزين من هذه الحواجز، ويدفع مرتين.

وفي بيروت، يستطيع الناس ان يحيوا حياة طيبة، لكن لا احد يعلم كم ستطول. ولا يوجد مكان في العالم تبدو النهاية فيه قريبة مثل بيروت. وهو ما يفسر سبب ان هؤلاء المتورطين مع العائلات والعصابات يعيشون حياتهم حتى الثمالة، طالما كان في امكانهم العيش. وحسب افضل التقديرات، يعيش ٢٠٠ الف شخص حياة باذخة، وهذا يترك اكثر من مليون انسان في بيروت وضواحيها يكدون في سبيل الحصول على متطلبات عائلاتهم الضرورية تحت ظروف مستحيلة.

وفي العام ١٩٧٨، طلب بشير الجميل، صاحب الوجه الطفولي، من خلال حلقة اتصاله بالموساد شراء اسلحة اسرائيلية، في خضم خلافه مع عائلة فرنجية. (لم يكن طوني فرنجيه على علاقة جيدة بالموساد). وقد باعهم الموساد اسلحة بطريقة لم يسبق لها مثيل.

كانت مجموعة من الكتائبيين تتدرب في قاعدة حيفا العسكرية عام ١٩٨٠ على طريقة تشغيل القوارب المسلحة من نوع «دابور» التي تصنع في اسرائيل من قبل احدى شركات صناعة الاسلحة مركزها، من بين جميع الاماكن في البلاد، بئر السبع، وهي مدينة تحيطها الصحراء، وتقع في منصف الطريق بين البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر. وعندما انهوا تدريبهم وصل قائد البحرية المسيحية اللبناني، وهو يرتدي البزة الحريرية اللماعة التقليدية، الى حيفا بواسطة قارب يرافقه ثلاثة من حرسه الشخصي وثلاثة من مسؤولي الموساد، وكانوا يحملون عددا من الحقائب. فقد اشترت قوات الجميل خمسة من هذه القوارب بسعر ٦ ملايين دولار لكل واحد

منها، ودفعوا ثمنها بالعملة الاميركية ـ نقدا، احضروه معهم في الحقائب. واخذوا معهم القوارب الى جونيه، المرفأ الساحلي الجميل على المتوسط شمالي بيروت..

وعندما فتحت الحقائب، طلب قائد البحرية اللبنانية من مسؤول الموساد ان يعدها ان اراد. فرد عليه «لا، اننا نصدقك»، «لكن ان كنت مخطئا، فانت رجل ميت». وقد عدّوها بعد ذلك وكان المبلغ كاملا.

ويستخدم الكتائبيون «بحريتهم» هذه في الابحار قريبا من الشاطيء بسرعة خمس عقدات ـ حوالي ميل واحد في الساعة ـ في الجهة المقابلة لغربي بيروت ويطلقون نيران بنادقهم الرشاشة على المسلمين، وهي عملية قتّلت مئات المدنيين الابرياء، دون ان يكون لها تأثير فعلي على مجرى العمليات العسكرية.

نظرا لعلاقاته القوية بالموساد، وافق الجميّل على السماح لاسرائيل باقامة محطة رادار بحرية في جونية عام ١٩٧٩، مع طاقم من ٣٠ فردا من افراد البحرية الاسرائيلية ـ هي اول بنية مادية لاسرائيل في لبنان. وكان وجود هذه المحطة يشد من عضد الكتائب، نظرا لان المسلمين ـ والسوريين على وجه الخصوص ـ لم يكونوا تواقين الى الاشتباك مع اسرائيل. وجرت معظم جلسات المفاوضات الخاصة بمحطة الرادار بين الموساد والجميل في مجمع عائلته السكني شمالي بيروت. ودفع الموساد مبلغا يتراوح ما بين ٢٠ الى ٣٠ الف دولار شهريا للجميل في مقابل اتعابه.

وفي الوقت نفسه، كان لاسرائيل صديقا اخر في جنوب لبنان ـ الرائد سعد حداد، وهو مسيحي قاد مليشيا مكونة من المسيحيين والمسلمين الشيعة، وكان تواقا لاخراج منظمة التحرير الفلسطينية من جنوب لبنان، مثله في ذلك مثل اسرائيل. وكان مستعدا للتعاون حين يحين وقت التحرك ضد عرفات.

وكان يطلق على محطة الموساد في بيروت اسم «الغواصة»، التي اتخذت لها مكانا يقع قرب الحدود بين بيروت الشرقية التي يسيطر عليها المسيحيون، وبيروت الغربية التي يسيطر عليها المسلمون. وكان عدد الاشخاص العاملين في هذه المحطة لا يقل، في اي وقت من الاوقات، عن عشرة اشخاص، سبعة او ثمانية منهم كاتسا، وواحد او اثنين من الوحدة ٥٠٤، وهي التنظيم الاسرائيلي العسكري المعادل للموساد، كانا يتقاسمان المكان مع الباقين.

في بداية الثمانينات، تعمق تورط الموساد مع مختلف العائلات اللبنانية المتحاربة، كانوا يدفعون للمعلومات، ويمررونها بين الجماعات المختلفة، وكانوا يدفعون حتى للعصابات الصغيرة، وبعض الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين، في مقابل خدمات ومعلومات استخبارية. واضافة لعائلة الجميّل كان هناك عدة عائلات معروفة على لائحة دفعات الموساد.

كان الموقف ما يطلق عليه الاسرائيليون اسم «جلبه» وهي كلمة عربية معناها «فوضى مقرونة بالضجيج». وفي ذلك الوقت ازدادت الفوضى شدة، بعد البدء في خطف المواطنين الغربيين. ففي تموز/ يوليو ١٩٨٢، على سبيل المثال، اختطف دافيد دودج، ٥٨ سنة، الذي كان يعمل كرئيس للجامعة الاميركية في بيروت، من قبل اربعة مسلحين في اثناء سيره من مكتبه الى منزله في الحرم الجامعي.

وكان يطلق على الطريقة الشائعة في نقل الرهائن تعبير «نقل المومياء» ومعناها لف الرهينة باحكام بواسطة شريط بلاستيكي لاصق من رأسه حتى اصابع قدميه، ويترك له فتحة تحت انفه يتنفس منها ثم يوضع «الطرد» في صندوق السيارة او تحت احد المقاعد. وكان العديد من هؤلاء الضحايا يتركون حتى يموتوا. وعندما كان الخاطفون يصادفون حاجزا اقامته مجموعة منافسة، كانوا يشيرون الى قول لبناني مأثور معناه ان الامر رهيب فقط ان اصابك.

* * *

وهكذا جرت الامور، الموساد يحرك حلقات اتصاله اللبنانيون، ووزير الدفاع الاسرائيلي اريل شارون ـ الذي يصفه الاميركيون بانه «صقر بين الصقور» ـ يحرض على القتال، والضغوط تتزايد على بيجن، واخيرا حانت ساعة اخراج منظمة التحرير من الجنوب اللبناني، التي كانت تستخدم مواقعها لاطلاق القذائف وشن الغارات على المستعمرات الاسرائيلية القريبة من الحدود الشمالية.

في حرب يوم كيبور (يوم الغفران) عام ١٩٧٣ حيّا الجنود الاسرائيليون شارون بقولهم «اريك، اريك، ملك اسرائيل». وشارون، البالغ طوله خمسة اقدام وستة بوصات، ووزنه ٢٣٥ رطلا، يطلق عليه في اغلب الاحيان اسم «البولدوزر» بسبب شكله، كان في الخامسة والعشرين من عمره عندما قاد هجوم كوماندوس قتل العشرات من الاردنيين الابرياء، مما اضطر دافيد بن غوريون، اول رئيس وزراء لاسرائيل الى الاعتذار علنا عن فعلة شارون. وكاد موشى دايان ان يقدمه لمحكمة عسكرية لرفضه الاوامر خلال حرب سيناء عام ١٩٥٦، عندما شن هجوما بقوات المظلات اودى بحياة العشرات من الجنود الاسرائيليين.

قبل اشهر من الغزو الاسرائيلي للبنان، ساورت منظمة التحرير الشكوك في ان الحرب قريبة، وقد امر عرفات بوقف قصف المستعمرات الاسرائيلية. ومع ذلك ففي خريف عام ١٩٨٢ حشدت اسرائيل قوات الغزو قرب الحدود الشمالية اربع مرات وفي كل مرة كانت تتراجع في اللحظة الاخيرة. والسبب الرئيسي لذلك هو ضغوط الولايات المتحدة. وقد اكد بيجن للاميركيين انه اذا ما قامت اسرائيل باي هجوم فان جنودها لن يجتازوا نهر الليطاني، على بعد ١٨

ميلاً الى الشمال من الحدود، لابعاد منظمة التحرير عن المستعمرات الاسرائيلية. ولم يحفظ بيجن وعده، ونظراً للسرعة التي وصلت فيها القوات الاسرائيلية الى بيروت، فقد كان واضحاً انه لم يكن ينوي الحفاظ على ذلك الوعد.

وفي ٢٥ نيسان/ابريل ١٩٨٢، انسحبت اسرائيل من الثلث الاخير من سيناء، التي كانت قد احتلتها خلال حرب الايام الستة عام ١٩٦٧، التزاماً منها باتفاق كامب ديفيد المصري - الاسرائيلي للعام ١٩٧٩.

وبينما كانت الجرافات الاسرائيلية تدمر ما بقي من المستعمرات الاسرائيلية في سيناء، خرقت اسرائيل وقف اطلاق النار على الحدود اللبنانية البالغ طولها ٦٣ ميلاً، الذي كان قد ابرم في تموز/يوليو ١٩٨١. وكانت اسرائيل قد غزت لبنان عام ١٩٧٨ بقوة قوامها ١٠ الاف رجل و ٢٠٠ دبابة الا انها فشلت في اخراج منظمة التحرير الفلسطينية.

في صبيحة يوم احد مشمس في الجليل، السادس من حزيران/يونيو ١٩٨٢ اعطى مجلس وزراء بيجن لشارون الاذن بغزو لبنان. وفي ذلك اليوم، اتجه الليفتنانت جنرال الايرلندي وليم كالاغان قائد قوات الامم المتحدة المؤقتة في لبنان (UNIFL) الى القيادة الامامية للجبهة الشمالية الاسرائيلية في زيفات لمناقشة قرار مجلس الامن الداعي الى وضع حدّ لعمليات القصف عبر الحدود بين منظمة التحرير واسرائيل. وبدلاً من اجراء النقاش المتوقع، ابلغه رئيس الاركان الاسرائيلي رفائيل ايتان، بان اسرائيل سوف تغزو لبنان في غضون ٢٨ دقيقة. وبالفعل اجتاح ٦٠ الف جندي واكثر من ٥٠٠ دبابة لبنان في الحملة سيئة الطالع التي اخرجت حوالي ١١ الف مقاتل فلسطيني من البلاد، الا انها لطخت صورة اسرائيل عالمياً وكبدت اسرائيل ٤٦٢ قتيلاً و ٢٢١٨ جريحاً.

خلال الثماني والاربعين ساعة الاولى من الهجوم دمر الكثير من قوة منظمة التحرير، رغم المقاومة الشديدة التي ابدوها في صيدا، وصور، والدامور. ورد بيجن على رسالتين مستعجلتين من ريغان طلبتا عدم مهاجمة لبنان بالقول ان اسرائيل تريد دفع منظمة التحرير بعيدا عن حدودها، وكتب اليه قائلا، «ان المعتدين علينا المتعطشين للدماء هم على عتبة بابنا»، «الا نملك حقا اساسيا في الدفاع عن انفسنا».

وبينما كان الاسرائيليون يهاجمون منظمة التحرير في الجنوب، اتصلت قواتهم بقوات الكتائب المسيحية من ضواحي بيروت. وفي البدء رحب السكان المسيحيون بهم كمحررين، ورشوهم بالارز، والزهور، والحلويات. وقبل ذلك كانوا قد احكموا الطوق على بضعة آلاف من الفدائيين الفلسطينيين ومعهم ٥٠٠ الف شخص من سكان بيروت الغربية. اما بالنسبة للجنود

الاسرائيليين فلم تكن اقامتهم في لبنان كلها حرب حيث سنحت لهم فرصة قضاء وقت ممتع في احدى القرى خارج بيروت.

الا ان القصف المدمر تواصل، وفي اواسط آب/ اغسطس، ووسط انتقادات متزايدة محلية ودولية من انهم يقتلون المدنيين، قال بيجن، «سنفعل ما يجب علينا فعله. بيروت الغربية ليست مدينة، انها هدف عسكري محاط بالمدنيين».

واخيرا، وبعد عشرة اسابيع من الحصار، سكتت المدافع واخلى الفدائيون الفلسطينيون المدينة، مما حدا برئيس الوزراء اللبناني انذاك شفيق الوزان الى القول «لقد بلغنا نهاية الاحزان». وقد تعجل القول.

في نهاية آب/ اغسطس وصلت الى بيروت قوة صغيرة اميركية ـ فرنسية ـ ايطالية، لحفظ السلام، الا ان الاسرائيليون واصلوا تشديد قبضتهم على المدينة المحصنة.

وفي يوم الثلاثاء، ١٤ ايلول/ سبتمبر ١٩٨٢ وفي تمام الساعة الرابعة وثماني دقائق بعد الظهر. انفجرت قنبلة زنتها ٢٠٠ رطل في الطابق الثالث من مبنى قيادة حزب الكتائب اللبنانية شرقي بيروت، جرى تفجيرها عن بعد، قتلت الرئيس المنتخب بشير الجميل و ٢٥ شخصا اخرين بينما كان ما يقارب المئة شخص من اعضاء الحزب يعقدون اجتماعهم الاسبوعي المعتاد. وحل امين الجميل في رئاسة الجمهورية بدلا من شقيقه بشير.

ونسبت عملية التفجير الى حبيب الشرتوني، ٢٦ سنة، وهو عضو في الحزب القومي السوري، المنافس للكتائب.

وحيث ان وكالة الاستخبارات المركزية قد ساعدت في الجمع بين الجميل والموساد، فان للولايات المتحدة اتفاق مشاركة في المعلومات الاستخبارية(وهذا الامر في صالح الموساد في المقام

MOSSAD PAY SHEET INDICATING MONTHLY SALARY PAID TO VICTOR OSTROVSKY

(THE FORM INDICATES ITS ORIGINS IN THE OFFICE OF THE PRIME MINISTER)

الاول، حيث انهم لا يتقاسمون سوى ادنى قدر من المعلومات مع المنظمات الاخرى)، وحيث ان الموساد تنظر الى وكالة الاستخبارات المركزية على انها «لاعب لا يستطيع اللعب»، فليس هناك شك من انها متنبهة للدور العربي في اغتيال الجميل.

وقد تورط حبيقة، الذي كان يكره بشير الجميل ويرغب في احراجه، في صراع داخلي شديد على السلطة ووجه اليه اللوم لفشله في حماية بشير الجميل.

في الساعة الخامسة من مساء يوم ١٦ ايلول/ سبتمبر جمع حبيقة قواته في مطار بيروت الدولي وتحرك الى مخيم شاتيلا، بمساعدة مشاعل جيش الدفاع الاسرائيلي، ثم بمساعدة الدبابات ومدافع الهاون الاسرائيليةُ فيها بعد. وفي ذلك الحين ادعى بيان صحفي لمجلس الوزراء الاسرائيلي بان قوات جيش الدفاع الاسرائيلي «قد اتخذت مواقع لها في بيروت الغربية لمنع مخاطر العنف، واراقة الدماء، والفوضى».

وفي اليوم التالي، منح حبيقة تصريحا اسرائيليا باحضار كتيبتان اضافيتان الى المخيمين. وكانت اسرائيل تعلم بأن المذبحة قائمة على قدم وساق. بل ان القوات الاسرائيلية اقامت مواقع ملاحظة على عدد من البنايات التي تعلو بارتفاع سبعة طوابق عند دوار السفارة الكويتية وبذا كان في استطاعتهم مشاهدة المجزرة دون اي عائق.

استثارت هذه المذبحة ودور اسرائيل فيها غضب الولايات المتحدة، وتصاعدت الحرب الكلامية بين ريغان وبيجن. وفي بداية تشرين اول/ اكتوبر اعاد ريغان ١٢٠٠ جندي من مشاة البحرية الاميركية الى بيروت، وذلك بعد ١٩ يوما من مغادرتهم لها. وانضموا الى ١٥٦٠ مظلي فرنسي و ١٢٠٠ جندي ايطالي وذلك ضمن قوة لحفظ السلام.

***

طيلة ذلك الوقت، كانت محطة الموساد منهمكة فى عملها. وكان احد مخبري الموساد الذين يطلق عليهم لقب «طائر النوّء» (طائر بحري صغير، يعني هنا مخبر يغيب فترات ويعود بمعلومة ما) (مثل التعبير الانجليزي «الحمامة المغوّية»). ولهذا المخبر روابط مع كراج محلّي متخصص في تجهيز السيارات لاغراض التهريب. وعلى سبيل المثال، كان العديد من العسكريين الاسرائيليين يهربون الفيديوات والسجائر المعفاة من الرسوم من لبنان ويجنوا ارباحا ضخمة في اسرائيل حيث تصل نسبة الضرائب على هذه المواد ما بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ بالمئة. لذلك كان الموساد يمرر معلومات خاصة بهذا الموضوع الى الشرطة العسكرية الاسرائيلية وتم نتيجة لذلك احباط العديد من محاولات التهريب.

في صيف العام ١٩٨٣ ابلغ هذا المخبر الموساد عن شاحنة مرسيدس كبيرة يجري تزويدها

من قبل مسلمين شيعة بمساحات يمكن وضع قنابل فيها، وقال ان هذه المساحات اكبر من المساحات المعتادة بكثير وبالتالي فان المقصود بهذه القنابل لا بد ان يكون هدفاً رئيسيا. وهكذا عرف الموساد انه نظرا للحجم فان هناك عددا قليلا من الاهداف المحتملة، وأحد هذه الاهداف لا بد ان يكون المجمع السكني للقوات الاميركية. وكان السؤال هل ننذر الاميركيين بان يكونوا على حذر من شاحنة لها اوصاف تلك الشاحنة ام لا.

كان القرار اهم من ان يتخذ في محطة بيروت، لذلك مرر الى تل ابيب، حيث قرر ادموني رئيس الموساد ان يوجهوا للاميركيين تحذيرا عاديا عاما، ملاحظة غامضة بان لديهم اسباب للاعتقاد بان شخصا يخطط لعملية ضدهم، الا ان ذلك مغرق في عموميته، وامر عادي جدا، وهو اشبه بارسال تقرير عن حالة الطقس؛ ولا يحتمل ان يثير اي استنفار او ان يحث على زيادة الاحتياطات الامنية. وعلى سبيل المثال، كان هناك خلال الاشهر التي سبقت هذه المعلومة اكثر من مئة تحذير عام عن هجمات بالسيارات الملغومة. وتحذير اضافي ما كان ليزيد من اهتمام الاميركيين او احتراسهم.

وقال ادموني في معرض رفضه اعطاء معلومات محددة للاميركيين عن الشاحنة، «لا، لسنا هنا لحماية الاميركيين، ان بلادهم كبيرة. أرسلوا فقط المعلومات المعتادة».

وفي الوقت نفسه تلقت جميع المنشآت الاسرائيلية التفصيلات المحددة وأنذروا لمراقبة شاحنة تطابق أوصافها شاحنة المرسيدس.

في الساعة ٦,٢٠ من صباح يوم ٢٣ تشرين اول/ اكتوبر ١٩٨٣ اقتربت شاحنة مرسيدس كبيرة من مطار بيروت، ومرت من أمام خفراء اسرائيليون يحرسون قاعدة مجاورة لهم، ومرت من خلال نقطة تفتيش لبنانية ثم استدارت يساراً نحو موقف للسيارات. وصرخ حارس من المارينز محذراً من وجود شاحنة تستجمع سرعتها، لكن قبل ان يتمكن من فعل اي شيء انطلقت نحو مبنى السلامة الجوية المكون من أربعة طوابق من الاسمنت المسلح، والذي كانت تستخدمه كتيبة المارينز الثامنة كمركز قيادة لها، محطمة البوابة المصنوعة من الحديد المزخرف، وازاحت من طريقها موقع الحرس المحاط بأكياس الرمل، واكتسحت حاجزاً آخر وانطلقت فوق جدار من اكياس الرمل الى الردهة قبل ان تنفجر بقوة رهيبة حولت البناء على الفور الى كومة من الركام.

بعد ذلك بعدة دقائق، اندفعت شاحنة اخرى بعنف الى مقر قيادة المظليين الفرنسيين في بئر حسن، وهي منطقة سكنية مطلة على البحر لا تبعد اكثر من ميلين عن المجمّع الاميركي، وضربته بقوة ازاحت البناء بأكمله مسافة ٣٠ قدماً وقتلت ٥٨ جندياً.

وكان مقتل ٢٤١ جندياً من المارينز، كان اغلبهم ما زالوا نائمين في أسرتهم عند حدوث

العملية الانتحارية، هي اكبر خسارة يتعرض لها الاميركيون في يوم واحد، منذ بداية هجوم التيت الفيتنامي يوم ١٣ كانون ثاني/ يناير ١٩٦٨، حيث خسروا في ذلك اليوم ٢٤٦ قتيلاً.

وخلال ايام، مرر الاسرائيليون الى وكالة الاستخبارات المركزية اسماء ١٣ شخصاً قالوا ان لهم علاقة بالهجوم على قوات المارينز، والمظليين الفرنسيين، وضمت القائمة اسماء من الاستخبارات السورية، وايرانيين موجودين في دمشق والشيعي الشيخ محمد حسين فضل الله.

وفي قيادة الموساد، كان هناك تنهيدة ارتياح لاننا لم نكن نحن من تلقى الضربة كما اعتبرت الامر حادثاً بسيطاً ـ كوننا علمنا به ولم نخبر أحداً ـ والمشكلة هي اننا لو سربنا معلومات، وجرى تتبع هذه المعلومات فإن مخبرنا سوف يقتل ولن نعرف بعدها ما اذا كنا على قائمة العمليات.

اما الاتجاه العام عن الاميركيين بين عناصر الموساد فكان «آه، يريدون حشر انوفهم في هذا الشأن اللبناني، فليدفعوا الثمن».

بالنسبة لي، كانت تلك اول مرة أتلقى فيها توبيخاً رسمياً من رئيس في الموساد، ضابط الارتباط امي ياعر، وقلت في ذلك الوقت ان الجنود الاميركيون الذين قتلوا في بيروت سوف يثقلوا على ضمائرنا اكثر مما لو كان هؤلاء القتلى من قواتنا، لأنهم جاؤوا الى البلاد بنية حسنة، لمساعدتنا في الخروج من هذه الفوضى التي خلقناها نحن انفسنا. وقد طلبوا مني ان: «اخرس، انك تتكلم من منطلق ارتباطاتك معهم، اننا نقدم للاميركيين اكثر بكثير مما يقدموا لنا». وهم دائما يقولون ذلك الا انه غير صحيح. فأغلب المعدات الاسرائيلية اميركي، والموساد يدين لهم بالكثير.

في خلال كل هذه الاحداث، تواصلت عمليات خطف الغربيين واصبح آخرون رهائن جدد لمختلف الطوائف. ففي احد أيام اواخر آذار/مارس ١٩٨٤ غادر وليم باكلي رئيس محطة وكالة الاستخبارات المركزية في بيروت، والمسجل رسميا على انه ضابط سياسي في السفارة الاميركية، شقته في بيروت الغربية واختطف عند نقطة مسلحة من قبل ثلاثة جنود شيعة. واحتجز بعد ذلك لمدة ثمانية عشر شهرا قبل ان ينفذ فيه حكم بالاعدام، وقد كان في الامكان انقاذه.

وللموساد فكرة جيدة عن اماكن وجود الرهائن والجهات التي اختطفتهم كونتها من خلال شبكة واسعة من المخبرين. وحتى لو لم يعرف مكان وجود الرهائن فإن معرفة الجهة التي اختطفتهم يعتبر امراً حاسما، والا فانك قد تجد نفسك تتفاوض مع اناس ليس لديهم اي رهائن. وهناك حكاية اللبناني الذي طلب من احد مساعديه ايجاد شخص يفاوضه على احد الرهائن. وعندما سأله المساعد «من اي بلد هو رهينتك؟»، كان الجواب «اوجد انت بلداً يفاوضني وسوف احضر انا الرهينة».

والاشخاص من مستوى باكلي على درجة عالية من الاهمية لأن لديهم الكثير من المعارف. وانتزاع المعلومات منه قد يعني حكما بالاعدام على العديد من العاملين في انحاء مختلفة من العالم. واعلنت جماعة تطلق على نفسها اسم منظمة الجهاد الاسلامي مسؤوليتها عن الاختطاف. وكان بيل كاسي، مدير وكالة الاستخبارات المركزية متلهفا على انقاذ باكلي لدرجة انه ارسل فريقاً من الخبراء المتخصصين في تحديد اماكن ضحايا الاختطاف تابعاً لمكتب التحقيقيات الفدرالية خصيصاً الى بيروت من اجل العثور عليه. لكن بعد مضي اكثر من شهر لم يتوصلوا الى اي شيء. وبعدها منعت السياسة الرسمية للولايات المتحدة الاميركية التفاوض لدفع فدية للرهائن، ومع ذلك خصص كاسي مبلغاً كبيراً من المال تدفع للمخبرين او لشراء حرية باكلي.

ولم يطل الامر كثيرا قبل ان تلجأ وكالة الاستخبارات المركزية الى الموساد طلباً للعون. فبعد اختطاف باكلي طلب ضابط ارتباط وكالة الاستخبارات المركزية في تل ابيب من الموساد ان تقدم اكبر قدر ممكن من المعلومات عن باكلي وبعض الرهائن الآخرين.

في حوالي الساعة ١١,٣٠ من صباح احد الأيام طلب مذياع داخلي (انتركوم) من جميع العاملين في مبنى قيادة الموساد الابتعاد عن الطابق الأول والمصعد لمدة ساعة واحدة بسبب وجود ضيوف. وتمت مرافقة اثنين من مسؤولي وكالة الاستخبارات المركزية الى الداخل، واصطحبوا الى الطابق التاسع حيث مكتب ادموني. واخبرهم رئيس الموساد انه يستطيع ان يعطيهم كل ما لدى الموساد، لكن ان ارادوا شيئا محدداً، فان عليهم ان يمروا من خلال رئيس الوزراء، «لأنه رئيسنا». والواقع ان ادموني كان يريد طلبا رسميا كي يتمكن من قبض ثمن الجميل فيما بعد، ان لزم الأمر.

على اية حال، قدم الاميركيون طلبا رسميا من خلال سفيرهم في تل ابيب الى رئيس الوزراء، شمعون بيرس. وهذا بدوره اصدر التعليمات الى ادموني باعطاء وكالة الاستخبارات كل ما يمكن ان يساعد في مسألة الرهائن الاميركيين. وطلبا كهذا يتضمن عادة بعض القيود ـ مثل القول «سوف نقدم لك كل ما يمكن من معلومات، طالما ان ذلك لا يؤذي موظفينا» ـ لكن في هذه الحالة لم تكن هناك اية قيود، مما يدل دلالة واضحة على مدى الاهمية التي توليها كل من الولايات المتحدة وبيرس لموضوع الرهائن.

من الناحية السياسية قد تكون هذه الأمور في غاية الخطورة، ولا شك ان ادارة ريغان تذكر تماما الاضرار السياسية التي لا يمكن اصلاحها والاهانة التي عانى منها جيمي كارتر عندما احتجز الاميركيون رهائن في ايران بعد سقوط الشاه.

أكد ادموني لبيرس انه سيفعل كل ما في وسعه لمساعدة الاميركيين. «ان لدي مشاعر طيبة بهذا الصدد»، واضاف «قد يكون لدينا معلومات تساعدهم». اما الحقيقة فلم يكن لديه اية نية

للمساعدة.

استدعي اثنان من مسؤولي وكالة الاستخبارات المركزية للمقابلة في دائرة سايفانيم وهي الدائرة المختصة بمنظمة التحرير الفلسطينية. وتم اللقاء في «المدراشة» او الاكاديمية. وحيث ان اسرائيل تعتبر منظمة التحرير عدوها الرئيسي لذلك فان الموساد تعتبر انه اذا كان هناك من امر يمكن ان تلقي بمسؤوليته على منظمة التحرير، فانها تكون قد ادت واجبها. لذلك راحت تحاول إلقاء اللوم على منظمة التحرير في اعمال الخطف مع علمها الاكيد ان لا علاقة لمنظمة التحرير بهذه الاعمال، بما في ذلك اختطاف باكلي.

واستمراراً في التظاهر بمحاولة المساعدة ألصق رجال السايفانيم الخرائط على طول جدران القائمة وقدموا للاميركيين قدرا كبيرا من البيانات حول اماكن تواجد الرهائن؛ ورغم انه كان يتم نقلهم الى اماكن جديدة من وقت الى آخر، فان للموساد فكرة عامة جيدة عن الاماكن التي قد ينقلوا اليها. واسقط الموساد الكثير من التفاصيل التي جمعوها من مصادرهم، واخبروا الاميركيين انه من الصورة العامة يمكنهم ان يقرروا ما اذا كان ضروريا البحث في التفاصيل. وكان كل ذلك جزء من اتفاق غير مكتوب، الا انه نظام يقوم على رد الدين، تقديم خدمة اليوم ثم المطالبة بخدمة ما مقابلها في المستقبل.

وبعد انتهاء الاجتماع، ارسل تقرير شامل الى ادموني، ومن جهتهم عاد الاميركيون لمناقشة الموضوع مع رؤسائهم. وعادوا بعد يومين بحثا عن معلومات اكثر تحديدا على جواب اعطي لهم في الايجاز الاولي، اعتبروا انه اشبه بماسة خامة بحاجة الى صقل، فطلبوا التحدث مع المصدر.

«انس الامر»، قالها رجل الموساد واردف «لا احد يكلم مصادرنا».

«حسناً» قال رجل الوكالة، «هذا منصف، ماذا لو كلمنا ضابط القضية؟».

يحمي الموساد شخصيات كاتساتة بحزم، وهم ببساطة لا يمكن ان يغامروا بكشفهم للآخرين. فمن يدري متى يمكن التعرف عليهم نتيجة لكشف هويتهم، وكاتسا يعمل في بيروت اليوم قد ينتهي الى العمل في اي مكان آخر غدا. وقد يصطدم برجل وكالة الاستخبارات المركزية ويفسد عملية كاملة. ومع ذلك فقد كان هناك عدة وسائل لترتيب مناظرة مع الكاتسا دون ان يروه. كأن يتحدثوا من خلف ستار مع تغيير نبرات الصوت. لكن الموساد لم يكن لديهم اية نيّة ان يكونوا متعاونين الى هذا الحد. ورغم الأوامر المباشرة من «رئيسهم» بيرس، فقد قال مسؤولي السايفانيم ان عليهم مراجعة الامر مع قيادة الموساد.

بدأ الموظفون يتهامسون في قيادة الموساد ان ادموني معكر المزاج. وراحوا يتداولون النكات

عنه، ويقولون ان عشيقته، التي هي ابنة رئيس تسومت معكرة المزاج ايضاً وانها هي التي عكرت مزاجه. واثناء الغداء في ذلك اليوم كان الجميع يتحدثون عن موضوع الرهائن. ونقل عن ادموني قوله، وهو قول يبدو انه قد بولغ فيه بعض الشيء، «هؤلاء الاميركيون المخنثون، ربما يريدون منا ان نحرر لهم الرهائن ايضا، هل هم مجانين؟».

على أية حال، كان الجواب هو لا، ولا يستطيع رجال وكالة الاستخبارات مقابلة أي كاتسا. واكثر من ذلك، أبلغ الاميركيون بأن المعلومات التي قدمت لهم قديمة وتخص قضية اخرى مختلفة تماماً، ولا علاقة لها مطلقاً بقضية باكلي. ولم يكن هذا صحيحاً. إلا أنهم امعنوا في تزيين قصتهم بأن طلبوا من الأميركيين ان يتناسوا تلك المعلومات بهدف انقاذ حياة الرهائن الآخرين، والأدهى من ذلك انهم وعدوا بمضاعفة جهودهم لمساعدة الأميركيين.

وقد قال العديد من الموظفين بأن الموساد سيندم على عمله هذا في يوم من الأيام. إلا ان الأغلبية كانوا سعداء. وكان الاتجاه العام يقول «آه، لقد اريناهم، لن يضربنا الاميركيون على قفانا. نحن الموساد، نحن الأفضل».

كان الاهتمام بقضية باكلي والرهائن الاخرين هو الذي حث كاسي على ان يلتف حول نظام الكونغرس الاميركي وان يتورط في خطة لتزويد ايران باسلحة محظورة في مقابل سلامة الرهائن الاميركيين، والتي تمخضت عن فضيحة ايران ـ كونترا. فلو كان الموساد متعاونا من البدء، لكان قد انقذ حياة باكلي واخرين، وربما امكن تجنب الفضيحة السياسية الاميركية الكبرى. وقد رأى بيرس بوضوح ان من مصلحة اسرائيل ان تتعاون، الا ان الموساد ـ ادموني على وجه الخصوص ـ كان لديه مصالح اخرى يتابعها دون هوادة.

كانت المأساة النهائية للتورط الاسرائيلي في لبنان والذي حرضت عليه الموساد، ان اغلاق محطتهم «الغواصة» في بيروت قد ادى الى انهيار شبكتهم بالكامل في لبنان، وقتل العديد من عملائهم، وامكن تهريب البعض من هؤلاء العملاء الى الخارج بنجاح.

واسرائيل لم تبدأ الحرب في لبنان كما انها لم تنهيها. والامر اشبه بلعبة «بلاك جاك» في كازينو، انت لا تبدأ اللعب فيه ولا تنهي. الا انك موجود في الميدان، لكن اسرائيل لم تربح شيئا من تواجدها.

خلال تلك الفترة، كان مستشار بيرس عن الارهاب رجل اسمه عاميرام نير. فعندما شك بيرس بان الموساد لم تكن متعاونة كما يجب مع الاميركيين قرر استخدام نير كضابط ارتباط بين البلدين، وهي حركة دفعت نير الى الاتصال مع المقدم الاميركي اوليفر نورث، احد الشخصيات الرئيسية في فضيحة ايران ـ كونترا. وكان دور نير في مخطط الامور هو انه حمل الكتاب المقدس

الشهير الذي وقعه رونالد ريغان عندما زار نورث ومستشار الامن القـومي الاميركي السـابق روبرت ماك فارلين ـ مستخدمين جوازات سفر ايرلندية مزورة ـ ايران سرا في ايار / مايو ١٩٨٦ لبيع اسلحة. واستخدمت ارباح تلك الصفقة لشراء اسلحة لثوار الكونترا في نيكاراغوا الذين تدعمهم الولايات المتحدة.

وكان نير دون شك، رجلا ذو اتصالات ومعارف داخلية واسعة. ولعب دورا اساسيا في القبض على مختطفي السفينة السياحية «اكيلي لاورو» عام ١٩٨٥، وقد اوجز لنائب الرئيس الاميركي (مدير وكالة الاستخبارات الاميركية سابقا) جورج بوش المفاوضات الخاصة بالاسلحة لايران.

ونسب الى نير قوله انه اشرف مع نورث على عدد من العمليات المضادة للارهـاب عام ١٩٨٥ و ١٩٨٦، التي اجازها اتفاق سري اميركي ـ اسرائيلي. وفي تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٥ كان نير هو الذي اوحى لنورث بفكرة تحقيق ارباح من مبيعات السلاح الى ايران بهدف تغطية نفقات عمليات سرية اخرى.

ازداد تورط نير في كل تلك القضايا، واصبح اكثر تآمرا، بسبب علاقته برجل الاعمال الايراني الغامض مانوشير غوربانيفار. وكان بيل كاسي مدير وكالة المخابرات الاميركية قد حذر نورث من انه في حكم المؤكد ان غوربانيفار عميل للاستخبارات الاسرائيلية. ومع ذلك فقد اعد نير مع غوربانيفار للحصول على مساعدة من ايران لاطلاق سراح القس لورانس جينكو يوم ٢٩ تموز/ يوليو ١٩٨٦، وهو اميركي كان محتجزا لدى جماعات لبنانية متطرفة وبعد ايام من اطلاق سراح جينكو، اوضح نير لبوش ضرورة مقابلة العمل الايراني بشحن الاسلحة الى ايران.

وكان غوربانيفار مصـدر معلومات لـوكالـة الاستخبارات المـركزيـةمنذ العـام ١٩٧٤، وهوالرجل الذي نشر الاشاعات حول وجود فرق ليبية ضاربة ارسلت الى الولايات المتحدة لقتل ريغان، في العام ١٩٨١. وبعد ذلك بعامين، وبعد ان تبين ان تلك الشائعات «مفبركة»، انهت الوكالة وضعه كمصدر للمعلومات، واصدرت في العام ١٩٨٤ «اشعار حرق» رسمي يحذر من ان غوربانيفار «مفبرك اشاعات موهوب».

ومع هذا كان غوربانيفار هو الذي رتب «القـرض الجسر» بقيمـة ٥ ملايـين دولار من الملياردير المعروف عدنان خاشقجي للتغلب على ازمة عدم الثقة بين ايران واسرائيل في صفقة السلاح. وكان الخاشقجي شخصيا قد جرى تجنيده كعميل للموساد قبل ذلك بعدة سنوات. والواقع ان صورته الاستعراضية التي كتب عنها الكثير قد فصّلت في اسرائيل. ولم يكن الخاشقجي يتقاضى راتبا منتظما من الموساد كما يفعل العملاء النظاميون، لكنه كان يستخدم نقود الموساد في

العديد من استثماراته. وكان يحصل على القروض كلما واجه ازمة او ضائقة مالية. كما ان مبالغ كبيرة من اموال الموساد كانت تمر من خلال شركات الخاشقجي، التي انشيء العديد منها بالتعاون مع اليهودي عوفاديا غاون وهو ثري كبير من اصل مغربي مقيم في فرنسا، والذي كان غالبا ما يلجأ اليه عند الحاجة الى مبالغ كبيرة.

المهم، ان ايران رفضت الدفع الا بعد تسلم الاسلحة، ورفضت اسرائيل ارسال ٥٠٨ صواريخ «تاو» المضادة للدبابات الا بعد تسلم ثمنها، لذلك كان ذلك القرض عن طريق الخاشقجي ضروريا لاتمام المعاملة. وبعد تلك الصفقة بفترة وجيزة اطلق سراح رهينة اميركي اخر هو القس بنجامين وير، وكان هذا دليل اخر للاميركيين على انه بالرغم من مواهبه في الكذب، فان في مقدور غوربانيفار اطلاق رهائن من خلال اتصالاته مع ايران. وفي ذلك الحين، كانت اسرائيل قد باعت سرا ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار من الاسلحة لايران أية الله الخميني. لذلك ليس هناك مجال للشك في ان نير وشريكه غوربانيفار قد استغلوا هذا النفوذ لابتزاز صفقات كان الرهائن الاميركيون جزءا من ثمنها.

في ٢٩ تموز/ يوليو ١٩٨٦ تقابل نير مع بوش في فندق الملك داود في القدس. وقد سجلت وقائع اللقاء في مذكرة من ثلاث صفحات غاية في السرية كتبها كريج فولر رئيس اركان بوش وتستشهد بأن نير اخبر بوش عن التورط الاسرائيلي بقوله «لقد تعاملنا مع اكثر العناصر تطرفا [في ايران] لاننا علمنا ان في مقدورهم اطلاق سراح الرهائن، بينما لا يستطيع المعتدلون ذلك. وقد ادعى ريغان على الدوام انه يتعامل مع «المعتدلين» الايرانيين في ارسال الاسلحة الى ايران. واخبر نير بوش بان الاسرائيليين «قد مهدوا الطريق، واعطوا العملية شكلها، وزودوها بقاعدتها المادية، وزودوها بالطائرات».

وكان من المنتظر ان يكون نير شاهدا رئيسيا في محاكمة اوليفر نورث عام ١٩٨٩ الخاصة بفضيحة ايران ـ كونترا، خاصة بعد ان ادعى بانه قد اشرف هو ونورث على نشاطات مضادة للارهاب خلال العامين ١٩٨٥ و ١٩٨٦ التي اجيزت بموجب اتفاق سري بين اسرائيل والولايات المتحدة. وكان من الممكن ان تكون شهادته محرجة جدا ليس لادارة ريغان فحسب، بل وفي ابراز حجم الدور الذي لعبته اسرائيل في مجمل القضية.

على اية حال، في ٣٠ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٨، وبينما كان نير محلقا في طائرة من طراز «سيزنا ت ٢١٠» فوق مزرعة على بعد ١١٠ اميال الى الغرب من مكسيكو تحطمت الطائرة وقتل نير مع الطيار، اما الثلاثة الاخرون، فقد اصيبوا بجراح طفيفة بمن فيهم الكندية ادريانا ستانتون، ٢٥ سنة، من تورونتو التي ادعت الا علاقة لها بنير. على اية حال، قال المكسيكيون بأنها «سكرتيرته» و «مرشدته» وانها تعمل مع مؤسسة على علاقة بنير، اما هي فرفضت التعليق بشيء.

كان نير قد ذهب الى المكسيك في محاولة لتسويق «الافوكادو». وفي ٢٩ تشرين ثاني/ نوفمبر زار معملا لتغليف الافوكادو في ولاية «ميشواكان» غربي المكسيك. وحجز جصة مالية كبيرة في المعمل. وبعد ذلك استأجر طائرة خاصة صغيرة ليطير بها الى مدينة مكسيكو مستخدما اسما مستعارا هو بات ويبر وقتل بعد ذلك كما تقول البيانات الرسمية. وقد تعرف على «جثته» شخص ارجنتيني غير معروف اسمه بيدرو كروشيت، الذي عمل لدى نير وكان موجودا في المكسيك بصفة غير مشروعة. واخبر الشرطة بانه فقد بطاقة هويته في مصارعة للثيران، ورغم ذلك فقد سمح له برعاية جثة نير.

اضف الى ذلك، اكدت التقارير الاصلية التي اصدرها مكتب المدعي العام للولاية بان نير وستانتون كانا يسافران تحت اسماء مستعارة رغم انهما في رحلة عمل مشروع. وفي وقت لاحق قال احد المفتشين في مطار المغادرة بان التقارير غير صحيحة، ولم يعطي احد تفسيرا لهذه الغلطة.

شارك اكثر من الف شخص في جنازة نير في اسرائيل وتحدث وزير الدفاع يتسحاق رابين في معرض تأبينه عن «مهمته التي لم يكشف النقاب عن وجهتها للقيام باعمال سرية وعن الاسرار التي احتفظ بها في قلبه».

وفي الفترة التي وقع بها حادث نير، ذكر ان مسؤولا في الاستخبارات لم يفصح عن اسمه قال في صحيفة «تورونتو ستار» انه لا يصدق ان نير قد مات. بل يعتقد بان نير غير ملامح وجهه بجراحة اجراها في جنيف، «حيث العيادات جيدة، وخاصة، ومتكتمة».

ومهما كان مصير نير فان في امكاننا ان نخمن مقدار الضرر الذي كان سيجلبه على ادارة ريغان وعلى الحكومة الاسرائيلية فيما لو شهد في جلسات الاستماع والمحاكمات الخاصة بقضية ايران ـ كونترا.

خلال تحقيقات اللجنة الخاصة المنبثقة عن مجلس الشيوخ الاميركي في تموز/ يوليو ١٩٨٧، اوصت مذكرة كتبها نورث الى مستشار الأمن القومي السابق الاميرال جون بويندكستر بتاريخ ١٥ ايلول/ سبتمبر ١٩٨٦، ومنع نشرها لاسباب امنية، بان يناقش بويندكستر صفقة الاسلحة مع كاسي ثم يطلع الرئيس ريغان عليها.

وكان بويندكستر الوحيد من بين المتهمين السبعة في فضيحة ايران ـ كونترا الذي حكم عليه بالسجن يوم ١١ حزيران/ يونيو ١٩٩٠، لمدة ستة اشهر مع التوبيخ الشديد من قاضي المقاطعة هارولد جرين الذي قال بان بويندكستر يستحق الحبس بصفته «الرأس المدبر للقرارات في عملية ايران ـ كونترا».

وفي الثالث من اذار/ مارس ١٩٨٩ غُرّم روبرت ماك فارلين مبلغ ٢٠ الف دولار، اضافة

لابقاءه مدة سنتين تحت المراقبة بعد ان اعترف بأنه مذنب في اربعة جنح منها حجب المعلومات عن الكونجرس. وفي ٦ تموز/ يوليو ١٩٨٩، وبعد محاكمة مثيرة في واشنطن غرّم اوليفر نورث مبلغ ١٥٠ الف دولار، وامر بأن ينفذ ١٢٠٠ ساعة عمل في خدمة المجتمع، بعد ان وجده المحلفون يوم ٤ ايار/ مايو مذنبا في ثلاثة من اصل ١٢ تهمة. كما حكم على نورث بالسجن ثلاثة سنوات مع وقف التنفيذ، وان يبقى تحت المراقبة لمدة سنتين.

وتبين مذكرة نورث الى بويندكستر اهمية دور نير في الفضيحة في فصل يقول: «لقد بين عاميرام نير المساعد الخاص لرئيس الوزراء (شمعون) بيرس في شؤون مكافحة الارهاب، انه خلال ١٥ دقيقة من المحادثات الخاصة مع الرئيس، فأن من المتوقع ان يثير بيرس عدة مواضيع حساسة».

وحتى ذلك التاريخ كان قد اطلق ثلاث رهائن اميركيين بعملية لها علاقة بمبيعات السلاح، وهم جينكو،ووير، ودافيد جاكوبسون.

وتقول المذكرة تحت بند «رهائن»: «قبل بضعة اسابيع، ابدى بيرس قلقه من ان تكون الولايات المتحدة تنوي وضع حدّ للجهود الحالية مع ايران. ويرى الاسرائيليون في مسألة الرهائن عقبة لا بد من تخطيها للوصول الى علاقات استراتيجية اوسع مع الحكومة الايرانية».

«ومن المحتمل ان بيرس سيسعى للحصول على تأكيدات بان الولايات المتحدة سوف تواصل العمل في «المبادرة المشتركة» والتي لولا المساعدة الاسرائيلية لما كان وير او جينكو احرارا اليوم. . وسيكون عونا لنا لو ان الرئيس شكر بيرس على مساعدتهم القيمة».

ويبدو ان ريغان قد قدم الشكر، ومن المحتمل اكثر ان يكون بيرس قد رد الشكر لريغان، جزئيا على الاقل، بترتيب «ميتة» ملائمة لنير لتجنب شهادته بشكل عام.

ومن الصعب التحقق من مسألة موت نير، لكن نظرا للظروف المريبة ـ وحقيقة ان مروجي الاسلحة الاسرائيليين كانوا يسربون الاسلحة والتدريب عبر الكاريبي الى تجارالمخدرات الكولومبيين في ذلك الحين ـ فان من غير المحتمل ان يكون نير قد مات.

وقد لا نكون على يقين بخصوص هذه المسألة ابدا. الا اننا نعرف انه لو كان الموساد اكثر تعاونا بالمعلومات الاستخبارية المتعلقة بالرهائن الاميركيين والاوروبيين لما حدثت فضيحة ايران ـ كونترا ابدا.

خاتمة

يوم ٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٧ اصطدمت شاحنة عسكرية اسرائيلية مع عدد من السيارات في غزة وقتلت ٤ من العرب وجرحت ١٧ اخرين. وقد اثار الحادث احتجاجات شديدة في اليوم التالي خاصة بعد ان سرت شائعات تقول ان الحادث كان انتقاماً متعمداً لمقتل موظف اسرائيلي طعناً بالسكاكين في غزة يوم ٦ كانون الأول/ديسمبر.

في اليوم التالي، اغلق المتظاهرون الغزيون الطرقات بالمتاريس والاطارات المحترقة. وقذفوا القوات الاسرائيلية بالحجارة، وقنابل مولوتوف، والقضبان الحديدية. وبعد ذلك بيومين امتدت التظاهرات الى مخيم اللاجئين الفلسطينيين في بلاطة قرب مدينة نابلس في الضفة الغربية.

ويوم ١٦ كانون الأول استخدمت قوات مكافحة الشغب الاسرائيلية الخاصة مدافع الماء للمرة الاولى ضد المتظاهرين، وارسل عدد كبير من الجنود الاسرائيليين الى قطاع غزة، في محاولة لاخماد الاضطرابات المتزايدة.

وبعد ذلك بيومين، وبعد صلاة الجمعة اندفع الشبان الفلسطينيون من المساجد لمواجهة الجنود الاسرائيليون في معارك مطاردة في الشوارع. فقتل ثلاثة اخرون من العرب. بعد ذلك اقتحمت القوات الاسرائيلية مستشفى الشفاء في غزة واعتقلوا عشرات الجرحى العرب، واعتدوا بالضرب على الاطباء والممرضات الذين حاولوا حماية مرضاهم.

وهكذا بدأت الانتفاضة.

وفي ١٦ ايار/مايو ١٩٩٠، اتهم تقرير من ١٠٠٠ صفحة، رعاه الفرع السويدي «لصندوق انقذوا الاطفال» ومولته مؤسسة فورد، اسرائيل بالعنف ضد الاطفال الفلسطينيين بطريقة تتسم «بالقسوة وعدم التمييز، والتكرار». وقدر التقرير ان عدداً يتراوح ما بين ٥٠ الفاً و ٦٣ الفاً من الاطفال قد عولجوا من جراح بما في ذلك ٦٥٠٠ شخص اصيبوا بعيارات نارية. ويقول التقرير ان اغلب الاطفال الذين قتلوا لم يكونوا يشاركون في قذف الحجارة عندما اطلقت عليهم النار، وان خُمس الحالات التي حققت بها اظهرت ان الضحايا قد اصيبوا داخل منازلهم او على بعد ٣٠ قدماً من بيوتهم.

وما زالت الانتفاضة تزداد اشتعالاً، ولا يبدو في الافق أي نهاية لها. وحتى شهر تموز/يوليو ١٩٩٠، اوردت وكالة الاسوشيتدبرس ان ٧٢٢ فلسطينياً قتلوا من قبل الاسرائيليين، في مقابل ٤٥ اسرائيلياً قتلوا في عمليات انتقامية.

وخلالَ العام ١٩٨٩، ارسلت اسرائيل ١٠ الاف جندي الى غزة والضفة الغربية في محاولة لحفظ النظام، وفي نيسان/ابريل انخفض الرقم الى ٥ الاف جندي.

وفي ١٣ شباط /فبراير ١٩٩٠ ذكر تقرير لصحيفة «وول ستريت جورنال» ان دراسة لبنك اسرائيل قدرت خسائر اسرائيل خلال العامين الاولين من الانتفاضة باكثر من مليار دولار خسائر اعاقة التنمية والانتاج، اضافة الى انها كلفت ٦٠٠ مليون دولار نفقات القوات التي وجهت لقمعها.

ويكتظ قطاع غزة الذي لا تزيد مساحته عن ١٤٦ ميلاً مربعاً باكثر من ٦٠٠ الف فلسطيني، يذهب اكثر من ٦٠ الفاً منهم في كل يوم الى اسرائيل للعمل، يكدحون بشكل رئيسي في الاعمال الصعبة منخفضة الاجر، ويعودون كل ليلة الى بيوتهم لانه يحظر عليهم المبيت في اسرائيل.

وفي ١٦ آذار/مارس ١٩٩٠، اسقط الكنيست حكومة رئيس الوزراء يتسحاق شامير باغلبية ٦٠ صوتاً مقابل ٥٥، وهي المرة الاولى التي تسقط فيها حكومة اسرائيلية بحجب الثقة عنها. وحدث ذلك بعد رفض شامير قبول خطة اميركية لبدء محادثات سلام فلسطينية ـ اسرائيلية.

وفي ٧ حزيران/يونيو، شكل شامير وحزب الليكود اليميني حكومة ائتلافية مع بعض الاحزاب الصغيرة التي اعطيت حقيبتين وزاريتين فيما اعتبره المراقبون اكثر الحكومات تطرفاً في تاريخ اسرائيل، مما مكن شامير من مواصلة سياساته في اقامة المستوطنات في المناطق المحتلة ورفض الحوار مع الفلسطينيين.

وفي ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر وفي اختتام اجتماع استمر اربعة ايام في الجزائر، اعتبر المجلس الوطني الفلسطيني منظمة التحرير الفلسطينية بمثابة برلمان في المنفى، واعلن قيام دولة فلسطين المستقلة، وصوت لاول مرة على قبول قرارات الامم المتحدة التي تعترف ضمناً بحق اسرائيل في الوجود.

خلال هذه الفترة الطويلة من الاضطرابات تعرضت صورة اسرائيل في الخارج لاضرار خطيرة. ورغم الجهود الاسرائيلية المتزايدة للتعتيم على التقارير والانباء الصادرة من الضفة والقطاع، الا ان صورة الجنود المسلحين وهم يضربون الفلسطينيين العزل ويطلقون النار عليهم بدأت تزعج حتى اقوى مؤيدي اسرائيل.

بعد ثلاثة ايام من خسارة شامير في التصويت على عدم الثقة بحكومته، قال الرئيس

الاميركي السابق جيمي كارتر في اثناء جولة له في المنطقة بان الثورة «قد تواصلت، جزئياً بسبب سوء معاملة الفلسطينيين» من قبل الجنود الاسرائيليين، بما في ذلك القتل غير المبرر، ونسف البيوت، والاعتقال دون محاكمة.

وقال كارتر «لا توجد عائلة واحدة في الضفة الغربية لم يحبس احد افرادها الذكور من قبل السلطات العسكرية».

وتظهر ارقام الجيش الاسرائيلي ان ما بين ١٥ الى ٢٠ الف فلسطيني قد جرحوا وان ٥٠ الفاً قد اعتقلوا، وان ١٣ الفاً منهم بقوا في السجن.

وفي محاولة متعمدة لاثارة الجالية المسيحية يوم ١٢ نيسان/ابريل ١٩٩٠، وخلال اسبوع عيد الفصح قامت مجموعة من ١٥٠ شخصاً من اليهود القوميين المتعصبين باحتلال مجمع من ٤ مباني يضم ٧٢ غرفة، يعرف باسم تكية سان جون في قلب الحي المسيحي في القدس. وتبعد التكية بضعة ياردات عن كنيسة القبر المقدس التي يقدسها المسيحيون على اعتبار انها تضم قبر السيد المسيح.

وانكرت الحكومة اي دور لها في هذه الحادثة طيلة عشرة ايام. ثم اعترفت في النهاية انها اعطت المجموعة سراً مبلغ ١ر٨ مليون دولار كي تقوم باستئجار المجمع من الباطن، ويمثل المبلغ ٤٠ بالمئة من قيمة الايجار.

وقد اقترح السيناتور روبرت دول خلال مقابلة معه، في اثناء جولة له في اسرائيل، على الولايات المتحدة ان تفكر في قطع المعونات الضخمة التي تقدمها الى اسرائيل لتوفير الاموال للديموقراطيات الجديدة في اوروبا الشرقية واميركا اللاتينية.

في اول اذار/مارس ١٩٩٠، قال وزير الخارجية الاميركية جيمس بيكر ان ادارة الرئيس بوش مستعدة للتفكير في تقليص المساعدات الخارجية الى اسرائيل ودول اخرى لمساعدة الديموقراطيات الجديدة. وقد اغضب بيكر شامير عندما ربط بين قرض بقيمة ٤٠٠ مليون دولار تُقدمه الولايات المتحدة وتجميد اقامة المستوطنات في الضفة الغربية.

وربما كان افضل دليل على سلوكيات الجناح اليميني الاسرائيلي هو قضية الكاهن موشي ليفنجر الشهيرة، وهو قائد حركة المستوطنين اليهود اليمينية المتطرفة، الذي حكم عليه بالسجن لمدة ستة اشهر في حزيران/يونيو ١٩٩٠ بتهمة الاهمال: فقد اطلق النار على عربي وقتله.

كان ليفنجر يقود سيارته في الخليل يوم ٧ تشرين الأول اكتوبر ١٩٨٨ عندما القى شخص ما حجراً على السيارة، فقفز من السيارة وراح يطلق النار فقتل عربياً كان يقف داخل دكان الحلاقة الخاص به. وخلال احدى الجلسات، اقترب ليفنجر من المحكمة وهو يلوح بمسدسه فوق رأسه

ويقول بان له «الحق» في قتل عربي. وبعد صدور الحكم عليه حمل الى السجن على اكتاف حشد من مؤيديه.

وقال الكاهن موشي تسفي نيريا مدير المدرسة الدينية «بناى اكيفا»، خلال محاضرة حول تصرفات ليفنجر «انه ليس وقت التفكير، بل وقت اطلاق النار يساراً ويميناً».

اما القاضي حاييم كوهن، وهو قاض متقاعد من المحكمة العليا الاسرائيلية فقال، «الطريقة التي تسير بها الأمور الان، تجعلني أتساءل الى اين نتجه. فانا لم اسمع قط عن شخص حوكم بتهمة الاهمال بعد قتل شخص ما بدم بارد. لا بد انني قد اصبحت عجوزاً».

الانتفاضة وما تمخض عنها من انحلال الضوابط الاخلاقية والانسانية هي نتيجة مباشرة لذلك النوع من جنون العظمة التي تميزت بها عمليات الموساد ومن هنا يبدأ كل شيء. من الشعور ان في وسعك ان تفعل ما تريد، فيمن تريد وبالقدر الذي تريده، لانك تملك القدرة على القيام به.

ان اسرائيل تواجه اليوم اعظم تهديد في تاريخها. وهو امر لا يمكن السيطرة عليه، وفي اسرائيل يواصلون ضرب الفلسطينيين، ويقول شامير بهذا الصدد «انهم يجعلون منا قساة، وهم يجبروننا على ضرب الاطفال، اليسوا فظيعين ؟» هذا هو ما يحدث بعد سنوات وسنوات من السرية؛ وبعد سنوات من سياسة «نحن على حق، فلنكن على حق، مهما كلف الامر». وتعمدْ تضليل المسؤولين، وتبرير العنف والوحشية عن طريق الغش، او كما يقول شعار الموساد: «عن طريق الخداع».

انه مرض بدأ في الموساد وانتشر في الدوائر الحكومية وامتد في العديد من قطاعات المجتمع الاسرائيلي.

هناك العديد من العناصر داخل المجتمع الاسرائيلي تعارض هذا المنزلق، الا ان اصواتهم لا تسمع.. ومع كل خطوة الى اسفل، تصبح مواصلة النزول اسهل، والتوقف اصعب بكثير.

ان اكبر لعنة يمكن ان يوجهها كاتسا الى اخر في الموساد، هي الامنية البسيطة: «ارجو ان اقرأ عنك في الصحف».

وربما كانت تلك افضل طريقة لتصحيح الامور، ولهذا نشرت هذا الكتاب.

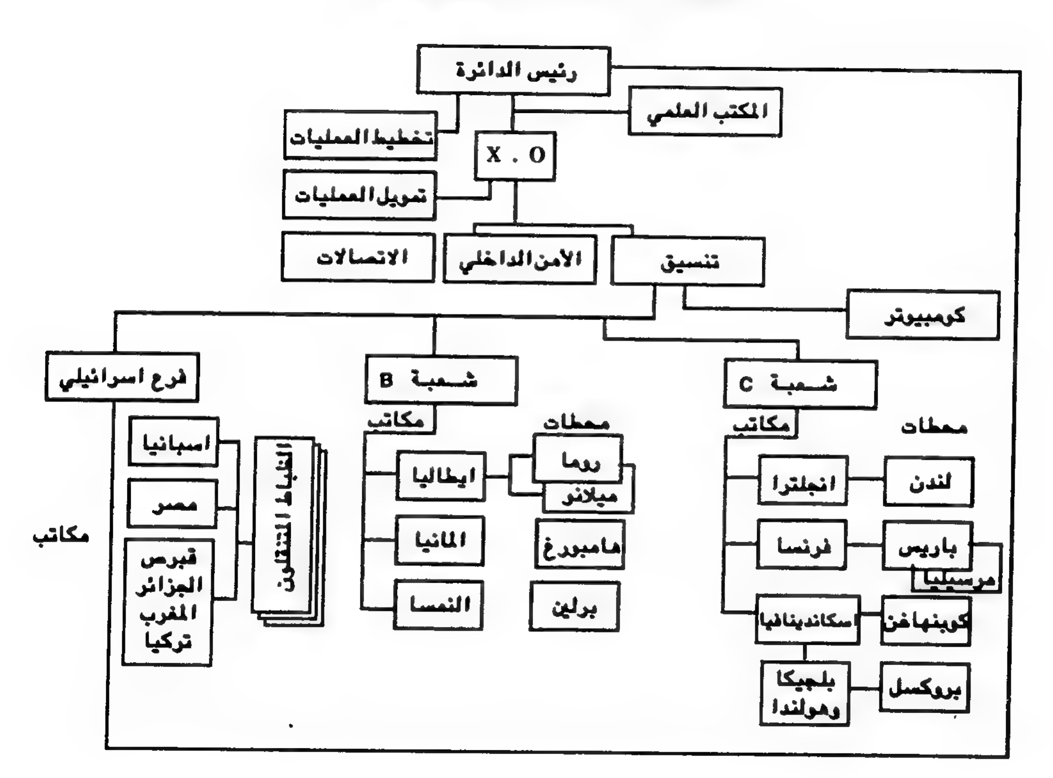
ملحق المخططات والوثائق

MOSSAD ORGANIZATIONAL CHART

مخطط تنظيمي لجهاز الموساد

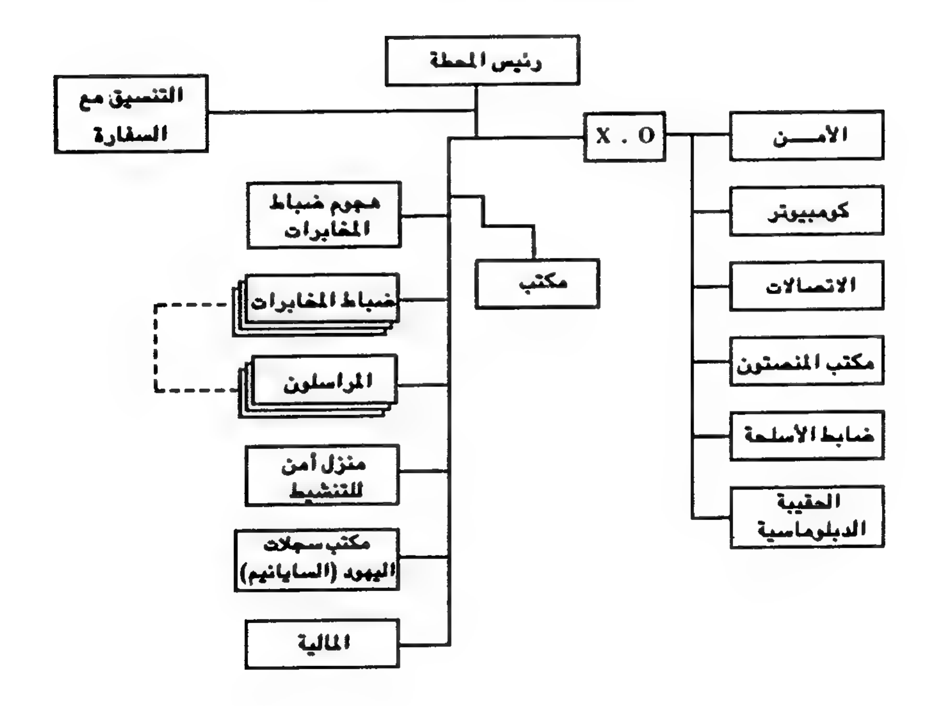
المخطط التنظيمي لدائرة تجنيد الضباط « تسومت »

TSOMET ORGANIZATIONAL CHART

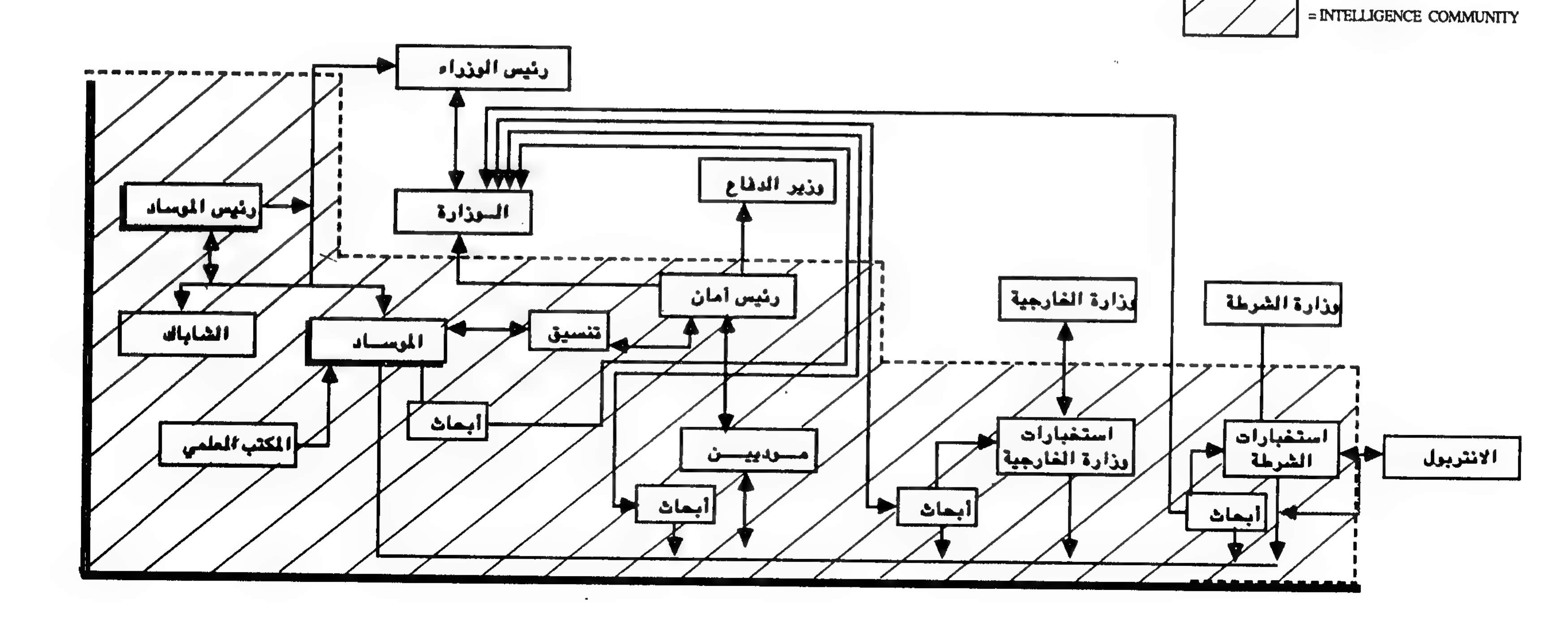


تنظيم لمحطة الموساد

ORGANIZATION OF A STATION

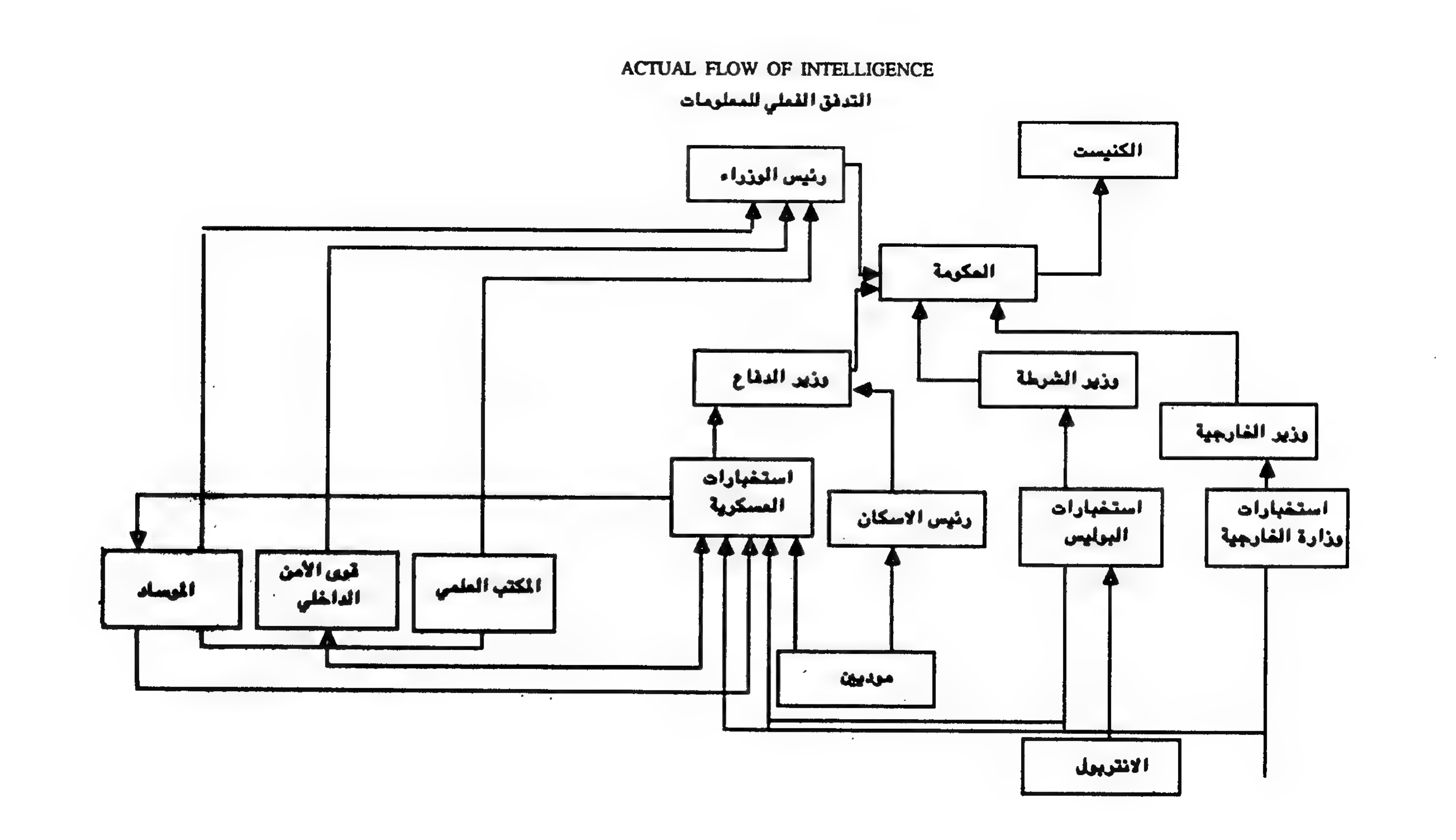


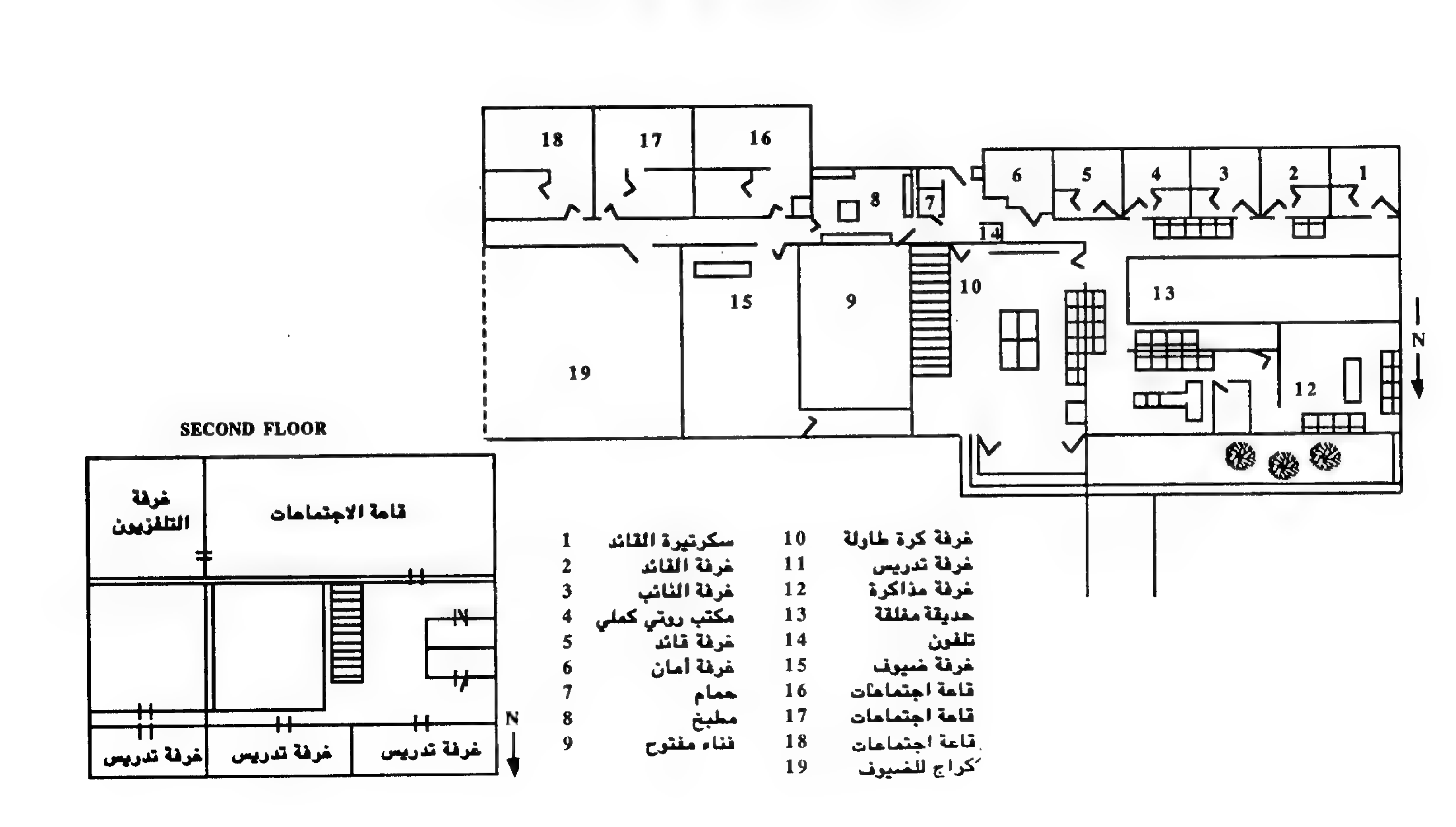
التسلسل الرسمي للاستخبارات
OFFICIAL FLOW OF INTELLIGENCE



ACTUAL FLOW OF INTELLIGENCE

التدفق الفعلي للمعلومات




مخطط لمدرسة الموساد
LAYOUT OF THE MOSSAD ACADEMY
1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19
N
SECOND FLOOR
غرفة التلفزيون
قاعة الاجتماعات
غرفة تدريس
غرفة تدريس
غرفة تدريس
N
1 سكرتيرة القائد
2 غرفة القائد
3 غرفة النائب
4 مكتب روتي كملي
5 غرفة قائد
6 غرفة أمان
7 حمام
8 مطبخ
9 فناء مفتوح
10 غرفة كرة طاولة
11 غرفة تدريس
12 غرفة مذاكرة
13 حديقة مغلقة
14 تلفون
15 غرفة ضيوف
16 قاعة اجتماعات
17 قاعة اجتماعات
18 قاعة اجتماعات
19 كراج للضيوف

ملحق رقم (٢)
استبيان جهاز الاستخبارات العسكري حول الاستعدادات العسكرية السورية

(هذه ترجمة لوثيقة حقيقية اعطيت لعميل سوري رفيع المستوى قبل مغادرته اوروبا عائداً الى سورية) .

فيما يلي شرح لمعلومات عسكرية لشخص ذاهب الى بلد مستهدف وهي مرتبة بشكل تنازلي حسب الأهمية . استخدم تقييمك الخاص لاسقاط المواضيع التي يصعب على المصدر الاجابة عنها .

حالة التأهب والانذارات :

١ ـ كيف تحدد كل حالة من حالات الاستعداد للقوات البرية السورية وكيف تظهر من خلال المؤشرات التالية ؟

أ ـ تواجد الجنود في القواعد .
ب ـ روتين التدريب .
جـ ـ الجهوزية العملية للمعدات .
د ـ كميات الاسلحة والذخائر .

٢ ـ ما هي استعدادات الجيش السوري للحرب بناء على الأسس التالية ؟

أ ـ القوة البشرية في الوحدات .
ب ـ مستوى فاعلية المعدات .
جـ ـ مستوى المخزون ، الذخائر ، والمعدات الأخرى .
د ـ التدريبات التي تلقتها الوحدات المختلفة .
هـ ـ المخزون الاستراتيجي في سورية ـ الغذاء ـ الوقود .

٣ ـ كم عدد الكتائب التي تشكل الألوية التالية ؟

أ ـ اللواء المدرع ٦٠ .
ب ـ اللواء المدرع ٦٧ .
جـ ـ اللواء الميكانيكي ٨٧ من الفرقة المدرعة ١١ .
د ـ الفرقة ١٤ « قوات خاصة » .

برنامج التدريب لعام ١٩٨٥ :

٤ ـ ما هي الأهداف السورية ضمن تشكيلة التدريب لعام ١٩٨٥ .

٥ ـ اية وحدات على مستوى اللواء او الفرقة من المتوقع ان تجري تدريباتها للتعبئة العامة، ومتى ؟

٦ ـ ما هي التدريبات التي ستجري على مستوى القيادات العليا للاركان والاسلحة والفرق وما هو برنامجها الزمني ؟

٧ ـ ما هي الدروس التي استخلصها الجيش السوري من تدريباته عام ١٩٨٤ ؟

٨ ـ اية وحدات بالذات تفوقت في تدريباتها لتلك السنة وما هي الاهداف التي حققتها ؟

التحقق من موضوعات معينة :

٩ ـ ما هي الاساليب التي جرت تفصحها في التدريبات الهجومية ؟

١٠ ـ كم من الوقت تستغرق ادارة المعركة بالنسبة لمستويات التدريب المختلفة ؟

١١ ـ اي جزء من التدريبات يتم ليلاً ؟

١٢ ـ ما هي التدريبات التي قامت بها الفرقة المدرعة ١١ ووحداتها المختلفة ؟

١٣ ـ هل جرت تدريبات هذه السنة لوحدات صواريخ ارض ـ ارض ؟

١٤ ـ اية وحدات مغاوير تلقت تدريباتها عام ١٩٨٤ وعلى أي مستوى ؟

ما هي الدروس التي استخلصها السوريون من عملية سلامة الجليل بالنسبة للمواضيع التالية :

أ ـ الوحدات المدرعة .
ب ـ وحدات المغاوير .
جـ ـ وحدات المدفعية والاسلحة المضادة للطائرات .
د ـ الضبط والربط .
هـ ـ الى أي مدى استطاع السوريون التعمق في ايجاد الاجوبة للدروس المختلفة ؟

نظرية المعركة (تعليم الحرب) :

١٦ ـ النظرية السورية للمعركة فيما يتعلق باقتحام منطقة محصنة مثل مرتفعات الجولان :

أ ـ كيف ينظر السوريون الى التحصينات الاسرائيلية وكيف ينظرون الى تكوينها من الناحية الهندسية ؟

ب ـ ماذا يمتلك السوريون لتجاوز تلك العوائق ؟

جـ ـ هل يمتلك السوريون نموذجاً للتحصينات الاسرائيلية ؟

د ـ ما هي نظرية المعركة التي طورها السوريون للتغلب على التحصينات الاسرائيلية ؟

هـ ـ ما هي الوحدات التي خصصت للاقتحام ؟ وما هي الوسائل التي تمتلكها اليوم ؟

و ـ الى اي مدى وصلت تلك الوحدات في تدريباتها لانجاز مهمتها ؟

المغاوير السوريون :

١٧ ـ كيف ستعمل القوات الخاصة التابعة للفرقة ١٤ كفرقة محمولة جواً ، اذا كان السوريون كما يقول المصدر يمتلكون عدداً قليلاً من طائرات الهليوكبتر ذات القدرات المحدودة ؟

١٨ ـ هل ان قوات المغاوير مزودة بناقلات جنود مدرعة ؟ وهل يعتزمون تجهيزها في المستقبل ؟ واذا كان الأمر كذلك فما هي الغاية ؟

١٩ ـ هل سيشكلون فرق « وحدات خاصة » اخرى ؟ وذا كان الأمر كذلك فما هو البرنامج الزمني ؟

٢٠ ـ أ ـ هل يخطط السوريون لانزال قوات مغاوير امام خط التحصينات الامامي ؟

ب ـ هل يخطط السوريون لانزال قوات مغاوير على تل ابو الندى ؟

ج ـ هل يخطط السوريون لانزال قوات مغاوير على تل الهتسير ؟

د ـ هل يخطط السوريون لانزال قوات مغاوير على منطقة تل فرس ؟

هـ ـ هل يخطط السوريون لانزال قوات مغاوير على منطقة بقعاتا ؟

و ـ هل سينزلون قوات المغاوير لمحاولة الاستيلاء على مراكز القيادة ؟

٢١ ـ ما هو التكتيك الفعلي الذي يخطط السوريون لاستخدامه في انزال قوات المغاوير ؟

اساسيات :

٢٢ ـ ما هو حجم القوة التي يقدر السوريون انهم بحاجة لها للوصول الى التوازن الاستراتيجي مع اسرائيل ؟

أ ـ كم عدد الفرق والقوات التي يفترض السوريون انهم بحاجة لها للوصول الى هذا الهدف ؟

ب ـ ما هو عدد الدبابات وناقلات الجنود المدرعة . والمدفعية التي يعتقد السوريون انهم بحاجة لها للوصول الى هذا الهدف ؟

ج ـ ما هي الوسائل الخاصة التي يحتاجونها للوصول الى هذا الهدف ؟ (انظر التفصيل التالي) .

١ ـ الجسور واجتياز حقول الألغام .
٢ ـ صواريخ ارض ارض .
٣ ـ القدرة على شن حرب كيماوية .

د ـ ما هي طاقة طائرات الهليكوبتر الخاصة بنقل القوات التي يسعى الجيش السوري للوصول اليها ؟

٢٣ ـ ما هو اساس خطة التنمية الممتدة لعدة سنوات ؟

أ ـ هل اكتملت خطة التنمية بعد عام ١٩٨٤ ؟ اذا كان الجواب بالايجاب :

١ ـ ما هي الأهداف الاصلية للخطة ؟
٢ ـ كم من الأهداف تحقق ؟
٣ ـ هل يعتقدون انهم انجزوا المهمة والى أي مدى نجحوا في ذلك ؟

ب ـ ما هي اهداف برنامج التنمية الحالي ؟

١ ـ عدد الوحدات والفصائل التي ستشكل او اعيد تشكيلها .

٢ ـ ما هي اهداف الخطة بالنسبة لعدد الدبابات ، وناقلات الجنود المدرعة ، والمدفعية ، والدفاع الجوي ، وسلاح الهندسة ؟

٣ ـ ما هي الاجراءات التي سيخضع لها الجيش حسب الخطة ؟

٤ ـ ما هو البرنامج الزمني لكل مرحلة من مراحل الخطة ؟ متى يتوقع ان تكتمل العملية .

٢٤ ـ بنية سرية الدفاع اليوم .

١ ـ ما هي الوحدات المشمولة في « سرايا الدفاع » ؟
ب ـ ما هو التسلسل المتبع في « سرايا الدفاع » ؟
ج ـ ما هي الوحدات التي تم نقلها من سرايا الدفاع الى سيروكو ؟
د ـ هل ثمة مؤشرات على تململ الجنود عند نقلهم من سرايا الدفاع الى وحدات اخرى ؟
هـ ـ ما هي الاهداف العملياتية لسرايا الدفاع اليوم ؟

٢٥ ـ الفرقة ١٤ « قوات خاصة » .

أ ـ ما هي الوحدات التي تشكل هذه الفرقة اليوم ؟
ب ـ هل ثمة مخططات لايجاد وحدات مساندة لوجستية خاضعة لقيادة الفرقة ؟

٢٦ ـ الحرس الجمهوري

أ ـ ما هي الوحدات الثانوية الملحقة بالحرس اليوم وما هي اسلحتها ؟
ب ـ هل توجد مخططات لزيادة هذه الوحدات ؟

٢٧ ـ قوات الاحتياط في الجيش السوري .

أ ـ هل يوجد احتياطي قائم عضوياً (عدا عن تجنيد الاحتياطيين للتعويض عن اصابات الحرب) ؟
ب ـ ما هي تلك الوحدات وكيف يجري انتشارها ؟
جـ ـ ما نوع التدريب الذي تتلقاه وما هو مستوى جهوزيتها العسكري ؟

الفرقة المدرعة ١١

٢٨ ـ جميع التفاصيل المتعلقة بالوحدات الدنيا لهذه الفرقة ، الكتائب العضوية في الألوية ، كتائب بطاريات المدفعية ، والكتائب الملحقة بقيادة الفرقة والتسلح والامدادات في الوحدات المختلفة ، الضباط والقوى البشرية في الفرقة ١١ . الانتشار الحالي ، التدريب وحالة الاستنفار في الفرقة .

٢٩ ـ مهام واهداف الفرقة ١١ ؟ هل ستتصرف الفرقة كاحتياط عام لهيئة الاركان لنشرها في الخطوط الخلفية ام انها ستشكل جزءاً من سلاح جديد ؟

٣٠ ـ ما نوع الدبابات المتوافرة لدى كل لوء من الوية الفرقة (١١) وما هو عدد الدبابات لكل لواء لغاية شهر نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٨٢ ؟

٣١ ـ اعطِ تفاصيل اللوائين ٨٧ و٦٠ من حيث تشكيل الوحدات التابعة لها اعدادها واسلحتها وتجهيزاتها وقواها البشرية وضباطها ، وانتشارها الحالي ، وتدريباتها واستعدادها .

اللواء الجبلي ١٢٠

٣٢ ـ أ ـ لمن يتبع اللواء ١٢٠ اليوم ؟
ب ـ اين ينتشر هذا اللواء اليوم ؟
جـ ـ اين هي قواعده الدائمة ؟

٣٣ ـ اعطِ تفاصيل الوحدات التابعة للواء ١٢٠ ، اسلحتها وتجهيزاتها وقواها البشرية وضباطها

وتدريباتهم .

٣٤ ـ اهداف اللواء ومراميه ـ اين ينتشر في حالات الطوارىء ومن سيكون مسؤولاً عنه ؟

القيادات الاقليمية في الجيش السوري :

٣٥ ـ اعط تفاصيل القيادات الاقليمية المختلفة في الجيش السوري واية وحدات عاملة تخضع لقيادتها ؟

٣٦ ـ الضباط والقوى البشرية في القيادات المختلفة .

٣٧ ـ واجبات القيادات المختلفة خلال الحرب والسلم .

٣٨ ـ الثكنات والمنشآت العسكرية في القيادات المختلفة .

قوات الجيش السوري :

٣٩ ـ هل ثمة خطط لإنشاء المزيد من القوات في الجيش السوري ؟ اذا كان الأمر كذلك اعط التفاصيل مزودة بالبرنامج الزمني .

٤٠ ـ اذا أنشئت مثل هذه القوات هل سيكون هناك احتياط للقيادة العامة ؟

القيادة العامة الميدانية :

٤١ ـ ما هي المرحلة التي يتم فيها انشاء قيادة عامة ميدانية ؟

٤٢ ـ ما هي الوحدات التي ستتبع تلك القيادة ؟

٤٣ ـ من هم الضباط والقوى البشرية في القيادة ؟

٤٤ ـ كيف تنتشر الوحدات ومراكز القيادة خلال الطوارىء وفي الأحوال الروتينية ؟

٤٥ ـ ما هي اهداف تلك القيادة ؟

الاركان العامة المضادة للدروع :

٤٦ ـ اعطِ قائمة بوحدات قيادة الاركان العامة المضادة للدروع واعدادها وهيئة ضباطها .

٤٧ ـ انتشارها الحالي .

٤٨ ـ اهدافها ومراميها .

٤٩ ـ السلاح الاساسي للوحدات .

اهداف الشراء :

٥٠ ـ اعطِ تفصيلات عقود مشتريات الاسلحة من الاتحاد السوفياتي منذ زيارة الرئيس الاسد الى موسكو في شهر تشرين الأول / اكتوبر ١٩٨٤ مع التأكيد على نظام الأسلحة المتطورة ، (انواعها وكمياتها ، مواعيد وصولها ، وطرق التسديد) .

٥١ ـ ما هي الوحدات التي ستتلقى الدفعات الأولى من انظمة السلاح المتطورة التي ستصل هذا العام (دبابات ت ٧٢ المطورة ، ناقلات الجنود المدرعة ـ من طراز BMP. 1 ، الأنظمة المضادة للدروع ، انظمة مساعدة الدبابات والمدفعية) .

٥٢ ـ العلاقات والعقود مع اوروبا الغربية في العام المنصرم وفي المستقبل القريب ، مع التأكيد على نظم الأسلحة المتطورة (الدبابات ، ناقلات جنود مدرعة ، مدفعية ذاتية الحركة ، اجهزة مساعدة) .

مرافق التخزين :

٥٣ ـ اعطِ تفاصيل عن مرافق التخزين بالنسبة للمشتريات الجديدة والآليات القديمة في الجيش السوري من حيث حجمها واهدافها .

٥٤ ـ حدد محتويات مناطق التخزين كل على حدة .

اجهزة الرؤية الليلية :

٥٥ ـ هل يوجد اهتمام من الجيش السوري بشراء مثل هذه الأجهزة وما هي وجهة الاستعمال ؟ اين تتم عملية شراء مثل هذه الأجهزة ؟ من العجيب ان « المصدر » لا يعلم شيئاً عن استخدام هذه الأجهزة لدى الجيش السوري .

٥٦ ـ ما هي الاسس التي يعتمدها « المصدر » في التأكيد ان الافواج المضادة للدبابات لن تتحول الى ألوية مضادة للدبابات ؟

٥٧ ـ ما هو الفارق بين الافواج المضادة للدبابات والألوية المضادة للدبابات ؟

القوات الخاصة :

٥٨ ـ الى اية اسس يعتمد « المصدر » في التأكيد ان افواج المغاوير لن تتحول الى كتائب مغاوير ؟

٥٩ ـ ما هو الفارق بين افواج المغاوير وكتائب المغاوير ؟

الضباط والقوى البشرية :

٦٠ ـ اعطِ لائحة بالتعيينات الجديدة واسماء المسرحين حسب القائمة المتوقع صدورها في يناير كانون الثاني ١٩٨٥

٦١ ـ التغييرات التي ستطرأ على قيادة الاركان بعد عودة رفعت الاسد وبعد انعقاد مؤتمر حزب البعث المتوقع قريباً .

٦٢ ـ لماذا يغيب حكمت الشهابي عن الرسميات العسكرية التي تفترض مشاركة رئيس الاركان ؟ هل ثمة تغييرات متوقعة في منصبه كرئيس للاركان ؟

٦٣ ـ ما مدى صحة الشائعات حول تعيين ابراهيم صافي من الفرقة الأولى في منصب نائب رئيس الاركان بعد تعيين علي اصلان بمركز رئيس الاركان ؟

٦٤ ـ هل يتوقع ان تجرى تعديلات بمراكز علي دوبا ونائبه مجيد سعيد ؟ اذا كان الامر كذلك اين سيتم تعيينهما ومن سيحل محلهما ؟

٦٥ ـ هل هناك تغييرات متوقعة في مسؤوليات واهداف الجهة التي يترأسها رفعت الاسد ؟ حسب « المصدر » سيحل رفعت الاسد محل احمد دياب كرئيس لمكتب الامن القومي .

٦٦ ـ التعيينات الجديدة في الفرقة ٥٦٩ .

٦٧ ـ بنية وزارة الدفاع السورية .

٦٨ ـ حدد برامج التدريب التي يتلقاها طلبة الكلية العسكرية في حمص .

٦٩ ـ ما حجم دورة الضباط الجديدة التي من المنتظر ان تبدأ تدريباتها عام ١٩٨٥ في الكلية العسكرية في تمز ؟

٧٠ ـ ما هو النظام المتبع في اعطاء طلبة الكلية العسكرية في حمص ارقاماً تسلسلية متقدمة ؟ اشرح بالتفصيل .

٧١ ـ حجم القوى البشرية العاملة في الجيش السوري قياساً بتوزيع الرتب لاسيما في الفرق .

٧٢ ـ قائمة بأكبر عدد ممكن من الضباط في الوحدات العاملة في الجيش السوري .

٧٣ ـ ما هي الرموز السرية التي تستخدم في صفوف الاحتياط حسب المهنة او الوحدات ؟

٧٤ ـ اين يحتفظ بتلك الرموز ؟

٧٥ ـ وتيرة التغيير في تلك الرموز .

٧٦ ـ حدد التلاميذ المتوقع تجنيدهم من دفعة عام ٨٤ ـ ٨٥ على اساس التحصيل العلمي .



صورة تجمع بين الرئيس السوداني الاسبق جعفر عيري ووزير الدفاع الاسرائيلي الاسبق اريبل شارون والمليادير عدنان خاشقجي . اللقاء تم في كينيا يوم ١٣ ايار مايو ١٩٨٢ . وافق النميري في حينه على السماح لليهود الفلاشا للهجرة الى اسرائيل عبر السودان .



حاييم هرتزوغ Chaim Herzog الذي ترأس جهاز امان (١٩٤٩ - ١٩٥٠) و (١٩٥٩ - ١٩٦٢) واصبح فيما بعد رئيسا لدولة اسرائيل مع احودبراك قائد جهاز امان ١٩٨٣ - ١٩٨٥



الى اليمين افراهام احيتفو Avraham Ahitvu
عمل مديرا لجهاز الشين بيت (١٩٧٤ - ١٩٨١)
وتعرض لاشكالات مع بيغن بسبب العمليات
الارهابية اليهودية.



يوسف هارملين Yosef Harmelin
رئيس الشين بيت (١٩٦٤-١٩٧٤)
و (١٩٨٦ -١٩٨٨) تميز بادائه الشرس.



عاميرام نير Amiram Nir
مراسل تلفزيوني ومستشار لرئيس الوزراء
لشؤون الارهاب المضاد (١٩٨٧ - ١٩٨٨). كان
له دور في ايران غيت وتوفي في حادث تحطم طائرة
غامض في المكسيك.



شاوول افيغور Shaul Avigur
مؤسس واول رئيس لمكتب الارتباط (١٩٥٣ - ١٩٧٠)
كان مسؤولا عن تهريب اليهود.



مايك هراري Mike Harari
(بالنظارات السوداء) كان يقود فريق الموساد الضارب والصورة احدث عام ١٩٨٥ خلال احتفال جرى في تل ابيب لصديقه الكولونيل البنمي ايمانويل نورييغا.



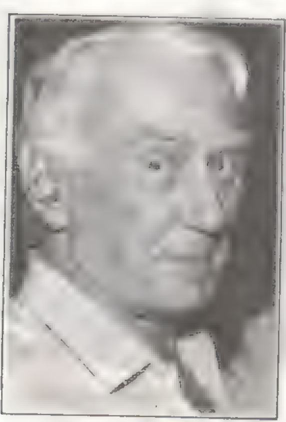
حافظ الدلقموني Hafeth El-Dalkamoni
من الجبهة الشعبية القيادة العامة مع اثنين من معاونيه في المانيا وهم من خلية زُعِم انها مسؤولة عن تفجير طائرة بان اميركان فوق مدينة لوكربي في اسكتلندا.



افراهام شالوم Avraham Shalom على ظهر بحنه قاد جهاز شين بيت (١٩٨١ - ١٩٨٦) وهو الذي امر بقتل الفدائيين بعد اسرهما وقد أجبر على الاستقالة على اثر ذلك.



اموس مانور Amos Manor
رئيس جهاز الشين بيت
(١٩٥٣ - ١٩٦٣)
حصل على خطاب خورتشيف السري عام ١٩٥٦.



يهوشافت هاركابي Yehoshafat Harkabi
الذي أمر بالاغتيالات الاولى (١٩٥٥ - ١٩٥٩)



روفن شيلواه Reuven Shiloah

اول رئيس للموساد. لم يلق الاعتراف الذي يستحقه «كرجل مخابرات».



ايسر هارل Isser Harel

رئيس جهاز الشين بيت (١٩٤٨ - ١٩٥٢) ورئيس الموساد (١٩٥٢ - ١٩٦٣).



ميرأميت Meir Amit

قاد الموساد (١٩٦٣ - ١٩٦٨) بعقلية الادارة الاميركية خلال حقبة بن غوريون.



ناحوم ادموني Nahum Admoni

رئيس الموساد (١٩٨٢ - ١٩٨٩) كان مسؤولا عن تراجع قوة الموساد.



ايلي زيرا Eli Zeira
قائد جهاز امان (١٩٧٢ ـ ١٩٧٤) اقصي عن مهمته بسبب فشله في حرب يوم الغفران ١٩٧٣.



اهارون ياريف Aharon Yariv
قائد جهاز امان (١٩٦٢ ـ ١٩٧٢) وكان مسؤولا عن اداء اسرائيل في حرب ١٩٦٧.



آمنون شاحاك Ammon Shahak
قائد جهاز آمان منذ العام (١٩٨٦) والمسؤول عن الغارات ضد الفلسطينيين.



شلومو غازيت Shlomo Gazit
قائد جهاز آمان (١٩٧٤ ـ ١٩٧٩) فوجيء بمبادرة الرئيس السادات.

مسرد GLOSSARY

آبام APAM

جهاز امن المخابرات خلال قيامها بالعمليات.

الاطارات FRAMES

وحدات حماية يهودية منتشرة في ارجاء العالم.

اكاديمية ACADEMY (مدرشة)

الاسم الرسمي للمقر الصيفي لرئيس الوزراء، وهي مدرسة تدريب الموساد في شمال تل ابيب.

آل AL

جهاز للضباط الاسرائيليين الاكفاء العاملين بسرية مطبقة في الولايات المتحدة .

آمان AMAN

جهاز الاستخبارات العسكرية في اسرائيل.

اوتر OTER

شخص عربي مأجور بهدف اجراء الاتصال مع عرب اخرين ويتقاضى ما بين (٣٠٠٠ و ٥٠٠٠) دولار كراتب شهري.

بابلات BABLT / كلام فارغ

بات ليفياه BAT LEVEYHA

مرافقات ليس للمتعة، وغالباً ما يكن عمليات وليس بالضرورة ان يكن يهوديات، يستأجرن كمساعدات للعملاء .

بالدار :BALDAR مراسل

بلدان القاعدة : BASE COUNTRY

غرب اوروبا والولايات المتحدة حيث يوجد للموساد قواعد.

الباها PAHA

نشاطات التخريب المعادية مثل م. ت. ف

البلد المستهدف TARGET COUNTRY

أي بلد عربي.

بنولكس BENELUX

مكتب دول بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج.

بودل BODEL

مراسل يتنقل بين بيوت الامن الاسرائيلية والسفارات في مركز قيادة الموساد او بين بيوت الأمن المختلفة.

بيت أمان SAFE HOUSE

وتسمى فعلا «شقق العمليات» من قبل الموساد وهي شقق يتم شراؤها او استئجارها للقاءات السرية وكقواعد للعمليات.

تايست TAYESET

الاسم الحركي لدائرة التدريب.

التجسس المباشر DIRECT INTELLIGENCE

التحرك الحقيقي او النشاطات التي يمكن ملاحظتها، مثل تحركات الاسلحة او القوات او استعدادات المستشفيات والموانىء للحرب.

تساياخ TSIACH

الاجتماع السنوي لاجهزة الاستخبارات العسكرية والمدنية،كذلك تعني اسم الوثيقة التي تحتوي متطلبات الاستخبارات للسنة القادمة وهي مرتبة حسب الاهمية.

تطوير DEVELOPMENT

هيئة تابعة للوحدة ٨٢٥٠ العسكرية، وهي مختصة بصنع الأقفال والحقائب الخاصة الخ.

تسافريريم TSAFRIRIM

وتعني «الصقيع الصباحي»: الجهاز المسؤول عن تنظيم المجتمعات اليهودية خارج اسرائيل، وعن مساعدتها على حماية انفسها.

تسومت TSOMET

الدائرة المسؤولة عن تجنيد ضباط المخابرات «الكاتسا».

تيود (الوثائق) TEUD

اعداد الوثائق و «صنعها» مثل جوازات السفر.

جامبو JUMBO

المعلومات الشخصية التي يجمعها ضباط ارتباط الموساد من نظرائهم الاجانب خارج نطاق العمل الرسمي.

الحصان HORSE

شخص ذو منزلة رفيعة، يساعدك في مهمتك. .

حلقة الوصل LEAD

تجنيد شخص للوصول الى آخر.

خبراء مع مصحوبين EXPERTS WITH HANDLES

«مصطلح يستخدم لوصف الشخص الخبير خارج اطار حقل التجسس او المخابرات والذي يتم اصطحابه للتعرف على الوثائق او الآليات في مجال خبرته.

دارداسيم DARDASIM

دائرة ضمن مكتب الارتباط في السفارات الاسرائيلية تنشط في الصين وافريقيا والشرق الاقصى لاقامة العلاقات.

دوفشانين DUVSHANIN .

عادة تعني قوات حفظ السلام التابعة للامم المتحدة التي تتلقى الاموال مقابل نقل الرسائل والطرود عبر الحدود بين اسرائيل والعرب.

سايان وجمعهاساينيم SAYAN

اليهود الذين يتطوعون للمساعده من خارج اسرائيل.

سافيانيم (السمكة الذهبية) SAFIANIM

دائرة ضمن الموساد، مسؤولة عن منظمة التحرير الفلسطينية.

سليك SLICK

مكان لاخفاء الوثائق والاسلحة الخ.

السهم KESHET او NEVIOT

تجميع المعلومات من الاشياء الساكنة: مثل عمليات الاقتحام للشقق، وتركيب آلات التنصت. .

شاباك SHABACK

مكتب قوى الأمن الداخلي الاسرائيلي وهي تعادل مكتب التحقيقات الفدرالي الامريكي (F.B.I.).

شيكلوت SHICKLUT

الدائرة المختصة بجهاز التنصت.

شين بيت SHIN BET

الاسم السابق للشاباك.

ضابط تحقيق CASE OFFICER

في معظم اجهزة المخابرات مصطلح يقابله الكاتسا لدى الموساد وهم من العاملين في هيئة المتسادا (موساد مصغر) التي تتولى شؤون الجواسيس.

عميل AGENT

مصطلح اسيء استعماله، فهو يعني المجندوليس الموظف المحلي لجهاز المخابرات. يضم الموساد (٣٥٠٠٠) في العالم اجمع منهم (٢٠٠٠٠) عاملون والباقي خامدون. واصطلح على تسمية «السود» للاشارة الى العرب بينما «البيض» هم من غير العرب. «العملاء» التحذيريون، هم عملاء استراتيجيون يتم استخدامهم للتحذير من استعدادات الحرب ومثال على ذلك الطبيب الذي يعمل في احد المستشفيات السورية الذي يلاحظ تدفق امدادات جديدة من الادوية فيبلغ عنها، او احد موظفي الموانىء الذي يلاحظ ازدياداً ملحوظاً للسفن الحربية.

غادنا GADNA

وحدات الشبيبة الاسرائيلية شبه العسكرية.

فلاش FALACH

الفلاحون العرب في لبنان الذين يتم تجنيدهم من قبل الجيش الاسرائيلي كعملاء من درجة ثانية.

قفازون JUMPERS

ضباط المخابرات المقيمون في اسرائيل والذين يتنقلون من بلد الى آخر لمدة قصيرة على عكس الذين يقيمون في الخارج فعلا.

القوس والسهم HETS VA - KESHET

شعار واسم المخيم الصيفي لوحدات الشبيبة (غادنا).

قيصروت او تيفل KAISARUT

ضباط الارتباط داخل السفارات الاسرائيلية المعروفون كضباط مخابرات بالنسبة للسلطات المحلية.

كاتسا KATSA

«ضابط تجميع» «ضابط حالة» لدى الموساد ٣٥ ضابط عمليات يقومون بتجنيد العملاء في جميع ارجاء العالم، قياسا بالآف الضباط الذين يعملون مع المخابرات السوفياتية KGB او الامريكية CIA.

كشاريم (العقد) KSHARIM

سجلات الكمبيوتر التي تسجل ارتباطات العاملين بعضهم ببعض.

كيدون (الحربة) KIDON

الذراع العملياتية للماتسدا المسؤولة عن الاعدامات والخطف.

لاكام LAKAM

مكتب الارتباط للشؤون العلمية التابع لرئيس الوزراء الاسرائيلي.

لاب :LAP الحرب النفسية

اللؤلؤ DIAMOND

وحدة من الموساد مسؤولة عن الاتصالات مع العملاء في البلدان المستهدفة.

مابواه MABUAH

شخص يتزود بالمعلومات من مصدر اخر غير المصدر المباشر.

مارتس :MARATS المتنصتون.

ماسلوح MASLUH

نظام حماية من الملاحقة الشخصية.

مالات MALAT

مكتب ارتباط لفرع جنوب افريقيا.

متسادا METSADA

دائرة تعمل في غاية السرية (موساد داخل الموساد) وهي المسؤولة عن الجواسيس الذين يرسلون للخارج واصبحت لاحقاً تعرف باسم KOMEMIUTE.

مخابرات الفايبر FIBER INTELLIGENCE

الملاحظات غير العينية مثل المؤشرات الاقتصادية، الاشاعات، المعنويات والمشاعر العامة.

مسهلاشيم MISHLASHIM

علب ورسائل موت.

المقاتلون COMBATANTS

هم الجواسيس الحقيقيون من الاسرائيليين الذين يرسلون الى الدول العربية ليعملوا في السر.

مِلُوكا MELUCKHA

كانت تسمى تسومت وهي الدائرة المسؤولة عن تجنيد ضباط الكاتسا.

المؤسسة INSTITUTE

الاسم الرسمي للموساد ويعني جهاز المخابرات والعمليات الخاصة.

مولتر MAULTER

كلمة عبرية تعني «غير مخطط» استخدمت لوصف خط امني عشوائي او خطر.

موليش MOLICH

شخص مجند للوصول الى آخر.

ناكا NAKA

نظام موحد للكتابة يستخدمه الموساد في العمليات واعداد التقارير.

ناتيف NATIV

تجميع المعلومات من الاتحاد السوفياتي والمساعدة في ايجاد طرق لهروب يهود الكتلة الشرقية.

النجوم السبعة SEVEN STAR

دفتر جلدي يحمله الكاشا ويحتوي على شيفرة بارقام الهواتف واسماء العملاء.

هيومانت HUMANT

تجميع المعلومات عن طريق البشر من كل الانواع.

الوحدة ٥٠٤:

وحدة موساد مصغرة لجمع المعلومات العسكرية عبر الحدود.

الوحدة ٨٢٠٠:

وحدة عسكرية مسؤولة عن جميع الاتصالات التي تحصل عليها المخابرات الاسرائيلية.

الوحدة ٨٥١٣:

فرع الاستخبارات العسكرية المسؤول عن التصوير.

وضح النهار DAY LIGHT

اقصى حالات الاستنفار لمحطة الموساد.

يارد YARID

الفرق المسؤولة عن الامن الاوروبي.

الفهرست

BY WAY OF DECEPTION

A Devastating Insider's Portrait of the Mossad

CLAIRE HOY
VICTOR OSTROVSKY







عن طريق الخداع

صورة مروعة للموساد من الداخل

عندما وقع الاختيار عليّ للعمل في الموساد، شعرت بالفخر وبانني منحت امتيازا بانضمامي إلى ما اعتبرته النخبة في هذا الجهاز.

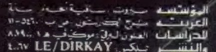
لكن ما دفعني إلى نشر الحوادث المذكورة في هذا الكتاب هو ما رأيته هناك من مثل منحرفة، وبرغماتية ذاتية مقرونة بالجشع، والشهوة، والاحتقار الشامل للحياة البشرية.

والموساد بصفته الهيئة الاستخبارية التي عهد إليها مسؤولية تمهيد الطريق للقادة كي تأخذ إسرائيل مكانها بين الأمم، قد خان الامانة، واصبح يعمل لمصلحته الشخصية، وبدافع من هذه المصلحة جرّت الأمة إلى طريق الانهيار.

وهو امر لم أستطع السكوت عليه، كما لا استطيع ان أغامر بمصداقية هذا الكتاب بإخفاء الحقائق خلف أسماء مزيّفة وشخصيات غامضة (رغم انني استعملت الأسماء الأولى فقط لبعض العاملين في هذا الحقل، حفاظا على حياتهم)

فكتور أوستروفسكي

الغلاف: زهير أبو شايب


المؤسسة العربية للدراسات والنشر
LE/DIRKAY